فادينا العظيم

تأملات يومية على مدار العام



بقلم: مطران ليفربول

الأسقف جون شارلس رايل

(١٨١٦ - ١٩٠٠)

ترجمه من الإنكليزية

القس د. سمير يوسف يعقو / الشيخ جورج الياس ميسي

فادينا العظيم

بقلم مطران ليفربول
الأسقف جون شارلس رايل
(١٨١٦ – ١٩٠٠)

ترجمه عن الإنكليزية
د. القس سمير يوسف يعقو
الشيخ جورج الياس ميسي

«غير مخصص للبيع»

يوزع مجاناً من قبل الكنيسة المعمدانية الإنجيلية
دمشق – الدويلعة، ص. ب. ٢٢٢٤٥
هاتف ٤٧٣٣٩١٨ –١١– ٠٠٩٦٣

OUR GREAT REDEEMER
“Not for sale”
To be ordered for free from
The Baptist Evangelical Church
Damascus – Dwelaa – P.O.Box 22245
Phone: 00963 -11- 4733918
Email: tabbalehchurch@hotmail.com

This book was printed under the patronage of
AMEN Organization
The Netherlands

جميع حقوق الطبع أو إعادة النشر محفوظة
All Rights Reserved

مقدمة

هذا كتاب من تأليف الأسقف جون شارلس رايل (١٨١٦ – ١٩٠٠) مطران ليفربول. وهو كتاب يشرح فيه جزءاً من الكتاب المقدس في كلِّ يوم على مدار العام. فالكتاب المقدس هو كلمة الله، لذلك هو من الأهمية بمكان لكلِّ حياتنا. فالمسيحي الحقيقي يؤمن بكلِّ ما جاء في الكتاب المقدس ويريد أن يحيا بطاعته. والمسيحي الصادق يحتاج إلى تعليم يومي من الكتاب المقدس. وهذا الكتاب يعطينا تعليماً يومياً من الكتاب، وبالحقيقة والواقع إن تفسيرات المحترم رايل مدهشة.

في المقام الأول، إن كلَّ تفسيراته هي من وبحسب الكتاب المقدس، وهو يترك الكلام للكتاب المقدس ويناقش نصوصاً من العهدين القديم والجديد. وأيضاً يحاول أن يُظهِر كيف تُفسَّر الأمور أكثر في الكتاب المقدس. ونحن نواجه فكرة الصلاة في أماكن كثيرة من الكتاب ولهذا كان ذلك مهماً في تعليم الله. موسى، النبي، والرب يسوع المسيح شددا على الصلاة الشخصية. والتكرار يشير إلى أهمية الموضوع. فمن الأهمية بمكان أن ندع الكتاب المقدس يتكلم إلينا.

وفي المقام الثاني، إن تفسيرات رايل واضحة جداً. فبعض الناس يصعّبون الأمور فلا نستوعب الكلام جيداً. أما رايل فمفسر يستخدم كلمات بسيطة لتوضيح قضايا الكتاب. جمله ليست طويلة. والكلمات التي يكتبها بسيطة وتستخدم في الحياة العادية. فبسبب هذا الوضوح نرى تأثير الأفكار الكتابية أكثر عندما نقرأ هذا الكتاب. إن رايل مرشد جيد لفهم أقوال الله من خلال كلماته.

وفي المقام الثالث، إن شروح رايل شخصية جداً. فهو يخاطب القارئ على نحو شخصي باستمرار. فيسألك ويسألني كيف تسير الأمور في حياتنا. هل نقرأ الكتاب المقدس بأنفسنا؟ هل لنا صلوات شخصية نرفعها إلى الله؟ هل دخلت النعمة قلوبنا؟ هل لنا رغبة متعمقة بأن نطيع الله؟ هذه هي الأسئلة الشخصية التي يسألها ويكررها رايل علينا. وهذا أيضاً أمر أساسي للمسيحية الكتابية. فنحن مسيحيون بكليَّة حياتنا. فالإيمان يعبَّر عنه بالكلمات والأعمال. والإيمان الصحيح يجدد الناس ويقودهم إلى حياة الطاعة لله.

وهنالك الكثير مما يمكن قوله عن الكتاب. فنأمل أن تقرأ الكثير فيه. وعلى كلِّ حال، نأمل أكثر أيضاً أن تقرأ الكتاب المقدس بنفسك يومياً. فكلمة الله يمكن أن تجعلنا، وستجعلنا من كلِّ بد، سعيدين بالإيمان بيسوع المسيح مخلصنا.

القس وليم فيسر
راعي رعية كنيسة مصلحة في أمرسفورت – هولندا

حياة وخدمة الأسقف جون شارلس رايل

(١٨١٦ – ١٩٠٠)

في مستهل رعايتي لكنيستي الحالية في مدينة غراند رابيدز بولاية ميشيغان في عام ١٩٨٦، لم يكن إلا القلائل من كنيستنا يقرؤون الكلاسيكيات الروحية. وفي أحد صفوف منتصف الأسبوع التي كنت أدرِّسها تناولت مجموعة كتاب من سبعة مجلدات بعنوان أفكار تفسيرية للأناجيل من تأليف جون شارلس رايل (١٨١٦–١٩٠٠) مشجعاً الآباء على أنْ يقرؤوا أجزاء من هذه المجلدات كمنطلقات للعائلات في المشاركة بعبادة عائلية يومية هادفة وممجدة لله. وكم يسرني القول إنَّ ١٥٠ عائلة التزمت بالأمر. وما هي إلا فترة وجيزة حتى صار الكثيرون في الكنيسة يتحدثون عن هذه الكتب. وبعد ستة عشر عاماً أخبرتني امرأة أنها ما زالت تقرأ تفسير رايل للأناجيل وأنها كلّما أنهت قراءة تفسير إنجيل يوحنا تعود لتبدأ بقراءة تفسير إنجيل متى. إن أسلوب رايل يتميز بالجاذب الروحي وسهولة ومتعة القراءة التي تشجع القراء على الاستزادة.

كتب عنه الواعظ المعمداني شارلس سبيرجن قائلاً «كان جون شارلس رايل بطلاً إنجيلياً» ووصفه بقوله: «إنه أشجع وأفضل الرجال». وقد ولد رايل في مدينة ماكلسفيلد الواقعة في شمال غرب إنكلترا في ١٠/أيار/١٨١٦. إنه ابن مصرفي ثري وقد صار تلميذاً موهوباً ورياضياً ماهراً (فقد كان لاعب كريكيت بارع) في جامعة أكسفورد وقد بدا مرشحاً للبروز في عالم السياسة والمال في العهد البريطاني الفكتوري. وقد تأثر رايل في شبابه المبكر بالقيم النخبوية التي كانت لوالديه من غير اعتبار لأمور الله وإنجيل يسوع المسيح. لكن كانت لله دعوة أخرى لحياته. ففي عام ١٨٤١ منيت ثروة والده بالزوال نتيجة إفلاس المصرف، وبين ليلة وضحاها فقدت العائلة ثروتها ومنزلها وقدّرت أملاكهم بنصف مليون جنيه (التي تساوي اليوم أكثر من ٥٠ مليون دولار). فصار على رايل أنْ يساعد والده لعشرين عاماً بتسديد الديون الهائلة التي ترتبت على العائلة. وربما كان قد أصابه اليأس لولا أنَّ الله افتقده وعرَّفَه على غنى أكثر دواماً. ففي صيف عام ١٨٣٧، وعلى إثر إطلاقه شتائم بصوت مرتفع في أثناء إحدى المباريات، تلقى تبكيتاً من صديق له وشجعه على أنْ يعيد النظر بحاله ويتوب ويصلي. وابتدأ يفعل ذلك فعلاً وخاصة عندما أصابه مرض بذلك العام بعد تلك الواقعة. وفي بعد ظهر أحد أيام الآحاد، حضر اجتماع عبادة وانتقل من الموت إلى الحياة بعد سماعه درس الكتاب المقدس من قراءة متأنية من (أفسس ٢:٨) حيث يقول الرسول في هذه الرسالة: «**بالنعمة أنتم مخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم**

هو عطية الله». وقد قال رايل فيما بعد إنَّ حقائق إثم الخطية، والبدل الكامل الذي قدمه المسيح عن الخطاة، وضرورة الولادة الجديدة من الروح القدس، وحياة القداسة التي لا غنى عنها، وضرورة الخروج من العالم، وسيادة الكتاب المقدس، «سطعت عليَّ كشعاع شمس في شتاء سنة ١٨٣٧... حتى إنَّ لا شيء يحسبه فكري مساوياً لذلك إلا نعمة الله السيادية المجانية».

ومُغنى بالمسيح ومُفْقَراً بين الناس وجد رايل مهنة جديدة. ففي عام ١٨٤٢ رسم للرعاية في كنيسة إنكلترا وخدم رعاية أرياف سافولك (Suffolk). ومن عام ١٨٤٤ إلى عام ١٨٤٦ كان قسيس هيلمنغهام (Helmingham)، ومن عام ١٨٦١ إلى عام ١٨٨٠ راعيا في ستادبروك (Stadbroke). وتوفيت زوجته الأولى ماتيلدا عام ١٨٤٨ بعد ثلاثة أعوام من زواجهما. وكانت زوجته الثانية جيسي منحرفة الصحة وتوفيت في عام ١٨٦٠، بعد عشرة أعوام من الزواج، فتزوج للمرة الثالثة في عام ١٨٦١ بهنرييتا التي توفيت عام ١٨٨٩ قبل أحد عشر عاماً من وفاة رايل في عام ١٩٠٠. وقد عانى رايل نفسه أيضاً من سوء الصحة والمشكلات المالية الطويلة الأمد. إلا أنه في عام ١٨٨٠ وهو في الرابعة والستين تعين أسقفاً أولاً (مطران) لليفربول من غير وساطة إلا التي كانت من رئيس الوزراء بنيامين ديزرائيللي. وخدم رايل بعد ذلك عشرين عاماً في ليفربول.

كان رايل راعياً مكرّساً وكاتباً موهوباً، وإدارياً بارعاً جداً. وقد ركّز كأسقف على زيادة سلّم الأجور والرواتب للرعاة بدلاً من بناء كاتدرائية. وقد عزز قراءة نتاج البيوريتانيين والوعاظ الإنجيليين الآخرين من القرن الثامن عشر. وصار قائداً للإنجيلية الأنجليكانية. ومعروف الآن عن رايل أنه صاحب أكثر من مئتي كراس وعشرين كتاباً ألفها (وكثير من تلك الكراسات كانت في ذلك الحين كتيبات من خمسة عشر إلى ثلاثين صفحة). وربما الأكثر رواجاً اليوم بالإضافة إلى تأملاته التفسيرية هو كتابه بعنوان (Holiness) القداسة، الذي يتألف من دراسة أو أطروحة كتبها ليدافع عن العقائد الكتابية بالنسبة للخطية والتقديس. وعندما بدأ رايل عمله كواعظ، كانت عظاته، باعترافه هو، منمقة جداً ومزخرفة الأسلوب. ثم عند رعايته للمزارعين تعلم أنْ يتحدث بأسلوب مباشر وأكثر بساطة. لقد قسّم أفكاره إلى جمل قصيرة ومادة عظته إلى فقرات صغيرة. وكان يضع قابلية التطبيق في كلِّ عظة. وهو يعظ بإلحاحية روحية، ويعيد الكلمات المفتاحية، ويمثل المفاهيم المجردة بقصص عن السفن الغارقة والحروب والملكات الشفوقات من أجل أنْ يستأثر باهتمام وانتباه السامعين. وقد قال مرة ناصحاً «**لا تتكلموا مع الفقراء بالتعالي، وزوروا الناس من بيت إلى بيت، واجلسوا برفقة الناس إلى جانب المواقد، وتبادلوا معهم الأفكار،**

هل أنت مستعد للعام الجديد؟

«وَكَمَا وُضِعَ لِلنَّاسِ أَنْ يَمُوتُوا مَرَّةً ثُمَّ بَعْدَ ذلِكَ الدَّيْنُونَةُ»

(عبرانيين٩: ٢٧)

عزيزي القارئ، أسألك سؤالاً صريحاً في مستهلّ هذا العام. أمستعدّ أنت؟ هل قررّت حقّاً وداع العام المُنْصرم وهل لديك ما تريد اصطحابه معك للعام الجديد. وهل يبدو لك ذلك كأنّه دخول في نفق مظلم. لأننا لا نعلم يقيناً ما سيصادفنا قبل بلوغ نهايته. لأن طيّات الأمور مجهولة إلى حدٍ ما. نحن لا نعلم ما يحمل كلّ يوم في مضمونه، وكم بالأقلّ ما نعلمه مما سيحدث في مجريات العام الجاري. هل أنت مستعدّ عزيزي القارئ؟ أمستعدّ أنت للموت؟ فالموت آتٍ في يوم من الأيام وربّما هذا العام إذْ لا خلود لأحدٍ على هذه الأرض. وربّما تكون هذه السنة هي الأخيرة في حياتك. فالحياة على الأرض ليست حِكْراً لأحدٍ ولا سلطة لأحدٍ على إدارتها. بل أنت مُقيم عليها بموجب المشيئة الإلهية. من الممكن أن يُداهم المرض أو يعاود عليك معلناً لك التأهّب للمغادرة، وحتى الطبيب المعالج قد يستنفذ معك كلّ خبراته ومهاراته دون طائل. وهكذا يبدو لك أنَّ الأجل بات قريباً ويلوّح لك بأنَّ القبر وما فيه يُنْذر بعالم مجهول وأبدية هي في علم الله. فإذا حصل معك ذلك، هل أنت مستعدّ عزيزي القارئ؟

أمستعدّ أنت أنْ تترك وراءك الأحباء والثكالى الذين أحْببتهم في الحياة والذين حُفرت أسماؤهم في قلبك وأحاطتهم عواطفك النبيلة ببريق عينيك إذْ كانوا مصدر لمعانها وكأنّهم شمس وجودك، مع العلم بأنَّ لا أحد سيخلِّد أيضاً في هذه الحياة، وربّما سبقك أحدهم هذا العام إلى دار البقاء قبل أنْ يتفتّح الأقحوان في ربيع العام الجديد، وربما يسبقك أحدهم إلى عالم القبور. فهل أنت مستعدّ عزيزي القاري؟

فاذا كنت غير مستعد، أرجوك أنْ لا تبطئ في ذلك. وأنا بدوري أزفُّ لك الخبر السعيد بأنّ الآب السماوي جاهز لاستقبالك إذْ قد أعدّ لك في اسم يسوع المسيح كلَّ أسباب الخلاص، لأن الربّ يسوع جاهز لأن يغسل خطاياك والروح القدس بدوره يقدّسك. أمّا الملائكة فإنهم في انتظار لحظة الفرح السماوي بخلاصك وقدّيسو السماء يمدّون لك يد الترحاب لاستقبالك. ليتك لا تؤخّر اتخاذ قرار الاستعداد الذي تحدّثنا عنه هذا العام بالذات.

من عظة بعنوان: «**هل أنت مستعد**»

هل تصلي؟

«يَنْبَغِي أَنْ يُصَلَّى كُلَّ حِينٍ وَلاَ يُمَلَّ»

(لوقا ١٨:١)

أتوجّه إليك بسؤال مؤلّف من كلمتين: هل تصلّي؟

وحدك القادر على الإجابة سواء كنت ممن يرتادون الكنيسة للعبادة أم لا، وراعي الكنيسة يعلم ذلك. وهل كانت الصلاة العائلية تُقام في منزلك أم لا، فالأقرباء يعرفون. أمّا إذا كنت تصلّي على انفراد أم لا فإنَّ الأمر يتعلّق بينك وبين الله، أرجوك بحرارة أنْ تولي اهتماماً خاصّاً لما سأقوله لك ولا تقل إنَّ سؤالي يتجاوز الخصوصيات، فإذا كان قلبك مستقيماً أمام الله؛ فليس في سؤالي ما يخيفك، ولا تقل لي أنّك مواظب على صلواتك بانتظام. فرقٌ كبير بين تلاوة الصلوات وبين الصلاة النابعة من القلب. ولا تقل لي أن سؤالي ليس في محلّه.

الصلاة هي أهمّ عنصر في ممارسة الإيمان ضمن الديانة. وأمّا باقي العناصر فإنها تأتي في المرتبة الثانية، كقراءة الكتاب المقدس والاستماع إلى العظات وحضور العبادة العامّة والاشتراك في مائدة الربّ، فهذه كلّها لها اعتبارها الكبير، إلا أنّها لا تصل إلى مقام الصلاة الفردية في الأهمية، فالأمر تشبيهاً كالعقل والجسد من جهة السلامة. هكذا ينْسحب الأمر على سلامة النفس والروح في الجسد السليم. وكلّ معنيٌ في إيلاء الأمر عناية خاصة بشكل فرديّ، وعلى هذا النحو تأتي التوبة بشكلها الفرديّ الشخصيّ وكذلك الولاء ليسوع المسيح فردياً وشخصياً حتى تكون هذه المهمة أثناء التكلم مع الله في الصلاة فردية وشخصية إذْ يتوجّب عليك فعل ذلك لبركةٍ فردية وشخصية، إذ لا يمكن لأحد أن ينوبَ عنك في هذا المجال. فإذا غابت الصلاة في حياتك، غاب الله عنها أيضاً، معه يغيب المسيح وتغيب النعمة والرجاء وكأنك فقدت السماء وأنت في طريقك نحو الهاوية. هل أدركت الآن لماذا بدأت حديثي معك بالسؤال: هل تصلّي؟

من عظة بعنوان: «**دعوة للصلاة**». إن هذا العنوان هو عنوان كتاب للمؤلف وقد سبق ترجمته من قبل مترجمي كتاب التأملات هذا الذي بين أيدينا، وطبع مرات متكررة في دمشق بدعم كريم وإشراف من قبل: (Amen Organization - Netherlands) ويمكن الحصول عليه مجاناً لمن يرغب.

ممارسة القداسة

«اتْبَعُوا السَّلاَمَ مَعَ الْجَمِيعِ، وَالْقَدَاسَةَ الَّتِي بِدُونِهَا لَنْ يَرَى أَحَدٌ الرَّبَّ»

(عب١٢: ١٤)

من المؤكد كما من ضمن مجالات التأكيد الأخرى التي يتضمّنها الكتاب المقدس بالنسبة للقداسة أنَّ «**بِدُونِهَا لَنْ يَرَى أَحَدٌ الرَّبَّ**» (عبرانيين ١٢:١٤). أي أنها على قدم المساواة مع ثوابت أخرى: كثمار الإيمان الخلاصي والراحة الحقيقة التي ترافق التجديد والتي هي البرهان الحقيقي على النعمة المقيمة في حياتنا والتي هي النتيجة المنطقية لشركتنا الحيوية مع المسيح. وهذا مع لفت النظر بأن القداسة ليست الكمال المطلق ولا التنزّه التام من الأخطاء. لا شيء البتّة من هذا القبيل. وحذارِ من كلمات صاخبة صادرة من بعض من يقول بأن الشركة مع الله مستدامة وغير مُنْقطعة لزمن هذا مقداره؛ فهذا مجرّد استنهاض توقّعات غير كتابية في أذهان المؤمنين الجدد والتي تنطوي على أذىً كبير.

إنّ بلوغ الكمال المطلق شأنٌ سماويّ لا أرضيّ حيث تتنازع الأرض أجسادٌ ضعيفةٌ في عالم فاسد في ظلِّ شرير منْهمك يحوم حول نفوسنا. فالقداسة على الأرض في حياة المؤمن المسيحي غاية لا تُدْرك ولا تمْتلك دون صراع ومحاربة مستدامة كما وصفها الرسول بولس بقوله: «**بَلْ أَقْمَعُ جَسَدِي وَأَسْتَعْبِدُهُ، حَتَّى بَعْدَ مَا كَرَزْتُ لِلآخَرِينَ لاَ أَصِيرُ أَنَا نَفْسِي مَرْفُوضًا**» (١كورنثوس ٢٧:٩)، لأن الأمر يدعو للاستغراب عندما نسمع عن تقديس دون عناءٍ شخصي وأنَّ المطلوب في المؤمن فقط البقاء على حالته الراهنة، وأنَّ كلَّ شيء سيُدْفع لهم تحت الطلب. إنَّ قداسةً كهذه ليست واردة على الإطلاق حسب علمي، لأن القداسة التي تتحمّل المشقّة والمعاناة نادرة في أيامنا حيث لا تقدّم لنا الكلمة الإلهية مسلكاً آخر لبلوغ القداسة الحقيقية إلا وفق الكلمة وليس وفق أيقونات يصوّرها الفنّ المسيحي في اجتماع الرب مع تلاميذه. فالعصر الذي نعيش فيه لا يفسح المجال للقارئ أن يراني ضاغطاً على أذهان الناس بهذا الموضوع. لذا، دعونا نسأل أنفسنا في مسألة القداسة أين هي الآن من أرواحنا؟ كيف يا ترى نسعى إليها وماذا نحن فاعلون؟

من عظة بعنوان: «**التحقيق الشخصي**».

اتمام خلاصنا الشخصي

«إِذًا يَا أَحِبَّائِي، كَمَا أَطَعْتُمْ كُلَّ حِينٍ، لَيْسَ كَمَا فِي حُضُورِي فَقَطْ، بَلِ الآنَ بِالأَوْلَى جِدًّا فِي غِيَابِي، تَمِّمُوا خَلاَصَكُمْ بِخَوْفٍ وَرِعْدَةٍ»

(فيلبي ٢:١٢)

أخاطب كل من حمل صليبه بصلابة وأمانة وتبع المسيح. وأحثهم على المثابرة دون أن تكون للصعوبات والعقبات تأثيرات محفّزة. فربما ترى قلة تحيط بك وكثرة تناهضك. وربما تسمع كلاماً جارحاً يوجّه إليك، كأن يقال لك أنك تسير في تيار التطرّف والمبالغة. لا بأس عليك، لا تعطِ انتباهك لهذا النوع ولتكن أذنك صمّاء عن ذلك. بل تابع المسير. فإذا كان في العالم ميدانٌ لا يخجل أصحابه من البقاء فيه، فإنه ميدان خدمة يسوع المسيح، بعيداً عن الخطية والدينونة والانغماس التافه وإضاعة الوقت في السعي وراء الملذّات ناهيك عن المزاج السيء والكبرياء وعبادة المال والبذخ في اللباس والطعام والقمار وقراءة كلّ ما هو مبتذل، فيمكن أن يسبب العار لمن يتبنّى ذلك سلوكاً وعيشاً وتصرّفاً، لأن ذلك يُحزن الملائكة ويفرّح الأبالسة.

أما الاعتناء بالنفس والروح وتغذيتهما وإعطاء الأهمية القصوى لخلاص الروح والنفس بتطبيق يومي في مسيرة شريفة، فإن هذا أسلوب لا يجلب العار على أصحابه وأتباعه. فتذكر هذا أيها المؤمن بالمسيح. تذكره عند قراءة الكتاب المقدس والصلاة الفردية والعبادة المرفوعة إلى الله من قلب نقيّ، فهذه أمور لا تجلب العار والخجل بالمطلق، بل معها تظهر الحقيقة والاكتمال والواقعية والنضوج بما يناسب سرعة زوالية الحياة على الأرض. وكما قلنا سابقاً من يدري؟ ربما كانت هذه السنة هي الأخيرة في حياة الواحد منّا؟ ومن يستبعد أنْ يأتيه النداء الإلهي للقاء الله؟ فطالما أنك مهتمٌ بجاهزية المغادرة، كنْ مسيحياً صادقاً وأميناً. ولا تتصلّف وتتجبر !!

من عظة بعنوان: «**الحقيقة**»

عذابات الجحيم

«الَّذِي رَفْشُهُ فِي يَدِهِ، وَسَيُنَقِّي بَيْدَرَهُ، وَيَجْمَعُ قَمْحَهُ إِلَى الْمَخْزَنِ، وَأَمَّا التِّبْنُ فَيُحْرِقُهُ بِنَارٍ لاَ تُطْفَأُ»

(متى ٣:١٢)

إنَّ النص أعلاه يصف بالكلمات أشياء تطنُّ لها الآذان، حيث سيحرق المسيح العصافة بنارٍ لا تطفأ (متّى ٣:١٢) فعندما يجيء الرّب يسوع المسيح كي يطهّر وينقي بيدره ويعاقب الذين ليسوا من أتباعه بعقاب رهيب، فكلُّ من يوجد غير تائب وغير مؤمن مع كلّ الذين حجزوا الحقّ بالإثم والذين تعلّقوا بالخطية وتمسّكوا بالعالم ووجّهوا اهتماماتهم بما هو في الأسفل أي على الأرض، الذين هم بعبارة واحدة يحيون بلا مسيح. كل هؤلاء سيُحْضَرون إلى نهاية تعيسة توصف بحرق العصافة بيد المسيح نفسه.

إن دينونة كهذه تبدو شنيعة جدّا حيث لا عذاب يُضاهي عذابَ الحريق. هل جرّبت وضع إصبعك في لهيب شمعة ولو للحظة، إن كُنْتَ في شكٍّ؟ جرّب !! إنَّ النار أشدّ دماراً وأشدّ التهاماً من كلّ العناصر الأخرى. انظر إلى فوّهة فرنٍ مسعر بالنار وتخيّل وجودك وسط الأتون، فالنار هي عدوة الحياة أكثر من كلّ العناصر الأخرى المناوئة للحياة. تستطيع الكائنات أنْ تعيش في الهواء وعلى الأرض وفي الماء لكن لا شيء يمكن أن يعيش في النار! هذه النار تحديداً هي حصة من هو بلا مسيح في عدم إيمان لأنَّ المسيح هو من سيحرق العُصافة بنارٍ لا تطفأ كعقوبةٍ أبدية. ستمرُّ ملايين الأجيال والعصور في حين تبقى النار الحارقة للعصافة مسّتعرة لا تُطفأ ولا يخبو لهيبُها لأن وقودها لا يضمحل ولا يتلاشى؛ إنها نارٌ لا تُطفأ

عزيزي القاري، هناك أشياء محزنة ومؤلمة يمكن الكلام عنها!

أنا شخصياً لا أجد متعةً في السكن وسط آتون النار

من عظة بعنوان: «**سيحرق التبن بنار لا تطفأ**»

الرجاء في الإنجيل

«وَهكَذَا كَانَ أُنَاسٌ مِنْكُمْ. لكِنِ اغْتَسَلْتُمْ، بَلْ تَقَدَّسْتُمْ،

بَلْ تَبَرَّرْتُمْ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ وَبِرُوحِ إِلهِنَا»

(١كورنثوس ٦:١١)

هناك رجاءٌ في الإنجيل لكل إنسان طيلة حياته على الأرض. ويوجد رغبة لا حصر لها لدى المسيح لمغفرة الخطايا، كما يوجد قوة لا حصر لها لدى الروح القدس لتغيير القلوب. وهناك أمراض عديدة في الجسد لا شفاء لها ولذا يعجز أمهر الأطباء في علاجها والشفاء منها. لكن بالمقابل؛ نشكر الله أنَّ أمراض النفس كلّها ليست مُسْتَعصية على الله؛ فالخطيّة مهما بلغ حجمها يستطيع المسيح مَحْوها وغسلها، لدرجة أنَّ أقسى وأسوأ القلوب يمكن تغييرها نحو الأحسن.

عزيزي القارئ، أقول ثانية: طالما أنَّ الحياة باقية فالرجاء باقٍ معها ويمكن نوال الخلاص لأقدم وأشْرس وأسوأ الخطاة. فقط ندعْ القلوب تأتي إلى المسيح والاعتراف أمامه بحال الخطيّة والصراخ إليه طلباً للمغفرة، فحالما ترتمي النفس في أحضان المسيح يأتيها الشفاء سريعاً إذْ يأتي الروح القدس نازلاً نحو القلوب حَسْبما وعد المسيح بذلك مجدّداً لها بقوة المسيح الهائلة نحو خليقة جديدة.

لا يأتيني اليأس بالمطلق نحو أي شخص يتّخذ قراراً بالمجيء إلى المسيح مهما كان ماضيه محمّلاً بالآثام والذنوب. أنا أدرك تماماً عظمة التغيير الذي ينقل المائت إلى الحياة كما أعلم أنَّ الجبال العاليات التي تحول دون وصول بعض الناس إلى السماء بسبب الشرخ الكبير القائم بينهما. لأنني أعلم يقيناً أن الطبيعة الخاطئة للقلب بكل ما تحمله من قساوة وتطاول وخُسْران لا تقف أمام عظمة الله خالق الأكوان الذي خلق كلَّ شيء حسناً من العدم. وأعلم جيّداً مستذكراً صوت الله الذي وصل إلى لِعازر وهو في داخل القبر بعد مضيّ أربعة أيام على وفاته حيث استدعاه إلى الحياة. وأتذكر انتصارات الروح القدس المدهشة التي أتت بنفوس كثيرة للخلاص من كلِّ شعوب الأرض تحت السماء. عندما أتذكر ذلك يتلاشى اليأس من أمامي إذْ لا يعود من داعٍ إلى وجوده أبداً.

من عظة بعنوان: «**قوة الروح القدس**»

يسوع آتٍ ثانية

«يَقُولُ الشَّاهِدُ بِهذَا: «نَعَمْ! أَنَا آتِي سَرِيعًا». آمِينَ. تَعَالَ أَيُّهَا الرَّبُّ يَسُوعُ».

(رؤيا ٢٢: ٢٠)

ماذا عساك ترى عند حدوث هذا الحدث العظيم؟ سترى ابن الله الأزلي عائدا على سُحُب السماء بقوة عظيمة بمجد باهر. سيأتي ليقيم الأموات القديسين الراقدين أولاً ثمّ يغيّر طبيعة الأحياء الباقين على قيد الحياة آنذاك، ويعاقب الأشرار ويكافئ الأبرار، وكذلك يستدعي كل واحد للمثول أمام قدس المحكمة السماوية ويعطي كلاً حسب أعماله. في مجيئه هذا سيربط الشيطان ويجرّده من سلطانه الذي اغتصبه اغتصاباً، ولكي ينجّي الأرض من اللعنة ويظهّرها ثانية لتصير المكان المقدس الصالح لسكن الأمّة المقدسة؛ فيطرح الخطيّة بعيداً ومعها كلّ المستتبعات الملعونة جرّاء الخطية، كالمرض والموت والألم والحروب والفقر والظلم والاضطهاد. أنت تعلم أن العالم الآن قد تلوث وتنجّس بوجود الشرّ فيه، إنما سترى آنذاك استعادة العالم إلى طبيعته السابقة في فردوس الله قبلما أفقدها السقوط ذلك. فما فوائد توقع المجيء الثاني للمسيح؟

ستحصل على العلاج الناجع ضدّ القلق واليأس وهذا يكفي لأن يغمر الرجاء قلبك بما سيحصل في زمن المجيء الثاني. فعندما ينتاب الآخرين الحيرة، يأتيك الشعور بالقدرة على رفع الرأس عالياً بالابتهاج، وعندما يدخل الآخرون في ظُلمةٍ وعَتْمةٍ، يتجلى أمامك نور وتتمكن بفارغ الصبر من انتظار الأيام المباركة الآتية إليك. وبضعة أشياء تسيطر على زمننا الحالي وهي جديرة بالملاحظة بما أن القلق والترقّب المخيف من جهة المستقبل يحوم فوق كلّ الجهات وعلى كلّ شرائح المجتمع حيث تسمع عن انعدام الثقة وهلامية الشرّ الحتمي القادم على العالم والذي يؤثر على الكنيسة وعلى الدولة على حدّ سواء إذْ يُحْدث تقدّماً يحول دون التكّهن بما سيحدث لاحقاً. وهناك قاسم مشترك متّفق عليه بين الناس ألا وهو تفوّق الخوف على الرجاء من جهة المستقبل عند الجميع. ولتجنّب هذا القنوط في أيامنا هذه، لا مجال للراحة والطمأنينة إلاّ بالتوقّع والاستعداد لمجيء المسيح الثاني. فالمسيحي الذي يقرأ كتابه المقدس ويؤمن بما يحتويه يرى جلياً كلَّ تصدّع واهتزاز وكأنه شيء لم يكن وذلك بسبب رسوخ إيمانه.

من عظة بعنوان: «**أتراك ترى**».

الجلجثة

«فَخَرَجَ وَهُوَ حَامِلٌ صَلِيبَهُ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ «مَوْضِعُ الْجُمْجُمَةِ»
وَيُقَالُ لَهُ بِالْعِبْرَانِيَّةِ «جُلْجُثَةُ»

(يوحنا ١٩:١٧)

ربما تعلم أن موقع الجلجثة قريبٌ من أورشليم حيث صُلب ابن الله ربنا يسوع المسيح ولا نعلم أكثر من ذلك عن الجلجثة. لكن ما أخشاه هو أنَّ الجهل يسيطر على الناس بخصوص آلام وعذابات يسوع المسيح وأعتقد أنَّ الكثيرين لا يرون أيَّ مجدٍ خاص في تاريخية عملية الصلب، بل على العكس، ينظرون إلى الحدث من زاوية الإهانة والألم والحطّ من القدر، وبذلك لا يرون أية فائدة تُذكر في رواية موت المسيح وآلامه، ويتحوّلون عن الحدث كرواية مزعجة.

فالناس يجهلون على ما يبدو أنَّ الآم المسيح في الجلجثة كانت ضرورة حتمية لأجل خلاص الإنسان لأنه بالصليب حمل خطايانا التي كانت من نصيبنا نحن ولكنه تحمّلها، وكما يقول الكتاب: بجلْدته شُفينا. وهكذا دفع ولمرّة واحدة الثمن المطلوب حصراً من العدالة الإلهية كدَيْن ينبغي تسديده. وهذه هي التضحية العظمى التي ترتكز عليها حياتنا الأبدية. فلو لم يذهب المسيح إلى الصليب متألماً عنا وهو البارّ لأجل الأثمة لما كان للبشرية أدنى بارقة أمل أو رجاء بالمطلق. ذلك لأن هوّة واسعة كانت تفصلنا عن الله ولا مجال لعبورها لأي كائن بشري، وبذلك يظهر دور الصليب في شكل الكفّارة الوحيدة لغفران خطايانا.

كما أن الناس أيضاً يجهلون كما يبدو لي أنَّ آلام المسيح على صليب الجلجثة سبق وأنبئ عنها كتدبير مُسْبق ولذا، فإنَّ الآلام لم تأت على المسيح على نحوٍ مفاجئ أو كحادثة مباغتة، بل كخطة إلهية مُحْكمة ومقرّرة بمشورة الله منذ الأزل. فالصليب سبق أن دخل في كلِّ التدابير المتعلّقة بالثالوث الأزلي لأجلِ خلاص الخطاة. ولا يستطيع أحد أنْ يخمّن جسامة الألم الذي عانى منه يسوع. حيث أنَّ كلّ نقطة من دمائه الزكية التي سفكها قد تمّ تعيينها منذ زمن سحيق إذْ أنَّ الله بحكمته اللامتناهية خطّط للفداء على الصليب. هذه الحكمة اللامتناهية قادت يسوع إلى الصليب في ملء الزمان، وهكذا صُلِبَ بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق.

من عظة بعنوان «**الجلجثة**»

زمن البرودة عند المؤمنين

«قَدْ تَنَاهَى اللَّيْلُ وَتَقَارَبَ النَّهَارُ، فَلْنَخْلَعْ أَعْمَالَ الظُّلْمَةِ وَنَلْبَسْ أَسْلِحَةَ النُّورِ»

(رومية ١٣:١٢)

إنه زمن البرودة عند المؤمنين إذْ يتقابلون بالكثير مما يصقع ويبلّل غيرتهم والقليل مما يسرُّ ويدفئ قلوبهم. فعليهم أن يتحمّلوا خيبات أمل ويحملوا صلبان متعددة من الضيقات. ويشاهدون تعاظم الإثم مقابل توجّه محبتهم نحو البرودة. لماذا يا ترى؟ إنّه ليلُ الوِحْدة عند المدمنين بسبب افتقارهم إلى الشركة والوئام في الطريق المؤدية إلى السماء. إلا أنهم بين الحين والآخر يصادفون شخصاً ما محبّاً للرب يسوع ويحيا بالإيمان. فقلّة من أبناء الله قد يتواجدون في بلدة ما ومثلهم في بلدة أخرى، لكن على وجه الإجمال يشبهون جيش الآراميين المنتشر بكثرة في أصقاع البلاد مقابل انتشار ضئيل لأبناء الله كشبه قطيعٍ صغير من الغنم مبعثر في البريّة. لماذا كلّ هذا؟

إنه ليلٌ يشوبه الخطر على المؤمنين إذْ يعثرون وقلما يميزون السبيل الذي يسيرون فيه، مع حيرةٍ وشكٍ أيَّ طريق يختارون حتّى أنهم أحياناً لا يقدرون رؤية ملامح الطريق ونقاط معالمه ويسافرون وهم تحت سيطرة خوف مستمر من الأعداء. لماذا كلّ هذا؟ إنه ليلٌ.

عزيزي القارئ؛ أنت مدعوٌّ للتأمل. إذا كان حاضرك مظلماً كالليل فلا تعجب بأن ترى رعاة الكنائس يحذرون رعيتهم داعين إياهم إلى اليقظة والصلاة. ولا تحسب أنَّ في الأمر غرابة إذا طُلب منهم أن يكونوا بمثابة جنود يعيشون ضمن أراضي العدّو والمطلوب منهم الاستنفار الدائم. لذا، عزيزي القارئ، خُذْ وقتاً واجلس سائلاً نفسك إنْ كان العالم الذي تعيش فيه في زمان الليل أو زمان النهار، وهل أنت في زمان صراع أم في زمان راحة؟ وهل تعتقد أنَّ أجمل الأشياء لديك متوفرة في هذه الحياة أم أنّ أجملها سيأتي فيما بعد مستقبلاً؟ أنا أضع هذه الأسئلة أمامك كامتحان تقدير لحالك الروحية، كما إني أضعها أمامك كمِسْبار للقياس تُعاير فيه حالك الروحية. أقول لك صراحة: إنْ كنت لا ترى هذا العالم بريّة قاحلة مظلمة، فهذه علامة سيئة لحالك في نظر الله.

من عظة بعنوان: «**الأحداث القادمة والواجبات في الزمن الحاضر**»

امتيازات معرفة المسيح

«٧ فَإِنْ كُنَّا أَوْلاَدًا فَإِنَّنَا وَرَثَةٌ أَيْضًا، وَرَثَةُ اللهِ وَوَارِثُونَ مَعَ الْمَسِيحِ. إِنْ كُنَّا نَتَأَلَّمُ مَعَهُ لِكَيْ نَتَمَجَّدَ أَيْضًا مَعَهُ»

(رومية ٨: ١٧)

لا شيء يمكن تخيّله أكثر مجداً من الامتيازات المستقبلية لأبناء الله. فالآية المذكورة في أعلى الصفحة هي من العهد الجديد وتحتوي على منجم ثمين من الأشياء الصالحة والمعزّية. لذا يقول الرسول بولس: بما أنكم أبناء، فأنتم إذاً ورثة، ورثة الله ووارثون مع المسيح، وإنْ كنّا نتألم معه فإننا سنتمجّد معه أيضاً (رومية ٨:١٧). فالمؤمنون المسيحيون الحقيقيون هم (ورثة) وقد تمَّ تجهيزُ شيء ما لأجلهم وهو مزمع أنْ يُعْلَن في المستقبل. إنهم ورثة الله. فإذا كان ورثة الممتلكات الأرضية الغنية تعني لهم شيئاً ما، فكم بالحري مكانة الوارثين لملك الملوك بصفة (أبناء) في عائلة الله وشركاء في الميراث مع المسيح ويتقاسمون معه العظمة والمجد، لأنهم يتمجّدون معه. ولا يغيب عن ذهننا أنَّ هذا الامتياز يشمل كافة الأبناء على غرار اهتمام ابراهيم بتأمين كلِّ ما يلزم لأفراد عائلته. هكذا يهتم الله بتأمين كلِّ ما يلزم لأولاده ولا يُحرم أحدٌ من الميراث البتّة ولا يجرّد أحدٌ من هذا الامتياز ولا يُفصل عنه. فالكلّ سيحصل على حصّته المخصّصة له عندما يأتي الرب يسوع بأبناء كثيرين إلى المجد.

من يقدر على وصف كمال طبيعة الميراث العائد للقديسين؟ ومن يقدر على وصف المجد العتيد أنْ يُستعلن لأبناء الله؟ تعجز الكلمات عن الوصف وتحتار اللغة في التعبير ويقصر الذهن عن الاستيعاب ويفشل اللسان في إيجاد المفردات المعبّرة تماماً عن الحالة المتعلّقة بالأمجاد العائدة لأبناء وبنات الله العظيم القادر على كلّ شيء! ولعلِ أجمل ما قيل في هذا الخصوص قول الرسول يوحنا: **«أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، الآنَ نَحْنُ أَوْلاَدُ اللهِ، وَلَمْ يُظْهَرْ بَعْدُ مَاذَا سَنَكُونُ. وَلكِنْ نَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا أُظْهِرَ نَكُونُ مِثْلَهُ، لأَنَّنَا سَنَرَاهُ كَمَا هُوَ»** (١ يوحنا ٢:٣)!

من عظة بعنوان **«ورثة الله»**.

المسيح مع المريض في غرفته

«الرَّبُّ يَعْضُدُهُ وَهُوَ عَلَى فِرَاشِ الضُّعْفِ. مَهَّدْتَ مَضْجَعَهُ كُلَّهُ فِي مَرَضِهِ»

(مزمور ٤١: ٣)

أؤكدّ أنْ المفروض من المرض أنْ يؤول لخيرنا. وأؤكدّ أنَّ الله يُرسل المرض ليستخلص منه ما هو حسن. فالبلاء رسالة وديّة من السماء. وهو بمثابة قرع على أبواب الضمائر. إنّه صوت المخلّص قارعاً على أبواب القلوب. طوبى لمن يفتح الرسالة ويقرأ ما جاء فيها ومن يسمع القرعَ على الباب ويفتحه ويرحّب بالمسيح لزيارته في مرضه.

تعالوا نستعرض بعضاً من الدروس المُسْتقاة من المرض:

١- يُقصد بالمرض إعطاء فرصة للتفكير ولتذكيرنا بأننا نمتلك نفساً وجسداً وأن النفس خالدة سواء في نعيم أو في جحيم ولو لم تختبر النفس الخلاص، لكان من الأفضل لها أنْ لا تولد في هذه الحياة.

٢- يُقصد بالمرض إعلامنا أنَّ عالماً آخر ما وراء القبر غير العالم الذي نعيش فيه الآن والذي هو دارُ تدريب يؤهّلنا لمسكنٍ آخر حيث لا فساد ولا ألم ولا دموع ولا بؤس ولا خطيّة بين ظهرانيه.

٣- يُقصد بالمرض أنْ يحيلنا إلى الكتاب المقدس المبارك الذي هو بحوزتنا والذي نهجره في أيام الصحة والعافية واضعين إياه على الرفوف من مطلع العام إلى نهايته ثم يأتي دور المرض الذي يُنْزِل الكتاب المقدس من الرفوف ويلقي لنا على صفحاته نوراً جديداً.

٤- يُقصد بالمرض أن يقرّبنا إلى المسيح ولو كنا لا نرى القيمة الكاملة للمخلّص المبارك بالطبيعة مكتفين حسب اعتقادنا بالصلوات والأعمال الصالحة والاشتراك في الفرائض بأنّها كافية لخلاص نفوسنا. لكن حالما يداهم الوهن والضعف أجسادنا، تتبدى أمامنا الضرورة القصوى للجوء إلى الفادي والوسيط والمدافع عنا أمام عرش الله الذي هو في النور الذي لا يُدْنى منه لكي نفهم الكلمات القائلة: أتمّسك بصليبك بسلامة نيّة ولو لم أفعل ذلك سابقاً. فالمرض أفاد الكثيرين في استغلال مرضهم للاقتراب إلى المسيح ولقائه في غرفة مرضهم.

من عظة بعنوان: **«يسوع المسيح في غرفة المريض»**

علامات التجديد

«فَاصْنَعُوا أَثْمَارًا تَلِيقُ بِالتَّوْبَةِ» (متى ٣:٨)

هل تظن نفسك أنك متجدّد تائب؟ إذاً اعمل جاهداً لجعل دعوتك وتوبتك أكيدين، ولا تترك أي جانبٍ غامض نحو نفسك الآثمة. اعمل بإخلاص لتلاقي شهادة الروح القدس مع روحك على قاعدة أنك مولود من الله كتأكيد على نوال الخلاص في هذا العالم وهو ضمانة تستحق السعي وراءها. من المستحسن أنْ تمتلك الرجاء؛ لكن من الأحسن أن تمتلك الشعور باليقين.

هل تظن أنك متجدِّد تائب؟ إذاً افعل المستحيلات في هذا العالم.

لا تفترض أبداً أنه سيأتيك يوم لن تجد فيه نقطة ضعفٍ في قلبك أو تخبّط في صلاتك الفردية أو شرود في قراءتك بالكتاب المقدس أو برودة في انعدام الرغبة بحضور العبادة العامّة لله. أو لا يكون جسدك يحتاج للإماتة أو يتركك الشرير دون تجربة. أو تقدم الفخاخ الراغبة في الإيقاع بك. لا تتوقع انعدام ما ذكرته لك سابقاً بل توقع ذلك لأن التوبة والتجديد لا تعني الكمال وبالتالي لا تعني أنك بلغت السماء لأن الإنسان القديم مازال حيّاً في داخلك والعالم حولك يحوم بأخطاره نحوك لأن إبليس لم يمت بعد. تذكر جيداً أنَّ الخاطئ التائب المتجدِّد مازال يحمل سمة خاطئ فقير ضعيف محتاج للمسيح كلّ يوم. فإذا وضعت ذلك نُصْب عينك، فإنّك لن تُصاب بخيبة أمل أبداً.

هل تظن نفسك متجدّداً تائباً؟ إذاً أظْهر علناً قيمة مكانتك في ميدان التجديد عبر مواظبتك الدؤوبة على فعل الخير والإحسان نحو الآخرين. وهل فكرّت بجسامة الخطورة في أن تكون غير مُختبر الخلاص والتجديد؟ وهل تعتقد أنَّ التجديد يحمل في طيآته بركةً لا يُعبّر عنها؟ إذاً أثبت، وأكّد، وبرهن عبر مساعٍ مستمرة غيورة وجهود لترغيب الآخرين بالتوبة والخلاص. ابحث في منطقة سكناك عن جموع كثيرة تحتاج إلى التوبة والخلاص. ولا تكتفي بدعوتهم لحضور خدمات واجتماعات الكنيسة فحسب بل لا ترضى بأقلّ من رؤيتهم قد اختبروا الخلاص والتوبة إلى الله. تكلّم معهم، اقرأ لهم، صلِّ لأجلهم، حفّز الآخرين لمساعدتهم ولا تكتف البتة ولا ترضَ بأن تدخل السماء وحيداً بل إنَّ الأجمل أن يكون ذلك مع آخرين !!

من عظة بعنوان: «**التجديد**»

الكنيسة المنظورة تتشكل من جسم خليط

«دَعُوهُمَا يَنْمِيَانِ كِلاَهُمَا مَعًا إِلَى الْحَصَادِ، وَفِي وَقْتِ الْحَصَادِ أَقُولُ لِلْحَصَّادِينَ: اجْمَعُوا أَوَّلاً الزَّوَانَ وَاحْزِمُوهُ حُزَمًا لِيُحْرَقَ، وَأَمَّا الْحِنْطَةُ فَاجْمَعُوهَا إِلَى مَخْزَنِي»

(متى ١٣:٣٠)

بادئ ذي بدء، إنَّ كنيسة المسيح المنظورة كانت وستبقى جسماً خليطاً حتى يأتي المسيح ثانيةً وفيها نرى عذارى حكيمات مع عذارى جاهلات مختلطات في كيان واحد حيث بعض العذارى يمْتلكن زيتاً وأخريات بلا زيت يمشين جنباً إلى جنب وهكذا تستمر هذه الحالة حتى يظهر العريس ثانية. ولا بدّ لنا من أنْ نقبل الأمر الواقع كما هو من حيث تشكُّل الكنيسة المنظورة في كلتي الفئتين حتى يأتي يسوع ثانية. ولا يمكن أن نرى أعضاءها مجتمعين كأنهم غير مؤمنين لأن للمسيح شهود على مدى الأجيال والعصور. وبالمقابل يمكن أن نرى أعضاءها مجتمعين كأنّهم مؤمنين بالكامل بسبب الشكلية والرياء وعدم الإيمان والاعتراف الكاذب، لذا أقول صراحةً: لا أوافق الرأي القائل بأن الكنيسة المنظورة تسير تدريجياً نحو الكمال لأنَّ لا أرضية تُثّبت هذه الفرضية التي تصوّر انتقال الكنيسة من حسن إلى أحسن وبحالة قداسة متنامية حتى بلوغ حالة يُقال فيها أن الكنيسة حصلت رويداً رويداً على ملء النور.

أعترف صراحة أنَّ في بعض البلدان يسارع الإنجيل في مسيرة ناجحة جدّاً ولكن هذا الأمر يؤطّر في دعوة المختارين بل في الدعوة العامة لجميع الناس. وأنا لا أقبل أن مثل هذا الأمر تجاوز ما وصلت إليه مساعي الرسل في الكنيسة الأولى لأنه كان من المستحيل آنذاك كما في أيامنا أنْ يُقبل كافة السكان في مدينة ما جميعهم إلى التوبة والإيمان كالمدن التي زارها الرسول بولس حيث، لم يربح إلى الإيمان كافة القاطنين وهذا لن يحصل أيضاً في أيامنا لا عندنا ولا في أيّ تجمع مسيحي آخر في كافة أصقاع العالم. ولو بلغنا أنّ كافّة من سمعوا البشارة آمنوا بالإنجيل فأنا شخصياً لا أعتقد بحدوث ما يُقال بل أعتقد بأنّه لن يحدث أبداً لأن الزمن الحالي هو زمن دعوة المختارين وليس زمن التوبة الجماعيّة العالمية. أي إننا في زمن دعوة القطيع الصغير للمسيح، أمّا التوبة والإطاعة العامّة فسوف تأتي لاحقاً.

من عظة بعنوان: «**الأحداث الآتية والواجبات الآنية**»

المسيح هو الأوحد

«فَإِنَّكُمْ تَعْرِفُونَ نِعْمَةَ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَنَّهُ مِنْ أَجْلِكُمُ افْتَقَرَ وَهُوَ غَنِيٌّ، لِكَيْ تَسْتَغْنُوا أَنْتُمْ بِفَقْرِهِ»

(٢ كورنثوس ٩:٨)

إنه الأوحد في محبتّه على الإطلاق لأنه بداعي محبّته ترك السماء لأجلنا واضعاً جانباً، لحقبة من الزمن، المجدَ الذي كان له عند الآب. لقد أحبنا لدرجة أنه تجّسد من عذراء وعاش ثلاثاً وثلاثين سنة في عالمنا الساقط بالخطية. وبداعي نفس المحبة تعّهد بدفع الدّين الباهظ علينا نحو الله، فمات على الصليب كفّارة عن خطايانا. فإذا تكلم شخص بهذا المستوى فإنه يستحق الإصغاء إليه بانتباه. وإذا قطع على نفسه وعداً فلا تتردّ في الثقة به.

إنه العالم بمكنون القلوب ولذا أخذ جسداً كجسدنا وصار شبْهنا تماماً عدا الخطيّة وعانى كما يعاني كل إنسان من ظروف الحياة. فذاق الفقر والتعب والجوع والعطش والألم والتجربة، فصار بذلك ملمّاً بكلّ أوضاع الشر على وجه الأرض كما يقول الكتاب « **تألم مُجرباً** « (عبرانيين ١٨:٢). ولهذا عندما يقدّم شخص بهذه المكانة عرضاً، فإنه يقدّمه بكامل الحكمة مع مطلق المعرفة بما أحتاجه أنا وتحتاجه أنت دون أن ينكث بوعده أو ينكر كلمته لأنه يصْدُق وعدَه ولا يتراجع عن تعهداته نحونا أبداً، كما أنه لا يخيّب رجاء النفس المتعلّقة به. وإذ هو قادر على فعل كلّ شيء عدا الكذب لأنه منزّه عنه. (عبرانيين ١٨:٦). وبالتالي فإذا قطع شخصٌ مثله وعداً فلا تدع الشك يخامرك لأنه سيحقّق الوعد حتماً. ثِقْ واعتمد على كلمته!!

من عظة بعنوان: «**دعوة المسيح**».

كن مكتفياً بما عندك

«لِتَكُنْ سِيرَتُكُمْ خَالِيَةً مِنْ مَحَبَّةِ الْمَالِ. كُونُوا مُكْتَفِينَ بِمَا عِنْدَكُمْ، لأَنَّهُ قَالَ: «لاَ أُهْمِلُكَ وَلاَ أَتْرُكُكَ»

(عبرانيين ٥:١٣)

إن عنوان تأمل اليوم شائع الاستعمال ولا يتكلّف قائله شيئاً لأنَّ لا شيء أرخص من إسداء النصائح! الآن كلّ واحد يعتقد أنه قادر أنْ يعطي النصيحة لقريبه أو جاره ويوصيه بما ينبغي عليه أنْ يعمل على غرار العنوان «**كن قنوعاً بما لديك**» وهي بحدّ ذاتها كلمات بسيطة ويفهمها حتى الأطفال الصغار لأنها لا تحتوي على عقيدة بل مجرّد أقوال مأثورة خالية من أي بُعْد ما ورائي. إلّا أنّها رغم بساطتها فإنها تنطوي على مسؤولية تنادينا للتبصّرِ بها كقيمة مسيحية تطبيقيه هامة.

إلا أنَّ تطبيق مقولة عنواننا اليوم ليست بالأمر السهل أبداً في زمن باتت الصحة والثروة مطمع الجميع، وأحياناً يَسْهُل على البعض امتلاكهما. أما القناعة وسط الفقر والمرض والمشاكل وخيبات الأمل والخسارة، فإنها حالة لا يستوعبها العقل البشري الّا لدى القلّة من الناس! فلنتأمل بما قاله رسول الأمم العظيم في معرض حثّه المؤمنين المسيحيين من الخلفية العبرانية على أنْ يكونوا مكتفين بما لديهم فقال: كونوا مكتفين بما لديكم بحقنةٍ من الحافز الجميل لأنه أضاف إلى عبارة كونوا مكتفين عبارة مشجّعة تطن لها الأذن وتسكَن لديه أي انفعال في القلب شبيه بالصراع: «**كونوا مكتفين بما عندكم. لأنه قال: لا أتركك ولا أهملك**».

عزيزي القارئ، لا تبحث عن السعادة إلّا حيثُ مكان وجودها، وترى من يرفض السعادة؟ لا أحد! لكن لا تبحث عنها في المال ولا في المتعة الجسدية ولا حتى مع الأصدقاء ولا عبر ازدياد المعرفة بل عبر امتلاك إرادة منسجمة مع إرادة الله. ابحث عنها في طيات الكلمة الإلهية إذْ هي تقرأ لبلوغ القناعة.

من عظة بعنوان: «**كن مكتفياً**»

تحذيرات من التعاليم الكاذبة

«لاَ تُسَاقُوا بِتَعَالِيمَ مُتَنَوِّعَةٍ وَغَرِيبَةٍ، لأَنَّهُ حَسَنٌ أَنْ يُثَبَّتَ الْقَلْبُ بِالنِّعْمَةِ، لاَ بِأَطْعِمَةٍ لَمْ يَنْتَفِعْ بِهَا الَّذِينَ تَعَاطَوْهَ»

(عبرانيين ١٣:٩)

لدينا في هذه الآية تخدير واسع الطيف إذ تقول: «**لا تكونوا محمولين بكل ريح تعاليم غريبة**» ولا صعوبة البتّة في فهم هذا الكلام «**لا تتقلبوا يُمنةً ويُسرةً**» وكان الرسول يريد أن يقول: إن هبّات التعليم الكاذب شبيهة بالسفن التي لا بوصلة لها ولا دفّة قيادة أيضاً، فالعقائد الكاذبة تظهر للعلن طالما الحياة على الأرض قائمة. وسوف تكون هذه العقائد كثيرة العدد مع اختلافات طفيفة ومع قاسم مشترك بينها هو الابتعاد عن حقْ إنجيل المسيح بأفكار جديدة وغريبة وغير مألوفة طبعاً. البدع موجودة في أيامنا وقد تسللت إلى جسم الكنيسة المنظورة، لذا نحن مدعوون لتذكّر قول الرسول بولس: **لا تكونوا محمولين بكل ريح تعليم غريبة**. وهذه الوقفة عند الرسول بولس ليست الوحيدة بل نجد مثيلتها في تعليم ربنا يسوع في عظته على الجبل حيث قال «**اِحْتَرِزُوا مِنَ الأَنْبِيَاءِ الْكَذَبَةِ الَّذِينَ يَأْتُونَكُمْ بِثِيَابِ الْحُمْلاَنِ، وَلكِنَّهُمْ مِنْ دَاخِلٍ ذِئَابٌ خَاطِفَةٌ!**» (متى ١٥:٧). وحتى في الخطاب الأخير لبولس عندما تحدّث إلى شيوخ الكنيسة في أفسس محذّراً إياهم من البدع الكاذبة بقوله: «**ومنكم أنتم يقوم رجال يتكلمون بأمور ملتويه ليجتذبوا التلاميذ وراءهم**» (أعمال ٣:٢٠).

فإذا سألني أحدٌ ما هو الحصن الأمنع ضدّ الضلالات والبدع؟ لأجبته بكلمة واحدة: الكتاب المقدس! نعم الكتاب المقدس المقروء والمذكور فحواه بإخلاص وانتظام بصلواتنا ودروسنا. !! وهذه وصفة قدّمها لنا معلّمنا العظيم بقوله: «**فتشوا الكتب، لأنكم تظنون أنَّ لكم فيها حياة أبدية، وهي التي تشهدُ لي**» (يوحنا ٣٩:٥). فإذا رغبنا في امتلاك سلاح يتولّى مواجهة أحابيل الشيطان، فإنَّ سيف الروح الذي هو كلمة الله، أمضى سلاح ناجع ليحبط تجارب ابليس عندما نقرأ كلمة الله بأمانة ومثابرة ويقظة وبروح الصلاة وباعتياد مستدام. وأنا شخصياً أخشى ما أخشاه أنَّ الكثيرين لا يعيرون هذا الأمر أي اهتمام جدّيّ حيث يعيشون في عالم السرعة والحركة الدائمة وبالتالي لا يقرؤون الكتاب المقدس حقّ قراءته بل يصرفون وقتاً في قراءة الكثير من الكتب أكثر من الكتاب الوحيد الذي يمنح الحكمة ويعطي الخلاص.

من عظة بعنوان: «**كل أنواع التعاليم الغريبة**»

السعادة المسيحية

«طُوبَى لِلشَّعْبِ الَّذِي لَهُ كَهذَا. طُوبَى لِلشَّعْبِ الَّذِي الرَّبُّ إِلهُهُ»

(مزمور ١٥:١٤٤)

البشرية كلها تسعى لامتلاك السعادة؛ وهذه الرغبة متجذرة في الإنسان لأنَّ الناس جميعاً لا يحبذّون الألم والحزن والقلق. فالناس عموماً يحبّون الرخاء والراحة والبهجة وهم جياع وعطاش إلى السعادة، علماً أنَّ السعادة لا تعني التحرّر من الأسى والقلق وليكن ذلك راسخاً في أذهاننا، فلو حصل التحرّر كما قلنا لما كان هناك من داعٍ للسعادة أصلاً، وتعبير السعادة آنذاك يكون حصراً على الملائكة الذين لم يسقطوا أبداً والإنسان مستثنى منها. أمّا السعادة التي أنا بصددها فهي كتلك التي يرجو امتلاكها المخلوق المسكين الزائل الخاطئ رجاء صادقاً لأن الطبيعة عموماً تلوّثت بالخطيئة حيث يتنامى الشر والمرض ويزداد الموت مع تبدّل دائم في مسيرة الحياة التي يسيطر عليها الحزن من كل جانب. فإنّنا والحالة هذه، تبدو السعادة الرفيعة رغبة يسعى الإنسان للحصول عليها على الأرض، لا بل ضرورة مُلحّة ولو كانت خليطاً في عدة عناصر.

أما أنْ نسعى حرفياً لامتلاك سعادة نقيّة كاملة ونحن في عالم يسير نحو الموت المحتوم، فإن سعينا حتماً هو وهمٌ كبير!! وواضح أن السعادة الحقيقية لا تكمن في الضحك والابتسامات لأن الوجه يعكس غالباً حقيقة داخل الإنسان، فهنالك الآلاف ممن يضحكون عالياً وسعادتهم كالجراد الذي يلتهم طعامه، أما في دواخلهم فشقاء وبؤس وخوف من العزلة. وهنا يجيء الوصف الصادق للكلمة الإلهية الأزلية: «**أَيْضًا فِي الضِّحِكِ يَكْتَئِبُ الْقَلْبُ، وَعَاقِبَةُ الْفَرَحِ حُزْنٌ**» (أمثال ١٣:١٤). لا تحدثني عن وجوه دائمة الابتسامات والضحك! فأريد أنْ أسمع كلاماً أكثر عُمقاً عندما أسأل أحداً إن كان سعيداً. لا أنتظر تعبيراً في الوجه كما يظنّ البعض لأن الوجه لا يعكس الحقيقة دائماً إذْ يمكن أنْ يكون مُبْتسماً وهو يخفي شيئاً آخر! فأيٌّ من الناس أنت؟

من عظة بعنوان: «**السعادة**»

مَنْ هو الذي ضمن عائلة الله

«اَلَّذِينَ وُلِدُوا لَيْسَ مِنْ دَمٍ، وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ جَسَدٍ، وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ رَجُلٍ، بَلْ مِنَ اللهِ»

(يوحنا ١٣:١)

إن العائلة التي نحن بصدد التحدّث عنها تتألف من مجموع المؤمنين المسيحيين، الذين لديهم روح الله وهم مؤمنون حقيقيون في المسيح ويُدْعَون أيضاً القديسون عبر كلّ الأزمنة في كلّ الأمم والألسنة، ويشكّلون كنيسة المسيح حيث ضمنها تتواجد المجموعة المباركة من الشعب الأمين والوفي للرب، ويمكن أنْ نسمّيهم مختاري الله، وعائلة الإيمان، وعروس المسيح، وجسد المسيح السّري، وهيكل الله الحي والقطيع الذي لا يفنى وكنيسة الأبكار. إنَّ كلّ هذه التعابير مجتمعةً تمثل عائلة الله تحت مسميّات عديدة. إنَّ العضوية في عائلة الله لا تعتمد البتّة على وِصَال دنيوي أرضي ولا تعطى بالولادة الطبيعية بل بالولادة الثانية الجديدة، حيث لا يستطيع الرعاة منحها للمستمعين كما أنَّ الأهل لا يعطوها للأبناء. ربّما تكون قد ولدت في أتْقى عائلة على الإطلاق وتعايش بفرح أغنى وسائط النعمة التي يمكن للكنيسة أن تزوّدك بها، ومع هذا لست واحداً من أبناء عائلة الله. إنَّ وظيفة وعمل المسيح وحده وامتيازه الوحيد هو أنْ يأتي بالمُخلّصين إلى الكنيسة **«اَلَّذِينَ وُلِدُوا لَيْسَ مِنْ دَمٍ، وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ جَسَدٍ، وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ رَجُلٍ، بَلْ مِنَ اللهِ»** (يوحنا ١٣:١).

تذكّر أنه لا خلاص لأحدٍ خارج نطاق هذه العائلة، بل إنَّ الخلاص حسب تعاليم الكتاب المقدس مُهْدى فقط للمنتسبين إلى العائلة بالإيمان وهم بالتالي في طريقهم نحو السماء. إنَّ خلاص نفوسنا لا يعتمد على الشركة مع كنيسة ولا على الانْفصال عن أخرى. وكلّ من يعتقد خلاف ذلك فهو ضالّ ومضلَّل مع الأسف، وسوف يكون في يوم ما من الخاسرين إلا إذا استيقظوا على وقع الحقيقة الكتابية التي تقول لك عزيزي القارئ: تنال الحياة الأبدية حالما تصبح عضواً في العائلة الجامعة للمسيح على الأرض وفي السماء!

من عظة بعنوان: **«عائلة الله»**.

حذار من البرّ الذاتي

«اِسْمَعُوا لِي يَا أَشِدَّاءَ الْقُلُوبِ الْبَعِيدِينَ عَنِ الْبِرِّ»

(إشعياء ١٢:٤٦)

يا ليتنا نكون حذرين من البرّ الذاتي، فإذا كانت الخطيّة العَلَنيّة تقتل آلاف النفوس؛ فإن البرّ الذاتي يقتل عشرات الآلاف. فتعالوا نتعلم الدوافع مع رسول الأمم الكبير بولس الرسول فنجلس معه عند قاعدة الصليب ونتخلّى عن كبريائنا ونطرح خارجاً أفكارنا الباطلة لبرهةٍ من الزمن. نعمل سويةً لله والمسيح قلباً ونفساً وعقلاً وقوةً دون أنْ نَسْبَحَ في أحلام تقودنا إلى وضع ثقتنا في أعمالنا الذاتية.

فكّر ملياً، أنت الذي تجد راحة بصلاحك الذاتي في أفكارك الوردية، أنت الذي تَرْفَل في الفكرة الخادعة التي تقول: إنَّ كلَّ شيء على ما يُرام طالما أنا مواظب في كنيستي. فإنْ قلت لنفسك هكذا وللحظة، فإنك تدوس على رمالٍ متحرّكة تؤدي بك إلى الفشل الذريع لحظة وفاتك كما في ساعة الدينونة! لأنَّ الذين يتبجحون بصلاحهم الذي في زمن القوة والعنفْوان، لن يتمكّنوا من التفاخر بها لحظة المرض والاحتضار حتى ولو كانوا يرون امتيازات رفيعة في أعمالهم الذاتية على وجه الأرض، لأنّها ستخذلهم لحظة الوقوف أمام كرسيّ المسيح، وذلك لأنّ نور ولمعان ذلك اليوم سيُحدث الفرق الشاسع بينهم وبين أعمالهم، ويميط اللثام عن المظهر الحقيقي لأعمالٍ في نتنها وعفونتها لما كانوا يسمّونه في أيامهم: أعمالاً صالحة !!

في ذلك اليوم تُرمى ملايين الأعمال التي كانت تسمّى صالحة خارجاً لأنها خالية من المضمون والقيمة إذ تبدو أنَّ لا قيمة لها عند الامتحان، فهي خفيفة وهشّة في ميزان الله وكأنها كما يقول الكتاب: قبورٌ مُبَيَّضَة جميلة من الخارج ونتنة في الداخل. يا لخسران الإنسان الذي يرى الدينونة القادمة في أعماله ويتّكل على ضآلة ما عمله في حياته وهو الذي لن يجديه نفعاً عند الامتحان الأخير.

من عظة بعنوان: **«صليب المسيح»**

الكنيسة الحقيقية

«وَأَنَا أَقُولُ لَكَ أَيْضًا: أَنْتَ بُطْرُسُ، وَعَلَى هذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي، وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا»

(متى ١٦:١٨)

نعيش في عالم تبدو فيه الأمورُ تسيرُ سريعاً إلى زوال الممالك والامبراطوريات والمدن والمعاهد والعائلات لأنَّ الكلّ عُرضة للفساد والتحوّل ولأن قانوناً واحداً كونياً يسيطر كما يبدو على كلِّ مواقع الحياة وهو: إنَّ كلَّ الخلائق تميل إلى التفسخ والبلى. وهناك أمرٌ حزين ومؤلم في هذه المقولة. فما الفائدة في كلّ تعب اليدين عند الإنسان؟ أليس من بقاء ولا ديمومة لشيء أيّاً كان؟ لذا نقول: هل من استمرارية أو خلود لأي شيء؟

النص الكتابي أعلاه يُجيب على هذه التساؤلات جميعها لأن يسوع المسيح ربنا يتحدث عن شيء مستمر ولا يتلاشى إطلاقاً. إنه شيء وحيد فريد مُستثنى من الزوالية التي أشرت إليها سابقاً وهو غير خاضع للهلاك أو الزوال إنه بكل وضوح البناءُ المؤسّسُ على الصخر، أيّ كنيسة الرب يسوع المسيح. وقد قال عنه الرب نفسه «**على هذه الصخرة أبْني كنيستي وأبوابُ الجحيم لَنْ تَقْوى عليها**». إنَّ الزمن القادم على شعب الله هو زمن جيد ومبارك. زمن جيد ومبارك على كنيسة المسيح. زمن جيد ومبارك على كلِّ المؤمنين. وبالمقابل، فإنّ زمناً سيئاً آتٍ على غير التائبين وغير المؤمنين الذين يخدمون شهواتهم ويحوّلون ظهورهم للرب. ونحن المسيحين المؤمنين الذين ينتظرنا الزمن الجيد والمبارك فينبغي علينا انتظاره أو ترصّده والصلاة لأجل حضوره لأنَّ الحجر الذي يُخْتتم به البناء سيكتمل وترفع سقالة البنّاء.

إنَّ هذا سيحصل قريباً أيها الأخوة وسوف يبدو جمال البناء ظاهراً لكلّ عين لأن الباني العظيم نفسه سيأتي قريباً والعوالم مجتمعة ستشاهد بناءه. وسترى فيه الكمال المتناهي يّفرح قلب المخلّص والمخلّصين على حدٍّ سواء. أمام هذا المشهد العظيم؛ سيعترف الكون كلُّه أنَّ بناء كنيسة المسيح غاية في الكمال والجمال!

من عظة بعنوان: «**الكنيسة الحقيقية**»

تمسّكَوْا بالحقّ الإلهي

«امْتَحِنُوا كُلَّ شَيْءٍ. تَمَسَّكُوا بِالْحَسَنِ»

(١تسالونيكي ٥:٢١)

إنَّ كلمات الرسول بولس في هذا الموضوع تأتي بصيغة الأمر. فهو يقول: «**تمسّكوا بالحسن**». ويبدو أنَّ الرسول بولس كان يدرك ماهية قلوبنا نحن المسيحيين جميعاً؛ ويدرك أنّ قبضتنا على الإنجيل، في أحسن حالاتها، في غاية البرودة وإنّ محبّتنا آيلة سريعاً إلى الوهن وأنَّ إيماننا سيخْبو سريعاً أيضاً، أمّا غيرتنا فستنهار لا محالة! إنّ الإلمام بحقّ المسيح وكأنه تحصيل حاصل هو عرضة لأصناف وألوان من الاستخفاف كما حصل مع بني اسرائيل حيث اعتراهم الفشل والإحباط لسبب طول الطريق في السفر، على غرار بطرس الرسول في أن ننام تارةً ونقاتل تارةً أخرى، أو على شاكلته بأن لا يكون لنا قدرة على السهر والصلاة. كلُّ هذه يتذكرها الرسول بولس إذْ يصرخ بالروح القدس وكأنه حارس على مَرْصد ويقول: «**تمسكوا بالحسن**». وإذْ يقول ذلك كأني به يرى بروح النبوة أنَّ الأخبار السارة للعهد الجديد سيعتريها سريعاً التلف والفساد والاقتلاع من جسم كنيسة تسالونيكي. وكأنه يرى مُسبقاً أنَّ الشيطان وأجناده سيعملون بجهودٍ متضافره لهدم الحقّ الذي في المسيح. لذا جاءت كلماته كتحذيرٍ من خطر داهم: «**تمسكوا بالحسن**» ونصيحة كهذه يجب أنْ تكون حاضرة دائماً ما دامت الحياة على الأرض قائمة. لأنَّ الميل إلى الوهن والفساد حاضرٌ في أفضل حالات الكيان البشري. إنَّ كنيسة المسيح المنظورة في أحسن حالاتها ميّالة وعُرْضة إلى التردّي لأنها مكوَّنة من أناس لا عصمة لهم فهي والحالة هذه عُرْضة لتركِ محبّتها الأولى. هذا يحصل عندما تتسلّل خميرة الشرّ الى جسم الكنيسة، وهذا حصل حتى في زمن الرسل فقد ظهرت إساءات غير صالحة في كنيسة كورنثوس ومثلها في شقيقتيها، كنيستيْ أفسس وغلاطية، وهذه الأمور إنْ حصلت فإنها تؤشّر إلى أننا في الأزمنة الأخيرة، وهذا يستدعي بالضرورة الحاجة الملّحة لنتمسك بكلمات الرسول بولس: «**تمسّكوا بالحسن**».

من عظة بعنوان: «**دينونة شخصية**»

قف، انظر، اسأل

«هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: قِفُوا عَلَى الطُّرُقِ وَانْظُرُوا، وَاسْأَلُوا عَنِ السُّبُلِ الْقَدِيمَةِ: أَيْنَ هُوَ الطَّرِيقُ الصَّالِحُ؟ وَسِيرُوا فِيهِ، فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ. وَلكِنَّهُمْ قَالُوا: لاَ نَسِيرُ فِيهِ!»

(ارميا ٦: ١٦)

يطلب إرميا منكم أنْ: تقفوا، تنظروا، وتسألوا. بنفس الكلمات أدعوكم إلى التأمّل والاعتبار إلّا أنَّ النبيَّ كما يبدو يريد القول: قفوا وفكّروا، قفوا مكانكم وتأملوا، انظروا إلى دواخلكم وخلفكم وأمامكم. لا تتسرعوا بأي عمل. ماذا أنتم فاعلون؟ إلى أين أنتم ذاهبون؟ ما هي نهاية ونتائج مسيرة أفعالكم الحالية؟ قفوا وفكّروا!

أدعو القارئ العزيز لدى قراءته هذه الصفحة إلى أنْ يراعي طرقه وأنْ يفحص بانتظام ويحلل بنعمة الله إنْ كان يحبُّ الحياة الهادئة، مُسْتعرضاً حسابات النفس. قفوا وانظروا إلى أين أنتم ذاهبون؟ أين أنت من المسائل العالقة بينك وبين الله متجنباً الصلوات المتسرّعة المتكررة بنفس الوتيرة، وكذلك القراءة السطحية المتسرعة للكتاب المقدس، بالإضافة إلى التردّد الروتيني إلى الكنيسة وإلى اللقاءات الأخوية فيها دون أنْ تنسى اللقاء الوجداني مع نفسك على الأقل مرة بالأسبوع. أنت لم تأت إلى الحياة فقط للانشغال بطعامك وشرابك ومأكلك ومشربك ولباسك وثروتك وحريتك الفردية وعلاقاتك الاجتماعية التي هي بالمحصلة ليست بوادر المجيء إلى هذه الحياة على الأرض.

بالمقابل، إنَّ الموت والدينونة والأبدية ليست أوهاماً، بل حقائق راسخة. لذا خصّص وقتاً مُعْتبراً لتفكّر بها، وتأنّى في نظرك مواجهةً إليها لأن الموت يرغم كلّ إنسان على مواجهته سواء كان مستعداً له أم لا. ولأن الموت الذي هو العدّو الأخير الذي يقرع على بابك دون تأخير ولا يتحيّن الفرصة التي تسمّى مناسبة فلا مجال لأحدٍ إلّا باستقباله ومن ثم مرافقته طواعية. طوبى للإنسان الذي يخْبو عنده ضجيج الأعمال والانشغال والسياسة عندما يتجلى أمامه العالم القادم غير المنظور ويقول: **«لأنّي عالم بمن آمنت وموقن أنه قادر أنْ يحفظ وديعتي»** ولم أوفّر وقتاً في الشركة معه بالإيمان وأنا الآن أتوجه إلى رؤيته كما كان يراني.

من عظة بعنوان: «**الطريق الصالح**».

المسيحية التي يطلبها العالم

«إِنَّ هؤُلاَءِ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمَسْكُونَةَ حَضَرُوا إِلَى هُنَا أَيْضًا»

(أعمال ١٧:٦)

إنَّ المسيحية التي يطلبها العالم هي المسيحية الصالحة لكلّ يوم لأنها تضاهي الديانات كلّها التي لا تستقطب الشعور القلبي الانتباه اللازم من الآخرين. بل هي وحدها تُروي النفس البشرية في أعمق جذورها. لذا فإن المسيحية المقتصرة على يوم الأحد مع اللباس المخصّص والذي يُماشي شكليات خارجية لا قيمة لها ولا قوّة فيها لأن الناس الذي يحسبون أيام الأسبوع السبعة لا يرون أنّ الآحاد تنفرد عن غيرها عن باقي أيام الأسبوع بشعائرها التي تقام في بيوت العبادة وكأنها كافية: طبعاً لا! لأن العقلاء من الناس يدركون أن عالم الواجبات والمسؤوليات يقع خارج جدران الكنيسة التي يكتفون بشعائرها داخل جدرانها، بل يريدون شيئاً مختلفاً تماماً يرافقهم في حياتهم باحتكاكهم مع العالم. يبحثون عن إيمانٍ ينمو خارج منْبته الكَنَسي هو إيمانٌ ويريدونه عاجزاً على مواجهة برودة الأعمال الدنيوية ومكتفياً فقط بالانكفاء إلى داخل أسوار الزهد والتقّشف لأن هذا النوع من الثمر لم يزرعه الآبُ السماوي وبالتالي لا أمل في أنْ يحمل ثماراً نحو الكمال. إذاً، المسيحية التي يطلبها العالم التي تقدّمها كلمةُ الله هي ذات طابع خاص ونكهة مميّزة الصالح لكل يوم من أيام الحياة على الأرض كديانة عملية كالزرع أو النبتة القوية السليمة والصالحة والتي تتبرعم وتتفتّح في كل حقل وميدان عدا مجال الخطيئة ، فهي الديانة التي ترافق الإنسان حيثما يذهب ولا يخجل فى إعلانها ولا يخفيها عن أحد بل تتواجد في كل قطاعات الحياة دون استثناء بين الجيش والبحرية والمدارس العامة والخاصة والكليات والمشافي وحتى الحانات ناهيك عن الحقول والمزارع والمحال التجارية لأن المسيحية المغلّفة بغلاف السماء المذهلة للحياة التي لا يقربها الموت فهي يانعة في كافة فصول السنة ببردها وحرّها لأونها تُشبع حاجات البشر وتسدّد احتياجاتهم والتي تستمدُّ حيويتها وقوتها وتألقها من علاقتها الحميمة الدائمة مع يسوع الذي به ومعه ترك الرسل المباركين والشهداء الأطهار والقديسون عبر العصور، تركوا بصْمتهم واضحة على مساحة البشرية قاطبة وقلبوا العالم رأساً على عَقِب وقد جمع بصمةٌ واحدة مشتركة وهي أنهم عاشوا متمثلين بيسوع !!

من عظة بعنوان: «**ناظرين إلى يسوع**»

العقيدة الأكثر أهمية

«لأَنِّي لَمْ أَعْزِمْ أَنْ أَعْرِفَ شَيْئًا بَيْنَكُمْ إِلاَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ وَإِيَّاهُ مَصْلُوبًا»

(١كورنثوس ٢:٢)

لا عقيدة أكثر أهمية في الإيمان المسيحي من عقيدة المسيح المصلوب وهي العقيدة الوحيدة التي يصُّر الشيطان على تدميرها بكل قواه لأن عقيدة «صلب المسيح» هي العقيدة الأكثر حاجة لسلامنا الأبدي والتي يجدر بنا فهمها، وأنا أقصد بها عقيدة الآلام التي تحمّلها يسوع المسيح على الصليب كفارةً لخطايانا والذي بموته أحرز كامل متطلبات العدالة الإلهية تجاه الإنسان الساقط البعيد عن الله، وإنه عِبْرَ استحقاقات هذا الموت يحظى كلُّ من يؤمن به غفراناً كاملاً لخطاياه، ومهما عظمت وبلغت ينال غفراناً أبدياً!

إنَّ عقيدة صلب المسيح أو المسيح المصلوب لها خصوصية بالغة في الإيمان المسيحي لأنَّ باقي الديانات تقوم على فرائض وأوامر ونواهي ومظاهر وشعائر كقاعدة للثواب والعقاب، فلا تقدّم لأتباعها مخلِّصاً أو فادياً يموت لأجلهم. وبالتالي يحجزون عقيدة الصلب التي هي تاج مجد الإنجيل. وهذه الخصوصية في التعليم والعقيدة تنفرد بها المسيحية فقط، وإذا خَلَتْ المسيحية من التشديد على كفاية موت المسيح فإنها بذلك تضع نفسها في خانة البؤس الشديد. ومن يفعل ذلك، يُشبه شخصاً يحاول شرح النظام الشمسي لسامعيه دون أنْ يأتي على ذكر الشمس نفسها.

ليكن معلوماً بأنَّ صلب المسيح هو جوهر عقيدة تدبير الله للخلاص ولخيرْ البشر. فإذا نقلتْ أيُّ كنيسةٍ عقيدةَ الصلب من الواجهة إلى الخلف وقدّمت إلى الواجهة أية عقيدة خلاف تلك العقيدة، نقول إنَّ الكنيسة هذه قد فقدت صلاحيتها وغير نافعة البتة لأي صلاح يُذْكر.

عزيزي القارئ. إذا كنت لم تسمع من قبل عن المسيح المصلوب فإني أدعوك الآن بكلِّ محبّة إلى أنْ تتعرّف عليه بالإيمان وتطمئن إليه للخلاص. وإذا حصلت لك هذه المعرفة المباركة فإنك في طريق تتنامى معرفتك به عبر الأيام والسنين التي ستعيشها مستقبلاً حتى تراه وجهاً لوجه!!

من عظة بعنوان: «**المسيح المصلوب**»

لا هلاك أبداً

«وَأَنَا أُعْطِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَلَنْ تَهْلِكَ إِلَى الأَبَدِ، وَلاَ يَخْطَفُهَا أَحَدٌ مِنْ يَدِي»

(يوحنا ١٠:٢٨)

هناك نقطتان في الإيمان المسيحي يتناولهما الكتاب المقدس بكل وضوح وتفصيل.

الأولى تكمن في الخطر المخيف الداهم على غير المخلّصين والثانية في الأمان الكامل للأبرار وتتناول سعادة بالغة للتائبين المتجددين في حين تتناول الأخرى أي الأولى تعاسة الذين يرفضون التوبة والتجديد. فإذا كانت الواحدة منها تنطوي على البركة في حياة أولئك المتجهين إلى السماء فإنَّ الثانية تنطوي بالمقابل على تعاسة وبؤس المتوجهين إلى الهلاك والهاوية.

أنا شخصياً أتمسّك بالأهمية البالغة في تقديم كلتي النقطتين بشكل دائم لكي ترسخ كلُّ نقطة منهما في أذهان من يدّعي الإيمان المسيحي من التأكيد المستمر بأنَّ امتيازات أبناء الله المتعاظمة ماثلة أمامهم وأنَّ مخاطر الهلاك لأبناء العالم أيضاً ماثلة أمامهم لأنَّ الكتاب المقدس يشرح النقطتين بإسهاب دون تمويه بحيث إذا امتنعت كنيسة المسيح عن التنويه أو التذكير أو التكلّم عنهما فإنها تسبّب الأذى الأبدي لنفوس البشر. فإذا امتنعت الكنيسة عن أداء دورها به برز عدم الاكتراث، وتهلهلت تركيبة المؤمنين، وتعرضت قضية الله العظمى للضرر الكبير.

عزيزي القارئ، ربّما تجهل المخزون الكبير الموجود في الكتاب المقدس الذي يمنح الحقائق التي تمنح النفع المتميز لسعادة المؤمنين المسيحين الحقيقين. هناك ثروة كبيرة مخزَّنة

في الكتاب المقدس لم يصل إليها الكثيرون ولم تشاهدها العيون، هذا المخزون يحتوي على الحق الذهبي جنباً إلى جنب مع المبادئ الأساسية الثلاثة التي هي: التوبة والإيمان والتجديد. هناك الترتيب المجيد الذي هو الاختيار الأبدي للقديسين في المسيح من المحبّة العميقة التي أحبّهم بها الله قبل تأسيس العالم، بالإضافة إلى الاتحاد السرّي مع المُقام من الأموات وقاهر الموت، صاحب العاطفة المستدامة من نحو أحبّائه إذْ هو دائم التشفّع كفائدة خاصة يقدمها يسوع الذي هو رئيس كهنتهم. ناهيك عن حريتهم اليومية في الشركة القائمة بينهم وبين الآب والابن حيث بها كمال ضمان الرجاء، وديمومة العلاقة المثابرة حتى منتهى الأزمان.

من عظة بعنوان: «**لا هلاك أبداً**»

خطر العالم على النفس

«اِعْتَزِلُوا، اعْتَزِلُوا. اخْرُجُوا مِنْ هُنَاكَ. لاَ تَمَسُّوا نَجِسًا. اخْرُجُوا مِنْ وَسَطِهَا. تَطَهَّرُوا يَا حَامِلِي آنِيَةِ الرَّبِّ»

(إشعياء ٥٢:١١)

يشكّل العالم الذي نحن فيه صخرة هائلة تتكسر عليها نفوس آلاف الشباب. تراهم لا يرفضون أي مبدأ من مبادئ الإيمان المسيحي ولا ينحازون عمداً وقصداً إلى الشرّ والتمرد على الله. ويأملون أنهم سيبلغون السماء في النهاية ويعتقدون أنه ينبغي للإنسان أنْ يتبع ديانة طاهرة؛ مع هذا فإنهم عاجزون عن الإفلات من الأصنام، ويتآلفون مع العالم وإنْ كانت مساعيهم في صباهم نحو السماء. إلّا أنهم حالما ينضجون ويصيرون رجالاً ونساءً، يضعون جانباً ما كانوا يأملون، ويأخذون بسلوك الطريق الواسع الرّحب الذي يقود إلى الهلاك. كأنيّ بهم يبدؤون مع إبراهيم وموسى وينتهون مع زوجة لوط ومع ديماس.

وسوف تكشف النهاية الأبدية عدد القتلى الذين أنهى العالم حياتهم. سنرى الكثيرين ترعرعوا في بيوت مسيحية ومدارس وأماكن تُعْنى بالشأن الروحي، ومع هذا ينتهي بهم الأمر إلى خسارة السماء. تركوا الشاطئ الأمين والمرفأ الحسن الذي هو البيت الذي نشأوا فيه وأبْحروا في محيط الحياة بدون بركة الوالد وصلوات الوالدة والأمنيات الناصعة في الحاضنة الأسرية. والسبب في ذلك، تخلّيهم عن المسار الآمن الذي نشأوا عليه وتبعوا غواية العالم التي ستوصلهم إلى الشقاء في المياه الضحلة! من المؤسف أنْ أخبركم بذلك، لكن مع الأسف الشديد، إن هذا شائع على نطاق واسع في أيامنا، إنه الأمر الذي يذكرني بقول الرسول بولس: «**اخْرُجُوا مِنْ وَسْطِهِمْ وَاعْتَزِلُوا**» (٢كورنثوس ٦:١٧). حتى أنك ترى أحياناً مسيحيين من أصحاب النوايا البريئة والإخلاص في المسالك يرتكبون ما لا يريده الله لهم أنْ يفعلوه لأنه يريد منهم عدم التماهي مع العالم والتشابه به. ومع هذا يعملون خلاف المشيئة الإلهيّة وهم يظنون أنهم في المسار الصحيح في إتمام الوجبات، غير عالمين أنَّ أخطاءهم هذه ستعود عليهم بالخسارة الجسيمة. وهنا تستدعينا أهمية الصلاة لامتلاك الحواس المقدّسة والمميّزة للصلاح ومنها التغرّب عن مفاهيم وفلسفة العالم بكل تأكيد! فهل قطعت علاقتك مع العالم؟

من موعظة بعنوان: «**العالم**»

وأنا أُريحكم

«تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ»

(متى ١١:٢٨)

الراحة شيء محبّب ومطلب الجميع. كلُّ أصحاب الأعمال من تجّار ومصرفيين وأرباب المهن والجنود والمحامين والمزارعين وغيرهم يتطلعون إلى يوم يتمتعون فيه بالراحة. علماً بأنّ قلّةً من الناس يجدون الراحة في هذا العالم! والبعض يمضون العمر كلّه سعياً وراءها دون أنْ يصلوا إليها. أحياناً تبدو الراحة قريبة جداً فيتخيّلونها في متناول اليد؛ ثم تباغتهم مصيبةٌ ما تبعدهم عنها مسافات أبعد من ذي قبل. فالعالم مليء بالقلاقل والاضطراب وخيبات الأمل والإرهاق والفراغ. فاحذروا أيها الشبّان والشابات، لا تظنوا أنَّ السعادة تكمن في كلّ ما هو أرضيّ، ولا تسمح لنفسك أنْ تتعلّم هذه الحقيقة عبر اختبار مرير. أدرك ذلك وأنت في ريعان العمر ولا تستهلك وقتك في التنقيب الذي يقول عنه النبي «**تَرَكُونِي أَنَا يَنْبُوعَ الْمِيَاهِ الْحَيَّةِ، لِيَنْقُرُوا لأَنْفُسِهِمْ أَبْآرًا، أَبْآرًا مُشَقَّقَةً لاَ تَضْبُطُ مَاءً**» (إرميا ٢:١٣).

بالمقابل يقدّم لكم يسوع راحةً أنتم الذين ستأتون إليه بناءً على قوله: «**تعالوا إلى ... وأنا أريحكم**» إنه يعطيها لا يبيعها كما افترض الفرّيسي بأن الراحة تُقَايض بحفنة من الأعمال الصالحة. أبداً!! إنَّ يسوع يقدم الراحة مجّاناً لأي خاطئ يأتي إليه بدون مالٍ أو ثمن. ولا يقرضها كي يسترجعها كما فهمها أرمينيوس اللاهوتي عندما ظن أنَّ السلام والراحة تسترد رويداً رويداً إذا فشلت في إرضاء الله. لا! إنها منحة أبدية لا تراجع ولا نكوص عنها لأنها الراحة الحقيقية في المسيح يسوع لكلّ الآتين إليه كما كان يحصل زمن مدن الملجأ في العهد القديم الداخل إليها آمنٌ سالمٌ بين جدرانها حتى ولو لم يصدق ذلك في البداية. إنها الحقيقة تحدث معك أخي المؤمن بالمسيح !!

من عظة بعنوان: «**تعالوا إلي**»

حروب حتى النهاية

«قَدْ جَاهَدْتُ الْجِهَادَ الْحَسَنَ، أَكْمَلْتُ السَّعْيَ، حَفِظْتُ الإِيمَانَ»

(٢تيموثاوس ٤:٧)

أعرف يقيناً صعوبة الصراع الذي يتوجّب عليكم الانخراط فيه. وأريد أنْ أبلّغكم بأنَّ هذا الصراع هو جهادُ الإيمان الحسن ويتحمّل المشقّات إذا رغبتم بالتمسّك بالحياة الأبدية. فعليكم أنْ تشحذوا ذهنكم لصراع يومي إنْ كنتم راغبين ببلوغ السماء، لا تعبؤوا بالطرقات المختزلة التي ابتدعها الناس للوصول إلى السماء خلاف الطريق المسيحي القديم، القديم، الذي يقول: طريق الصليب؛ طريق الصراع في مواجهة الخطيّة والعالم وإماتة الشرّير والمقاومة المستدامة حتى بلوغ النصر.

إنها الطريق التي سلكها القديسون القدماء تاركين وراءهم سجلاً ذهبياً. فعندما رفض موسى التمتّع الوقتي بالخطية في مصر وفضّل البلاء مع شعب الله سجّل نصراً بانتصاره على محبّة التمتّع الدنيوي. وعندما رفض ميخا أنْ يتنبّأ للملك الشرير آخاب بما يستسيغه الملك علم أنَّ وراء هذا الرفض اضطهاداً إنْ نطق بالحقيقة، وسجل انتصاراً عندما انتصر على محبّة الرفاهية. وعندما رفض دانيال أنْ يتخلّى عن صلاته رغم علمه أنَّ جُبَّ الأسود في انتظاره، سجل انتصاراً على الخوف من الموت. وكذلك عندما هجر متى مكتب الجباية عند دعوة يسوع له وترك وراءه العالم بكل ما فيه تابعاً يسوع، سجل انتصاراً على محّبة المال. وعندما وقف الرسولان بطرس ويوحنا بصلابة أمام مجمع رؤساء الدين قالوا كما نقرأ في (أعمال ٤:٢٠) **«لأَنَّنَا نَحْنُ لاَ يُمْكِنُنَا أَنْ لاَ نَتَكَلَّمَ بِمَا رَأَيْنَا وَسَمِعْنَا»** فقد سجّل كلاهما انتصاراً على الخوف من الناس. وعندما تخلّى شاول الطرسوسي الفرّيسي عن كلِّ الامتيازات العتيدة التي ينالها من مكانته عند اليهود وبشّر بيسوع الذي كان شاول يضطهده سابقاً، سجلّ انتصاراً على محبة المديح والثناء من الناس.

عزيزي القارئ، كما فعل الأشخاص الذين ذكرناهم عليك أنْ تعمل كما عملوا إنْ كنت تحبّ الخلاص. لقد كانوا أناساً تحت الآلام مثلك إلّا أنهم انتصروا. لقد عانوا معاناة عديدة وكثيرة مع تجارب كما يمكن أنْ تواجهك أنت، ومع هذا انتصروا. جاهد وصارع وكافح، وافعل أنت مثلهم.

من عظة بعنوان: «**المعركة العظمى**».

خرافي تسمعُ صوتي

«خَرَافِي تَسْمَعُ صَوْتِي، وَأَنَا أَعْرِفُهَا فَتَتْبَعُنِي»

(يوحنا ١٠:٢٧)

يا له من قولٍ مجيد! نصٌ بحدّ ذاته كاملٌ مكتملٌ إذْ يحوى كلّ ما تتمنّاه النفس من هناء وراحة، ومليءٌ بالامتيازات والمراحم للمؤمنين الحقيقين والخطاة التائبين، لكنّه بآنٍ معاً يغلق الباب حُكْماً في وجه الفرّيسين أصحاب البرّ الذاتي الذين يشبهون القبور المبيّضة كرمزٍ للرياء. إننا نرى في هذا النصّ شيئين: الطبيعة الصادقة للمؤمنين المسيحيين الحقيقيين، والكنوز الروحية التي يمتلكونها؛ بعبارة أخرى، يُظهر النصّ مكانتهم عند مخلّصهم ومكانة مخلّصهم عندهم.

عندما يقول الرب **«خَرَافِي تَسْمَعُ صَوْتِي، وَأَنَا أَعْرِفُهَا فَتَتْبَعُنِي» فإنه** يشبّه خاصّته بالخراف ويقول أيضاً، أنهم خاصّتي، أو ملْكي الذين يتبعونني إذ يسمعون صوتي. وإزاء هذا التشبيه، نرى معنىً عميقاً عظيماً بمقارنتهم بالخراف. فالخراف هي أكثر الكائنات وداعةً وهدوءً ومسالمةً وقد خلقهم الله هكذا. هل هذه هي سجايا المسيحيين أيضاً. من ناحية الوداعة والتواضع مظهرين أنهم تلاميذ من قال: **«اِحْمِلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ وَتَعَلَّمُوا مِنِّي، لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ، فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ»** (متى ١١:٢٩). فيجب عليهم إظهار أنهم أبناء الروح الأكثر وداعة وتواضعاً العامل فيهم كلَّ شيء صالح، الذي لا يؤذي ولا يجرح أحداً لا بالقول ولا بالفعل، ولا يسعى لامتلاك عظائم هذا العالم بل يكْتفي بممارسة الواجب في الدرب المستقيم بكلِّ ما يرضى الله أنْ يرسله لهم ليفعلوه من دون أنْ يغفلوا وبشكل علني عن إظهار أنَّ الروح القدس قد أعطاهم طبيعة جديدة عبر مسيرتهم ومعيشتهم، وهو الذي نزع عنهم الهيئة القديمة الفاسدة وزرع فيهم أفكاراً وغاياتٍ ورعةً مع رغباتٍ مقدسة.

من عظة بعنوان: «**شخصية المسيحي الحقيقي**»

أمنية الجميع أن يذهبوا إلى السماء

«فَإِنَّ سِيرَتَنَا نَحْنُ هِيَ فِي السَّمَاوَاتِ،
الَّتِي مِنْهَا أَيْضًا نَنْتَظِرُ مُخَلِّصًا هُوَ الرَّبُّ يَسُوعُ الْمَسِيحُ»

(فيلبي ٣:٢٠)

كلّكم تتوقون للذهاب إلى السماء، أنا على يقين من ذلك بل مقتنع أيضاً ومتأكّد. لا أحد بينكم بغض النظر عن قناعاته واعتقاده وحتّى رجاءه ولو كان بدون قاعدة كتابية أو عدم اكتراثه بمجرّد أنْ يغادر باب الكنيسة بعد انتهاء العبادة. الكل بينكم توّاق إلى السماء بعد موته، لكنني بكل حزنٍ وأسف أجيب: مالم يحصل تغيير جذري في حياتكم؛ لن تصلو إلى السماء!! الكثيرون يحبّون الإكليل ولكن لا يتحمّلون حملَ الصليب! يبحثون على الأمجاد ولا يعبؤون بالنعمة! ينشرون السعادة ولا يكترثون بالقداسة، يلهثون وراء السلام ويتناسون الحقّ! يطالبون بالنصر دون عناء الكفاح والصراع! يسألون عن المكافأة ويتغاضون عن الجهد والعمل! بناءً على ما سبق؛ أخشى أنَّ العديد منكم لن يبلغ السماء!

ربما تقول لي: «ما أقسى هذه الكلمات! وما أعنف هذا التعليم! إذاً مَنْ مِنَ الناس سيخلص؟» فإليك الجواب المباشر والقصير على نحو العموم: إنَّ الأشخاص الذين يتمتعون بنفس الإيمان الذي كان للناس القديسين الذين أسماؤهم في الكتاب المقدس وفي سفر الحياة والذي عبروا مسيرة الحياة من الباب الضيّق الذي عبر منه كلُّ قِدّيسي الله وحدهم يدخلون الحياة الأبدية إذْ لا دينونة عليهم البتّة.

ففي واقع الأمر أيها العزيز، يوجد طريق واحد إلى السماء ومن خلاله عبرَ المَفْديون نحو السماء التي هم بها الآن مقيمون! وليس أمامك إلّا القناعة بأنَّ عليك سلوك هذه الطريق إذْ لا طريق آخر مُتاح! فإذا كنتَ حكيماً كفايةً وتحبّ الحياة كما تدّعي وتدرس بعناية السيرة الذاتية للذين سبقوك ورحلوا من هذه الحياة؛ فلابدّ من أنْ تقف على المبادئ التي تصرفوا بموجبها وتلاحظ نهاية سيرتهم وتسْتفيد من خبراتهم وتحذو حذوهم باتباع المسيح المبارك.

من عظة بعنوان: «**وسار أخنوخ مع الله**»

الصخرة التي ينبع منها التبرير والسلام

«كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «هَا أَنَا أَضَعُ فِي صِهْيَوْنَ حَجَرَ صَدْمَةٍ وَصَخْرَةَ عَثْرَةٍ،
وَكُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ لاَ يُخْزَى».

(رومية ٩:٣٣)

الصخرة هي المسيح. فالمسيحي الحقيقي لا يتبّرر بأي استحقاق من صلاحه الشخصي. ولا يمكن تعقّب سلامهُ بالرجوع إلى أي عمل صالح سبق أنْ عمله، كما أنَّ الخلاص لا يُشْترى بالصلوات وتكرار التوبة وإصلاح الذات. ولا عبر الأخلاق الحميدة ولا عبر الإحسان لأنَّ كلّ هذه الأشياء مجتمعةً عاجزة عن تبرير المرء. ولأنَّ الكثير من الخلل يتداخل فيها فهي تحتاج إلى نعمة الغفران. وبالمحصلة لا يعدو المؤمن أنْ يكون خاطئاً قد تبرّر بنعمة المسيح دون أنْ تكون لمعايير الناموس الإلهي التي قد يسعى المسيحي لتطبيقها أية فاعلية في خلاصه بالمقابل؛ فالآثم أو المجرم الذي لا استحقاق له، بمجرّد استغاثته برحمة الله يحصل على الغفران. لذا، فإن أي سلام يُبْنى على أساسٍ خلاف النعمة لا قيمة له على الإطلاق. وإذا اتّكل أحدٌ على أعمال برّه الذاتي فإنه في حالة الخديعة التعيسة البائسة.

إذاً. التبرير بالمسيح هو الطريق الوحيد الحقيقي للسلام وحذار من الانصياع لأية خديعة تأخذك بعيداً بسبب عقائد فاسدة كما حذّر الرسول بولس أعضاء كنيسة رومية، إذ يبدو ويا للدهشة، كيف بُنيت كنيسة مزيّفة بجوار كنيسة حقيقية! تمسّكوا احبائي بالحق الإلهي في عقيدة التبرير لئلا تُخْدعوا عبر تقديم وسيط آخر يأتي بالسلام عدا الرب يسوع المسيح الذي هو الوسيط الوحيد ولا يوجد ذبيحة مقبولة غير تلك التي قُدمت على صليب الجلجثة ولا أعمال مهما كان نوعها تلغي استحقاق عمل المسيح. ولا تعتمد على كاهنٍ معتقداً أنه يحلّك من خطاياك إلّا المسيح. لذا تمسّك بما عندك وكن مستيقظاً ولا تعطي المجد الواجب تقديمه ليسوع لأيّ شخص غيرهُ. والسؤال الآن، هل تمتلك هذا السلام؟ السلام الذي اشتراه المسيح بدمه الزكيّ والمُقدّم للجميع من خلال المسيح مجاناً للذين يرغبون بالحصول عليه؛ لا تعطِ لنفسك راحة أبداً حتى تحصل على جواب كافٍ لما أطرحهُ عليك. هل تمتلك سلاماً حقيقاً مع الله؟

من عظة بعنوان: «**التبرير**»

المحبة المسيحية

«أَمَّا الآنَ فَيَثْبُتُ: الإِيمَانُ وَالرَّجَاءُ وَالْمَحَبَّةُ، هذِهِ الثَّلاَثَةُ وَلكِنَّ أَعْظَمَهُنَّ الْمَحَبَّةُ»

(١كورنثوس١٣:١٣)

تسمى المحبة بالحقّ ملكة كلّ النِعَم المسيحية، فكلُّ الناس يعترفون بإعجابهم بها. كما تبدو النعمة فكرة عملية يستوعبها كلُّ إنسان، وهي لا تنتمي إطلاقاً إلى أيٍّ من النقاط العقائدية التي لا يعترف بها المسيحيون والتي تجلب المتاعب. أرغب بتذكير القرّاء الأعزاء بأنَّ الكتاب المقدس يحتوي على شؤون عملية بالإضافة إلى العقائد، لكنَّ أكثر ما يستهوي الناس هو المحبة. وأعود إلى العهد الجديد وأسألُ القرّاء أنْ يتتبعوا ما يقوله الإنجيل عن المحبة. فعند البحث في الأسفار المقدسة لا شيء أفضل من أنْ ندع الكتاب المقدس يتكلّم عن نفسه؛ لأنَّ أوثق الطرق في اكتشاف الحقّ هو العودة إلى النصوص الصريحة في الكلمة الإلهية.

فدعونا نستمع إلى ما يقوله الرسول بولس إلى كنيسة الكولوسيين «**وَعَلَى جَمِيعِ هذِهِ الْبَسُوا الْمَحَبَّةَ الَّتِي هِيَ رِبَاطُ الْكَمَالِ.**» (كولوسي ٣:١٤). وأيضاً لنُصغِ إلى ما قاله الرسول بولس إلى تلميذه تيموثاوس «**وَأَمَّا غَايَةُ الْوَصِيَّةِ فَهِيَ الْمَحَبَّةُ مِنْ قَلْبٍ طَاهِرٍ، وَضَمِيرٍ صَالِحٍ، وَإِيمَانٍ بِلاَ رِيَاءٍ**» (١تيموثاوس ١:٥). أمّا الرسول بطرس فيقول «**وَلكِنْ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، لِتَكُنْ مَحَبَّتُكُمْ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ شَدِيدَةً، لأَنَّ الْمَحَبَّةَ تَسْتُرُ كَثْرَةً مِنَ الْخَطَايَا**» (١ بطرس ٤:٨). كما أنَّ ربنا يسوع المسيح نفسه قال: «**وَصِيَّةً جَدِيدَةً أَنَا أُعْطِيكُمْ: أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا. كَمَا أَحْبَبْتُكُمْ أَنَا تُحِبُّونَ أَنْتُمْ أَيْضًا بَعْضُكُمْ بَعْضًا. بِهذَا يَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنَّكُمْ تَلاَمِيذِي: إِنْ كَانَ لَكُمْ حُبٌّ بَعْضًا لِبَعْضٍ**» (يوحنا ١٣: ٣٤-٣٥). أنا أستوعب بسهولة في ذهني وبكلِّ بساطة كلَّ هذه النصوص التي تبدو واضحة وغير متناقضة إذْ تُظهر أهمية مكثّفة للمحبّة التي ترافق مفهوم الخلاص. لأنَّ هذه النصوص تطلب حقّاً انتباهاً جدّياً من قبل كلّ الذين يسمّون أنفسهم مسيحيين. أمّا الذين يحتقرون المحبّة فإنهم يكشفون جهلهم بالأسفار الكتابيّة.

من عظة بعنوان: «**المحبة المسيحية**»

الشركة مع المسيح

«اُثْبُتُوا فِيَّ وَأَنَا فِيكُمْ. كَمَا أَنَّ الْغُصْنَ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَأْتِيَ بِثَمَرٍ مِنْ ذَاتِهِ إِنْ لَمْ يَثْبُتْ فِي الْكَرْمَةِ، كَذلِكَ أَنْتُمْ أَيْضًا إِنْ لَمْ تَثْبُتُوا فِيَّ»

(يوحنا ١٥: ٤)

أقصد بعبارة «شركة» الاعتياد على «البقاء مع» المسيح الذي تكلّم عنه ربّنا في الأصحاح الخامس عشر من إنجيل يوحنا كمؤشّر جوهري للثمر في حياة المسيحي (يوحنا ١٥: ٤-٨). فليكن معلوماً بكلّ وضوح أنَّ الاتحاد مع المسيح شيء والشركة مع المسيح شيء آخر. فلا يمكن أنْ يكون هنالك شركة مع المسيح بدون اتحاد معه، لكن بالمقابل مع الأسف يمكن أنْ يكون هناك اتحاد مع المسيح ثم نرى لاحقاً حجماً ضئيلاً من الشركة معه أو لا شركة على الإطلاق. إنَّ الفرق بين التصنيفين ليس كالفرق بين خطوتين. بل طرفين شبيهين بهضبة مائلة فيها طرف أعلى وطرف أدنى. فالاتحاد هو الامتياز المشترك لكلِّ الذين تحسّسوا حجم خطاياهم وتابوا من كلّ قلوبهم إذْ أتوا إلى المسيح بالإيمان، وقد تمّ قبولهم ومسامحتهم وتبريرهم من قبل المسيح. ويُخشى أنَّ كمّاً هائلاً من المسيحيين لا يتجاوزون هذه المرحلة بل يبقون فيها. فالسبب الجزئي في ذلك هو الجهل والسبب الآخر هو الكسل، كما أنَّ هنالك أسباباً أخرى، كالخوف من الناس أو محبَة العالم في القلوب غير مصرّح عنها. أو وجود الخطيئة التي لم يتمّ التعامل معها بحيث صار وجودها مألوفاً محبّباً مع خلطة من رجاءٍ قليل وإيمانٍ قليل، ومثلها كميّة قليلة من القداسة. ويقضون طيلة حياتهم مع هذه التوليفة التي يشوبها الشك والضعف والتردّد، مع الثمر بأقلّ معدلاته أي ثلاثون بالمئة وهكذا حتى منتهى الحياة!

أما الشركة مع المسيح فهي الامتياز المتوافر لدى الذين يصارعون بشكل مستمر للنمّو في النعمة والإيمان والمعرفة وامتلاك فكر المسيح في كلّ أمر. أي كما أورد بولس الرسول قائلاً: «**أَنْسَى مَا هُوَ وَرَاءُ وَأَمْتَدُّ إِلَى مَا هُوَ قُدَّامُ، أَسْعَى نَحْوَ الْغَرَضِ لأَجْلِ جَعَالَةِ دَعْوَةِ اللهِ الْعُلْيَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ**» (فيلبي ٣: ١٣-١٤).

من عظة بعنوان: «**تحقيق واستعلام في الذات**»

خطيّة الأولاد المسيطرة

«زَاغَ الأَشْرَارُ مِنَ الرَّحِمِ. ضَلُّوا مِنَ الْبَطْنِ، مُتَكَلِّمِينَ كَذِبًا»

(مزمور ٣:٥٨)

لا تتوقع أنْ ترى عقول أبنائك صفحة بيضاء ناصعة أو أنك تواجه صعوبات إذا كنت تستخدم الوسائل الصحيحة في التربية. انتبه!! فإنك لن تجد شيئاً أبداً من هذا القبيل. بل سيدهشك الكمّ الهائل من الفساد والشرّ في قلب الابن اليافع، وسرعة تنامي هذا الشر في ثمارٍ من الأمزجة المشاغبة، والكبرياء المغلّف بالإرادة الذاتية، والحسد، وسرعة الانفعال، والشهوة، والكسل، والأنانية، والتلاعب الخبيث، والكذب، والرياء، والاستعداد السريع لتعلّم كلّ ما هو شر والبطء في تعلّم كلِّ ما هو صالح مع الاستعداد للتظاهر بأيّ موقف وصولاً إلى نيل رغباتهم. كلُّ هذه الأشياء أو بعضها، يُطلب منك التهيؤ لرؤيتها في أولادك من لحمك ودمك ومن خلال طرق شتّى تتسلّل إلى حياة الأولاد في بداية مراهقتهم لدرجة تبعث الرعب في ملاحظة التفتّح الطبيعي عندهم. فالأولاد لا يحتاجون إلى مدرسة تعلّمهم الخطيّة!

وبالمقابل، لا ينبغي عليك أن تُحْبَط أو تيأس من خلال ما تراه. ولا تستغرب ذلك كأنه أمرٌ مستهجَنٌ لأنه حتى القلوب الصغيرة يمكن أنْ تكون ممتلئة بالخطايا على اعتبار أنه الميراث الوحيد الذي وصلنا من أبينا آدم. إنها الطبيعة الساقطة التي ندخل العالم ونحن نحملها في أجسادنا وكلّنا وارثٌ لها. فليتَ إدراكك لهذه المسألة يحفّزك على استخدام كلُّ الوسائل الممكنة ببركة الله وأنْ تتصدى للشرّ. وأنْ تتّخذ موقفاً متزايداً من اليقظة والحذر طالما أنها ضمن إمكاناتك كي تحمي أولادك من مسالك التجربة.

لا تُصْغِ لأولئك الذين يمدحون أولادك أمامك وعلى طريقة تربيتهم وكم هم على مستوى المسؤولية. بل، تذكّر أنَّ قلوب الأولاد جاهزة دائماً للاشتعال السريع كالوقود. إنهم لا يحتاجون في أحسن الأحوال لأكثر من شرارة صغيرة لإذكاء سعير الشرّ. ونادراً ما ينتبه الأولياء لهذا الأمر، فانتبه إلى الفراغ الطبيعي في حياة أولادك وحاجتهم إلى النعْمة وكن يقظاً!

من كتاب: «**واجبات الوالدين**»

لا بدّ من الصراع

«أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، إِذْ كُنْتُ أَصْنَعُ كُلَّ الْجَهْدِ لأَكْتُبَ إِلَيْكُمْ عَنِ الْخَلاَصِ الْمُشْتَرَكِ، اضْطُرِرْتُ أَنْ أَكْتُبَ إِلَيْكُمْ وَاعِظًا أَنْ تَجْتَهِدُوا لأَجْلِ الإِيمَانِ الْمُسَلَّمِ مَرَّةً لِلْقِدِّيسِينَ»

(يهوذا ٣)

إذا أردنا أنْ نوضّح معنى البشارة المستدامة في الكنيسة الإنجيلية، أو أردنا أنْ نوضّح معنى الثبات في موقعنا الروحي، أو أردنا أنْ نبقي ذكرى شهداء الإيمان عطرة وكشمعة مضيئة، فيّجب علينا تبديل المواقع بجسارة وتعديل الاستراتيجيات في الخدمة واتّخاذ مواقع جديدة. علينا إشهار سيف الروح من غمده! والاستعداد لحرب روحية تلوح في الأفق لابل آتية بلا شك. أكرّر؛ يتوجب علينا مواجهة الصراع الروحي!

بعض رجال الإيمان في محيطنا الإنجيلي ممّن أعرفهم جيداً، أعرف عنهم رفعة اللباقة الروحية التي تميزهم وأعرف توجسهم الغريزي من الجدليات المقيتة وانكماشهم من الدخول فيها. وأنا أتفهم كلّ هذه المشاعر، ولا أستغرب ذلك منهم بسبب معرفتي بهم لأنَّ الجدال بحدّ ذاته أمرٌ غير محبّب، ومُنَفّر، ويسبّب جروحاً في النفس أشبه بالتعاسة. إلّا أنَّ بعض المواقع تظهر أنَّ الجدال واجبٌ إيجابي كما يخبرنا به الرسول يهوذا «**أن نبذل كل اجتهاد لأجل الإيمان**» وأشجّع أخوتي المؤمنين أنْ لا يظنّوا أنفسهم ضعافاً سيّما أنهم بصدد استخدام الوسائط الكتابية التي استودعها الله أيديهم. لذا أذكّركم قبل أي شيء أنَّ لا خيار لنا إلا المضيّ قدماً، لأنَّ أيَّ تراجع أو استعداد للتخلّي عن الصراع الروحي إكراماً لحقّ المسيح، لا يبقي إلا «خِزْي الوجوه» (دانيال ٧:٩). ربما ينادي البعض: سلامٌ ... سلامٌ! وهم ينادون بمسايرة البدع والمساومة على الحقّ الكتابيّ كما هو شائعٌ في بعض الكنائس!! ولو بدا السلام المسكونيّ لذيذاً ويستأهل مقايضته بالحقّ الكتابي. أليس هذا ما يحدث في أيامنا؟

أمَّا نحن فلا قدّر الله أنْ نقول بهذا ونسلك مسلك التهاون على حساب الحق في الكلمة الإلهية.

من عظة بعنوان: «**يجبُ أنْ نتحد**»

كثيرون سيأتون

«وَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ مِنَ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ وَيَتَّكِئُونَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ»

(متى ٨:١١)

إن الكلمات الواردة في آية اليوم قيلت من قبل الرّب يسوع المسيح. والكتاب المقدس يحوي نبوات عديدة تبدو وكأنها غير محتملة الوقوع في وقتها لكن ثَبُتت مصداقيتها لاحقاً. ألم يقل الكتاب عن اسماعيل الذي هو أبو العِرْق العربي حسب (تكوين ١٦:١٢) «**يَدُهُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ، وَيَدُ كُلِّ وَاحِدٍ عَلَيْهِ، وَأَمَامَ جَمِيعِ إِخْوَتِهِ يَسْكُنُ**»؟ فنحن نرى تطبيق هذا القول الإلهي في عالم اليوم واضحاً كلّ الوضوح في عصرنا الحاضر عندما ننظر إلى القبائل المتناحرة في السودان أو طرق تعامل القبائل البدوية. ألم يتكلّم الكتاب المقدس عن مملكة فرعون بأنها ستكون أحط الممالك وتزول إلى غير رجعة وتتألف من تجمعات سكانية يَصْعب ضبطها (حزقيال ١٥:٢٩)؟ فبمراجعة واعية لوادي النيل وخصوصاً جنوباً، ترى ما يُزعج ويكدّر الحياة وهو موضوع الحديث في الدوائر السياسية الغربية. إنها كما تتحدث النبوءة «**كثيرون ... سيجلسون ... في ملكوت السماوات**».

فكلُّ كلمة قالها يسوع هي بحدّ ذاتها (وعد) أعطي لتشجيع الرسل ومساندتهم، وكذلك لكلِّ الخدام والمعلمين المؤمنين المسيحيين استمراراً إلى أيامنا الحاضرة! وقد يتسرّب إلى نفوسهم أنَّ كلّ تعبهم في الوعظ والتبشير والزيارات والمساعدات وربح النفوس للمسيح هي بالمحصلة بلا فائدة وأنَّ كلَّ مجهودنا يذهب سُدى. لكنَّ الوعد الصادر من المنزه عن الكذب، الأمين نحو إتمام كلمته، كافٍ لأنْ يبعث السرور والبركة المفعمة بالنعمة لدينا لئلّا نخورُ ونضعف ونفسح المجال لليأس والقنوط. إزاء ذلك وبغضّ النظر عمّا تفكّر به أو حجم النجاح الذي نُحرزه يبقى القولُ الكتابيُّ ماثلاً أمامنا إذْ يستحيل فشله: «**كثيرون ... سيجلسون .... في ملكوت السماوات**».

من عظة بعنوان: «**كثيرون سيأتون**»

امتلاك الروح

«هؤُلاَءِ هُمُ الْمُعْتَزِلُونَ بِأَنْفُسِهِمْ، نَفْسَانِيُّونَ لاَ رُوحَ لَهُمْ»

(يهوذا ١٩)

عبثاً هي المحاولة لتجنّب قوّة تعبيرٍ لغوي ما. خصوصاً إذا كانت الجُملة تقصد أنَّ امتلاك الروح لا يعني أنه نصيب كلّ فرد أو حصّة كلّ عضو في كنيسة المسيح المنظورة. بل هذا القول يعني ضرورة إيجاد قاعدة عامة ومبدأ عاماً يُقاس به حضور الروح القدس في الأفراد على اعتبار أنّ الروح لا يسكن في كلّ واحد من البشر، وكذلك أنَّ المعمودية والخدمات الروحية في الكنيسة ليست برهاناً على حضور الروح. إذاً، كيف أعلمُ يقيناً أنَّ روح الله يسكن في فلانٍ من الناس؟

إنَّ علاقة سَكَن الروح في النفس البشرية تقاس بمقدار الثمار التي ينتجها في الإنسان، لأن الثمار التي يُنتجها الروح القدس في قلب الواحد منّا كما في مسلكهِ الحياتي هي البرهان الأوحد الذي يُعْتمد معياراً لذلك. ذلك لأنَّ إيمان الشخص وآراءه وتصرفاته تشهد للامتحان الحقيقي الذي يَخْلُص إلى إمكانية وجود الروح في حياة الشخص من عدم وجوده. وقد سَنَّ الرب يسوع المسيح هذه القاعدة إذ قال: «**لأَنَّ كُلَّ شَجَرَةٍ تُعْرَفُ مِنْ ثَمَرِهَا ...**» (لوقا ٤٤:٦).

فحالما أجد مؤشرات وثمار الروح في شخصيةٍ ما، أدرك يقيناً أنَّ ذلك الشخص لديه حضور الروح، علماً أنَّ هذا الإدراك ليس تَرَفاً بل افتراضاً سليماً دون دواعي رؤية الروح القدس بشكله المنظور بالعين المجرّدة، ولا أتوقّع ذلك أبداً، كما لا ألجأ إلى لَمْسهِ بيديَّ، ولا أنتظرُ ملاكاً ينزل من السماء ليدلّني على موضع سكن الروح. ولا أتأمّل رؤيا سماوية تكشف لي مواطن حضوره. بل أرني شخصاً تتجلى فيه ثمار الروح واضحة وكفى! لأنَّ الثمار كافيةٌ لكي تكون برهاناً مقبولًا كمؤشّر على قوّة حضور الروح في حضوره الداخلي عبر الواقع الخارجي الواضح دون شك!

من عظة بعنوان: «**امتلاك الروح**»

القلب

«يَا ابْنِي أَعْطِنِي قَلْبَكَ، وَلْتُلاَحِظْ عَيْنَاكَ طُرُقِي»

(أمثال ٢٣:٢٦)

يحتلُّ القلب مركزاً أساسياً في العقيدة الصحيحة يتجاوز أهمية الرأس. لذلك قد تكون في رأسك كلّ الحقيقة في يسوع وتوافق على صّحتها، وربّما كان لك الآراء السديدة والسليمة والواضحة على الصعيد الديني. ورغم ذلك، ممكنٌ أنْ تكون متجّهاً عبر الطريق الواسع إلى الهلاك. لذا؛ يبدو القلب وحده هو المركز الأساس لأنَّ الله ينظر إلى سلامة القلب، فهل قلبك بارٌّ أمام الله؟ ربما يراك الناس بأعينهم محتشماً ومحترماً ورفيع الأخلاق، بل ويشاركهم الرأي راعي كنيستك وأصدقاؤك وجيرانك بأنّ لا غُبار عليك من جهة حُسْن سلوكك. مع ذلك، قد تكون متأرجحاً ومعلّقاً على شفير الهاوية والخراب الأبدي. أعود وأكرّر أهمية القلب وحده من حيث الصلاح في نظر الله. فهل قلبك صالح أمام الله؟

لا تكفي الأمنيات والرغبات أنْ تصنع منك إنساناً مسيحياً حتى ولو كنت تمتلك مشاعر جميلة من نحو نفسك. وربما كما كان بلعام تشتهي أنْ **«تموت موت الأبرار»** (عدد ٢٣:١٠)، أو حتى إنْ كنت ترتعش لمجرّد تفكيرك بالدينونة العتيدة وتنهمر الدموع من عينيك إزاء الأنباء السارة عن محبة المسيح. لكن حذار من مشاعر خارجية لا تلامس القلب لأنها انسياق بطيء نحو الهاوية. القلب هو الأمر الرئيس لأنه مستقرّ الإيمان، فهل قلبك مستقيمٌ أمام الله؟

إذاً، انطلق من موقعك هذا نحو الاهتمام بقلوب الآخرين. فمن الذي جعلك مُميّزاً؟ ما المانع أنَّ الذي غيَّر قلبك، ألا يستطيع أنْ يغيّر قلوب الآخرين ويجعلهم خليقة جديدة؟ فاعمل جاهداً وبكلِّ ما في وسعك لأجل نفوس الآخرين. تابع العمل وتابع الصلاة وتابع الكلام وتابع الكتابة في موضوع خلاص النفوس. ولا تيأس من إمكانية خلاص أي نفس في أيّة وضعيّة كانت طالما أنَّ تلك النفس على قيد الحياة، إذْ أنه من الطبيعي أنَّ النفس التي غيّرتها نعمة الله يتوجَّب عليها الشعور مع القناعة أنَّ لا يأس نحو خلاص أي نفس. ليست هنالك قلوب يستحيل على المسيح أنْ يشفيها.

من عظة بعنوان: «**القلب**»

الموت بانتظارنا

«فَيَرْجِعُ التُّرَابُ إِلَى الأَرْضِ كَمَا كَانَ، وَتَرْجِعُ الرُّوحُ إِلَى اللهِ الَّذِي أَعْطَاهَا»

(الجامعة ١٢:٧)

دعونا نتذكّر أننا على مسافة ليست بعيدة من الموت إذْ أننا ندرك أنْ لا خلود على الأرض. لأنَّ هناك نهاية لكلِّ أمر. هناك زائر سيأتي دون سابق إنذار ونحن في غمرة عملنا وأشغالنا وتخطيطنا وتصميمنا مع كلّ عناصر التجارة من بيع وشراء وتعب وجهد. هذا الزائر سيقرع على بابنا ولا يستطيع أحدٌ أنْ يعتذر عن استقباله وهو يقدم دعوة للاستعداد للرحيل منتظراً استجابتنا. طبيعي ألّا نستغرب لأننا نسأل أنفسنا أين الأباطرة والملوك والعظماء والحكّام الذين أذْعنوا له منذ مئات السنين؟ أين أصحاب الثروات الذين أسّسوا لثروات وبنوا مساكن فارهة؟ أين هم رجال الدّين الذين أتمّوا واجباتهم الدينية من خدمات وعظات؟ أين هم الأطفال الذين كانوا يلعبون في الهواء الطلق وتحت أشعه الشمس ولم يخطر ببالهم أنهم سيشيخون؟ أين الكُهول الذين اتّكأوا على عكاكيزهم واسترجعوا سوية زمن الشباب بصوتٍ خافت؟ الجواب واحد لكلِّ تساؤلاتنا! كلّهم ماتوا وصاروا غباراً من تراب مهما كان جمالهم وعزمهم ونشاطهم، ومهما كانت أدوارهم في الحياة في كافة الميادين! تأتي النهاية والكلّ مُسافر على نفس الرحلة ليسكنوا القبور!

بالمقابل، لنتذكّر أنّ القيامة والدينونة بانتظارنا. لكنَّ هذا لا يعني أنَّ لحظة لفظ الأنفاس هي الخاتمة النهائية الأخيرة لتتحول أجسادنا إلى كتلة من طين بارد. كلّا!! لا يظنّ أحدٌ ذلك؛ بل من هنا يبدأ الوجود الجديد!! فالأذن التي لم تسمع قرع الأجراس تذكيراً بأوقات العبادة ستضّطر لسماع نداءات أخرى، والإرادة التي رفضت سماع العظات ستُجْبر على سماع النطق بالدينونة الإلهية أمام العرش الأبيض العظيم حيث تُفتح الأسفار ويصطف الجميع من كلّ الأعمار أمام المحكمة العظمى. وهناك كلّ واحدٍ سيدان حسب عمله، ويسأل المرء عن كلّ خطيّة اقترفها. إنَّ الحديث عن هذا الموضوع يستدعي الإصغاء بدقّة، وعندها تتيقن أهمية غفران ومحو الخطايا. بالتأكيد ستسأل نفسك «كيف ستكون دينونتي؟»

من عظة بعنوان: «**أين هي خطاياك**»

وُجِدَ دانيال أميناً

«فَقَالَ هؤُلاَءِ الرِّجَالُ: «لاَ نَجِدُ عَلَى دَانِيآلَ هذَا عِلَّةً إِلاَّ أَنْ نَجِدَهَا مِنْ جِهَةِ شَرِيعَةِ إِلهِهِ»

(دانيال ٦:٥)

أعتقد أنه من المستحيل أنْ تسمع شهادةً رفيعة عن شخصيةٍ أسْمى من شخصية دانيال الموصوفة في النصّ، خصوصاً وإنَّ العالم في ترصّد دائم للبحث عن خطأ ما في حياة المؤمن. فكم كان المحيطون بدانيال يراقبونه عن قربٍ بحثاً عن زلّات وهفوات قد تصدر عنه لإذاعتها علناً وفوراً. فهنيئاً لشعب الرب القادر أنْ يعيش بنعمة الرب عيشةً لا تسمح لغير المؤمنين أنْ يجدوا أيّة علّة ولو بسيطة للانتقاد.

إنَّ دانيال المُتحدِّر من عائلة ملوكية في يهوذا تعود نسبتها إلى النبي داود، قد أُخذ في صباه أسيراً إلى بابل مع العديد من أبناء شعبه عندما سقطت أورشليم. وفي أثناء وجوده في بابل شاءت مشيئة الله أنْ يوضع في حظوة لدى الملوك الوثنين، وارتقى سريعاً إلى وظائف عُلْيا في الدولة مع كرامة سعى أعداؤه لحرمانه منها كما يفهم من هذا النصّ أعلاه. وعند سقوط الملك بلطشاصر وتحوّل السلطة إلى مملكة مادي وفارس، شاءت الإرادة الإلهية أنْ يحظى دانيال لدى الملك داريوس المادي باهتمام كبير إذْ جعله من أقرب مستشاريه التابعين مباشرة للملك، الأمر الذي أثار كراهية زملائه الأشرار وغيرتهم المريرة نحوه. لذا، دبروا له مكيدة وقد نجحوا في بداية الأمر. إذْ حصلوا على مرسوم يقضي بإلقاء دانيال في جبّ الأسود. إلّا أنَّ الله الذي خدمه دانيال بكلِّ أمانةٍ أتى إلى معونته وحفظه بمعجزة عظيمة من الموت الذي صار من نصيب المتآمرين عليه، كما أنَّ الملك داريوس قدَّم المجد لله إله دانيال!

صحيح أنّ طرق الله في الحياة تبدو صعبة وغامضة نعجز عن فهمها نحن أولاد الله إذْ لا نجد تفسيراً للأشياء التي تحدث حولنا والتي نراها صعبة ولا نقوى على تحمّلها لدرجة المشاحنة مع الرب بخصوص تدابيره. أمّا الحكماء فإنهم يتحلّون بالصبر في مثل هذه الظروف وينتظرون من الله الخاتمة المرجوة ويتمسّكون بصلابة بكلمات الرّب يسوع: «**لَسْتَ تَعْلَمُ أَنْتَ الآنَ مَا أَنَا أَصْنَعُ، وَلكِنَّكَ سَتَفْهَمُ فِيمَا بَعْدُ**» (يوحنا ١٣:٧).

من عظة بعنوان: «**وجد دانيال أميناً**»

حياة الصلاة عند دانيال

«فَلَمَّا عَلِمَ دَانِيآلُ بِإِمْضَاءِ الْكِتَابَةِ ذَهَبَ إِلَى بَيْتِهِ، وَكُوَاهُ مَفْتُوحَةٌ فِي عُلِّيَّتِهِ نَحْوَ أُورُشَلِيمَ، فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ فِي الْيَوْمِ، وَصَلَّى وَحَمَدَ قُدَّامَ إِلهِهِ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ قَبْلَ ذلِكَ. فَاجْتَمَعَ حِينَئِذٍ هؤُلاَءِ الرِّجَالُ فَوَجَدُوا دَانِيآلَ يَطْلُبُ وَيَتَضَرَّعُ قُدَّامَ إِلهِهِ»

(دانيال ٦: ١٠-١١)

جدير بالملاحظة العادة الحميدة في الصلاة الخاصة عند دانيال وهي السبب الخفيّ في ثباته. وقد اكتشفها بالصدفة أعداؤه المتربّصون به حيث تمكّنوا من استصدار مرسوم ملكي بخصوص منع أيّ شخص من أنْ يبتهل أو يطلب من أيّ إلهٍ ولمدة ثلاثين يوماً عدا الملك، وإلّا سيُطرح في جُبّ الأسود. وبما أنّهم نصبوا هذا الفخّ ضدّ هذا الرجل الورع والتقيّ، نقرأ أنهم تعقّبوا دانيال ووجدوه في حالة صلاة وابتهال أمام الله.

ويخبرنا النص أنّ عادة دانيال كانت أنْ يسجد على ركبتيه ويصلّي ثلاث مرّات في اليوم. هكذا كانت عادة هذا الرجل القديس وكلّ قدّيس. كما نقرأ في المزامير وفي أعمال الرسل مثالاً في صلاة قائد المئة الذي كان مواظباً على الصلاة. لقد حث الرسول بولس كنيسة أفسس على دوام الصلاة والابتهال في حين أوصى كنيسة تسالونيكي على الصلاة باستمرار وبدون توقّف. وهذه العادة تنسحب على كلِّ رجال الله البارزين في الكتاب المقدس الذين لم يكتفوا ببضعة كلمات باردة غير نابعة من القلب بل بحرارة ولجاجة واظبوا صباحاً مساءً وبلجاجة مستدامة.

وأكثر من ذلك، يخبرنا سفر دانيال أنه كان يصلّى باتجاه اورشليم عبر نافذته المفتوحة، وهذا بحدّ ذاته أهم ما في الأمر. علماً بأنه كان يحمل على كتفيه كلَّ أعباء الدولة والحكومة ويتعاطى مع المسائل المطروحة من أشغال ومشاريع وقضايا الأمم. إلّا أنَّ ذلك لم يمنعه من الاقتراب إلى عرش الله الذي من عنده يأتي الحفظ وتأتي العناية. فانتبه جيداً عزيزي القارئ، إنَّ عادة الصلاة الفردية الخاصة هي سرّ الثبات والقوة التي أظهرها دانيال في بابل إذ نال احترام كلّ العاملين معه بسبب استقامة حياته وسط التجارب المريرة.

من عظة بعنوان: «**وجد دانيال أميناً**»

شخصية دانيال

«فَقَالَ هؤُلاَءِ الرِّجَالُ: «لاَ نَجِدُ عَلَى دَانِيآلَ هذَا عِلَّةً إِلاَّ أَنْ نَجِدَهَا مِنْ جِهَةِ شَرِيعَةِ إِلهِهِ»

(دانيال ٥:٦)

إذا أخذنا بالاعتبار مسيرة دانيال الراسخة مع الله وقد بلغ في لحظة هذه الكتابة التسعين عاماً من العمر. لقد أمضى أكثر عمره في بيئة شريرة وفي بلاط فاسد في مدينة بابل، ورغم امتلاكه كلّ وسائل الرفاهيّة التي تجعل الحياة هانئة وسعيدة فقد اكتفى بالعيش الضيّق مع زهدٍ كبير، مما جعل العيون ترنو إليه ممزوجة بالحسد أحياناً والكراهية أحياناً أخرى ناهيك عن الملاحقة العامة لنمط حياته وطبيعته وحتى خصوصياته لم تسلمْ منهم. غرْبلوا كلماته وأفعاله وحاولوا عبثاً إيجاد حجّة يشتكون بها عليه. لقد كان غايةً في الثبات والطهارة والرفعة وسلامة الضمير مما أعْجزهم في إيجاد خطأٍ ينسبونه إليه، وقطعوا الأمل في توجيه تهمة ضدّه إلّا ولاءه لشريعة إلهه.

فيالها من جدليَّة سامية في حياة المؤمن الصادق. ويالها من رسالة يومية للمسيح في تصرفات أحد أبنائه، لأنه وإنْ كان الناس لا يرون قلوبكم ولا يفهمون المبادئ التي للمؤمنين، فإنهم يراقبون بلا شك حياتكم عن كثب! فإذا شاهدوا بوضوح عبر السادة أرباب الأعمال وعبر العمال ومن خلال الأخوة والأخوات والأصدقاء والأزواج والزوجات أنّهم أسمى بما لا يُقَارَب في أخلاقياتهم من الآخرين كونهم مؤمنين مسيحيين، فإنكم بذلك تجْلبون المجد والكرامة لفاديكم المجيد يسوع ولله الآب. فلا تعطوا مكانتكم أو وظيفتكم أية أهمية تفوق الشهادة المرافقة لها باعتبارها من ثمار الإيمان بالله في حياتكم. وعدا عن ذلك فإنكم نحاسٌ يطنُّ أو صنجٌ يرنّ (١كورنثوس ١:١٣). ولم نرَ دانيال متبجحاً ولا متفاخراً باختباراته أمام الملأ بل اكتفى بالسير مع الله وترك لحياته أن تشهدُ عنه حتى صارت شخصيته معروفة في بابل لدرجة أنَّ أعداءه أُرْغموا على الاعتراف بذلك قائلين: هنا يدُ الله، لأنَّ الرب حقاً حاضرٌ مع هذا الرجل.

من عظة بعنوان: **«وُجِدَ دانيال أميناً»**

ثقة دانيال بالله

«حِينَئِذٍ أَمَرَ الْمَلِكُ فَأَحْضَرُوا دَانِيآلَ وَطَرَحُوهُ فِي جُبِّ الأُسُودِ.
أَجَابَ الْمَلِكُ وَقَالَ لِدَانِيآلَ: «إِنَّ إِلهَكَ الَّذِي تَعْبُدُهُ دَائِمًا هُوَ يُنَجِّيكَ»

(دانيال ١٦:٦)

إنَّ آخر نقطه ينبغي ملاحظتها في شخصية دانيال الإيمانيّة هي إيمانه، هي ثقته بالله. لقد صدر الأمرُ بمنع وتحريم كلّ أنواع العبادة لمدة ثلاثين يوماً تحت طائلة عقوبة الموت. فلو حدث هذا في يومنا، كم من المعترفين سطحياً بالإيمان لأنفسهم سينكفئون! وكم من واحد سيقول متهرباً من المواجهة: لابدّ وأنْ تزول هذه الغمامة في وقت قصير فلا داعي لمخالفة الأمر الملكي لأنَّ الرّب حتماً لا يريدنا أنْ نعرّض حياتنا للخطر ونحن في حقل خدمته؟ لكن انظر إلى دانيال: لقد علم أنَّ المرسوم صدر بتوقيع الملك وأنه تحت المراقبة وأنَّ حياته في خطر، ولكن رغم ذلك ذهب إلى بيته وسجد على ركبتيه وصلى تماماً كما كان يفعل سابقاً. فهو لا يذهب برجليه إلى الخطر وبالمقابل لم ينكفئ عنه خوفاً وتجُنْباً. لذا لَمْ يلجأ إلى سياسة دنيوية، ولم يلعب على مسألةِ الوقت ولا إلى التحايل ولا إلى تفضيل شيء على آخر. بل عمل بجرأة ما كان يعمله سابقاً لا أكثر ولا أقلّ. لماذا؟ راجع العدد ٢٣ «... **لأنه آمن بإلهه**» لاحظ الثمر الروحي الناجم عن العلاقة اليومية مع الله، وانظر كيف تثمر عادة الصلاة الفردية اليومية سكينةً واطمئناناً في ساعة التجربة الصعبة.

لانعدم في حياتنا أشخاصاً خبثاء من المستوى المنحط يقولون دائماً: ما المنفعة من صلاتك؟ وما الفائدة التي ستجنيها في ذلك؟ لكن لا بأس! انتظر حتى تأتي ساعة المحنة والتجربة لترى تدخّل الله وعونه كجواب على صلاتك. إنَّ عادة الصلاة تولّد لديك اتّكالاً كاملاً على الله في زمن الخطر، وتزوّدك بجسارةٍ خاصة، وتؤمّن مخرجاً سلِساً في الأزمة لكلِّ الذين يُكْرمون الله ويمجدّونه في حياتهم. هنيئاً وطوبى لأولئك الذين يشبهون دانيال، المصلّين بلا انقطاع. سيمتلكون نفس روح الإيمان إذْ يجابهون الخوف دون مفاجأة، كدانيال الجاهز دائماً لمواجهة الصعاب!

من عظة بعنوان: **«وجد دانيال أميناً»**

أزمنة الظلام

«حِينَئِذٍ أَمَرَ الْمَلِكُ فَأَحْضَرُوا دَانِيآلَ وَطَرَحُوهُ فِي جُبِّ الأُسُودِ. أَجَابَ الْمَلِكُ وَقَالَ لِدَانِيآلَ: «إِنَّ إِلهَكَ الَّذِي تَعْبُدُهُ دَائِمًا هُوَ يُنَجِّيكَ». وَأُتِيَ بِحَجَرٍ وَوُضِعَ عَلَى فَمِ الْجُبِّ وَخَتَمَهُ الْمَلِكُ بِخَاتِمِهِ وَخَاتِمِ عُظَمَائِهِ، لِئَلاَّ يَتَغَيَّرَ الْقَصْدُ فِي دَانِيآلَ»

(دانيال ٦: ١٦-١٧)

نفترض أنَّ الله سمح للشرّ والإثم أنْ يبلغ تسليم دانيال ليد أعدائه وكأنهم انتصروا عليه! من كان يعتقد أنَّ رجلاً كهلاً بهذا العمر سيُلْقى في جبّ الأسود. حتماً إنَّ طرق الله غير طرقنا مع الاستغراب كيف يُسمح للأشرار أنْ يعملوا ما يريدون لفترة من الزمن. لقد كانت تهمة دانيال أنه خالفَ القوانين، لذلك اُعتُبرَ مُذْنباً وحُكِم عليه بالموت رغم محاولة الملك الحثيثة لإنقاذه، لكنه فشل لأنَّ المرسوم الذي أصدره لا يمكن تعديله أبداً. إذاً، لابدّ لدانيال من أنْ يموت! فأُنْزِل في الحفرة الواسعة التي فيها الوحوش الكاسرة وتمّ وضع حجرٍ كبيرٍ لسد فوّهة الجبّ.

توقفوا قليلاً إخوتي! تبدو هذه اللحظة المظلمة لكم بأنها غامضة جدّاً لكنكم حتماً وغالباً ما تشاهدون مواقف كهذه صعبة الإدراك والاستيعاب، أليس كذلك؟ كم مرّة ترى الأشرار يزدهرون ويحصلون على ما يرغبون؛ ومعهم يزدهر الإثم ويتمدّد، أمّا محبّة الله فتبدو زائلة ومعها يُضطهد الأبرار وتُكَمُّ أفواهُهم ويلاحقهم الرعب. كثيرون إزاء هذا المشهد، يعتقدون أنَّ الله نسيَ الأرض ولم يعد يأبه بخدّامه المضطهدين ولا للتجديف على اسمه، وهذا يدفعنا للشعور بالصراخ قائلين «حتى متى أيها الرّب القدوس الحقّ، لقد حان الوقت للاقتصاص والانتقام لنفسك من الأشرار».

لا تخافوا عندما تسلكوا درباً مظلماً خالٍ من الضوء عالمين أنكم لستم تعلمون فكر الرّب ولا حتى تعاملاته معكم. فإذا اسودّت الغيوم عليكم، آمنوا كما أمن دانيال، واحتفظوا بثقتكم بالرّب يسوع دائماً، وكونوا على يقين بأنَّ من يؤمن به لا يخزى.

من عظة بعنوان: **«وجد دانيال أميناً»**.

إنقاذ دانيال

«فَتَكَلَّمَ دَانِيآلُ مَعَ الْمَلِكِ: «يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ، عِشْ إِلَى الأَبَدِ! إِلهِي أَرْسَلَ مَلاَكَهُ وَسَدَّ أَفْوَاهَ الأُسُودِ فَلَمْ تَضُرَّنِي، لأَنِّي وُجِدْتُ بَرِيئًا قُدَّامَهُ، وَقُدَّامَكَ أَيْضًا أَيُّهَا الْمَلِكُ، لَمْ أَفْعَلْ ذَنْبًا»

(دانيال ٦: ٢١-٢٢)

دعونا نشاهد واضحاً كيف تم تبديد الظلام وعودة النور، ولئن دامت الأزمة ردحاً من الزمن وكأنه ليل قاتم، يأتي الصباح محمّلاً بالفرح. رأيتم دانيال يجتاز أتون نار الضيقات، إلّا أنَّ تدخّل الله جاء في وقته لنجدة خادمه الوفي عبر تعاملات واضحة وصريحة. نعلم أنَّ دانيال قد طُرِح في جبّ الأسود، إلّا أنَّ الله كان معه ولهذا السبب حُفِظ سليماً من الأذى. كما تخبرنا الرواية الكتابية أنَّ الملك داريوس جاء مبّكراً إلى فوّهة الجبّ ونادى بصوتٍ أسيف «يا دانيال عبد الله؛ ... هل قَدِرَ الله على إنقاذك؟» (دانيال ٦:٢٠). وكم كانت فرحة الملك عظيمة عندما جاءه الجوابُ مباشراً من دانيال نفسه: «يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ، عِشْ إِلَى الأَبَدِ! إِلهِي أَرْسَلَ مَلاَكَهُ وَسَدَّ أَفْوَاهَ الأُسُودِ فَلَمْ تَضُرَّنِي، لأَنِّي وُجِدْتُ بَرِيئًا قُدَّامَهُ، وَقُدَّامَكَ أَيْضًا أَيُّهَا الْمَلِكُ، لَمْ أَفْعَلْ ذَنْبًا» (دانيال ٦: ٢١-٢٢).

لا داعي لأن أخبركم عن الترقية التي حصل عليها دانيال مع شرف خاص؛ بينما نال أعداؤه النصيب الذي رسموه لدانيال حيث التهمتهم الأسود الجائعة. الحقيقة؛ تكمن في أنَّ النور زُرع للصديقين مع الحفظ الدائم في سلام. مميّز للذين اتكّلوا عليه. نعم إنَّ مزمور ٩١- يخبرنا بأنَّ الساكن في ستر العلي في ظلّ القدير يبيت. لأنه ينجيّك من فخ الصيّاد ومِنَ الوبأ الخطر وبخوافيه يظلّلك وتحت أجنحته تحتمي. أمانة الرب ترْسُ حمايةٍ لك.

من عظة بعنوان: **«وجد دانيال أميناً»**

الرجاء المرتكز بالكامل على يسوع المسيح

«الَّذِينَ أَرَادَ اللهُ أَنْ يُعَرِّفَهُمْ مَا هُوَ غِنَى مَجْدِ هذَا السِّرِّ فِي الأُمَمِ، الَّذِي هُوَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ رَجَاءُ الْمَجْدِ»

(كولوسي ١:٢٧)

إنَّ المرء الذي يمتلك الرجاء الصالح يؤسس كلَّ رجائه بالغفران والخلاص والفداء والكفارة في يسوع ابن الله كونه عارف بأنه خاطئ ومذنب وشرير وهالك بالطبيعة، لكنه يرى في المقلب الآخر الغفران والسلام مع الله المُقدَّم له مجاناً من خلال إيمانه في المسيح. ولدى قبوله العرض، يُلْقي بنفسه مع خطاياه في أحضان يسوع، ويرتاح معه. فيسوع وكفّارته التي أنجزها بنجاحٍ على الصليب حيث يمنح يسوع، بداعي العمل التام، التبرير الكامل الذي ترافقه بركة الشفاعة الشاملة. وبذلك يصير يسوع وحده أساس ثقة النفس البشرية الثابتة.

فدعونا نَحْذر من ضلالةٍ مفادها أنَّ أي رجاءٍ هو صالح حتى ولو لم يكن مؤسساً على شخص المسيح. كلّا!! فكل رجاء آخر مَبنيٌّ على الرمال. في أيام العزّ والقوة وريعان العمر قد يبدو ذلك مقبولاً؛ لكن عندما يتحوّل العمر إلى كهولة مصحوبة بالمرض ومعها تقترب ساعة الوفاة، يبرز الاستحقاق الذي قال عنه الرسول بولس في (١كورنثوس ٣:١١) «**فَإِنَّهُ لاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَضَعَ أَسَاسًا آخَرَ غَيْرَ الَّذِي وُضِعَ، الَّذِي هُوَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ**». إنَّ العضوية في الكنيسة لا تمثل أساساً للرجاء لأننا قد ننتمي إلى الكنائس ومع هذا لا نَنْتمي إلى المسيح.

قد تمتلئ مقاعد الكنيسة بالمصلّين في أيام الآحاد ونسْمعُ العظات البليغة من أفضل الوعّاظ دون أنْ نسمعَ حقّاً صوت يسوع أو نتْبعَ نداءه. فإذا كنا نرى عضوية الكنيسة أفضل ما نبْتَغيه للحياة الروحية، فإننا أفْقر جميع الناس لأننا ساعتئذٍ لا نقف على أرض صُلْبة.

لذا، فالمسيح وحده هو الأساس الحقيقي الصلب الوحيد للرجاء الصالح. إنه الصخرة الراسخة لأنه عمله التام الذي عمله لأجلنا كفيلٌ بأن يحمل أثقال همومنا وأعبائنا عليه. بل هو حجر الزاوية الوحيد؛ ومن يبني عليه لا يخزى. (١بطرس ٢:٦؛ تثنية٣٢:٤؛ إشعياء ٢٨:١٦).

من عظة بعنوان: «**رجاؤنا**»

أفضل صديق

«حَلْقُهُ حَلاَوَةٌ وَكُلُّهُ مُشْتَهَيَاتٌ. هذَا حَبِيبِي، وَهذَا خَلِيلِي»

(نشيد الأنشاد ٥:١٦)

الصديق هو من أثمن البركات على الأرض. لا تتكلّم معي عن المال لأنَّ المحبّة، أفضل من الذهب؛ والإحسان أفضل من الأملاك والعقارات، ولأن الفقير حقاً هو من لا أصدقاء له! العالم الذي نحن فيه مليء بالأسى لأنه مليء بالخطيّة التي بسببها يتحول العالم إلى ظلمة داكنة وِحْشةٍ قاتلة ناهيك عن خيبات الأمل المتلاحقة. ومن هنا يبرز دور الصديق كشعاع الشمس الدافئ والباعث على الخير الجزيل. وقد قيل حقّاً أن الصداقة تُقلّل الأحزان وتضاعف الأفراح.

الصديق الوفي عُملة نادرة، لأنه ليس كأولئك الذين يأكلون ويشربون معنا في زمن الرخاء ويهربون من حولنا في زمن الضيق والعَوز. قليلون من يبادروننا المحبّة في زمن المرض والفاقة والعَوَز، وأقل من أولئك جميعاً الذين يهتمّون بأرواحنا. فهل أنت أيها القارئ العزيز بحاجة لصديق؟ أكتبُ لك موصياً باتّخاذ واحدٍ هذا اليوم موصوف في (أمثال ١٨:١٤) بقوله: «**مُحِبٌّ أَلْزَقُ مِنَ الأخ**». أعرف شخصاً يصونُ الصداقة زمن الحياة وحتّى الأبدية. فإذا كنت على استعداد لاستقباله؟ فإليك بعض صفاته!!

اعلم جيداً أنَّ الإنسان هو أحوج مخلوقات الله لأنه خاطي، وحالته هذه أسوأ من الفقر والجوع والعطش والبرد والمرض، لأنَّ الغفران وحده هو أكثر ما يحتاجه الخطاة نظراً لاستحالة الحصول عليه عبر المجهودات الفردية، فالغفران مرتبط بالخلاص من عذاب الضمير بالخطيّة والخوف من الموت العتيد! حيث لا قدرة على الحصول عليه ذاتياً. هنا تبرز الحاجة إلى الرّب يسوع المسيح الذي جاء إلى عالمنا لتخفيف الوطأة أي لخلاصِ الخطاة! وهذا هو الصديق الذي أريدك أنْ تتعرّف عليه. طوبى للعائلة التي يحتلُّ يسوع فيها مكان الصدارة! وطوبى للإنسان الذي له المسيح صديقاً على رأس قائمة الأصدقاء!!

من عظة بعنوان: «**أفضل صديق**»

عِظوا بصليب المسيح

«فَإِنَّ كَلِمَةَ الصَّلِيبِ عِنْدَ الْهَالِكِينَ جَهَالَةٌ، وَأَمَّا عِنْدَنَا نَحْنُ الْمُخَلَّصِينَ فَهِيَ قُوَّةُ اللهِ»

١(كورنثوس١: ١٨)

إنَّ تقدّم الكنيسة روحياً يستند على قاعدة عقيدة الصليب. لأنَّ لا كرامة لكنيسة لا ترفع عالياً يسوع المصلوب كمبدأ، لأن لا مبدأ آخر يعوض على ذلك حتّى وإنْ كانت باقي الترتيبات الدينيّة تُعمل بلياقة من ناحية الشعائر والموسيقى والجمهرة للعبادة مع فخامة الأبنية وثقافة الرعاة والالتفاف حول مائدة الرب وكثرة العطايا الماديّة لكي تُصرف على الفقراء. كلّ ما ذكرنا لا يحلّ محلّ عقيدة الصليب التي هي بلسم المكلومين وتعزيةَ القلوب الخائرة، واتضاع القلوب المتكبّرة، فخلاصة الصليب هي سرور القلوب وسبب فرحها!

كلّ العظات التي تغطّي أبواب التعليم كالمعمودية ومائدة الرّب ودروس التلمذة والصيام والشركة وكتابات الآباء الأولين، أقول ثانية: كلّ هذه لا تحلّ محل غياب المناداة بعقيدة صليب المسيح فهي التي تعزّي أكثر وتغذّي أكثر وتضاهي الموائد العامرة والأطباق الفاخرة التي لا نصيب للإنسان الجائع فيها. فالمسيح المصلوب يعلّمنا صنع الخير للآخرين. وتخسر الكنيسةُ سبب وجودها حالما تضع المسيح المصلوب في المؤخرة وكلّ ما عداه في المقدّمة. فمطلوب في المنابر أنْ يكون المسيح المصلوب على رأس المواضيع. وبدون ذلك تصبح الكنيسة جثة هامدة وبئر بلا ماء وتينة عقيمة بلا ثمر وحارسٌ نائم ومِزْمار أخرس ورسولٌ بلا شروط سلام، ومنارةٌ بلا نور وحجرُ عثرة لصغار المؤمنين وراحة لغير المؤمنين الحقيقيين ومرتع للشكلية الخارجية وفرح للشيطان، وتصير بهذه الخصائص إهانة لله!!

من عظة بعنوان: **«صليب المسيح»**

ابْنوا أحدكم الآخر

«لِذلِكَ عَزُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَابْنُوا أَحَدُكُمُ الآخَرَ، كَمَا تَفْعَلُونَ أَيْضًا»

(١تسالونيكي ٥:١١)

يطلب منا نحن المؤمنين أنْ نبذل جهداً خاصّاً لبناء بعضنا بعضاً! شيء لا يُصدّق ومحزن بآنٍ معاً أن نرى كيفية حديث الكتاب المقدس عن هذه المسألة المباركة ثمَّ ترى بالمقلب الآخر سلوك العديد ممن يسمون أنفسهم مسيحيين. والرسول بولس يطالب الأخوة في كورنثوس أنْ **«لاَ يَكُونَ انْشِقَاقٌ فِي الْجَسَدِ، بَلْ تَهْتَمُّ الأَعْضَاءُ اهْتِمَامًا وَاحِدًا بَعْضُهَا لِبَعْضٍ»**١(١كور ١٢:٢٥). ويزيد على ذلك فيقول للأخوة في تسالونيكي **«لِذلِكَ عَزُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَابْنُوا أَحَدُكُمُ الآخَرَ، كَمَا تَفْعَلُونَ أَيْضًا» (١تسالونيكي ٥:١١)** كما يقول بكلامه الموجّه للأخوة العبرانيين: **«بَلْ عِظُوا أَنْفُسَكُمْ كُلَّ يَوْمٍ، مَا دَامَ الْوَقْتُ يُدْعَى الْيَوْمَ، لِكَيْ لاَ يُقَسَّى أَحَدٌ مِنْكُمْ بِغُرُورِ الْخَطِيَّةِ»** (عبرانيين ٣:١٣)، ويستمّر بالقول لنفس الأخوة العبرانيين **«وَلْنُلاَحِظْ بَعْضُنَا بَعْضًا لِلتَّحْرِيضِ عَلَى الْمَحَبَّةِ وَالأَعْمَالِ الْحَسَنَةِ، غَيْرَ تَارِكِينَ اجْتِمَاعَنَا كَمَا لِقَوْمٍ عَادَةٌ، بَلْ وَاعِظِينَ بَعْضُنَا بَعْضًا، وَبِالأَكْثَرِ عَلَى قَدْرِ مَا تَرَوْنَ الْيَوْمَ يَقْرُبُ»**(عبرانيين ١٠: ٢٤-٢٥) فأخشى ما أخشاه يا أخوتي هو عجزنا في بلوغ، كمسيحيين من أبناء العهد الجديد، هذه الفكرة المباركة وتقصيرنا في تطبيقها، وعندها يكتنفنا الحزن عندما تُفقَدُ الرؤية تجاه بناءِ أحدنا الآخر وخصوصاً إذا كانت البيئة مناسبة لذلك. ونصير كالذين عجزوا عن وضع الصلاة والسيرة الورعة للقديسين والشركة الأخوية في مكانها الصحيح. هذا يقودنا إلى حالةٍ أردأ ويُبَاعدنا عن بعضنا البعض ويقودنا أيضاً إلى برودة وانكماش وتحفّظ وتراجع مقيت، لدرجة أنْ يرانا الآخرون خجلين من انتمائنا للمسيح وصامتين عن ذكر اسم المسيح على ألسنتنا. فلنظهر الكتاب المقدّس علناً في أثناء لقائنا بعضنا مع بعض، ولنفسح المجال لكلّ واحد منّا أن يُخْرج من الكتاب المقدس كنوزه جُدَداً وعتقاء إنْ كان قد فاتنا اكتشاف بعضها، وهكذا نتبادل فوائد الكلمة. لأنَّ للكلمة الإلهية هي خريطة الطريق التي نحن جميعاً سالكون فيها فلا يكون لكلّ واحد خريطته الخاصّة التي يحتفظ بها لنفسه. لانترك نور الكلمة ينْطفئ وسط احشائنا ونتهرّب من إعلانها! كلّ من يسعى لترويج القداسة للآخرين، يحصد مكافأة مباركة في نفسه. ومن يروي الآخرين هو نفسه يُروى أيضاً.

من عظة بعنوان: **«فكّر مليّاً بطرقك»**

حاجتنا للغفران

«أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الأَوْلاَدُ، لأَنَّهُ قَدْ غُفِرَتْ لَكُمُ الْخَطَايَا مِنْ أَجْلِ اسْمِهِ»

(١يوحنا ٢: ١٢)

يحتاج الناس جميعاً للغفران لأنهم كلّهم خطاة. ومن لا يدرك ذلك لا يفهم شيئاً في المجال الروحي والديني لأنها أبجدية الإيمان المسيحي والتي تسمح للمرء أنْ يعرف حقيقة مكانه الصحيح في نظر الله ويدرك مَوْطن ابتعاده عنه. نحن خطاة من العيار الثقيل. كما هو مكتوب «**أَنَّهُ لَيْسَ بَارٌّ وَلاَ وَاحِدٌ**» (رومية ٣:١٠). لأن «**الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللهِ**» (رومية ٣:٢١). خطاة وُلِدنا وخطاة نستمرّ طيلة حياتنا. ندخل العالم بالخطيّة إذْ لا داعي لأيّ أحد أنْ يدخل المدرسة كي يتعلم كيف يخطئ منذ نعومة أظفاره، فالقلوب هي من ترافق أصحابها نحو الخطيّة والشرّ. وبناءً على ذلك إمّا أنْ ننال الغفران أو نَهلك إلى الأبد «**لأَنَّ أُجْرَةَ الْخَطِيَّةِ هِيَ مَوْتٌ**» (رومية ٦:٢٣)، فإما أن يُغفرَ لنا أو نخسر الحياة الأبدية.

ولأننا تعدينا على ناموس الله وشريعته فإننا مذنبون أمام الله وتجاوزنا محظوراته ونواهيه ولم نفعل مشيئته الصالحة حتى إن الوصايا العشر لا تخلو واحدة منها من إدانة من يكْسرها أو يتعدّى عليها قولاً وفعلاً، وهذا ينسحب على الفكر والخيال أيضاً. وهكذا «**... يَصِيرَ كُلُّ الْعَالَمِ تَحْتَ قِصَاصٍ مِنَ اللهِ**» (رومية ٣:١٩) ومؤهّل للدينونة لأنّه «**وَكَمَا وُضِعَ لِلنَّاسِ أَنْ يَمُوتُوا مَرَّةً ثُمَّ بَعْدَ ذلِكَ الدَّيْنُونَةُ**» (عبرانيين ٩:٢٧)، فنحن أمام مفترق طرق، إمّا نوال الغفران أو الهلاك الأبدي.

عندما يسير أحدنا في إحدى المدن الرئيسية الكبرى في العالم لا يرى إلّا المئات بل الآلاف، لا يعرف عنهم شيئاً سوى المظهر الخارجي. فالبعض يَسْعى إلى المتعة والآخر يلاحق أعماله، والبعض يبدو غنيّاً والآخر فقيراً معدماً. البعض في سيارات فارهة والآخر يسعى راجلًا، فالكل له شأنه الخاص يريد تحقيقه. لكن ونحن عند إمعان النظر في هؤلاء جميعاً على اختلاف مشاربهم علينا أنْ نتذكّر أنهم خطاة وأنهم بحاجة لغفران المسيح ولا يجوز أنْ يغادروا الحياة رجالاً كانوا أمْ نساء إلّا وقد حصلوا على الغفران لئلا تكون خسارتهم في اليوم الأخير خسارة أبدية.

من عظة بعنوان: «**الغفران**»

المسيحية الرخوة

«لأَنَّهُ سَيَكُونُ وَقْتٌ لاَ يَحْتَمِلُونَ فِيهِ التَّعْلِيمَ الصَّحِيحَ، بَلْ حَسَبَ شَهَوَاتِهِمُ الْخَاصَّةِ يَجْمَعُونَ لَهُمْ مُعَلِّمِينَ مُسْتَحِكَّةً مَسَامِعُهُمْ»

(٢ تيموثاوس ٤: ٣)

إنَّ النفور الشائع بين الناس في هذه الأيام من عقيدة الإيمان ينطوي على تبعات. فسواء كنا نرغب بالقبول أم لا، فهي شبيهة بالوباء الخطير الذي يتبعه ضررٌ كبير، وهذا يدفعني لأن اسمَي هذه الحالة: المسيحية الرخوة واستمّد ذلك من بعض الرخويات المائية التي ليس لها عظام ولا عضلات ولا أعصاب، والتي أصنّفها في دائرة الغافل عن مبدأ الكفارة وعمل الروح والتبرير وطريق السلام مع الله، مسيحية ضبابيّة يلفّها الغموض وتتبع الفلسفة الدارجة التي تقدم على أساس القول: «كنْ حراً مُنْفتحاً لطيفاً دون الحكم على الآخرين في آرائهم وتقبَّل الجميع كما هم وأنَّ الكلَّ على صواب وما من أحد مخطئ!!»

لِعِلْمكم، إنَّ الرخويات البحرية، لمن له دراية بشواطئ البحار، جميلة المنظر وناعمة وشفافة ورقيقة، لكنها ضعيفة عاجزة، فعندما تطفو على سطح المياه تنْقبض وتتمدّد بحركة بطيئة؛ فإذا صارت على الشط تحوّلت إلى كتلة عاجزة تماماً لا قدرة لها على الحركة والدفاع عن النفس ولا حتى الاحتفاظ بالنفس. يا للخسارة! إنها صوّرة معبّرة عن الكثير من المتديّنين في أيامنا الذين شعارهم: «لا مبدأ ولا قيَم ولا عقيدة واضحة». المئات منْهم مع الأسف رعاة كنائس، إنهم كالرخويات لا عظم لهم من جهة علاقتهم بالله حيث لا آراء لهم في معتقداتهم ولا انتماء لهم لأية مدرسة في العقيدة القويمة، يخافون جداً من الآراء «المتطرفة» وليس لهم آراء البتة. فلدينا الآلاف من العظات الهلامية تلقى على المنابر هنا وهناك بلا حدود مرسومة ولا نقاط فارقة بل هي ملساء ككرة البلياردو تُقْذف هنا وهناك فلا توقظ الخطاة ولا تبني المؤمنين.

رعاة تتقاذفهم رياح التعليم هنا وهناك. وغالباً ما تراهم محمولون بعيداً على أجنحة أية حركة جديدة من الإثارة والحسية، وهم بكامل الجاهزية لاتباع كلّ أمر جديد لأنَّ ليس لهم تمسك وإدراك حقائق الأسفار المقدسة القديمة العهد.

من عظة بعنوان: «**المسيحية الرخوة**»

اليقين يقود إلى الأمانة

«وَاثِقًا بِهذَا عَيْنِهِ أَنَّ الَّذِي ابْتَدَأَ فِيكُمْ عَمَلاً صَالِحًا يُكَمِّلُ إِلَى يَوْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ»

(فيلبي ١: ٦)

عموماً نقول، فقط أولئك الذين يتمتعون بالثقة المطلقة بالدخول المجّاني إلى السماء يتميزون عن كلِّ من سواهم. هذه فكرة صحيحة ورائعة، لأنَّ المؤمن الذي يُعْوزه الرجاء الحيّ يمضي أغلب وقته باحثاً عن حاله القلبية الداخلية كي يتخلّص من الشكوك والتساؤلات التي تسطير عليه، وكذلك التخلّص من الصراعات والفساد الموروث. بالمختصر، القلب مأخوذ إلى حرب داخلية مستعرة لا تترك له أيَّة فسحة للراحة، وأقلّ منها فرصة لخدمة الله.

بالمقابل، إنَّ المؤمن الذي يمتلك رجاءً مماثلاً لرجاء الرسول بولس يبدو مُرْتاحاً من الإزعاجات التي تشتّت القدرات. ولم يكن يُزعج نفسه بشكوك تتعلّق بالغفران والقبول من المسيح لأنَّ المسألة مفروغ منها بسبب درايته بالعهد الذي أنجزه يسوع بالدم الذي اخْتُتم بنجاح باهر لا يُقاطعه أيّ أمر، لأن كلمة المسيح قاطعة وماسحة لكلِّ حسابات تتعلق بتمام وكمال الخلاص. شخصية كهذه تتماسك فيها القدرة على إيلاء عمل المسيح انتباهاً خاصاً مع تطلّعٍ نحو عمل مستقبلي مثمر على المدى البعيد.

إنَّ المؤمن الذي اشتراه المسيح بثمنٍ باهظٍ ناجحٌ في كلِّ عمل يؤدّيه لأنَّ فرح الرب مصدر قوّته، هكذا كانت طلبة الملك داود إذْ قال: «**رُدَّ لِي بَهْجَةَ خَلاَصِكَ ... فَأُعَلِّمَ الأَثَمَةَ طُرُقَكَ، وَالْخُطَاةُ إِلَيْكَ يَرْجِعُونَ**» (مزمور ٥١: ١٢-١٣). لقد فاق رسل المسيح كلَّ خادم آخر لأنَّ حياتهم المكرّسة خُصّصت للخدمة فقط فصارت طعامهم وشرابهم، ولم يحسبوا أنفسهم ثمينة عندهم. أَنفَقوا وأُنفِقوا ولم يراعوا كثيراً الصّحة والسلامة والراحة الدنيوية، بل طرحوا كلَّ شيء عند قاعدة الصليب. فباعتقادي إنَّ السبب الوحيد لهذا التكريس هو امتلاك الرجاء الضامن الحيّ. كانوا رجالاً شعارهم وقولهم هو «نحن لله فقط دون سواه!».

من عظة بعنوان: «**اليقين**»

أمور هذا العالم

«وَأَمَّا الصَّبْرُ فَلْيَكُنْ لَهُ عَمَلٌ تَامٌّ، لِكَيْ تَكُونُوا تَامِّينَ وَكَامِلِينَ غَيْرَ نَاقِصِينَ فِي شَيْءٍ»

(يعقوب ٤: ٤)

ماذا عساني أقول عن أمور هذا العالم التي يراها الناس ثمينة: كالمال والبيوت والأراضي واللباس والطعام اللذيذ والشراب الممتع والثقافة والكرامات والألقاب والمتع والتسلية وما شابه ذلك؟ أقول من كلّ هذا أحبائي شيئين:

الأول، صدقوني أنها بلا قيمة! رغم أنها قد تكون صالحة للاستعمال لأنها كما يقول الكتاب المقدس: «**لأَنَّ كُلَّ خَلِيقَةِ اللهِ جَيِّدَةٌ، وَلاَ يُرْفَضُ شَيْءٌ إِذَا أُخِذَ مَعَ الشُّكْرِ، لأَنَّهُ يُقَدَّسُ بِكَلِمَةِ اللهِ وَالصَّلاَةِ**». (١تيموثاوس ٤:٤). لكن ما أقصده أنا هنا هو إنْ كنتم تعتقدون أنَّ هذه الأشياء تقدر بحد ذاتها أنْ تقدّم لكم السعادة الحقيقية، فإنكّم بلا شك في شقاوة كبيرة وخديعة أكبر. فإنْ كان أحدٌ من الرعية غير متجدد قد استطاع امتلاك كلّ ما يريد من الخيرات الأرضية فسرعان ما سيكتشف بعد برهة وجيزة أنه ليس أسعد حالاً ممّا كان سابقاً!

ثانياً أقول إنَّ كلَّ أمور ومقتنيات العالم زائلة بكل تأكيد! وهذا يا أحبائي لا يحتاج إلى برهان أبداً لأنك لابدّ وأنْ تكون قد تحققّت شخصياً أنَّ كلّ ما ذكرته سابقاً صحيح ولا يحتاج إلى برهان، ولا يدوم بحالٍ من الأحوال، كلُّ شيء عُرْضة للخسارة كالمال والأملاك والصّحة والأصدقاء فحذارِ أنْ تُقيم عهداً مع الهاوية. لأننا نحن أنفسنا عُرْضة للموت دون سابق إنْذار ومنه مباشرة إلى نهاية مريرة.

قال أيوب: «**اَلإِنْسَانُ مَوْلُودُ الْمَرْأَةِ، قَلِيلُ الأَيَّامِ وَشَبْعَانُ تَعَبًا. ٢يَخْرُجُ كَالزَّهْرِ ثُمَّ يَنْحَسِمُ وَيَبْرَحُ كَالظِّلِّ وَلاَ يَقِفُ**» (أيوب ١٤: ١-٢). ثم يردف أيوب ويقول أيضاً: «**لأَنَّ لِلشَّجَرَةِ رَجَاءً. إِنْ قُطِعَتْ تُخْلِفْ أَيْضًا وَلاَ تُعْدَمُ خَرَاعِيبُهَا... أَمَّا الرَّجُلُ فَيَمُوتُ وَيَبْلَى. الإِنْسَانُ يُسْلِمُ الرُّوحَ، فَأَيْنَ هُوَ؟**» (أيوب ١٤: ٧ و١٠). هذا هو العالم في واقع الأمر الذي يقول عنه الرسول يوحنا «**وَالْعَالَمُ يَمْضِي وَشَهْوَتُهُ، وَأَمَّا الَّذِي يَصْنَعُ مَشِيئَةَ اللهِ فَيَثْبُتُ إِلَى الأَبَدِ**» (١يوحنا ٢:١٧).

من عظة بعنوان: «**الربح والخسارة**».

المرض

«وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ، الَّذِينَ هُمْ مَدْعُوُّونَ حَسَبَ قَصْدِهِ»

(رومية ٨: ٢٨)

ألفت عناية القرّاء إلى موضوع المرض إذْ يشكّل موضوعاً نطرقه بين الحين والآخر في مواجهة ملحّة معه لأنّه لا مجال للتهرّب منه. لا نحتاج للتنبؤات حول مداهمة المرض لأيٍّ واحد منا في يوم من الأيام، وقد يُرافقه الموت في خِضمّ الحياة. لنتأمل في موضوع المرض إذا أصاب أحداً منّا نحن المؤمنين. طبعاً تناول هذا الموضوع لا يسرّع حضوره لكننا ببركة الرب نتعلّم بعض الحكمة منه!

المرض حاضر في كل قارّات العالم، في البلاد الحارّة كما في البلاد الباردة. في البلدان المتقدمة كما في البلدان النامية وحتى في القبائل وسط الغابات حيث يزحف المرض إلى كلّ الأعمار ويزحف الموت معه! فالمرض مُشترَك بين كلّ فئات المجتمع. ونحن كمؤمنين رغم النعمة فإنّ الطبيعة القديمة من آدم تمرض كسائر الناس لأنَّ استشراء المرض عالمياً موصوف في الكتاب المقدّس الذي هو حقٌ وصدقٌ ويُجيبُ على كلّ أسئلةٍ تتبادر إلى الذهن بخصوصه، لهذا ينْفرد الكتاب المقدّس عنْ سائر الكتب التي لا تفسير عندها بل تبدو حياله صامتة وحائرة؛ أمّا الكتاب المقدس فيعود إلى الطبيعة الساقطة عند الإنسان ويواجه مشكلة المرض وجهاً لوجه مقابل منظومة الشفاء التي تسدّد الاحتياجات كافّة.

والآن كيف نواجه استشراء المرض كحقيقة واضحة؟ وما هي التفسيرات والاعتبارات عندنا من نحوه؟ أنا شخصياً يكفيني جواب الكتاب المقدس الذي يشرح الأمر عندما يقول إنَّ الخطيّة أنْزَلت الإنسان من عرش السعادة والصحة والعافية وجرّدته من كلّ الامتيازات التي كانت له قبل السقوط! ماذا فعلت الخطيّة؟ يقول في (رومية ٥:١٢) «**دَخَلَتِ الْخَطِيَّةُ إِلَى الْعَالَمِ، وَبِالْخَطِيَّةِ الْمَوْتُ**» فهي أساس المرض والألم والمعاناة المُنْتشرة في العالم أجْمع لأنها جزءٌ من اللعنة التي جلبها تعدّي آدم وحواء وعصيانهما في الفردوس عندما أكلا من الثمرة المحرّمة. لولا السقوط لما كان المرض، ولولا الخطيّة لما كان المرض!

من عظة بعنوان: «**المرض**».

وسائط التجديد

«إِذًا الإِيمَانُ بِالْخَبَرِ، وَالْخَبَرُ بِكَلِمَةِ اللهِ»

(رومية ١٠:١٧)

إنَّ الوعظ بالكلمة الإلهية هو وسيلة عظيمة حدّدها الله للتجديد والولادة الثانية إذ يقول حسبما نقرأ في (رومية ١٠:١٧) «**إِذًا الإِيمَانُ بِالْخَبَرِ، وَالْخَبَرُ بِكَلِمَةِ اللهِ**». ويُقاس التجديد بكل وضوح مرئي عبر تأثيراته العمليّة والتطبيقية في حياة الواحد منا. قد تكون بداياته غير مرئية كما قال ربنا يسوع بكلِ وضوح «**اَلرِّيحُ تَهُبُّ حَيْثُ تَشَاءُ، وَتَسْمَعُ صَوْتَهَا، لكِنَّكَ لاَ تَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ تَأْتِي وَلاَ إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ. هكَذَا كُلُّ مَنْ وُلِدَ مِنَ الرُّوحِ**» (يوحنا ٣:٨). هذا التجديد لا يُكتسب بمجهود فردي ولا يُمنح لأحد آخر. فلا يعقل أنْ ننتظر من الأموات أنْ يُقيموا أنفسهم أو أنْ يمنح فنانٌ روحاً لتمثالٍ منحوت. إنَّ أولاد الله قد «... **وُلِدُوا لَيْسَ مِنْ دَمٍ، وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ جَسَدٍ، وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ رَجُل، بَلْ مِنَ اللهِ**» (يوحنا ١:١٣). وأحياناً تُنسب الولادة الثانية لله الآب. «**مُبَارَكٌ اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي حَسَبَ رَحْمَتِهِ الْكَثِيرَةِ وَلَدَنَا ثَانِيَةً لِرَجَاءٍ حَيٍّ، بِقِيَامَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مِنَ الأَمْوَاتِ،**» (١بطرس ١:٣)

فهل هناك من سبيل لكي نعرف حقاً أنّنا مولودين ثانية؟ لا بدّ وأنْ نبدأ بامتحان أنفسنا عمّا نعرفه من مظاهر واضحة للتجديد لأنها مظاهر دائمة ومتشابهة. ولئن كان المسار الذي يعبر فيه المؤمنون متفاوتاً ومتبايناً، فإنَّ الحال التي تصل إلى القلب وتصل إليها النفس هي نفسها بالمحصّلة. فيقدَّم الامتحان على سؤال النفس عن: الخطية، والمسيح، والقداسة، والعالم، والكتاب المقدس، والصلاة، وستجد أنَّ هذه موحّدة في ذهن أصحاب الاختبار في الولادة الثانية!!

من عظة بعنوان: «**التجديد**»

الخروج من الضيقة العظيمة

«فَقُلْتُ لَهُ: «يَا سَيِّدِ، أَنْتَ تَعْلَمُ». فَقَالَ لِي: «هؤُلاَءِ هُمُ الَّذِينَ أَتَوْا مِنَ الضِّيقَةِ الْعَظِيمَةِ، وَقَدْ غَسَّلُوا ثِيَابَهُمْ وَبَيَّضُوا ثِيَابَهُمْ فِي دَمِ الْخَرُوفِ مِنْ أَجْلِ ذلِكَ هُمْ أَمَامَ عَرْشِ اللهِ، وَيَخْدِمُونَهُ نَهَارًا وَلَيْلاً فِي هَيْكَلِهِ، وَالْجَالِسُ عَلَى الْعَرْشِ يَحِلُّ فَوْقَهُمْ. لَنْ يَجُوعُوا بَعْدُ، وَلَنْ يَعْطَشُوا بَعْدُ، وَلاَ تَقَعُ عَلَيْهِمِ الشَّمْسُ وَلاَ شَيْءٌ مِنَ الْحَرِّ»

(رؤيا ٧: ١٤-١٦)

هكذا هم الذين خرجوا من العالم المليء بالخطيّة والخطر. عالم يضعهم في مواجهة دائمة مع الأذى الذي فيه والذي يستهدف النفوس والذي يستحقّ أن نسمّيه مكان الضيقة العظيمة. ما أغرب التواجد في مكان كهذا! ولو بَدتْ الأرضُ دار هناءٍ ومودّة مليئة بكلّ وسائل الراحة والرفاهية. يتعلّق الناس بها وينْسَوْن أنّهم راحلون عنها إلى عالم آخر، فهي في واقع الأمر بريّة فاصلة مليئة بالتجارب والصعاب لكلّ مؤمن حقيقي. ضع هذا الكلام في ذاكرتك الحيّة. لأنك إنْ صمّمتَ أنْ تَتْبع المسيح وتطلب خلاص نفسك فإنك عاجلاً أم آجلاً ستَعبر الضيقة التي تحدثنا عنها!

إخوتي، لماذا تبدو الأمور هكذا؟ لا بأس؛ العالم الذي تعيشون فيه هو عالم ساقط والشرّير سلطان عليه، وقد استسلم له الناس رجالاً ونساءً وأغمضوا العيون، وصاروا تحت تصرّفه مباشرة. ولكن حالما يأتي أحدنا إلى المسيح، يرى مباشرة أنه محاطٌ بالآثام والشرور من كلّ جانب. ويرى ناموس وشريعة الرّب مهملة تحت الأقدام حيثُ تغلّف الظُلمة الروحيّة حياتهم كأموات بالخطايا فاقدي الإحساس. وقد يكون لهم صورةُ التقوى وهم منكرون قوتها. فاذا كنت ممّن يحبّون الرّب يسوع بإخلاص، وتتوق لرؤية الفادي، فانظر إلى العالم بازدراء ولا ترى في العالم أكثر من مكان البلاء والضيق!!

من عظة بعنوان: «**دم الحمل**»

أهمية العبادة العامّة

«وَبَاطِلاً يَعْبُدُونَنِي وَهُمْ يُعَلِّمُونَ تَعَالِيمَ هِيَ وَصَايَا النَّاسِ»

(متى ١٥: ٩)

كانت العبادة العامة وما زالت علامة واضحة لشعب الرب وخدّامه.

وباعتبار أنَّ الإنسان كائن اجتماعي بشكلٍ عام، ولا يُحبّ العزْلة عن محيطه وأقرانه وعبر العصور، شجّع الرّب هذه الخُصْلة لدى الناس وحثّ شعبه على العبادة العامّة كما العبادة الفردية بطبيعة الحال. وأنا أعتقد أنه في الأيام الأخيرة مادام هناك شعبٌ يعبد الله، فإن الله يريد أنْ يراه جماعةً متآلفة من الخدّام حتى ولو كان ضئيلاً. لكن يكفي أنْ يتنادون للقاء تعبّدي جماعيّ للقاء أبيهم السماوي كجماعة متحابّة. لقد طُلب من الكنيسة أنْ تعمل هذا لعدة أسباب حكيمة. فمن جهة لتقديم شهادةٍ للعالم، ومن جهة أخرى تقوية وإسْعاد ودعم وتشجيع وإراحة بعضهم بعضاً، مع الإشارة الخاصة لتدريبهم على الجاهزية للقاء العام في السماء. «**الْحَدِيدُ بِالْحَدِيدِ يُحَدَّدُ، وَالإِنْسَانُ يُحَدِّدُ وَجْهَ صَاحِبِهِ**» (أمثال ٢٧: ١٧). فالإنسان يعرف القليل، لكن حالما تعمل الجماعة اعترافها وإيمانها وتؤدي عبادَتها سويةً، فإنَّ ذلك يشجع ويؤازر نفوس المؤمنين.

وهذا ما يتحدث عنه العهد الجديد بأكمله لأنَّ يسوع نفسه أعطى وعداً بحضوره شخصياً لدى اجتماع إثنين أو ثلاثة باسمه. كما أنَّ الرسل والتلاميذ علّموا في كلّ كنيسة تأسست حديثاً أنْ تكون العبادة العامة من أوائل المبادئ الواجب اتباعها: «**غَيْرَ تَارِكِينَ اجْتِمَاعَنَا كَمَا لِقَوْمٍ عَادَةٌ**» (عبرانيين ١٠: ٢٥). هذه العادة الحميدة القديمة تتجدّد مع الأيام وهي مناسبة لكلّ زمان ومكان دون التقليل من قيمة العبادة الفردية. إلّا أنه بشكل عام صار معروفاً أنه حيث لا جماعة واحدة في عبادة جماعية كأنه لا كنيسة لله منظورة تؤدي شهادتها المسيحية في المجتمع.

من عظة بعنوان: «**العبادة**»

مئة ألف خطيّة

«ثَبِّتْ خُطُوَاتِي فِي كَلِمَتِكَ، وَلاَ يَتَسَلَّطْ عَلَيَّ إِثْمٌ»

(مزمور ١١٩:١٣٣)

أقول بجسارة وبدون تردّد. لا أعرف من أنت ولا كيف أمْضَيْت السنين السابقة من عمرك. لكن أعرف من كلمة الله أنَّ كلّ أبناء وبنات آدم، بدون استثناء، خطاة في نظر الله!! لأن الخطيّة هي المرض المشترك بين بني البشر كافة أينما كانوا على وجه الأرض. من الملك على عرشه نزولاً إلى أفقر الناس على قارعة الطريق. من أثرى رجال الأعمال في قصره إلى أفقر العمال في كوخه. من أرقى سيدة ثريّة في حجرتها إلى أفقر خادمة متواضعة. من أكثر رجال الدين بلاغةً وفصاحةً إلى أصغر طفل في مدرسة الأحد. كلّنا بالطبيعة ولدنا خطاة وآثمين ومُذنبين في نظر الله.

خُذْ ورقة بيضاء وسجِّل كلّ خطيّه اقترفتها منذ وعيت في الدنيا على معرفة الخير والشرّ. اعمل جردة حساب حول ذلك مُفْترضاً أنّك في كلّ يوم من أصل أربع وعشرين ساعة كنتَ واعياً فيه على الأقل لمدة خمس عشرة ساعة مسؤولاً فيها عن تصرفاتك وسلوكك. وتخيَّل أنك ترتكب فقط خطيتين بالساعة، خلال الخمس عشرة ساعة التي تحدثنا عنها. حتماً لن تعترض على هذا الطلب أو تعتبره غير منصف! علماً أنَّ الخطيّة قد تكون بالفعل أو بالفكر أو بالقول. وأضفْ الخطايا إلى عدد أيام السنة ثم إلى عمرك الحالي وانظر المحصّلة!! بحساباتي أنت أخطأت ثلاثين خطيّة في كلِّ يوم، ومئتين وعشر خطايا في الأسبوع وثمانمئة وأربعين خطيّة في الشهر وعشرة آلاف وثمانين خطيّة في كلِّ سنة. فإذا قبلنا بهذا الحساب ولم نذهب أبعد من ذلك في حسابنا، فإنك تُخْطئ مئة ألف خطيّة كلّ عشر سنين بأقلّ تعديل!

من عظة بعنوان: «**أين خطاياك**»

طريق السلام

«لِيُعْرِضْ عَنِ الشَّرِّ وَيَصْنَعِ الْخَيْرَ، لِيَطْلُبِ السَّلاَمَ وَيَجِدَّ فِي أَثَرِهِ»

(١ بطرس ٣: ١١)

أتريدُ السلام؟ إذاً اسْعَ نحوه من مصدره الوحيد الذي هو الرب يسوع المسيح. صلِّ بتواضع واطلب منه الوفاء بوعده وأن ينظر بنعمته إلى نفسك التائقة. أخبره بأنك قرأت دعوته الصريحة لأولئك «**المتعبين والثقيلي الأحمال**» وأخبره أنّ آفة نفسك هي التعب وتوسّل إليه لِمَنْحك الراحة ولا تتأخّر في الطلب. طبعاً طلبك عند يسوع المسيح وبالمباشر نحوه لا تبدّد الجهد عبر قناعات سطحية كحضور العبادات والصلوات وإقامة الفرائض والشعائر ومنها المواظبة على الاشتراك بمائدة الرب. إذا فعلت هكذا، لن تصل إلى السلام. بل يجب حضورك أمام عرش الملك وملامسة صولجانه بالصلاة، وأيضاً اتّخاذ وضْعية المريض طالب الشفاء من طبيب النفوس أو اتخاذ وضعية المُدان طالب الإنصاف من محامي النفوس.

أيضاً المطلوب منك فقط انتظار جوابه وأنت في حال التوبة والندامة مع تنامي معرفتك به بتواضع الآسف على آثامه مع زوال كلِّ الشكوك المظلمة وعدم الإيمان من داخل قلبك. تعال إليه كما أنت! لأنك إن بقيت بعيداً عنه لن تكون حالتك أفضل. بكل أسف، إن الكبرياء والجهل أهم عاملين مانعيْن من الاقتراب منه واستبدلهما بالتواضع على قاعدة أن الساعي اللجوج أوْفر حظّاً في نوال مطلبه. وبالمقابل، إن الأكثر تقاعساً في سعيه هو الأكثر بعداً وخسارة من الفوائد التي في المسيح.

تعال إلى المسيح ولا تخدعك نفسك بكفاية بقائك حيث أنت، لأن الشيطان بألاعيبه يقنعك أن تبقي في حالة الركود السلبي تجاه دعوة الرب أو حتى يظهره لك بعيداً عنك. لكن بالحقيقة هو قريب والفائدة في الإسراع في المجيء إليه دون تلكؤ أفضل من أن تجلس مكتوف اليدين في مستنقع الخطيّة وعدم الإيمان.

من عظة بعنوان: «**التبرير**».

بات اليوم قريباً

«قَدْ تَنَاهَى اللَّيْلُ وَتَقَارَبَ النَّهَارُ،
فَلْنَخْلَعْ أَعْمَالَ الظُّلْمَةِ وَنَلْبَسْ أَسْلِحَةَ النُّورِ»

(رومية ١٣: ١٢)

تأتي أيام على المؤمنين حيث تحلُّ السعادة والسرور محلَّ الأنين والحزن اللذين يهْربان لأنَّ كلّ دمعة ستُمسح وكلّ صليب في المعاناة يوضع جانباً وكلّ قلق يُزَال وكلّ كأس مريرة تنتفي والتي تتخذ أشكالاً متعدّدة: كالاضطهاد والتجربة والمرض والحزن والفرح والافتراق، وفي آخر المطاف يداهم الموت! والبديل عن كّل ذلك هو شمّس البّر الساطعة في يوم لقاء كلّ أفراد عائلة الرب! تلتقي سويةً معه بعد قيامة بجسد مجيد إذْ كان سابقاً جسداً ترابياً. بهذه القيامة أو اليقظة الأبدية المُنْعشة والمقوّية الجميلة التي لا تُقَاس عندما زُرع الجسد بهوانٍ وضعفٍ وعجزٍ؛ فإذا به الآن خال من العيوب والتجاعيد كافة. لا فراق ولا تباعد بل لقاء بيوم أبدي سعيد!

سيأتي يومٌ عندما ينظرُ المؤمنون وجهاً لوجه سيّدهم وليس عبر مرآةٍ أو لُغْزٍ! سينظروا كما نُظِرَ إليهم ويشاهدوا كما شوهدوا! تتوّقف الخصومات والمشاحنات والمسائل الدنيوية الخارجية وتحلُّ محلها الحقائق الأبدية وأهمّها مخلّصهم المصلوب الذي قهر الموت بمشهد يلغي ضرورة الإيمان لأنهم يرونه عياناً. والمؤمنون أنفسهم يَرَوْن أنفسهم وقد زال عنهم الفساد وسوء الظنّ والفهم عن دوافع كلّ واحد منهم وتصرفاته!

يا له من يوم جميل! اليومُ البديعُ أمامكم ولو بدا لكم الآن كأنكم تسيرون في طريق مظلم خالٍ من النور حافلٍ بالصراعات مع العالم والجسد والشرير كما تبدو لك الغلبة مستحيلة وأنك ستخور في الطريق في أية لحظة لأن الجسد والقلب يخوران بسرعة بسبب التجارب المتلاحقة المزعجة الهادفة إلى بلوغ اليأس والقنوط، لكن لا بأس! أليس الزمن الآتي بفَجْره الساطع الجميل كفيلٌ بتبديد كل المخاوف واستبدالها بالرجاء المبارك؟

من عظة بعنوان: «**الأحداث القادمة والواجبات في الحاضر**».

ضرورة امتلاك مبدأ وعقيدة

«لِهَذَا السَّبَبِ أَحْتَمِلُ هذِهِ الأُمُورَ أَيْضًا. لكِنَّنِي لَسْتُ أَخْجَلُ، لأَنَّنِي عَالِمٌ بِمَنْ آمَنْتُ،
وَمُوقِنٌ أَنَّهُ قَادِرٌ أَنْ يَحْفَظَ وَدِيعَتِي إِلَى ذلِكَ الْيَوْمِ»

(٢ تيموثاوس ١: ١٢)

تعني العقيدة ويعني المبدأ امتلاك حقّ مؤكّد ومحدّد، هذا بكلِّ بساطة! ولم يعد الأمر مثار بحث وهو أصلاً قد بلغ نهايته التي باتت مقبولة من الجميع على أساس: حيثما وجُدت حقيقة راسخة غير متنازع عليها وُجدت بجانبها بالضرورة عقيدة أو مبدأ. فالمطلوب من الرعاة التحدّث عنّها من باب الكفاءة العقائدية المُكْتسبة. وهم الذين لا داعي أنْ يسألوا كما سأل بيلاطس: ما هو الحقّ؟ وأن يكون جوابهم مُحْكماً بلا تردّد. وبالمختصر؛ إذا أراد الرعاة أن يكونوا خدّام عهدً جديد، فينبغي أن يعلموا عقيدة هذا العهد الجديد.

إنَّ عقيدة هذا العهد الجديد في أيام الرسل هي التي أفْرغَت المعابد الوثنيّة وهدّت حضارة الرومان واليونان وأيقظت العالم نحو مبدأ صار الواجهة الواضحة للعالم المسيحي الذي تابع سيره حتى بلغ عصر الإصلاح الإنجيلي الناجح وجرّد الكنيسة الإسميّة السطحيّة من ثلث أتباعها في زمنٍ وجيز. هو نفس المبدأ الذي بتعليمه القديم أنعش كنيسة بريطانيا بنهضة مباركة في أيام وعلى يد رجال الله المصلحين وايتفيلد، ويسلي، فين، وورومين، ونسف الكنيسة المائتة واستعادها من رمادٍ إلى نور لهيب مبارك. تعليم العهد الجديد وحده يُثْمر ويقوّي ويُنجح كلَّ بعثة تبشيرية ناجحة في بلداتنا وفي باقي بلدان العالم بشكلها العقائدي الواضح جدّاً الذي يقرع جرس الإنذار للعودة إلى الإله الحقّ. كما يُفتح بالسوق أيام أبواق أريحا إذْ انهارت أسوار الخطيّة والشّر. فلنتابع سيرنا معلمين فقط نفس المبدأ ونفس العقيدة وبذلك يعمُّ الخير الروحي فينا وفي الآخرين وفي بلداننا والبلدان المجاورة لأجل قضية الإيمان بالمسيح للعالم أجمع.

من عظة بعنوان: «**أهمية العقيدة والمبدأ**».

انتبهوا من عبادة الأصنام

«لِذلِكَ يَا أَحِبَّائِي اهْرُبُوا مِنْ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ»

(١كورنثوس١٠: ١٤)

عبادة الأصنام خطيّة لا يستهان بها ويلزمنا بل واجبٌ علينا الانتباه دائماً نحوها مع الصلاة ضدها لمقاومتها. تزحف عبادة الأصنام خِفْيةً إلى طرائق العبادة دون الانتباه إليها حتى تصير أمراً واقعاً. ولقد حذرنا الله منها ووبّخ الذين يمارسونها حتى أنه خصّص لها وصية في شريعة موسى من مُجْمل الوصايا العشر. وهذه الوصية تنفرد بذكر صفة من صفات الله العظمى مع دينونته على الّذين يعصون الله بها **«لاَ تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلاَ تَعْبُدْهُنَّ، لأَنِّي أَنَا الرَّبَّ إِلهَكَ إِلهٌ غَيُورٌ، أَفْتَقِدُ ذُنُوبَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ مِنْ مُبْغِضِيَّ»** (خروج ٢٠: ٥) وهي الوصية الوحيدة المكررة أكثر من أية وصية أخرى مع التركيز على جسامتها وخصوصاً في الأصحاح الرابع عشر من سفر التثنية.

فالوثنية إذاً هي الخطيّة الأكثر ممارسةً التي تورّط بها بنو إسرائيل سيّما بعد دمار هيكل سليمان. وما تاريخ بني اسرائيل في زمن القضاة والملوك الّا سجلٌ مُحزن من السقطات المتكررة في العبادة الوثنية؟ وكم نقرأ مراراً وتكراراً عن مرتفعات مخصّصة لآلهةٍ كاذبة، حتى إنَّ المسبّب الرئيس للسبي والعقوبات الإلهية الكثيرة كان مرَدُّها إلى هذه الخطيّة السيئة، وتوصف دائماً بأنها عودة إلى الماضي. وكأن عبادة الأصنام صارت لبني إسرائيل من لَحْمهم ودمهم، سكنت معهم وحلّت بينهم! لذلك نراهم يستخفّون بالفرائض الإلهية والشعائر المقدسة ويميلون نحو عبادة الأصنام التي صنعها الإنسان بيده.

لا تدعوا هذه القضية تبرح من ذاكرتنا لأنّ كنيسة المسيح مدعوة إلى أن تحافظ على نقائها ومراجعة العقائد والتعاليم من حين لآخر وإلا لما كان في الأمر ضرورة لبولس الرسول لأن يطرح ذلك الأمر الصارم بقوله: **«اهْرُبُوا مِنْ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ» (١كورنثوس١٠: ١٤).**

من عظة بعنوان: **«الأحداث القادمة والواجبات الحاضرة».**

المسيحون الغياري

«حَسَنَةٌ هِيَ الْغَيْرَةُ فِي الْحُسْنَى كُلَّ حِينٍ، وَلَيْسَ حِينَ حُضُورِي عِنْدَكُمْ فَقَطْ»

(غلاطية ٤: ١٨)

الغيرة موضوع ينطوي على حماس ديني كغيرها من المواضيع التي يُساء فهمها بكلّ أسف لأن الكثيرين يخجلون من أن ينظر الناس إليهم كغيارى على إيمانهم المسيحي. كثيرون يتبنون رأي الوالي فستوس الذي قال للرسول بولس عندما رأى غيرته: **«أَنْتَ تَهْذِي يَا بُولُسُ! الْكُتُبُ الْكَثِيرَةُ تُحَوِّلُكَ إِلَى الْهَذَيَانِ!»** (أعمال ٢٦: ٢٤). فالغيرة موضوع كتابي لا يحق لأي قارئ للكتاب المقدّس أن يتجاوزه إذا كان يعتبر الكتاب المقدس منهجاً للإيمان والممارسة – إذْ لا نستطيع التهرّب منه؛ بل يتوّجب مواجهته بإمعان! فماذا قال الرسول بولس لتلميذه تيطس بهذا الخصوص: **«الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا، لِكَيْ يَفْدِيَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ، وَيُطَهِّرَ لِنَفْسِهِ شَعْبًا خَاصًّا غَيُورًا فِي أَعْمَالٍ حَسَنَةٍ»** (تيطس ٢:١٤). وماذا قال الرّب يسوع لكنيسة اللاودكيين **«... فَكُنْ غَيُورًا وَتُبْ»** (رؤيا ٣: ١٩).

إذاً، صار واضحاً أن الغيرة في المسيحية تعنى رغبة متأجّجة لإرضاء الله وعمل مشيئته وإبراز مجده في العالم بكل وسيلة ممكنة. فهي رغبة لا يشْعر بها الإنسان بالطبيعة، بل الروح القدس هو من يضعها في قلب المؤمن لحظة توبته وتبقى درجتها متفاوتة بين مؤمنٍ وآخر. وبذلك سيستحقون لقب: مسيحيون غيارى!! وهم المستعدون دائماً لتقديم أية تضحية مطلوبة دون تردّد ولو انطوى ذلك على مخاطر، دون إغفال جاهزيتهم لنكران الذات تحت أية صعوبة تتطلّب العمل الدؤوب والجهد الكبير. يُنْفِقُون أنفسهم ويُنفقون حتى الموت فقط لهدف إرضاء الله وإكرام المسيح. فالمؤمن الغيور في المسيحية هو رجلٌ وحيد الهدف وجادٌ من كلّ قلبه ولا يساوم؛ جسورٌ غيورٌ حارٌ بالروح. يشخص بنظره إلى شيء واحد ويَعيش لهدفٍ واحد، منغمس كليّاً في غاية واحدة وهي إرضاء الله!

من عظة بعنوان: **«الغيرة المسيحية».**

لا يخرجني المسيح خارجاً

«كُلُّ مَا يُعْطِينِي الآبُ فَإِلَيَّ يُقْبِلُ،
وَمَنْ يُقْبِلُ إِلَيَّ لاَ أُخْرِجْهُ خَارِجًا»

(يوحنا ٦: ٣٧)

هل أنا بحاجة لاسْتجمع مناقشات ومناظرات تدعم الرجاء بأنّ يسوع لنْ يُخْرجني خارجاً؟ من أين لي أن أحصل عليها؟ هل أجد استحقاقاً شخصياً بفضائلي ومواهبي؟

هل اسْتندْ مرتاحاً على إيماني ومحبتي وطول أناتي وغيرتي وصلاتي؟ هل أثق بقلبي ومشاعره واثقاً بأنَّ قلبي لا تعتريه الخديعة؟ كلا على الإطلاق! لا قدّر الله! فقط أنظرُ إلى صليب المسيح وهذه هي حجّتي الوحيدة وهذا هو موطن راحتي، لأنني أظن أنَّ الذي تحمّل الآلام لأجلي بمعاناة شاقة لكي يفْدي نفسي، لن يتركها تهلك وهي التي ارتمت في أحضان محبّته. إنّ الثمن الذي دفعه يسوع؛ لن يذهب سُدى بل يحافظ على فاعليته لأنَّ الثمن كان فداؤه العظيم الذي هو الضامن الوحيد ضدّ أية خسارة أبدية. عندما دعاني وأنا خاطئ، قَبِلني كما أنا؛ لذلك لن يتركني ولن يُهْملني بعد أن آمنت به. فإذا جرَّبَنا الشيطان بشكٍ حول الضمان الأبدي للخلاص، فلنأمره بأن ينظر إلى الصليب!!

الآن، هل تستغرب لأنني أطالب كلَّ المؤمنين المسيحيين أن يفتخروا بالصليب؟ ألا ترى أنَّ كلَّ من يسمع قصة الصليب لا يمكن أنْ لا تتحرك فيه المشاعر؟ وعندما أراجع مبدأ الحرمان من النعمة عند نكران فاعلية الصليب، أرى أيضاً الآلاف من المسيحيين الإسْميين يشتركون بهذا النكران! حتى وإن كانت القلوب متحجّرة وكانت عيون الأذهان عمياء وكانت الطبيعة البشرية مريضة ونحن نستحقّ أن نُدْعى أمواتاً بالفعل من استعراض صليب المسيح بطريقة غير مبالية! يبرز أمام عدم الاكتراث هذا قوْل النبيّ في العهد القديم: «اسمعي أيّتُها السماوات واندهشي أيّتُها الأرض إنَّ عملاً صاعقاً ورهيباً سيُعمل في وسطكم» هذه الدهشة الصاعقة تأتي عندما ترى الكثير من المسيحين الاسميين يعيشون وكأن المسيح لم يُصْلب لأجل خطاياهم. شيء محزن يُدْمي القلب.

من عظة بعنوان: «**صليب المسيح**».

النفس الإنسانية خالدة

«لأَنَّهُ مَاذَا يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟
أَوْ مَاذَا يُعْطِي الإِنْسَانُ فِدَاءً عَنْ نَفْسِهِ؟ »

(متى ١٦: ٢٦)

ما قاله الرب يسوع في الآية أعلاه تطنّ لها آذاننا كالبوق لأنها تمسّ أعلى درجات اهتمامنا وأفضلها والتي هي نفوسنا. يا لها من كلمات رفيعة وفريدة تأتي بصيغة سؤال هام حول النفس البشرية! ففيها الحسابُ إمّا رابحٌ أو خاسرٌ! أين خبير الحساب الكفوء ليقدّم المحصّلة؟ أو الضليع بالرياضيات الذي لا يندهش أمام المعادلة الحسابيّة؟ «**ماذا ينتفع لو ربح الإنسان العالمَ كلّه وخسر نفسه**» (متى ١٦: ٢٦).

وطبعاً لا يفوتني أنَّ عالم اليوم منشغلٌ بتركيز الانتباه على الأشياء المادية وكيفية امتلاكها إلى أبعد حدّ. إنَّ العالم الذي نعيش فيه متسارع التطور يتقدّم يومياً في المجالات كافة مع ابتكارات هائلة، ومعها تُبْتلع الجماهير الغفيرة في أشياء أرضية باهتمامات الرفاهية التي تقدمها وسائل السفر والاتصالات وطرائق التجارة والاستثمارات الرهيبة والأرباح المصرفية والعلامات التجارية والمعادن الثمينة، حيث أنَّ هذه الأشياء مجتمعةً تقدّم بريقاً خادعاً للنفس الإنسانية وتظلّلُ الأبدية بغشاوة تحْجبُ الحقيقة. نحن كمؤمنين بالمسيح وخدّام له تنحصر مهمّتنا في أن نسْترجع المبادئ الكتابية ونقدّمها للناس كي يفتحوا عيونهم على زوالية الحياة! ويلٌ لنا إنْ قصّرنا في إنذارنا للناس واضعين أمامهم ما قاله الرّب يسوع في آية اليوم أعلاه حتى ولو احتاج الأمر إلى الصراخ بأعلى أصواتنا. إنَّ الحياة بعد الموت أبْقى والحياة بالجسد لها نهاية. لنركّز بأذهاننا على ما هو خالدٌ فينا؛ ألا وهو النفس الخالدة!

من عظة بعنوان: «**نفوسنا**».

لا بكاء بعد اليوم

«وَسَيَمْسَحُ اللهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ، وَالْمَوْتُ لاَ يَكُونُ فِي مَا بَعْدُ،
وَلاَ يَكُونُ حُزْنٌ وَلاَ صُرَاخٌ وَلاَ وَجَعٌ فِي مَا بَعْدُ،
لأَنَّ الأُمُورَ الأُولَى قَدْ مَضَتْ»

(رؤيا ٢١: ٤)

ما هذا المكان؟ إنه السماء. إنه المكان الذي يذهب إليه الأناس الانقياء حالما يموتون. كلُّ شيء هناك فرح وسرور. لا تُذْرف الدموع هناك. لا يدخله الحزن والألم والمرض والموت أبداً. لا بكاء في السماء لأنه لا يوجد ما يسبب الحزن.

لا عناء ولا جهد في السماء لأنَّ أهل السماء لا يحتاجون لمزاولة أيّ عمل لكسب لقمة العيش.

لا داعي للاستغراق في التفكير الذي يسبّب الصُداع وكذلك لن تتعب اليدان بسبب العمل الشاق. فقط هناك راحة أبدية لكل أبناء وبنات الله. لن نرى المرض أو الوجع أو الضعف ولا الموت؛ لأنَّ لا مكان لهم. سكان السماء لن يشتكي أيٌّ منهم قائلاً: «أنا مريض» لأنهم يسكنون بأحسن حال على الدوام مع دوام الصحة والقوة دون انقطاع. حتى الخطيّة لا مكان لها وكذلك تعكير المزاج بالكلام الجارح ولا مناكفات مع أحد؛ ولن يُسْمح للمخرِّب الشرير بأن يتواجد هناك ولن يتمكن من زعزعة الفرح. الشيء الوحيد الموجود في السماء هو القداسة والمحبة إلى ما لانهاية!

أجْمل ما يجمّل المكان وجود الرّب يسوع وسط السماء حيث ينظره شعبه المَفْديّ وجهاً لوجه ولن يتباعدوا عن بعضهم أبداً ربّاً وشعباً؛ بل يجمع خرافه حوله ويمسح كلّ دمعه من عيونهم. وحيث يكون هو تكون السعادة بأبهى حلّتها. في يمينهِ نِعَمٌ إلى الأبد! فيسوع هو الطريق والباب نحو السماء ومعه مفاتيحها. من يريد السماء؟ فليطلب من يسوع أن يسمح له!!

من عظة بعنوان: «**لا بكاء فيما بعد**».

قطيع المسيح

«أَمَّا أَنَا فَإِنِّي الرَّاعِي الصَّالِحُ، وَأَعْرِفُ خَاصَّتِي وَخَاصَّتِي تَعْرِفُنِي»

(يوحنا ١٠: ١٤)

إنه يمثّل كنيسة المسيح التي لن تهلك أبداً؛ إذْ مجرّد سُجّلت أسماؤهم في الكنيسة المُعْذبّة، تحولوا من خطاة إلى أبناء الأبدية في حمايةٍ مطلقة. لن يُطْرحوا خارجاً لأنهم مختارو الله الآب المتمّتعون بالشفاعة الدائمة للابن المبارك يسوع. هو مَنْ يقدم لهم قوة الروح القدس في التجديد والتقديس اليومي. يُحيط بهم ويُسيّج حولهم كحديقةٍ مصانة. عظمٌ من جسد المسيح الذي هو الكنيسة لن يُكْسر. لن يقدر أحدٌ أن يخطف خروفاً واحداً من قطيعه المحفوظ بين يديه.

إنّها كنيسة المسيح العاملة عمله ومشيئته على الأرض، وقد دعاهم يسوع بالقطيع الصغير بالمقارنة مع العالم الهالك الذي هو القطيع الكبير. فئة صغيرة هنا؛ وفئة أخرى هناك؛ وفئة ثالثة في مكان آخر. لكنّهم في واقع الأمر هم من زعزعوا المسكونة! وبصلواتهم هزّوا عروش ممالك وسلاطين. نشروا المعرفة الحقيقية عن الإله الحقّ في كلّ مكان خالية من أيّة نتانة، حيث وجدوا؛ يصيرون عصبَ الحياة في بلدانهم! هُمُ ترسُ الدفاع ومصدر الدعم لأية أمّة ينْتمون إليها!

هذه مواصفات الكنيسة التي ينتمي إليها المَفْديّون! ويظلّون هكذا حتى يلتقي الجسد الكامل الذي يكتمل بالمسيح بعد أن كان هالكاً خاطئاً. عدا ذلك، قد يكون للكنيسة الإسميّة الشكل والغلاف والجلد والقوقعة لما يُسمّى ديانة لكنّها فاقدة لقوام الحياة ولو بَدتْ من خارج بمحاسن وامتيازات خاصّة. قد يكون لها الفرح والنور والمعرفة والفُرَص الكثيرة لكن إذا لم يكن الانتماء بالنعمة وحدها إلى جسد المسيح، فإن كلّ ما ذكرناه لا قيمة له من جهة خلاص النفس!

من عظة بعنوان: «**الكنيسة**».

قد يبدو إيمانك ضعيفاً

«الإِلهُ الْقَدِيمُ مَلْجَأٌ، وَالأَذْرُعُ الأَبَدِيَّةُ مِنْ تَحْتُ»

(تثنية ٣٣: ٢٧)

قد يتخذ ضعفك موقعه في شخصيتك في عدّة أماكن: في إيمانك ودعائك وطاقتك وكل ما يتعلّق بالأمور الروحية وكأنك طفل صغير. لا تخشىَ ولا تخفْ فالنعمة لا تقاس بنوعية الشخص بل على طبيعتها الصادقة ومواعيدها الوفيّة التي تعطي للنعمة القيمة الحقيقية. تتفاوت قيمة الأشياء حسب مكانتها ومجالات استخدامها. وهكذا حيثما تتمّ التوبة إلى المسيح بصدق وحيثما تصير القداسةُ محلّ رغبةٍ وثقة لأتباعها يبدأ عملٌ لا يمكن قهره! هو عمل الروح؛ لأنّ عمل الروح يثْبت عندما تحترق الأرض وكلّ ما فيها.

وهذه المسيرة الروحية تتمظهر في المثابرة التي تطلب منك انتباهاً خاصّاً مع التركيز على ثمار الروح التي بدونها كل حسابات التعليم والعقيدة تبدو ناقصة وغير مكتملة. أمّا وجودها فهو الضمان لتبديد الصعاب والمخاوف وتأصيل الاختبار المسيحي الذي يصعب أحياناً استيعابه أو حتّى شرحه! لذا، أخوتي القراء، عندما أشدّد على تأكيد المثابرة في حياة الإيمان عندكم، لا أقصد بلوغ العِصْمة، ممكن مع الأسف أنْ نسقط في أمور مخجلة تُسيء إلى ما نفتخر به في إيماننا وننشئ مرارة عميقة.

لكن لا بأس؛ تذكروا أن نوحاً ارتكب خطأً فادحاً وابراهيم كذب مرتين عندما قال إنَّ ساره أخته. ويعقوب خدع اسحق والده، وداود اقترف خطيّة أخلاقية شنيعة وسليمان فقد محبته الأولى للرب واتّبع أهواءه وأهواء نسائه. وأنكر بطرس سيّده ثلاث مرات مع قسمٍ. هربَ الرّسل ليلة الصلب تاركين سيّدهم يواجه محاكمة ظالمة. كلّ هذه المخالفات قضايا ساخنة تحتاج براهين على أنّ المؤمنين يمكن أنْ يكونوا عُرْضة للسقوط. إلّا أن هذا السقوط ليس دائماً أو كاملاً، بل يقومون ثانية من سقوطهم بتوبة وتجديد عهود صادقة لمتابعة السير مع الله. ولو بدا أنهم طُرحوا أرضاً، لكن مستحيل أن يخسروا النعمة لأنها عطية الله في المسيح بلا ندامة!!

من عظة بعنوان: «**لا هلاك**».

مائدة الرّب

«وَلكِنْ لِيَمْتَحِنِ الإِنْسَانُ نَفْسَهُ،
وَهكَذَا يَأْكُلُ مِنَ الْخُبْزِ وَيَشْرَبُ مِنَ الْكَأْسِ»

(١كورنثوس ١١: ٢٨)

عندما رُسمتُ راعياً كانت إحدى مهامي اقامة الخدمة التذكارية لمائدة الرب إذْ فيها نذْكرُ موت المسيح وقيامته مع البركات التي ترافق هذه الذكرى إذْ نتذكر الجسد المكسور لأجلنا. وأمّا الكأس فتذكّرنا بدم المسيح الزاكي الطاهر الذي سُفِكَ على الصليب لغفران الخطايا. فكلّما أكلنا الخبز وشربنا الكأس نُخْبر بموت الرّب إلى أن يجيء، مع الفائدة العظيمة التي حصلنا عليها ألا وهي خلاص النفوس، إذْ يصير صليب المسيح نقطة التحوّل في حياة كلِّ فردٍ يؤمن به من كلّ القلب.

هذه الفريضة تذكّرنا بحصرية خلاصنا بالسيّد الوحيد الذي صرنا له ونلتزم فقط بكلمته ولا نسمح لأحدٍ أن يَضيف عليها أو أنْ يُنْقِص منها! كما قال السيّد: للعهد الجديد!!. هذه الفريضة ذكرها متى ومرقس ولوقا وبولس كلّها تُجْمِع على شيء واحد وهو أنَّ إقامة هذه الشعيرة هي مناسبة تذكارية محورية في حياتنا. وينفرد لوقا وبولس في إخبارنا السبب الذي سنّ فيه الرب يسوع هذه الفريضة إذْ قال الأول: «**هذَا هُوَ جَسَدِي الَّذِي يُبْذَلُ عَنْكُمْ. اِصْنَعُوا هذَا لِذِكْرِي**» (لوقا ٢٢: ١٩) وقد أضاف إليه الرسول بولس كلمات من الوحي: «**هذِهِ الْكَأْسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بِدَمِي. اصْنَعُوا هذَا كُلَّمَا شَرِبْتُمْ لِذِكْرِي. فَإِنَّكُمْ كُلَّمَا أَكَلْتُمْ هذَا الْخُبْزَ وَشَرِبْتُمْ هذِهِ الْكَأْسَ، تُخْبِرُونَ بِمَوْتِ الرَّبِّ إِلَى أَنْ يَجِيءَ**» (١كور ١١: ٢٥-٢٦) فإذا كانت هذه وصية العهد الجديد، فلماذا لا نمارسها بسعادة بالغة؟ ولماذا نعّقد هذه الخدمة ونجعلها غامضة وسرّية في حين أنَّ العهد الجديد هو من أبسط ما يكون؟

من عظة بعنوان: «**عشاء الرب**».

خلاصنا في المسيح وحده

«وَلَيْسَ بِأَحَدٍ غَيْرِهِ الْخَلاَصُ. لأَنْ لَيْسَ اسْمٌ آخَرُ تَحْتَ السَّمَاءِ، قَدْ أُعْطِيَ بَيْنَ النَّاسِ، بِهِ يَنْبَغِي أَنْ نَخْلُصَ»

(أعمال ٤: ١٢)

واجب علينا أن نفهم على نحو صحيح ودقيق ما قصده الرسول بطرس أمام محفل اليهود عن المسيح بقوله **«وَلَيْسَ بِأَحَدٍ غَيْرِهِ الْخَلاَصُ. لأَنْ لَيْسَ اسْمٌ آخَرُ تَحْتَ السَّمَاءِ، قَدْ أُعْطِيَ بَيْنَ النَّاسِ، بِهِ يَنْبَغِي أَنْ نَخْلُصَ»** ماذا يعني ذلك؟ المقصود حسب ما يمكن أن نراه واضحاً، أنّه لا إنسان يقدر أن يخلص من الخطيّة، وأن ينْجو من الذنب، ومن سيطرتهما على الإنسان مع نتائجهما المقيتة إلّا بواسطة يسوع المسيح!

بكلمة أخرى، لا أحد يستطيع الحصول على السلام مع الله الآب، وينال الغفران في هذا العالم، ويَفْلت من الغضب الآتي، إلّا بكفارة وشفاعة يسوع المسيح. فحصراً في المسيح وحده، يُختزن غِنَى مراحم الله لخلاص الخطاة، ومع المسيح وحده تتزايد وتتعاظم المراحم الكبرى النازلة من السماء على الأرض. ولقد شدّد الرسول بطرس على الأمر وأكده عندما قال **«وليس بأحدٍ غيره الخلاص لأنه ليس اسمٌ آخر تحت السماء؛ أُعطي بين الناس به ينبغي أن نُخْلُص»**. معنى ذلك أن وظيفة المخلّص لم تعطَ ولم تُفَوَّض ولم تُجيَّر لأحدٍ من قبل الله الآب إلّا للابن يسوع المسيح الذي هو مخلّص الخطاة. ومع المسيح مفاتيح الهاوية والموت (رؤيا ١: ١٨)، وكلُّ من يطلب الخلاص يلجأ إليه فقط!

على غرار أيام نوح، لم يكن للجنس البشري ملجأ للنجاة إلّا فُلْك نوح. كلُّ باقي الأمكنة والأدوات، سواء كانت جبال أو بروج أو أشجار أو طوافات أو زوارق، كلها لم تكن ذات نفع في ذلك اليوم! كيف ينجو الخاطئ في عاصفة غضب الله؟ فقط يسلّم نفسه بكل ثقة للمسيح قاهر الموت ومانح الخلاص حتى لأكبر خاطئ يمكن أن نتصوّره في الوجود! وهذه هي عقيدة التعليم الذي في النص: «لا خلاص إلا بيسوع المسيح وبه كلّ الخلاص، الخلاص الأقصى الأعظم، خلاص لأكبر الخطاة».

من عظة بعنوان: **«سبيل واحد إلى الخلاص»**.

القداسة واجبة علينا

«إِنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ فَتَتَقَدَّسُونَ وَتَكُونُونَ قِدِّيسِينَ، لأَنِّي أَنَا قُدُّوسٌ»

(لاويين ١١: ٤٤)

القداسة واجبة التحلّي بها ونحن بعد على الأرض قبل موتنا إن كنا نتوق للذهاب إلى السماء! إذا كان رجاؤنا الإقامة مع الله للأبد في الحياة القادمة؛ يتوجّب علينا السعي للتشبّه بيسوع في قداسته ونحن عائشون هنا! لا نعبّر عن إعجابنا بالقداسة فحسب والتي نتمنّاها، بل يجب علينا أن نكون قديسين!

والقداسة بحدّ ذاتها لا تبرّرنا ولا تخلّصنا ولا تغطّي ذنوبنا ولا تكفي لمَحْوِ التعدّيات أو تدفع ديوننا لله، لأن أفضل أعمال برّنا كخِرَقٍ بالية إذا وضِعَت تحت مِجْهر ناموس الله، بل إن البرّ الذي يمنحه يسوع وحده هو الكافي أن نضع ثقتنا فيه، ودم كفارته الذي سفكه على الصليب وحده رجاؤنا. وأمام هذه الحقيقة الكاملة، يبقى علينا أن نكون قديسين!

والقداسة واجبة علينا لأن الله في الكتاب المقدس طَالبَ بها! ويذكّرنا بذلك الرسول بطرس إذ يقُول: **«بَلْ نَظِيرَ الْقُدُّوسِ الَّذِي دَعَاكُمْ، كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضًا قِدِّيسِينَ فِي كُلِّ سِيرَةٍ. لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «كُونُوا قِدِّيسِينَ لأَنِّي أَنَا قُدُّوسٌ»** (١ بط ١: ١٥-١٦). والقداسة غاية ربنا يسوع من نحونا نحن المقدسين والتي لأجلها جاء إلى عالمنا: **«وَهُوَ مَاتَ لأَجْلِ الْجَمِيعِ كَيْ يَعِيشَ الأَحْيَاءُ فِيمَا بَعْدُ لاَ لأَنْفُسِهِمْ، بَلْ لِلَّذِي مَاتَ لأَجْلِهِمْ وَقَامَ»** (٢ كور ٥: ١٥).

فالقداسة التي يجب أن نعيشها هي البرهان الأوضح بأننا نمتلك الإيمان الخلاصيّ من يسوع. على أنَّ **«هكَذَا الإِيمَانُ أَيْضًا، إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَعْمَالٌ، مَيِّتٌ فِي ذَاتِهِ»** (يعقوب ٢: ١٧). ويزيد الرسول يعقوب على ذلك فيقول: **«لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْجَسَدَ بِدُونَ رُوحٍ مَيِّتٌ، هكَذَا الإِيمَانُ أَيْضًا بِدُونِ أَعْمَال مَيِّتٌ»** (يعقوب٢: ٢٦)!

أخيراً، إنَّ القداسة واجبة علينا لأن بدونها ونحن على الأرض لا يمكنّنا أن نتأهّل للسماء إذ كما هو مكتوب عن المجد السماوي: **«وَلَنْ يَدْخُلَهَا شَيْءٌ دَنِسٌ وَلاَ مَا يَصْنَعُ رَجِسًا وَكَذِبًا، إِلاَّ الْمَكْتُوبِينَ فِي سِفْرِ حَيَاةِ الْخَرُوفِ»** (رؤيا ٢١: ١٧).

من عظة بعنوان: **«القداسة واجبة علينا»**.

الكتاب المقدّس هوَ الكافي والوافي بكلّ ما يحتويه

«كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحًى بِهِ مِنَ اللهِ، وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّوْبِيخِ، لِلتَّقْوِيمِ وَالتَّأْدِيبِ الَّذِي فِي الْبِرِّ، لِكَيْ يَكُونَ إِنْسَانُ اللهِ كَامِلاً، مُتَأَهِّبًا لِكُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ»

(٢ تيموثاوس ٣: ١٦-١٧)

إن الكتاب المقدس من سفر التكوين وصولاً إلى سفر الرؤيا يحوي السرديّة المتعلقة بالخلاص لكل البشر! خلاص بربّنا يسوع المسيح بالإيمان، لا بأعمال برٍّ عملناها ولو بدت في الأسفار الأولى ضبابيّة، لكنها سرعان ما تتبدّد الغباشة وتلوح مواعيد الله في الأفق لكي تساعد في انقشاع الغموض عبر الوضوح المتزايد. لقد استخدم الله الصور التوضيحية والرموز التي تقدّمها شريعة موسى، وكلّما تقدّمنا في متابعة الأسفار ترى الأنبياء يَروْن الرؤى الرامزة إلى الفادي المزمع مجيئه إلى العالم!

في الواقع، أنا شخصياً ظهرت لي الحقيقة العظيمة التي يسلّط الكتاب المقدّس الضوء عليها وهذا هو مقصد الكتاب المقدس في إنارة كلِّ جزءٍ وكلِّ قسمٍ منه. وبدون الحقيقة الكتابية كيف يمكن لنا أن نفهم المغفرة والسلام مع الله؛ لدرجة أنّ الكتاب المقدس لا يذكر أيّة شخصيّة حصلت على السلام مع الله بدون الصلة الوثيقة مع الحقّ الذي توجزه بالإيمان. ثمَّ تسطع الصورة أكثر عندما يظهر المسيحُ نفسه هو المخلّص الذي سيأتي، بل الذي سيغلَب والذي هو محور الإيمان المسيحي في الرموز كما في الحقيقة. وهذا ما نراه في ذبيحة هابيل المُنْتَقَاة من أفضل الخراف كما يذكره السفر الأول من الكتاب وصولاً إلى ترنيمة القدّيسين في السماء كما ذكرتها رؤيا يوحنّا التي تعظّم فداءه وكفّارته. ويخطر على بالي كرنيليوس قائد المئة صاحب الإحسانات والصدقات والصلوات ومع ذلك احتاج أن يشرح له الرسول بطرس طريق الخلاص إذْ سمع عن المسيح أمام هذه السرديات العظيمة. أتوّجه بذاتي نحو الإيمان بكامل الكتاب المقدّس الذي يصرّح: لا خلاص، لا سماء إلّا من خلال يسوع المسيح!

من عظة بعنوان: «**طريق واحد لا غير... هو المسيح**».

الاعتراف بالخطيئة

«إِنِ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ»

(١يوحنا ١: ٩)

بدون اعتراف بالخطيئة لا خلاص متاح. صحيح أن محبة الله للخطاة لا منتهى لها لأن استعداد المسيح لقبول واحتواء الخطاة لا حدود لها، وكذلك إنَّ دم المسيح قادر أن يطهّر من كل خطيّة. لكن المطلوب كخطوة أولى التصريح أننا آثمين. فلكي يمْنحنا الله البراءة علينا الإقرار باستعدادنا للتسليم لعدالة الله كي يصدر من لَدُنْه العفو والبراءة وإطلاق السراح. كلّ الخطايا التي لمْ يُصرّح بها بالاعتراف، لا تُمْنح الغفران لأنّها قابعة على أكتافنا بثقْلها حيث نَرْزَح تحتها ونَغْرق نحو هاوية سحيقة. لأن «**مَنْ يَكْتُمُ خَطَايَاهُ لاَ يَنْجَحُ، وَمَنْ يُقِرُّ بِهَا وَيَتْرُكُهَا يُرْحَمُ**» (أمثال ٢٨:١٣).

فبدون اعتراف يتعذّر وجود سلام داخل القلب وكذلك لا راحة للضمير أبداً. طالما أنّ التعدّيات مع ما يرافقها من الشعور بثقلها على الضمير لم يتمّ الاعتراف بها، تبقى عبئاً يجب أن يبحث أحدنا على طريقة للتخلّص منه كوسيلة للحصول على السعادة. إن التعدّيات دودة تنْخرُ في جذر الراحة. إنّها آفةٌ تُعكّر صفو الهناء والسرور. ألم يقلْ داود «**لَمَّا سَكَتُّ بَلِيَتْ عِظَامِي مِنْ زَفِيرِي الْيَوْمَ كُلَّهُ، لأَنَّ يَدَكَ ثَقُلَتْ عَلَيَّ نَهَارًا وَلَيْلاً. تَحَوَّلَتْ رُطُوبَتِي إِلَى يُبُوسَةِ الْقَيْظِ. سِلاَهْ. أَعْتَرِفُ لَكَ بِخَطِيَّتِي وَلاَ أَكْتُمُ إِثْمِي. قُلْتُ: «أَعْتَرِفُ لِلرَّبِّ بِذَنْبِي» وَأَنْتَ رَفَعْتَ أَثَامَ خَطِيَّتِي**» (مزمور ٣٢: ٣-٥). هذا كلام جدّي لا مزاح فيه لأنّها من صُلْب الكتاب المقدّس وقد كُتبت واضحة كأنها تحت أشعّة الشمس! إليها يركض القارئ بحثاً عن الخلاص الذي يشترط بالضرورة الاعتراف والتوبة عن الخطيّة. إذاً؛ الاعتراف عادة حميدة كجزء من توبة تقودنا إلى الحياة الأبدية!

من عظة بعنوان: «**الاعتراف**».

بريق متزايد يوماً بعد يوم

«وَأَمَّا أَنْتُمْ فَجِنْسٌ مُخْتَارٌ، وَكَهَنُوتٌ مُلُوكِيٌّ،
أُمَّةٌ مُقَدَّسَةٌ، شَعْبُ اقْتِنَاءٍ،
لِكَيْ تُخْبِرُوا بِفَضَائِلِ الَّذِي دَعَاكُمْ مِنَ الظُّلْمَةِ إِلَى نُورِهِ الْعَجِيبِ»

(١بطرس ٢: ٩)

كَمْ اودُّ أنْ أرى مختاريَّ الله أمة مقدسة شعب اقتناء في عيشةٍ ومسلكٍ يليق بأولاد الله وأوّد أن أرى من هم نورٌ في الرّب يسلكون كأولاد نورٍ ذوي بريق متزايد يوماً بعد يوم. وإذْ أقول هذا، أقصدُ خيرَ البشريّة جمعاء. أنتم يا أخوتي الكتاب الوحيد الذي يمكن أن يقرأه الآخرون. أو لِنَقُلْ: كونوا رسائل المسيح للعالم، رسائل كاملة الوضوح مرحبة بالآخرين. ربما لا يدرك العالم ما هي العقيدة وربما يهتمُّ على نحوٍ أقلّ بالاختبارات، إلّا أن العالم يدرك ويفهم تماماً مقدار سَيْرنا مع الله. عندما أقول أذلك، أُشْفِق على الأيام التي نعيش فيها لأنّها بنظري أكثر الأيام فتوراً من أي تاريخ مضى من تاريخ قدّيسي العهد الجديد. بل أتجرّأ وأقول: حتى الرغبات الجسدية تراها غالبة في السلوك المسيحي بمعيارٍ لم يسبق له مثيل. حتى في أحسن حالات أولاد الرب، تراهم كسالى لا حراك فيهم يقْتاتون اختبارات قديمة لا جديد فيها البتّة!! حتى العطش والجوع إلى البرّ مات عندهم لأن تخمة العالم منعت عنهم السعي المقدّس. اكتبُ ذلك بألمٍ وحُرْقه وأسفٍ شديد لكن أسألكم سؤالاً في محْضر الله؛ أليس حقٌ ما أقوله؟

أخوتي، عندما تروني قاسياً في كلامي، لعلّ هذا التردّي الروحيّ هو الذي يَدْفعُني. لذلك، أريدكم بمسيحيّةٍ عالية المستوى لا تُخْطئها العَيْن، في نضوجٍ مستمر وزيادة عن الآخرين في كلّ عملٍ صالح. ندفن ما يشغلنا عن المسيح لأنها أصْنامٌ مُحْبطة. بل هي خميرةٌ عتيقة أو ثقل خطيّة محيطة بنا من كلّ جانب، نُنَقّي أنفسنا من دَنَس الجسد والروح (اقرؤوا ٢كور ٦: ١٤–١٨ مع ٧: ١) ونتمِم قداستنا في خوفِ الله. نطْلب الأحسن والأَرْفع ونصمّم بنعمة الرّب أن تكون أكثر قداسة، وساعتئذٍ سنكون بكل تأكيد مع قناعة مطلقة أكثر نفعاً للسيّد وأكثر سعادةً في حياتنا!!

من عظة بعنوان: «**فكروا ملياً بطرقكم**».

عودة المسيح الفُجائيّة

«وَاعْلَمُوا هذَا: أَنَّهُ لَوْ عَرَفَ رَبُّ الْبَيْتِ فِي أَيِّ هَزِيعٍ يَأْتِي السَّارِقُ،
لَسَهِرَ وَلَمْ يَدَعْ بَيْتَهُ يُنْقَبُ. لِذلِكَ كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضاً مُسْتَعِدِّينَ،
لأَنَّهُ فِي سَاعَةٍ لاَ تَظُنُّونَ يَأْتِي ابْنُ الإِنْسَانِ»

(متى ٢٤: ٤٣–٤٤)

لا أعرف متى يأتي المسيح. لست نبيّاً رغم محبتي للنبوءات، لكنني بالمقابل لا أحبّ تحديد المواعيد لأنها تؤذي أكثر مّما تنفع. كلّ ما أستطيع قوله هو إنَّ المسيح سيرجع بكلِّ تأكيد في يومٍ من الأيام بشخصه الكريم ليؤسّس مملكته سواء كان ذلك اليوم قريباً أم بعيداً. كلّ ما أعرفه هو أنه سيُفاجئ كنيسته وكذلك العالم برجوعه. فجأة ينْقَضُّ على العالم دون سابق إنذار. في لحظة لا يُحدّث العالم بها كثيراً وبدون استعدادٍ لها ولا حتّى ترقّب. لكن آنذاك ستعلو صيحةٌ كاندلاع حريق في منتصف الليل وتحدث صَحْوةٌ للعقول تدعو للتأهب. سترتجف قلوب البشر كصوت بوق عالٍ عند سرير رجل نائم كما حدث لفرعون ورجاله عندما داهمتْهم المياهُ من جانبَيْ البحر وابتلعتهم قبل أن يلْتقطوا أنْفاسهم ويُدْركوا المِحْنة التي هم فيها. هكذا ستدرك البشرية عودة الرّب يسوع!

أشك أنَّ معظم الناس لديهم فكرة غامضة تُعَشعِش في أذهانهم وهي أنّ واقع الحياة الحاليّة ومجراها لا توحي بأية نهاية فجائيّة. بل أغلب الناس ينتظر علامات واضحة على رجوع المسيح ليكون لديهم متّسع من الوقت للاستعداد وتنظيف الضمائر في أبهى حلّةٍ تليق بذلك اليوم مع تسوية أعمالهم للقاء الرّب. فإذا كُنت أيها القارئ العزيز من طينة هؤلاء الأشخاص، أرجو أن تتخلّى عنها فوراً. إنَّ مجيء المسيح هو أوضح من أية نبوءة أخرى لم تتحقّق بعد والتي فيها عُنْصر المفاجأة للناس جميعاً. وكلّ ما يُعاكس هذه الفكرة النبوّية مقلّلاً من احتمالية حدوثها كحادثة فجائية؛ عليه أن يتحمّل خَللاً مميتاً قاتلاً!

من عظة بعنوان: «**العذارى العشر**».

القناعة هي مِنْ أنْدر النِعَم

«وَأَمَّا التَّقْوَى مَعَ الْقَنَاعَةِ فَهِيَ تِجَارَةٌ عَظِيمَةٌ.
لأَنَّنَا لَمْ نَدْخُلِ الْعَالَمَ بِشَيْءٍ، وَوَاضِحٌ أَنَّنَا لاَ نَقْدِرُ أَنْ نَخْرُجَ مِنْهُ بِشَيْءٍ»

(١تيموثاوس ٦: ٦-٧)

ككلّ الأشياء الثمينة وغير المألوفة، تبدو القناعة نادرة جدّاً في جهة تطبيقية. إنَّ الملائكة التي سقطت وخسرت مَسكنها السماوي من محضر الله المباشر ومعه خسرت الحظوة لسبب افتقارها إلى القناعة. كذلك آدم وحواء حيث سكنا في فردوس عدن مجّاناً دون مقابل مع محظور واحد وهو الشجرة التي يعرف الجميع قصّتها، ورغم كل شيء لم يكن لديهما قناعة. الملك آخاب الذي كان له عرش ومملكة ومع هذا وضع قلبه على كرم عنب لنابوت اليزرعيليّ وأراد الاستيلاء عليه. هامان القائد العسكري عند ملك فارس كان يحْسد مردخاي الجالس عند بّوابة القصر لأنه لم يكن قنوعاً.

هذه القصص على تنوّعها نراها مكرّرة في أيامنا وفي كافة الأماكن. نرى التأفّف والتذمّر والتشكّي وعدم القناعة منتشرة في عالمنا وتصادفنا حيثما نكون. أن نقول كما قال يعقوب: «لدي ما يكفيني» يبدو مخالفاً بكل وضوح لجوهر الطبيعة البشرية. لكن القول: «أريد المزيد» يتعلّمها حتّى الأطفال منذ نعومة أظفارهم، ويمكن أن نراهم في دائرة الأولاد المحيطة بنا في عائلتنا ومن دائرة الأقرباء كمثالٍ توضيحيّ لا يقبل الجدل ويبرهن على ما أقول. فهم يتعلّمون اللجاجة في الطلب قبل أن يتعلموا الاكتفاء.

سريعاً ما يصرخون بطلب ما يريدون وبطيئاً ما يشكرون عند حصولهم على ما يبتغون، أيضاً أحبائي القّراء، ألستم مّمن يطلبون المزيد فوق ما تمتلكون؟ لماذا تنظرون إلى ما تمتلكون وكأنّه أقلّ قيمة مّما لستم تمتلكون؟ كما أنكم تظنّون في أغلب الأحيان أنه لو مَلَكتم هذا الشيء أو ذاك ستكونون أكثر سعادةً، عندما تكون المواقف التي ذكرناها شائعة عند الجميع. هذا ما يؤكد لي أن القناعة هي من أنْدر النِعَم!

من عظة بعنوان: «**كن مكتفياً**».

دعونا لا نهمل الواجبات الصغيرة

«فَكَيْفَ نَنْجُو نَحْنُ إِنْ أَهْمَلْنَا خَلاَصًا هذَا مِقْدَارُهُ؟
قَدِ ابْتَدَأَ الرَّبُّ بِالتَّكَلُّمِ بِهِ، ثُمَّ تَثَبَّتَ لَنَا مِنَ الَّذِينَ سَمِعُوا»

(عبرانيين ٢: ٣)

دعونا نصمّم تفعيل ضمائرنا حتى في أصغر الأشياء في مجال حياتنا الروحية. دعونا لا نهمل الواجبات مهما صَغُر حجمها. دعونا لا نسْمح لأنفسنا بأن تَتْزلق في هفوات صغيرة. مهما كان نمط تفكيرنا لا يمكن لصغائر الأمور أن تؤثر على النفس التي هي وديعة الله! كل الأوجاع أو الأمراض تبدأ صغيرة، حتى فراش الموت قد يبدأ أحياناً بقشعريرة في الجسم. لا مخاطر تداهم بحجمها الكبير بل تبدأ صغيرة ثم تكبر، هكذا الخطيّة مهما عظمت فَلَها بداية. كذلك الكمال يتنامى مع الأيام ولا يحصل في يوم واحد. الطباع والعادات هي نتيجة لأفعال بسيطة.

أخوتي المؤمنين، لا يفوتكم أنَّ الرسائل التي كتبها الرسل هي تعليمات لحياة مسيحية ناجحة بكلّ خصوصياتها. لم يكونوا بسطاء لدرجة السذاجة كي يقولوا للمخاطبين: «كونوا قدّيسين». بل خصّصوا وحدّدوا بجهد أن يسمّوا الأشياء بأسمائها لكي تكون القداسة واضحة. انظر كيف تدفقوا ليشرحوا مطولاً العلاقات الزوجية والعلاقات الأُسرية. والعلاقات البْيئيّة للسادة مع العاملين لديهم، للقادة والمرؤوسين، للشيوخ والشباب، راجع أقوالهم كيف فرزوا الأمور وحضّوا على الأمانة في الأعمال، واللطف في المزاج، والمسامحة عندما يتطلّب الأمر ذلك، وعلى الإخلاص والمصداقية والوداعة والكياسة والتواضع والإحسان والصبر والمجاملة.

انظر كيف طلبوا منّا أن نحْترم الجميع ونضبط ألسنتنا ونعطي نكهةً في كلامنا بالنعمة، ونتجنّب المباحثات السخيفة وكذلك التلميح الجارح. شجَّعوا على عدم إرضاء الذات، وعلى امتلاء الوقت والقناعة بما لدينا سواء في طعامنا أو شرابنا على أن نعمل كلّ هذا باسم الرّب يسوع. أخوتي، ينظر البعض إلى هذه الإرشادات الرسولية وكأنها نوع من العبودية. أنا شخصياً أرى من الضروري تذكير أنفسنا بها لأنها ضمانة من الروح القدس الذي يريدنا أن نلبث في الحكمة الموجودة في الكلمة الإلهية. وأنا لا أشكُّ أبداً أنّه من الحكمة الانتباه إليها بالتزامن مع مسيرة حياتنا!

من عظة بعنوان: «**تأملوا ملياً بطرقكم**».

هل أنت رازح تحت حِمْل ثقيل؟

«تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ»

(متى ١١:٢٨)

يخاطب الرب يسوع كلَّ المُتّعبين والثقيلي الأحمال بتعبير غنيّ وعميق ومُعَزٍّ وبنّاء. إنه تعبير شامل جامع يستفيد منه الملايين في كلّ أنحاء المسكونة. فإلى أيَّة شريحة اجتماعية ينتمي أولئك المتعبين والثقيلي الأحمال؟ صراحةً، إلى كلّ فئات المجتمع دون استثناء من رأس الهرم إلى قاعدته على كلّ صعيد سواء كان اجتماعياً أو اقتصادياً أو ثقافياً لأنَّ المشاكل والقلق والحزن والأسى والتذمّر وعدم الرضى والاضطراب يسكن كلّ البيوت. فماذا يعني ذلك؟

عزيزي القارئ: إنَّ الخطيّة والابتعاد عن الله هما من جملة الأسباب الحقيقية التي تبيّن لنا تعبّ وكدَّ الإنسان والرزوح تحت العبء الثقيل، لأن الخطيّة هي المرض الشائع والمستشري في كلّ أنحاء العالم. الخطية هي التي أنْبَتَتْ للإنسان شوكاً وحسكاً من الأرض وألزمت الإنسان أنْ يأكلَ خبزه بعَرَق جبينهِ! الخطيّة هي سببّ أنين البشرية وتمخّضها المرير، وبها تضطرب أساسات الأرض، ومعها ترزح البشرية تحت وطأتها دون أنْ يدرك البشر ذلك، لأنهم يتعبون ويُرهقون أنفسهم دون طائل. لكن بسبب كبرياء الإنسان وغطرسته لا يرى ضرورةً إلى كراهية الخطيّة ومعاندتها!

عزيزي القارئ! إذا كنت من المتعبين والثقيلي الأحمال، فأنت ممّن يخاطبهم يسرع في دعوته المذكورة أعلاه. إذا كان قلبك مُتْعباً وضميرك مجروحاً وكنت تبحث عن راحة لنفسك الشقيّة ولا تعرف أين تجدها، وإن كنت تسعى إلى السلام للقلب القابع في الذنب وتعجز عن اتّخاذ الطريق المناسب الواجب سلوكه، فاطمئن؛ ذكراً كُنْت أم أنثى، أنت من الفئة المشمولة بنداء يسوع والرجاء متاح لك؛ فالخبر السارّ الذي أقدمه لك الآن هو : «**تعالوا إلي**» كما يقول يسوع «**وأنا أريحكم**».

من كراسة بعنوان «**تعال**»

الله كليّ الوجود!

«فِي كُلِّ مَكَانٍ عَيْنَا الرَّبِّ مُرَاقِبَتَانِ الطَّالِحِينَ وَالصَّالِحِينَ»

(أمثال ١٥:٣)

الكتاب المقدس غاية في الوضوح حول هذه النقطة لدرجة لا لبْسَ فيها ولا إبهام. الله موجود في كلّ مكان سواء في السماء أو على الأرض. في الجوّ والبحر واليابسة، فوق الأرض أو تحتها في كلّ مدينة وبلدة وقرية وفي كافة قارات العالم: إنه دائم الوجود؛ في الأماكن المكشوفة كما في الأماكن المخفيّة الله موجود؛ في أعالي القِمَم وعند سفوح الجبال! في البحار والمحيطات وفي الجُزُر العائمة عليها، حتى في الأماكن التي لم تطأها قدم إنسان. بالنسبة لنا نحن شعبه، هو قريب منا، يرانا، يسمعنا، يلاحظنا، يعلم كلّ ما نعمله وما نفكر به، حتى همساتنا، لا بل حتى ما في دواخل قلوبنا من أسرار لا نبوح بها.

ماذا يقول الكتاب المقدس بهذا الخصوص؟ يُجيبنا أيوب: «**لأَنَّ عَيْنَيْهِ عَلَى طُرُقِ الإِنْسَانِ، وَهُوَ يَرَى كُلَّ خَطَوَاتِهِ. لاَ ظَلاَمَ وَلاَ ظِلَّ مَوْتٍ حَيْثُ تَخْتَفِي عُمَّالُ الإِثْمِ**». (أيوب ٣٤: ٢١-٢٢). ويزيد سفر الأمثال على ذلك فيقول: «**فِي كُلِّ مَكَانٍ عَيْنَا الرَّبِّ مُرَاقِبَتَانِ الطَّالِحِينَ وَالصَّالِحِينَ.**» (أمثال ١٥:٣). أمّا النبيّ إرميا فيقول: «**عَظِيمٌ فِي الْمَشُورَةِ، وَقَادِرٌ فِي الْعَمَلِ، الَّذِي عَيْنَاكَ مَفْتُوحَتَانِ عَلَى كُلِّ طُرُقِ بَنِي آدَمَ لِتُعْطِيَ كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ طُرُقِهِ، وَحَسَبَ ثَمَرِ أَعْمَالِهِ**» (إرميا ٣٢:٩).

مهما يكن استيعاب العقيدة صعباً إلّا أنَّ هذا المبدأ الكتابي عن حضور الله هو أكثرها نفعاً وفائدةً للنفس الإنسانية إذْ يساعدنا على الإبقاء في الذاكرة أنَّ حضور الله دائم قائم معنا، وأننا أمام ناظريه دائماً لكي يكون كلّ فعل أو قول أو فكر تحت مراقبته. والهدف النهائي في كلّ هذا هو الأثر الطيّب لنفوسنا.

من عظة بعنوان: «**الحضور الحقيقي**»

ظُلّمة هذا الدهر

«الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ لأَجْلِ خَطَايَانَا،
لِيُنْقِذَنَا مِنَ الْعَالَمِ الْحَاضِرِ الشِّرِّيرِ حَسَبَ إِرَادَةِ اللهِ وَأَبِينَا»

(غلاطية ١:٤)

هل المخلّصون قلائل؟ إذاً، إنْ كنت منهم، فاعمل جاهداً في كلّ فرصة على أنْ تقدم الخير للنفوس! ضعْ في ذهنك أنَّ الغالبية الساحقة مِمّن هم حَوْلك يواجهون خطراً مُحْدقاً ينْطوي على خسارة أبدية. استخدم أية وسيلة لتقديم الإنجيل إلى حياتهم. ساعد المؤسسات المسيحية في إنقاذ الناس من النار. كن سخيّاً مع المؤسسات التي تُعْنى بتوزيع بشارة الإنجيل الأبدية باذلاً كلّ ما بوسعك من نفوذ بدون تحفّظ لأجل صلاح النفس البشرية. تصرّف كَمَنْ هو مقتنع بأنَّ الوقت مُقصّر وأنَّ الأبدية قريبة وأنَّ عدوّ النفوس قويّ ينشر الخطيّة هنا وهناك ليُبْقي البشرية في ظلمة حالكة اذ يحارب النور ليُضعف حضوره؛ واعلم أنَّ الأبرار قلائل وأنَّ الأشرار كثيرون. وضّح للناس أنّ أمور هذا العالم آيلة إلى الزوال وأنّ السماء حقيقة لا تزول وأنَّ جنّهم مكانٌ خالد!

يا للأسف، بكلِّ صراحة، الكثير من المؤمنين الأحياء يُعانون من البرودة القريبة من الصقيع إذْ يظهر ذلك في بطئهم باتخاذ القرار الروحي السديد وفي الخوف من التقدم نحو الأمام، والتراجع أمام أية محاولة جديدة حتى أنهم يفزعون ويفقدون الشجاعة أمام أية خطوة نافعة. إنهم يكتفون بالبقاء في مواقع راكدة ولا يستجيبون لأية محفزات. وبالمقابل لديهم القدرة على تمويه الوقائع حتى يبدو لنا أنّ الغالبية منهم ذاهبون إلى السماء وأنّ أبواب الجحيم مجرّد إشاعة كاذبة. وكلُّ ذلك خديعة وذريعة لعدم مواجهة الشرّ المتزايد!

فلنحذر من حالة نفسية كهذه لأنها تزوّر الحقيقة من جهة الأبدية المريرة بدون المسيح الذي يقف دائماً ويمد يده نحو العصاة الذين يسلكون الطريق الواسع المؤدي للهلاك. رغم أنَّ الواقع يقول قليلون يدخلون من الباب الضيّق المؤدي للحياة وكثيرون من الباب الواسع المؤدي للهلاك. لكن هل نكتفي بهذه القناعة ولا نحذّر الناس؟

من عظة بعنوان: **قليلون يخلصون**».

الصلاة من أوضح العلامات عند المؤمن المسيحي

«إِذْ لَمْ تَأْخُذُوا رُوحَ الْعُبُودِيَّةِ أَيْضًا لِلْخَوْفِ،
بَلْ أَخَذْتُمْ رُوحَ التَّبَنِّي الَّذِي بِهِ نَصْرُخُ: «يَا أَبَا الآبُ»

(رومية ٨: ١٥)

يشترك أولاد الله على الأرض بِسِمَة خاصّة بهذا الخصوص فور دخولهم بعلاقة إيمان مسيحي صحيح مع الرب، وهي أنهم يصلّون. تماماً كما يستهلُّ المولود الجديد النازل من رحم أمّه الحياة بالتنفس من خلال رئتيه وأنفه. هكذا هو حال أبناء وبنات الله عندما يولدون ثانية إذ يَشْرعون بالصلاة. هي علامة مشتركة بين مُخْتاريّ الله «... **الصَّارِخِينَ إِلَيْهِ نَهَارًا وَلَيْلاً، وَهُوَ مُتَمَهِّلٌ عَلَيْهِمْ؟**» (لوقا ١٨:٧)، لأنَّ الروح القدس الذي جَعَل منهم خليقةً جديدة يولّد فيهم أيضاً الشعور بالتبنّي صارخاً فيهم **«يَا أَبَا الآبُ»** (رومية ٨:١٥)، ولأنَّ الرّب يسوع الذي أحياهم في قبور خطاياهم طلب منهم عدم الصمت لكي يخبروا بفضائل الذي دعاهم من الموت إلى الحياة، طالباً منهم أنْ تظهر الخليقة الجديدة فيهم في هذا المجال. إنهم يشاهدون حاجتهم إلى الرحمة والنعمة ويشعرون بفراغ الحياة وضعفها؛ ولا يمكنهم إلا أنْ يستجيبوا لطلبه بالصلاة.

لقد استعْرضتُ حياة قديسيّ الله في الكتاب المقدس فلم أرَ واحداً منهم لم تتسم حياته بالصلاة، من التكوين إلى الرؤيا، الكل دون استثناء كانوا أُناس صلاةٍ، وقد تبين لي واضحاً أنهم يبتهلون إلى الله الآب في اسم الرب يسوع المسيح خلاف الأشرار الذين «... **لم يدعوا الرب**» (مزمور ١٤: ٤؛ ١كورنثوس ١: ٢؛ ١بطرس ١: ١٧) فعلامة المسيحين هي ضرورة الصلاة. فعليهم أنْ يصلوا!

من عظة بعنوان: «**دعوة للصلاة**».

أبناء الله

«وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللهِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ»

(يوحنا ١: ١٢)

لستُ أعرفُ كلمة أكثر راحةً للنفس مختارة بعناية أكثر من أنْ نسمّى خدّام الله خاضعين له كجنودٍ وتلاميذ وأتباع. كلّ هذه الألقاب رفيعة المستوى بكل تأكيد. لكن أنْ نكون أبناء الله، فهي بلا شك خطوة أعلى مما سبق. ماذا يقول الكتاب المقدس بهذا الخصوص؟ «**وَالْعَبْدُ لاَ يَبْقَى فِي الْبَيْتِ إِلَى الأَبَدِ، أَمَّا الابْنُ فَيَبْقَى إِلَى الأَبَدِ**» (يوحنا ٨:١٥). لو كان أحدٌ ابناً لشخصية مرموقة في عالمنا أو ابناً لأمير من الامراء أو ملكٍ من الملوك مع ما يرافق ذلك من امتياز رفيع المستوى لكان ذلك أُمنية عالية؛ أمّا أنْ يكون أحدنا ابناً لملك الملوك وربّ الأرباب الذي هو القدوس العليّ ساكن الأزل، فهذا بحدّ ذاته هو نصيب المؤمنين الذين آمنوا بالمسيح واستودعوا حياتهم عنده!!

الابن المولود من أسرة على الأرض يتطلّع إلى والديه للتمتّع بحنانهم وحمايتهم وعطائهم وتثقيفهم له درساً وتعليماً. كلّ هذه الامتيازات في واقع الأمر ممدوحة من الجميع لكنّها ليست باقية، بل آيلة إلى الزوال لأنها تتعلّق بالبنوّة على الأرض. ماذا لو فكرنا بالامتياز الأعلى الأسمى لخاطئٍ فقير يحق له أنْ يقول لله: أنت أبي!

يصبح الناس أبناء الله إذ يقودهم الروح القدس للإيمان بيسوع لنوال الخلاص كما تصفُهم الرسالة إلى كنيسة غلاطية: «**لأَنَّكُمْ جَمِيعًا أَبْنَاءُ اللهِ بِالإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ**» (غلا ٣: ٢٦) أما الرسالة إلى الكورنثيين فتقول؟ «**وَمِنْهُ أَنْتُمْ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ، الَّذِي صَارَ لَنَا حِكْمَةً مِنَ اللهِ وَبِرًّا وَقَدَاسَةً وَفِدَاءً**» (١كورنثوس ١: ٣٠). وماذا يقول البشير يوحنا في إنجيله؟ «**وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللهِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ**» (يوحنا ١: ١٢).

من عظة بعنوان: «**ورثة الله**»

عمل المسيح النيابي عنّك

«فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا تَأَلَّمَ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ أَجْلِ الْخَطَايَا، الْبَارُّ مِنْ أَجْلِ الأَثَمَةِ، لِكَيْ يُقَرِّبَنَا إِلَى اللهِ، مُمَاتًا فِي الْجَسَدِ وَلكِنْ مُحْيًى فِي الرُّوحِ»

(١بطرس ٣: ١٨)

المسيحي الحقيقي بلغ مركزه لأن المسيح استبدل مركزه الهالك بمركز الناجي من الهلاك وهكذا حمل على الإنسان الخاطئ ما كان مفروضاً على الإنسان الهالك أن يحمله! وأنْجَز إلى التمام ما كان ينبغي إنجازه بنجاح. من هذا المنطلق يتبرّز المؤمن بالمسيح (اشعياء ٥٣: ٦) المسيح البار تألم من أجل الأثمة. قابلاً حمل العقوبة المطلوبة بجسده البارّ على الصليب بما في ذلك غضب الله المعلن! (رومية ١: ١٨؛ ٣: ٢١-٣٠) بعد ذلك يحقّ. للمؤمن المسيحي أن يقول على نفسه أنا شخص مبرّر! (١بطرس ٣: ١٨).

وصار معلوماً أن المسيح دفع الدّين الواجب والمستحق على الخاطئ الذي إذا آمن يُمْحى عنه صكّ الدين. الثمن كما هو معلوم. دّم المسيح وموته! الذي بلغ ذروة النجاح بالقيامة كدليل على أنَّ الله الآب عفا عن البشر في شخص المسيح إذا آمنوا به. لأن الله العالم لا يطالب المدين بدفع الدّين مرتين، ولقد دفعه يسوع مرّة وإلى الأبد. هذا ما يؤكده الوحي الكريم في (أعمال ٢٠: ٢٨، ١بطرس ١: ١٨-١٩). يسوع وحده هو من خضع لناموس الله وشريعته وطبّقه بشكل كامل. وإبليس رئيس العالم لم يجد فيه إثم. لذلك عندما أتمّ يسوع الناموس حقّق لنا البرّ الأبدي. وكما يقول الكتاب: ألْبسنا رداء البرّ وهذا يضيف تأكيداً على أنّ المؤمن المسيحي شخصٌ مبرّر (دانيال ٩: ٢٤؛ روميه ١٠: ٤).

بكلمة واحدة، كلّ حياة المسيحي على الأرض كانت من أجل خير الإنسان وكذلك موته ودفنه وقيامته. المستفيد الوحيد هو الإنسان إذا قبل نعمة الله في المسيح. هذا المؤمن الذي يعرف آن صعود المسيح وجلوسه على يمين العظمة ومجيئه الثاني وعمله الشفاعي من نتائج الكفارة التي صنعها يسوع بجسده على الصليب، هكذا صار مفهوم البرّ والسلام واضحاً. فالإنسان الذي لا يحتوي في داخله إلّا الخطيئة قد امتلك في يسوع كلَّ ما تطلبه النفس للخلاص (كولوسي ٢: ٣؛ ٣: ١١).

من عظة بعنوان: «**التبرير**».

السباق المسيحي

«لِذلِكَ نَحْنُ أَيضًا إِذْ لَنَا سَحَابَةٌ مِنَ الشُّهُودِ مِقْدَارُ هذِهِ مُحِيطَةٌ بِنَا، لِنَطْرَحْ كُلَّ ثِقْلٍ، وَالْخَطِيَّةَ الْمُحِيطَةَ بِنَا بِسُهُولَةٍ، وَلْنُحَاضِرْ بِالصَّبْرِ فِي الْجِهَادِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَنَا، نَاظِرِينَ إِلَى رَئِيسِ الإِيمَانِ وَمُكَمِّلِهِ يَسُوعَ، الَّذِي مِنْ أَجْلِ السُّرُورِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَهُ، احْتَمَلَ الصَّلِيبَ مُسْتَهِينًا بِالْخِزْيِ، فَجَلَسَ فِي يَمِينِ عَرْشِ اللهِ»

(عبرانيين ١٢: ١-٢)

أمامنا كلُّنا سِباقٌ يجب أن نجري فيه. لكنْ أرجو أنْ لا يفهم أحدٌ من خلال هذا الكلام أنَّ سواعدنا وقوّتنا كفيلةٌ بفتح أبواب السماء أمامنا للحياة الأبدية وأنها تضْمن لنا مكاناً في السماء، حاشا! إنها النعمة وحدها. أما السباق الذي ذكرناه فهو بكل بساطة حملُ الصليب كمسؤوليّة فَرْديّةٍ لكلِّ واحدٍ منّا ويتبع معلّمه يسوع مع الاستعداد التام لمواجهة الصعوبات والضيقات العديدة. فلا بدّ من حساب العمل الشاق الكادح مع الصعاب، لأنهُ عمل عظيم مطلوب إتمامه يستحقّ كل اهتمام وانتباه وطاقة، فمنْ خارج مخاوف ومنْ داخل صعوبات وآلام مع أشراكٍ ينصبُها الشيطان لِنَقَع فيها، بالإضافة إلى تجارب يُطْلب منّا مقاومتها. فبعضنا يغْدُر به قلبه بسبب التراخي واللامبالاة وعدم الاكتراث. وبعْضنا يتلّقى من أصدقاء حوله نصائح غير كتابية وينشئ علاقات تولّد صراعات داخلية في النفس. بالمختصر، هي أحجار عثرة بالجملة تعترض طريقنا. في المقلب الآخر، أمامكم مناسبات متهيئة للوعي والفطنة والغيرة المقدسة والصلاة حيث الثِقْل الروحي للحياة المسيحية الخالية من المسائل الخفيفة.

إن هؤلاء المدعوين من الله والمتعلمين منه مُباشرة مميزون بشكل جلّي عن أبناء العالم الذين هم في غفلةٍ عما هو زائل. لا يوجد في واقع الأمر ملهاة وكوميديا في الحياة، وأبناء الله يدركون ذلك، بل هم دائماً على سكّة الباب الضيّق نحو تاجٍ سماويّ يرجون نواله. حسبوا حساب الكلفة وخرجوا من العالم ووضعوا لأنفسهم أُمْنيةً واحدة وهي أن يُتمّموا سَعْيَهم بفرح!

من عظة بعنوان: «**السباق المسيحي**».

مَسْكَنُنا

«يَا رَبُّ، مَلْجَأً كُنْتَ لَنَا فِي دَوْرٍ فَدَوْرٍ»

(مزمور ٩٠: ١)

الفكرة الأولى التي أرغب بتقديمها لك هي أنني سأريك العالم على حقيقته. أعرف أنه عالم جميل في العديد من النواحي، بحاره وأنهاره، شروق الشمس وغروبها، جباله ووديانه، حقوله ومواسمه، غاباته وفاكهته، وروده ورياحينه، أيامه ولياليه. كلُّ ما ذكرته يجسّد جمال العالم. ويفتقر القلب إلى الأحاسيس إذا كان لا يرى جمالاً مميزاً في هذا العالم!! ورغم جمال العالم كما ذكرت، فإنه يحتوي على أشياء منظورة تذكّرنا بأننا راحلون من هذا العالم في يوم من الأيام. فالعالم يبدو فندقاً أو خيمةً أو معبداً أو مأوى أو مدرسة تدريب، لكنه لا يبدو مسكناً دائماً بالمطلق!

إنّه عالم دائم التحوّل وكلّ ما حولنا دائم الحركة وهذا ما نراه في تبدل الأسماء والمواقع والأحداث من الماضي إلى الحاضر، وحتى في الشخصيات، لأن جيلاً يطوي جيلاً آخر وينساه أو على الأقل يصيرُ شيئاً من الماضي. وإن رأينا شيئاً خلاف ما ذكرنا، فإنه يبدو استثناءً للقاعدة! فإذا كان العالم حافلاً بالتبدلات السريعة فإننا لا نستطيع أن نسمّيه مسكناً دائماً! بل هو عالم مليء بالتجارب وخيبات الأمل. فالتجارب محدقة بالبيوت والعوائل مع المتزوجين وغير المتزوجين، مع الأولاد ودونهم، مع الأخوة والأخوات؛ مع المال والأعمال، مع الصحة والمرض، فنسمّي هذا الكمّ الهائل من التجارب: لجيئون (مصطلح في العهد الجديد يشير إلى فرقة من الشياطين). وأجيال أخرى ستأتي وستكتشف نفس الشيء. قليلة هي العائلات التي لها مظهر سليم. وكثيرة هي العائلات التي تبدو هيكلاً عظمياً. إنه عالمٌ، مليءٌ بكلّ هذه العناصر المزعجة لا يمكن أنْ يُسمى مسكناً دائماً.

هذه كلها أمور قديمة العهد فمن العقم أن نتفاجأ بها فهي الثمرة المرّة للخطيئة مع العواقب المحزنة للسقوط الذي دخلت معه التجربة والموت، أدخلها آدم وحواء بعصيانهما. إذاً لا مبرر للتأفف والدمدمة والتشكّي بل يُطلب منا قبول الأمر الواقع كما وجدناه عندما دخلنا هذا العالم. والمطلوب هو محاولة تخفيف أثقال الحزن وزيادة الراحة حيث نحيا، مع تصميم مستمر على العمل الأفضل مكاناً وزماناً دون أن ننسى لحظة واحدةً أنَّ العالم ليس مسكناً دائماً!!!

من عظة بعنوان: **مسكننا**».

في بيت أبي منازل كثيرة

«فِي بَيْتِ أَبِي مَنَازِلُ كَثِيرَةٌ، وَإِلاَّ فَإِنِّي كُنْتُ قَدْ قُلْتُ لَكُمْ.
أَنَا أَمْضِي لأُعِدَّ لَكُمْ مَكَانًا،
وَإِنْ مَضَيْتُ وَأَعْدَدْتُ لَكُمْ مَكَانًا آتِي أَيْضًا وَآخُذُكُمْ إِلَيَّ،
حَتَّى حَيْثُ أَكُونُ أَنَا تَكُونُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا، وَتَعْلَمُونَ حَيْثُ أَنَا أَذْهَبُ وَتَعْلَمُونَ الطَّرِيقَ»

(يوحنا ١٤: ٢-٤)

يمدّنا هذا المقطع بكمية من الراحة بخصوص السماء، أو ما يُدعى المسكن المستقبلي للقديسين. مفهوم السماء عندنا ونحن على الأرض ضئيل إلى حدٍّ ما. وهذا القليل الضئيل يقدّمه لنا الكتاب المقدس عن السماء من باب سلبيّ وآخر إيجابي. لكن الذي يهمنا نحن هو التسمية التي وصلتنا «**بيت أبي**» أبي هو نفس ما عناهُ الرّب يسوع عندما قال: «... **أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلهِي وَإِلهِكُمْ**» (يوحنا ٢٠: ١٧). إنه بعبارة بسيطة: منزل، وهو منزل المسيح والمسيحيين المؤمنين. تعبير مُنْعش يؤثّر في النفس. لأنه يعني المكان الذي نحبه عموماً جميعنا لأنه سيصير من ممتلكاتنا كَهِبة أو هدّية وقد أعطانا إياه من أحبّنا إلى المنتهى ويرحّب بنا دائماً. هذه فكرة سامية عن السماء تبيّن أننا غرباء في الأرض والحياة مدرسة مفروض أن نتأهل فيها للمسكن الأبوي القادم!

أضف إلى ذلك، السماء حسب قول يسوع فيها أيضاً «منازل كثيرة» يعني أنها تستوعب الجميع كبار القديسين مع صغارهم وللجميع وحتى لأضعف واحد منا فلا داعي للقلق من أن لا يتوفّر مكانٌ للبعض، ولن يُغْلق الباب في وجه أحد مهما بلغ انغماسه في الخطيّة، بشريطة التوبة الصادقة. فلا يبْرح من ذهننا أنَّ عمل الروح القدس فينا يمنحنا الراحة ويؤهلنا لنتكلم عنها مع المتعبين. فإنْ كنّا نرجو السماء ينبغي أن نفكّر دائماً بأنّها مكان سعيد جداً!!

من عظة بعنوان: «**حديث مختصر عن السماء**».

هل تمتلك قلباً جديداً

«وَأُعْطِيكُمْ قَلْبًا جَدِيدًا، وَأَجْعَلُ رُوحًا جَدِيدَةً فِي دَاخِلِكُمْ،
وَأَنْزِعُ قَلْبَ الْحَجَرِ مِنْ لَحْمِكُمْ وَأُعْطِيكُمْ قَلْبَ لَحْمٍ»

(حزقيال ٣٦: ٢٦)

القلب السليم أو الصحيح هو «**قلبٌ جديد**» (حزقيال ٣٦: ٢٦). ليس هو القلب الذي وُجد مع الإنسان يوم مولده. بل قلب وضعه الروح القدس مكان القلب القديم وله أذواق مختلفة وأفراح مختلفة واهتمامات مختلفة ورغبات مختلفة وآمال مختلفة ومخاوف مختلفة وميول مختلفة. كلّها جديدة عمّا سبق!! حتى نظرته للنفس الخاطئة والعلاقة مع الله والمسيح والخلاص والكتاب المقدس والصلاة والسماء والجحيم والعالم والقداسة؛ وكلّها جديدة إجمالاً! كأن القلبَ يُشبه مزرعةً لمُسْتثمر جديد. «**الأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ، هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيدًا**» (٢كورنثوس ٥:١٧).

القلب السليم هو «**الْقَلْبُ الْمُنْكَسِرُ وَالْمُنْسَحِقُ**» (مزمور ٥١: ١٧). قد قطع العلاقة مع الكبرياء وخداع الذات والبرّ الذاتي، وقد طالهُ التصدّع والتشقّق والانكماش إلى أصغر ذرةٍ فيه. ورأيه في نفسه هو أنه مذنب وفاسد ولا قيمة له. وقد ذابت فيه المعاندة والغلاظة وعدم الإحساس. لقد تلاشت هذه الخصال غير الحميدة كلّياً من القلب الجديد الذي لا يُجرّب الله ولا يتطاول على الذات الإلهية، رقيقٌ حسّاسٌ يرْتعد من الخطيّة ويهرب من الذنوب! (٢ ملوك ٢٢: ١٩). متواضع ووديع ولا يرى في ذاته أيّ شيء صالح.

إذاً، القلب السليم أو الصحيح هو قلبٌ يتّخذ المسيح فقط باباً للخلاص ويسكن المسيح فيه بالإيمان! (رومية ١٠: ١٠ وأفسس ٣: ١٧). يرتكز بثباتٍ على كفاية كفارة المسيح وشفاعته ووساطته. مرشوش ضميره بدم المسيح! (عبرانيين ١٠: ٢٢). يلْتفت بالبوصلة الروحيّة دائماً نحو المسيح! لأن في المسيح سلامه ونعمته ورحمته الوافرة دائماً نحو شمس البرّ كما تتّجه نبْتةُ دوّار الشمس إليها! غذاؤه اليومي هو المسيح بكلِّ عناصر التغذية. كما كان المنّ في البريّة لبني اسرائيل. وهو أيضاً أساس بنائه وحجر زاويته وهو الطبيب والوصيّ والرفيق الأَلْزق من الأخ!

من عظة بعنوان: «**القلب**».

احذروا من البدع والضلالات

«وَكَانَ هؤُلاَءِ أَشْرَفَ مِنَ الَّذِينَ فِي تَسالُونِيكِي، فَقَبِلُوا الْكَلِمَةَ بِكُلِّ نَشَاطٍ فَاحِصِينَ الْكُتُبَ كُلَّ يَوْمٍ: هَلْ هذِهِ الأُمُورُ هكَذَا؟»

(أعمال ١٧: ١١)

لنكن في حالة يقظة دائماً ضد العقائد الباطلة. الإيمان المنحرف لا يمكن أن يكون أساساً لممارسة سليمة وخصوصاً في الأيام الأخيرة التي نعيشها. يزداد الابتعاد عن الإيمان، لذا يتوّجب أن تكون الأحْقاء مشدودة بحزام الحقّ وعلى جاهزية بعدم قبول أية فكرة لا يُجيزها الكتاب المقدس. لا تظنّ أنّ البدعة أو الضلالة ستواجهك وجهاً لوجه قائلةً: «أنا العقيدة الكاذبة وأريد أن أدْخل قلبكْ. فالشيطان لا يعمل هكذا سذاجة بل يجمّل البدعة كما فعلت إيزابيل إذ غيّرت ملامح وجهها وشكل هندامها متشبّهةً بالحقْ. لا تظن أن أهل البدع لا يعرفون كيف ينسجون الحق مع الباطل لأن الباطل لوحده مكشوفٌ وبالتالي ضرره مردود عليه. كلا! الباطل يمْتزج مع الحقّ ومع تعاليم الكلمة كالسمّ في الدّسُم!

بعض العظات بأغلب عناصرها سليمة ما عدا بعض الجُمل المدسوسة وهذا هو الضرر الرئيس، لأن السمّ يضرّ الجسم رويداً رويداً حتى يتسمّم الجسم كلّه الذي يسقط صريعاً ضحية الضلالة التي لم ينتبه لها!

أخوتي، انتبهوا. تذكّروا أن الشيطان نفسه يظْهر على شكل ملاك نور. لذا ينبغي الانتباه إلى عدم خلط الحقّ الإلهي مع فلسفات العالم. لأن الشيطان ينشئ خيطاً رفيعاً جدّاً بين أبناء النور في جماعة الإيمان مع أبناء الظلام المندسّين بينهم. لا تغرّكم المظاهر من جهة الزهد والتواضع لأن التمثيل في التظاهر بالورع من صوم وترديد كلام ولباس، لكي يحوّل المسار الصحيح المتعلّق بعقيدة التبْرير بالإيمان وحده دون أعمال الناموس، انتبهوا لئلا تُفْسد أذهانكم عن البساطة التي في المسيح!!

من عظة بعنوان: «**تأملوا ملياً بطرقكم**».

العالمُ ماضٍ وشهوته معه

«وَالْعَالَمُ يَمْضِي وَشَهْوَتُهُ، وَأَمَّا الَّذِي يَصْنَعُ مَشِيئَةَ اللهِ فَيَثْبُتُ إِلَى الأَبَدِ»

(١ يوحنا ٢: ١٧)

أعمى من لا يرى حقاً هذه القاعدة. كلّ ما حولنا زائل ومائت وله نهاية لا محالة. الاحساس والشعور بالأبدية مسألة فِطرة عند الإنسان وهذا ينْسحب على كلّ الخلائق رغم أن بعض الناس يعتقدون أنّ نفس الإنسان وحدها مائته. كلّا؛ الكلّ راحل من مختلف طبقات الناس دون استثناء وعلى كلّ المستويات! كلنا سنرحل إمّا اليوم أو غداً أو بعد غدٍ!

قد تبدو هذه الحقائق مؤلمة ومُهينة، أمّا نحن فليس أمامنا سوى الاحتفاظ بها في القلب. البيوت التي نعيش فيها والأُسَر التي ننتمي إليها ونحبّها والأملاك والمُقْتنيات التي نُراكمها والمِهَن التي نزاولها والخطط التي نرْسُمها والعلاقات التي نُقيمها والعلاقات التي نؤسّس لها، ما هي إلّا مؤقتة إذْ تبْقى الى حين ثم تتلاشى رغم أنّها الآن تحت إمرتنا وتصرفنا «**وَالَّذِينَ يَسْتَعْمِلُونَ هذَا الْعَالَمَ كَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَعْمِلُونَهُ. لأَنَّ هَيْئَةَ هذَا الْعَالَمِ تَزُولُ**» (١ كورنثوس ٧: ٣١) هذه الفكرة كافية لأن تُنْهض الوعي عند كلّ من يعيش الحياة وكأنّ لا شيء يأتي بعدها، وإن لم تعْتمل الضمائر بحثاً عما هو أبْقى!

بالمقابل، هذه الفكرة الحقيقية عن العالم تُنْعش المؤمن المسيحي لأنه لم يعلّق على العالم أيّ رجاء بلْ يتحمّل التجارب والصعاب عالماً أنها آيلة إلى الزوال، ونهاية الأمور بيد صاحب السلطان الذي يضعْ كلّ الظروف لخدمة أولاده «**لأَنَّ خِفَّةَ ضِيقَتِنَا الْوَقْتِيَّةَ تُنْشِئُ لَنَا أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ ثِقَلَ مَجْدٍ أَبَدِيًّا. وَنَحْنُ غَيْرُ نَاظِرِينَ إِلَى الأَشْيَاءِ الَّتِي تُرَى، بَلْ إِلَى الَّتِي لاَ تُرَى. لأَنَّ الَّتِي تُرَى وَقْتِيَّةٌ، وَأَمَّا الَّتِي لاَ تُرَى فَأَبَدِيَّةٌ**» (٢كورنثوس ٤: ١٧–١٨). فقط الصبر والتأنّي والتطلّع حولنا وإلى أبعد مما تراه العيون يشجعنا على الجهاد الحسن تحت قناعة راسخة بأنها مؤقتة وأن الرّاحة ليست بعيدة. فاحملوا صليبكم مع ذاكرة حيّة تؤكد أن هذه هي واحدة من «الأشياء التي تُرى». وقريباً سيُستبدل الصليب بإكليلٍ ملوكي ثم تجلسون مع ابراهيم واسحق ويعقوب في ملكوت الله!

من عظة بعنوان: «**أفكار عن الخلود**».

المسيح المصلوب

«لأَنِّي لَمْ أَعْزِمْ أَنْ أَعْرِفَ شَيْئًا بَيْنَكُمْ إِلاَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ وَإِيَّاهُ مَصْلُوبًا»

(١ كورنثوس ٢: ٢)

لتكن عيون إيمانك مفتوحتين يومياً على المسيح المصلوب. هذا المشهد يريح النظر. ماذا ترى عندما تنظر إلى يسوع معلقا على الصليب؟ سترى حتماً ابن الله الأزلي متألماً، نازفاً، في نزاع مع الموت ومن ثمَّ يموت، والسبب في ذلك هو دفع دين نفسك الخاطئة ويُسدّد دَيْن خطاياك كاملاً. سوف ترى أيضاً أخطر صفقة عُملت في التاريخ منذ تأسيس العالم. طبعاً ترى أيضاً بديلاً إلهياً يأخذ مَكانك. البارّ لأجل الأثيم؛ حاملاً خطاياك، متحمّلاً ذنوبك. قابلاً اللعنة بسبب الخطية الي يُفْترض أن تنزل عليك وكخاطئ كما أنت؛ وافق أن يحرّرك من الذنب ويجعلك بريئاً أمام الله.

عزيزي القارئ، انظر بثباتٍ إلى المصلوب إذا كنْتَ ترغب الحصول على السلام الداخلي. أمّا إذا نظرت إلى نفسك واستحقاقاتك، فلا أعتقد أنّك ستنال سلام القلب. ودعني أصارحك إنّ أعمالك في الحياة وانْشغالك ومحاولة إصلاحِ نفسك وأخلاقياتك وقيمك ومواظبتك على العبادة واشتراكك في الفرائض مع قراءتك الدائمة للكتاب المقدس وصلاتك المثابِرة؛ كلّها تراكُمٌ لكَوْمةٍ عالية من النواقص! لا تتكلّ عليها ولو للحظة في مجال التبرير. قد يكون هناك فوائد موسمية لرغباتك ومشاعرك وذوقك وعاداتك وميولك لكن أمام قاعدة القبول عند الله، هي نفاية لا قيمة لها!! لأنها عاجزة عن أن تؤمّن لك قبولاً عند الله ولا تقدر أيضاً أنْ تحمل أثْقال خطاياك، ولا تساعدك في البحث عن الله. على المسيح المطلوب وحده الذي صنع كفارة كافية لخطاياك على صليب الجلجثة. هذه الواقعة وحدها هي درب السلام!

انظر الى يسوع المعلّق على الصليب ولا تأبه بأي حديث آخر يبعدك عن هذه الحقيقة. لأنك أخي القارئ، لن تجد في عقيدة كفارة المسيح على الصليب ما يُخْجل، لأن النفس لا ترتاح الّا عندما تدرك أن هذا العمل صَنعهُ المسيح من باب المحبّة. لا تلتفت إلى الوراء بل ثبّت نظرك نحو المصلوب الذي واجهَ الموت وقُلْ بصوتٍ عالٍ! كل هذا لأجلي!!

من عظة بعنوان: «**أتراك تنظر**».

حقيقة الجحيم

«هكَذَا يَكُونُ فِي انْقِضَاءِ الْعَالَمِ: يَخْرُجُ الْمَلاَئِكَةُ وَيُفْرِزُونَ الأَشْرَارَ مِنْ بَيْنِ الأَبْرَارِ، وَيَطْرَحُونَهُمْ فِي أَتُونِ النَّارِ. هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ»

(متى ١٣: ٤٩-٥٠)

أعرف الكثيرين ممّن يقرّون بوجود الجحيم لكنهم لا يفضلّون الحديث عنه، وكأنه موضوع يُفضّل استبعاده ولا فائدة من طرحهِ على طاولة البحث لأنه يُثير الرعب، لكنّ هذا يُسعد الشيطان الذي يريد كمَّ الأفواه ازاء هذا الموضوع الخطير. وكأن الشيطان يقول «لا تفتحوا هذا الموضوع عن الجحيم». لأن ناصب الفخّ يتوخّى الهدوء عندما ينصب فخّه لئلا تتعطّل مساعيه. وكذلك الذئب يفضّل أن يبقى الراعي نائماً عندما يحُوم حول القطيع، وهكذا تماماً ما يريد الشرير إذْ يفرح عندما يرى المؤمنين بالمسيح نياماً أو صامتين حول موضوع الجحيم.

هل تؤمن بالكتاب المقدس؟ إذاً اعتمد عليه بكلّ ما يقوله! الجحيم حقيقة واقعة وقائمة، وحقيقتها كحقيقة السماء تماماً. وكأي عقيدة كتابية أخرى، كالتبرير بالإيمان مثلاً وكعقيدة موت المسيح الكفاري على الصليب كمثالٍ آخر. إن الشك بوجود الجحيم يستدعي الشك بكلّ عقائد الكتاب، وهذا غير وارد. فإذاً رفضك فكرة الجحيم، يعني أنك أضعفت وزعزعت كلَّ مواضيع الكتاب وفككته إلى عناصر تركيبته! حتى يمكنك أن تستغْني عن الكتاب المقدس جملةً وتفصيلاً! بمعنى آخر: لا جحيم! لا وجود لله! وبالتالي لكل مؤمن بكامل الكتاب المقدس، فإنه يسْهل عليه متابعة خطوات روايته! هل تؤمن بالكتاب المقدس؟ إذاً ثق بأن الجحيم حقيقة وفيه قاطنون أشرار هم سكان ذلك المكان. وكلّ الناسين الله، كلّهم إلى عقاب أبدي. لأن نفس المخلّص المبارك الجالس على عرش النعمة سيجلس يوماً ما على عرش الدينونة، الذي هو يوم غضب أكمل، إذْ سيراه الجميع لأن نفس الشخص الذي يدعو بلسانه المبارك اليوم «**تعالوا إليّ**» سيقول في ذلك اليوم: «**أبعدوا عني يا ملاعين**». فما أصعب الموقف الذي به يُدان الإنسان من قِبَل المسيح ويُحكم عليه من قِبَل المخلّص فيذهب إلى الشقاء الأبدي بحكم من قبل حَمَل الله.

من عظة بعنوان: «**ستحرق العصافة بنار لا تطفأ**».

من هو كاهنك؟

«فَإِذْ لَنَا رَئِيسُ كَهَنَةٍ عَظِيمٌ قَدِ اجْتَازَ السَّمَاوَاتِ، يَسُوعُ ابْنُ اللهِ، فَلْنَتَمَسَّكْ بِالإِقْرَارِ»

(عبرانيين ٤: ١٤)

إن السؤال أعلاه أمام ناظريك يستحق الانتباه. سواء كنتَ على علمٍ به أم لا، لأنه سؤال على قدر كبير من الأهميّة. فالراحة لمن يسعى إليها في المجال الروحي حسب تعليم الكتاب تقتضي وجود وسيط يسمّى الكاهن، لأنَّ العهد القديم قد حدّد أنه حيث لا كهنوت لا تمثيل حقيقي للإنسان أمام الله. الأمر الذي يضع الإنسان في فقرٍ روحي وشقاء من فقدان القوة والنّفع. فما هي عقيدتك الروحيّة حول هذه المسألة؟ هل تمتلك وسيطاً بيْنك وبين الله يمكن أن تسميه كاهناً؟

أنت وأنا خلائق غير مؤهلة بسبب خطايانا وفسادنا لأن تكون لنا علاقة بالله. والله قدوس لا يحتمل ما هو شر وهو من الرفعة والجلال بحيث نبقى أمامه في خوف، ولا نقوى أو نتجاسر على التحدث معه أو النظر إليه وجهاً لوجه. إذاً نحتاج إلى صديق كلي القدرة بيننا. نحتاج إلى وسيط شفيع، قادر وراغب ومحب ومؤهل ومجرب وعلى الجهوزية لأن يساعدنا. فهل تمتلك وسيطاً بيْنك وبين الله يمكن أن تسميه كاهناً؟

إن المسيحية في العهد الجديد تقدّم للإنسان تماماً ما يرغبُه وما تسعى إليه نفسه وضميره. وإنه لمن دواعي مجد الكلمة الإلهية أن تُعْلن للإنسان عن الصديق والوسيط الذي يحتاجه وهو يسوع الإنسان الكامل والإله الكامل وهو أيضاً الكاهن الأعظم الذي يلبّي كل احتياجاتنا، وهو الذي تقدمه الرسالة إلى العبرانيين بهذه الوظيفة الرفيعة الذي تلهف إليه قلوبنا وتميل نحوه رغائبنا. فاذا كان يسوع هو كاهن نفسك! إذاً عِشْ لحظة بلحظة لمجيئه الثاني، وكشخص يتوقُ بشوقٍ شديد لرؤيته وجهاً لوجهٍ كونه مخلّصك الذي آمنت به. فطوبى للمؤمن المسيحي الذي يعيش حياته بالإيمان في المسيح الذي مات لأجله ويشفع به الآن وسيعود ثانية لأن هنالك إكليل مهيأ «**لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُحِبُّونَ ظُهُورَهُ**» (٢ تيموثاوس ٤:٨) فليتنا نظهْر الجدّ والمثابرة والسعي طالما نحن أحياء حتى يكون الإكليل من نصيبنا حينذاك!

من عظة بعنوان: «**هل لديك كاهن**».

فَليُقْبل إليّ كلُّ عطشان!

«وَفِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ الْعَظِيمِ مِنَ الْعِيدِ وَقَفَ يَسُوعُ وَنَادَى قَائِلاً: «إِنْ عَطِشَ أَحَدٌ فَلْيُقْبِلْ إِلَيَّ وَيَشْرَبْ. مَنْ آمَنَ بِي، كَمَا قَالَ الْكِتَابُ، تَجْرِي مِنْ بَطْنِهِ أَنْهَارُ مَاءٍ حَيّ»

(يوحنا ٧: ٣٧ – ٣٨)

عنوان تأمل اليوم ينطوي على واحدة من أقوى إعلانات المسيح وتستحق أن تُكْتب بماء الذهب. طبعاً كلّ الكتاب موحى به من الله. لكن والحقّ يُقال إنَّ بعض آيات الكتاب الغنيّة والدسمة تلمس شغاف القلب بشكل خاص ومنها موضوع تأملنا اليوم!

فلكي نرى قوة وجمال النصّ بمجمله، علينا أن نربط الزمان والمكان والمناسبةَ التي قيل فيها هذا التصريح من يسوع: فالمكان هو أورشليم عاصمة شعب الله، ومَعْقل الكهنة اللاويين مع الكتبة والفرّيسيين والصدّوقين؛ وكانت المناسبة هي عيد المظال وهو واحد من أعظم أعياد اليهود السنوية. أمّا الزمان فقد كان آخر يوم من العيد حيث تتمّ فيه زيارة الهيكل حسب الناموس. وفي ذلك اليوم تكون الشعائر والعبادات المختصة بالعيد كافة قد قاربت على النهاية. حيث يُسكب على المذبح الماء الذي يؤتى به من بركة سلوام، ولا يبقى للعابدين سوى العودة إلى منازلهم.

في هذه اللحظة وقف ربنا يسوع المسيح في مكان بارز وخاطب الجموع المُحْتشدة. أنا واثق أنه قرأ ما في قلوبهم وعلم أنهم يعودون وضمائرهم تؤلمهم وعقولهم لم تُشبع، لأنّ ما يقوله معلموّهم العُميان لا يشبع القلب ولا الضمير. ناهيك عن الشعائر التي تمارس بفخْامة فارغة عديمة المضمون في استذكار عقيم. لذلك أشفق الرّب عليهم ونادى بصوت عالٍ منادياً: «**إن عطش أحدٌ فلْيقبل إليّ ويشرب**». وأظنُّ أنّ هذا القول هو جزءٌ من خطاب طويل قالَهُ الربُّ في تلك المناسبة التذكارية، وأعتقد أن هذه العبارة القصيرة هي مفتاح خطابه الموجّه للجموع. ربّما هي الجملة الأولى التي نطق بها بشفتيه. فهنا نقول: إن كان أحدٌ يرغب بشربِ ماءٍ حيّ، ماءٍ كافٍ ووافٍ يُشْبع العطشان: فلْيأتِ إلى يسوع!!

من عظة بعنوان: «**فليقبل إليَّ كل عطشان**».

فلْنخْلع أعمال الظلمة

«قَدْ تَنَاهَى اللَّيْلُ وَتَقَارَبَ النَّهَارُ، فَلْنَخْلَعْ أَعْمَالَ الظُّلْمَةِ وَنَلْبَسْ أَسْلِحَةَ النُّورِ»

(رومية ١٣: ١٢)

أخوتي القرّاء: نعيش كلّنا في عالم يتدحرج بسرعة فائقة نحو يوم الدينونة.

سوف تأتي ساعة في قادم الأيام حيث تحترق الأرض والمصنوعات التي فيها ثم يقف الناس جميعاً أمام كرسي محكمة المسيح. قضايا ذلك اليوم. ملفّات هامة جداً ويجدر بنا إيلاء ذلك اليوم اهتمامنا وتفكيرنا، فهل انت مستعدٌ لذلك اليوم؟ ربما يعطينا الله عمراً نحضر فيه مشهد ذلك اليوم، هل تعتقد ذلك؟ هل تراه قريباً أم تراه بعيداً؟ في أي وقت يا تُرى؟

تعالوا اليوم ندرس سويةً أفكار رسول ملهم هو جدوى هذا الموضوع الخطير. يقول: **«قَدْ تَنَاهَى اللَّيْلُ وَتَقَارَبَ النَّهَارُ، فَلْنَخْلَعْ أَعْمَالَ الظُّلْمَةِ وَنَلْبَسْ أَسْلِحَةَ النُّورِ»** فمن المفترض أن تدخل هذه الكلمات نفوسنا كصوْت البوق وتوقظ أذهاننا النائمة وتوجّهها نحو حقائق الأبدية الماثلة أمامنا؛ إنها تناشدنا أن نطرح تفاهات ومماطلات واستهتارات مسيحيّتنا السطحية ونبدأ مسيرة قريبة مع الله. ويحضرني هنا أربعة أشياءٍ أودّ مشاركتكم بها واليكم التالي:

١- أمامكم هنا وضع العالم الحالي، إنه ليل حالك.

٢- أمامكم وضعية العالم في تصوّر قادم حيث سيتبلّور يوماً ما.

٣- أمامكم وقتٌ مخصّص يتعلّق بمصيرنا حيث مضى جزء لا بأس به من الليل وبات طلوع النهار وشيكاً.

٤- أنتم أمام مسؤولية وواجب كعارفين الوقت لكي تخْلصوا من أعمال الظلمة وتلبسوا أسلحة النور. هكذا هي التوصية الرسولية!

من عظة بعنوان: **«الأحداث القادمة والمسؤوليات الحاضرة»**.

ما هو رجاؤك

«أَمَّا أَنَا فَأَرْجُو دَائِمًا، وَأَزِيدُ عَلَى كُلِّ تَسْبِيحِكَ»

(مزمور ٧١: ١٤)

عزيزي القارئ: ما هو رجاؤك بخصوص نفسك؟ هل لك نفس أم ليس لك؟ هل تستطيع أن تخبرني كيف تُعتبر في نظرِ الله بارّاً؟ لا تستهن بهذه الأسئلة؛ لأننا جميعاً راحلون ومعرّضون للموت. وبعد الموت الدينونة، ما هو رجاؤك بخصوص البراءة في ذلك اليوم الذي لا مفرّ منه؟ كيف سترافع أو تدافع عن نفسك أمام الله؟

هل سنقول إننا أتمّمنا واجباتنا تجاه الله؟ هل قمنا بواجبنا كاملاً نحو الجار ونحو القريب؟ هل سنقدّم أدّلة قائمة على صلواتنا وصدقاتنا وحسناتنا وعباداتنا في الكنيسة وإصلاح نفوسنا؟ هل نجرؤ على طلب أن يقبلنا الله بناءً على ما ذكرناه آنفاً؟ أيٌّ من هذه الممارسات تؤهّلنا أن نقف أمام أنظار الله؟ أيٌّ من هذه الممارسات تقْدر أن تُبرّركم وتبرّرني؟

أيٌّ من هذه الممارسات توقفنا أمام الدينونة ونحن أنقياء؟ وتسمح لنا أن ندخل المجد بأمان؟ ولا واحدة صدقوني! لو أخذنا لا على التعيين واحدة من الوصايا العشر وفحصنا أنفسنا على صونها نرى أننا كسرنا الوصايا مراراً وتكراراً، لذا، ونحن بهذه الحال عاجزون عن أن ندافع عن أنفسنا والسبب هو لأننا لدى التدقيق بقراراتنا سنخرج بنتيجة أننا مجرّد خطاة. وليس إلا حكم واحد بحقّنا هو أننا مذنبون ومصيرنا الهلاك والموت. لذا والحالة هذه كيف نمْثل أمام الله؟

باسم يسوع فقط يحقّ لنا الوقوف أمام الله وكلّ ما عدا ذلك رمال متحركة! القاعدة الكتابية تستند على أنَّ «المسيح مات على الصليب لأجل الخطاة وأنا أضع ثقتي الكاملة فيه» صدّقوني أن المسيح وحده جدير بأن يكون رجاء كلِّ واحد منّا، لكلِّ طالب تبريرٍ وخلاصٍ. فاطلب الدخول إلى السماء باعتبارك محتاج عاجز عن تلبية احتياجه بنفسه، ولأنّ الاحتياج الذي هو النعمة!! فلا يمكن تسديده بأية إمكانية خارج المسيح والإيمان به بكلّ بساطة للتبرير والخلاص. **«لأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالإِيمَانِ، وَذلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللهِ. لَيْسَ مِنْ أَعْمَال كَيْلاَ يَفْتَخِرَ أَحَدٌ»** (أفسس ٢: ٨-٩).

من عظة بعنوان: **«ما هو رجاؤك»**.

درب السعادة

«مَا أَعْظَمَ جُودَكَ الَّذِي ذَخَرْتَهُ لِخَائِفِيكَ، وَفَعَلْتَهُ لِلْمُتَّكِلِينَ عَلَيْكَ تُجَاهَ بَنِي الْبَشَرِ!»

(مزمور ٣١: ١٩)

هناك طريق آمنٌ وحيد للسلام إن أراد الناس السّير عليه. ولم يخطئ في الماضي أيُّ إنسان سلك فيه أو اكْتشف أنّه كانَ على السكّة الخاطئة التي لن توصله إلى مبتغاه. وللعلم نقول: إنّه طريقٌ مفتوح للجميع. ولا يحتاج السالكون فيه إلى مالٍ أو منصبٍ أو مستوى ثقافي رفيع أبداً! هو للعامل البسيط كما لصاحب العمل، هو للفقير المُعْوز كما للغنيّ الموسر. لا يستثنى من حقّ السير عليه أحدٌ إلا من يريد أن يسْتثني نفسه! طريق السعادة هو طريق الواقع لمن هم واقعيون وفَطِنون ومخْلِصون أوفياء كمسيحيين حقيقيين. وقد أثبت الكتاب المقدس بأنَّ التجربة أكبر برهان فالإنسان المتجدّد والمؤمن بالمسيح الذي هو مولود من الله، هو الإنسان الوحيد السعيد ولو بدا هذا الكلام بسيطاً لكنه صحيحٌ؛ حتى تبدو وظيفته السهلة غير مُقْنعة للبعض، فتذكّر إذاً؛ إن أعظم الحقائق يُعبّر عنها دائماً بأبسط العبارات. والكتاب يقول إنَّ حكماء العالم فشلوا في اكتشاف السرّ الذي أُخفْي عنهم وأُعْلنَ للمؤمن المتواضع في المسيح، وأنا أتحدّى العالم أن يُثْبت بطلان هذا النّهج.

المسيحي المؤمن البسيط هو أسْعد كائن على وجه الأرض وطبعاً، أقصد بذلك المؤمن من القلب ومن أعماقه قناعةً وتطبيقاً! هذا المؤمن أو المؤمنة يتلّقى من الروح القدس تعليماً مباشراً من خلال الكلمة الإلهية التي ترشده إلى أن يضع رجاءه كليّاً في الرب يسوع المسيح الذي أتمّ بنجاح باهر كفارته وانتصاره على الموت، وقد وُلِد ثانيّة بالروح ليسلك في حياة القداسة ولا يكْفي أن يكون مسيحياً في يوم الأحد فحسب بل تحت انضباط يوميّ حسب المبادئ الكتابية إذْ يظهر المسيح فيه واضحاً. هذا ما أعْنيه بالمسيحي السعيد!

من عظة بعنوان: «**السعادة**».

كن مسيحيّاً غالباً

«وَهُمْ غَلَبُوهُ بِدَمِ الْخَرُوفِ وَبِكَلِمَةِ شَهَادَتِهِمْ، وَلَمْ يُحِبُّوا حَيَاتَهُمْ حَتَّى الْمَوْتِ»

(رؤيا ١٢: ١١)

صمموا أخوتي الأعزاء على أن تكونوا مسيحيين غالبين لأنني أخشى كثيراً على المسيحيين الاسميين الذين لا يحملون أية علامة أنهم في حال صراع مع الخطيّة، وبالتالي لا علامة انتصار في حياتهم. إنّهم لا يؤازرون المسيح في الحرب الروحية بل بالعكس يعيشون معاهدة سلام مع عدوّ النفوس! ومتفاهمون مع الخطيّة. أحذرك عزيزي القارئ: إنَّ هذا النمط من الحياة ليس من المسيحيّة بشيء وليس مؤشراً للدرب الموصل إلى السماء.

أيها الرجال والنساء ممّن تسمعون الكلمة الإلهية بانتظام، أخشى عليكم أن تعتاد آذانكم على ذلك فتصير الكلمة التي تسمعونها دائماً غير ذات قوّة أو فاعليه على حياتكم! وتتحوّل أحاديثكم إلى استعراض مستمر لضعفاتكم وسقطاتكم المتكرّرة مع القليل من الرجوع إلى تعاليم المسيح بطريقة عاطفية سطحية مقابل إهمالٍ كاملٍ للحرب الروحيّة لأجل المسيح وامتداد ملكوته وانتشار كلمته. وتذكّروا هذا القول: «**وَلكِنْ كُونُوا عَامِلِينَ بِالْكَلِمَةِ، لاَ سَامِعِينَ فَقَطْ خَادِعِينَ نُفُوسَكُمْ**» (يعقوب ١: ٢٢). لا إكليل إلّا للغالبين؛ جاهدوا روحياً وانتصروا!

أخوتي المؤمنين بالمسيح من كلِّ كنيسة ومقام في الحياة. أشْفق عليكم، لأنّني أعرف صعوبة المسار، وأعرف أن الصراع مع عدو النفوس كم هو شرس، وأعلم أنكم قد تصلون إلى محطّة تقولون فيها «لا جدوى ممّا نعمل» وعندها تضعون جانباً سلاح الرّوح الذي يتكلّم عنه الكتاب. أخوتي أدعوكم للانتعاش والتلذّذ بالنظر الى الجانب المضيء من مركزكم في المسيح وهذا يكفي لكي تتابعوا المسيرة لأن وقت الراحة قريب! ومجيء الرّب على الأبواب! فلقد تناهى الليل. صحيح أن ملايين الاشخاص اعترفوا بضعفهم لكن لم يؤخذ أيٌّ منهم أسيراً للشيطان لأنّ الرّب يحارب عنكم! لأن قوة العدّو الضاريّة هزيلةٌ أمام قوّة المسيح الذي هو رئيس خلاصنا القويّ. ذراعه ونعمته وروحه يحصّن حياتك! تلذّذ بالرب! ولا تنحني أمام الصعاب!

من عظة بعنوان: «**المعركة العظمى**»

استغرب من عدم إيمانهم

«وَتَعَجَّبَ مِنْ عَدَمِ إِيمَانِهِمْ. وَصَارَ يَطُوفُ الْقُرَى الْمُحِيطَةَ يُعَلِّمُ»

(مرقس ٦: ٦)

إن نص آية اليوم في غاية الأهميّة لأن الأناجيل الأربعة تظهر الإنسان الكامل يسوع المسيح، إنما ليس فيها ما يجفل أكثر من هذا النص! فهو المولود من عذراء ومُهيأ لأية معاناة ممكنة من جوع وعطش وحزن ودموع وفرح وألم وتعب والتي نفهمها كلّها لدرجة ما رغم أنه العارف بكامل كيان الإنسان ومن المفروض ألا يستغرب من أيّ أمرٍ يشاهده ولو كان بالنسبة لنا مدهشاً. إلّا أن الكتاب يقول بوضوح العبارة التي لا لبس فيها: «**تَعَجَّبَ مِنْ عَدَمِ إِيمَانِهِمْ**».

فما هو عدم الإيمان الذي شاهده الرّب يسوع ابن الله والذي استدعى التعجّب؟ حتماً كان هناك شيء خاص وغير مألوف في عدم إيمان اليهود الذين هم بنو اسرائيل والذين تعلّموا منذ طفولتهم الناموس والأنبياء وتدرّبوا منذ الصِغَر على انتظار المسيّا، منتظرين نبيّاً عظيماً مثل موسى (تثنيه ١٨: ١٥). إن صنع المعجزات لدى بني اسرائيل مألوف من خلال سيرة الكثير من الأنبياء في العهد القديم! لذا لم يكن لديهم مبرّر في عدم الإيمان بالمعجزات التي صنعها في وسطهم. كلّ هذا كان كافياً لإثارة التعجّب والدهشة. والدهشة تمثلت في أنهم استهتروا بامتياز الأمّة الي فيها تُصنع المعجزات، والتعجّب إنّه رغم أنّ باب الحياة فُتح لهم وباتتْ السماءُ قريبةً منهم ومع ذلك رفضوا الدخول فيه!

أتجرأ وأقول إنَّ بعض الأخوة القرّاء مازالوا في طَوْر الشّكوك حَوْل مصداقية الإيمان المسيحي رغم أنهم ليسوا من رافضي الإيمان بل حاشا لي أن أقول هذا. لكنكم ترون أن الكثير مما هو في الكتاب المقدس قد يصْعُب فهمه وبعض فلاسفة الزمان الحاضرون يرفضون الكثير من محتواه، إنّ لم نقلْ كلّه، وقد يصل إلى مسامعكم كلامٌ يقلّل من قيمة عقائد الكتاب المقدس بملاحظات تقَدَّم بمهارة وقد تكونوا عاجزين عن الإجابة عنها. ربما يبدو لكم الأمر ملغزاً ومحيراً. فانتبهوا، إنَّ هذه ملاحظات خبيثه وقد تصل بكم إلى ضياع الإيمان!

من عظة بعنوان: «**عجب عدم الإيمان**».

الامتلاء بالروح

«وَلاَ تَسْكَرُوا بِالْخَمْرِ الَّذِي فِيهِ الْخَلاَعَةُ، بَلِ امْتَلِئُوا بِالرُّوحِ»

(أفسس ٥: ١٨)

إذا كان عندك الروح، فاسعَ لكي تمتلئ بالروّح. اشرب من ماء الحياة العميقة. لا تقْتنع بالديانة السطحية، صلِّ بأن يملأ الروح القدس كلَّ ركنٍ وكلَّ فراغٍ في قلبك دون أن يكون للعالم فيك مساحةً ولو قيد أُنْملة لأن العالم موضوع في الشرير. لذا وأنت تمتلك الروح مطلوب منك أن «**لاَ تُحْزِنُوا رُوحَ اللهِ الْقُدُّوسَ الَّذِي بِهِ خُتِمْتُمْ لِيَوْمِ الْفِدَاءِ**» (أفسس ٤: ٣٠). ويسْهُل أحياناً عند المؤمنين إضْعاف حضور الروح القدس فيهم وحرمان أنفسهم من راحته خصوصاً عند التغاضي والتساهل مع الخطايا التي تسمّى صغيرة والعادات المزاجية السيئة وسلاطة اللسان غير المنضبط والتماهي مع العالم. كلُّ هذا يُحْزن الروح القدس الساكن فينا. يا ليت الوعي واليقظة لا يبرحان أذهان المؤمنين! هناك أسباب للسعادة على الأرض كثيرة جدّاً ومَنشؤها سماوي، فلماذا لا تُسْتعمل هذه الأسباب للبركة؟ لأن الكثيرين لا يسهرون كفايةً على استعمالها في الحياة اليومية وبالتالي يُعطّل عمل الروح الذي من المفترض أن يؤدّي دوراً تقديسيّاً وتطهيرياً إذا أُريد منه أن يُريح أو يُسْعد النفس التي هي له!

فإذا كان الروح القدس عاملاً فيك لإنتاج الثمار الخاصّة به فانتظر منه ذلك ونحن نميز الروح فهو: «**مَحَبَّةٌ فَرَحٌ سَلاَمٌ، طُولُ أَنَاةٍ لُطْفٌ صَلاَحٌ، إِيمَانٌ وَدَاعَةٌ تَعَفُّفٌ. ضِدَّ أَمْثَالِ هذِهِ لَيْسَ نَامُوسٌ. وَلكِنَّ الَّذِينَ هُمْ لِلْمَسِيحِ قَدْ صَلَبُوا الْجَسَدَ مَعَ الأَهْوَاءِ وَالشَّهَوَاتِ**» (غلاطية ٥: ٢٢-٢٤)، فاقرأ هذه القائمة التي رَسَمها الرسول بولس بتأمّل وتأكد أنك لم تهمل أياً منها. وخصوصاً أعْمال قوة المحبة والفرح بفاعلية عالية توّلد كلَّ ما هو صالح نحو الآخرين، وهذا بحدّ ذاته يزيد من سعادتهم الشخصيّة، وهكذا تتجلّى حياتهم الروحية بأجمل وأبهى مظاهر البركة في عيون الناس!

تعالوا سوية نصلّي كيما ينّسكب الروح القدس بتدفّق عالي الوتيرة أكثر من أيّ وقت مضى: صلّوا يا أخوتي أن ينسكب الروح القدس على جميع المؤمنين في الدائرة الضيّقة والواسعة لكي يبلغوا الوحدة والقداسة بما يمجّد الرّب.

من عظة بعنوان: «**الامتلاء بالروح**».

حاشا أن أفتخر إلّا بالصليب

«وَأَمَّا مِنْ جِهَتِي، فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلاَّ بِصَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِهِ قَدْ صُلِبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا لِلْعَالَمِ»

(غلاطية ٦: ١٤)

بماذا نفكّر وبماذا نشعر إزاء صليب المسيح؟ كثيرون يعيشون في مجتمعات مسيحية ويمارسون الحرية الكاملة في المعتقد والعبادة. ومنهم من اعتمد على اسم المسيح ويدَّعون أنفسهم مسيحيين. كلُّ هذا لا بأس به وينسحب على كثيرين في بلدان أخرى؛ والسؤال الموجّه للجميع هو: بماذا نفكّر وبماذا نشعر إزاء صليب المسيح؟

سأتكلم عن شخص مسيحي مهم جدّاً كرّس حياته وفكره لإبراز أهمية عمل المسيح على الصليب، وقد كتب لنا آراءه وأعطى حُكْمه بكلمات لا لَبْس فيها. هذا الرجل هو الرسول بولس الذي كتب رأيه في الصليب في أهم رسالة تناولت هذا الموضوع وهي: الرسالة إلى أهل غلاطيّة. وقد توّج رأيه وأحكامَه في العقيدة كما يلي: **«وَأَمَّا مِنْ جِهَتِي، فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلاَّ بِصَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِهِ قَدْ صُلِبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا لِلْعَالَمِ»** (غلاطية ٦: ١٤).

والآن، ماذا قصد الرسول بولس بهذا القول؟ قصد أنَّ ثقته المطلقة ترتكز على يسوع المسيح المصلوب لغفران الخطايا وخلاص النفس الغالية عند الله. وأن يُعَلِّمْ كلّ من يبحث عن الخلاص في مكان آخر، وكلَّ من هو بصدد طرح ثقته لنوال الغفران والسلام خارج عمل المسيح ليراجعوا أنفسهم ويعطوا اهتماماً لكلام الرسول بولس المصمّم أنْ لا يعتمد ولا يتّكل على أي شيء غير يسوع المصلوب، لأن رجاءه وثقته وافتخارهُ لن يضيعها سُدى بأي تعليم خارج مفهوم الصليب وما يحمله من عقيدة الخلاص بيسوع المسيح. لذلك نرى بولس يفتخر فقط بصليب المسيح. واسْعَ جاهداً إلى أن تكون مثله! ضع نُصْب بصيرة نفسك المسيح المصلوب ولا تُصْغِ لأيّ تعليم يخْلق شرخاً بينك وبينه ولا تعطِ المجد اللائق بالمسيح لأي مخلوق آخر لأنه مكتوب: **«مَنِ افْتَخَرَ فَلْيَفْتَخِرْ بِالرَّبِّ»** (١ كورنثوس ١: ٣١).

من عظة بعنوان: **«صليب المسيح»**.

أفكار الأسقف رايل عن الإرساليات في ضوء الأزمنة الأخيرة

«لأَجْلِ ذلِكَ أَنَا أَصْبُرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ لأَجْلِ الْمُخْتَارِينَ، لِكَيْ يَحْصُلُوا هُمْ أَيْضًا عَلَى الْخَلاَصِ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، مَعَ مَجْدٍ أَبَدِيٍّ»

(٢تموثاوس ٢: ١٠)

أعترف تماماً أنَّ الإرساليات التبشيرية تؤدي عملاً عظيماً وسط الشعوب التي يخدمون بينهم برسالة العهد الجديد عبر المدارس والزيارات واللقاءات، ولهم الفضل في إنقاذ الآلاف في قبضة إبليس. ولا أقلل في قيمة مساعيهم البتّة، وأتمنّى من كلّ إخوتي المؤمنين أن يشاركوني في تثمين هذا المجهود. ومن الملاحظ أنه إذا ذَبُلت خدمة العهد الجديد في مكان أيْنعت في مكان آخر، ويمكن للمراقب أن يلاحظ ذلك بوضوح بدءاً من أوروبا وصولاً إلى آخر أصقاع المسكونة بانتظار أن تصل البشارة إلى كلّ المسكونة، وأن تأتي الجموع إلى خلاص المسيح ونحن نسمع في أيامنا عن بلوغ شهادة العهد الجديد إلى أربع جهات الأرض وأنّ المختارين ينضمّون إلى جماعة الرّب مّما يشجّعنا على تشجيع هذه الخدمة سيّما وأنّ المُرْسلين يخبروننا عن صنيع الله باختيارات عظيمة لإنجاح بشارة الملكوت.

أتوق إلى رؤية كلّ إنسان وقد اختبر الخلاص بالمسيح؛ علماً بأن ذلك ليس بأية إمكانيات بشرية على الإطلاق، بل هو الله الذي وعد بأن الأرض في يوم من الأيام ستمتلئ من معرفة مجد الله. وهذا ما أسمّيه تدبير جديد للنعمة سيحدث بعد المجيء الثاني للمسيح! لكن حتى ذلك الوقت، أعمل جاهداً لإيصال رسالة المسيح إلى كلِّ رجل وامرأة يمكنني الوصول إليهما رغم قناعتي بأن كمية هائلة من عدم الإيمان وحتى الشرّ ستقف عائقاً أمام البشارة. أؤمن أنَّ باب البشارة سيُفتح في يوم من الأيام على مصراعيه وأكثر من أيّ وقتٍ مضى، علماً أن الملائكة ستجد ضمن شبكة الصيد التي تحدّث عنها الإنجيل كثيراً من السمك السيء. أؤمن أن الفعلة الحقيقيين سيتكاثر عددهم لإعلان بشارة الملكوت؛ لذلك أصلّي كي يحقق الرب ذلك سريعاً ولو كان البذار المُلْقى في الحقل صالحاً فإن الزؤان سينجو معه بمسعى عمل عدّو النفوس. لكن صاحب العقل يعرف كيف يتصرف لفصل الزؤان عن الحنطة!

من عظة بعنوان: **«الأحداث القادمة وواجبات الحاضر»**.

ثمار المحبة المسيحية

«وَأَمَّا ثَمَرُ الرُّوحِ فَهُوَ: مَحَبَّةٌ فَرَحٌ سَلاَمٌ،
طُولُ أَنَاةٍ لُطْفٌ صَلاَحٌ، إِيمَانٌ وَدَاعَةٌ تَعَفُّفٌ »

(غلاطية ٥: ٢٢)

أخي المؤمن؛ تتجلّى المحبة واضحةً في أعمالك التي تؤدّيها إذْ تحمل الخير لأي إنسان يمكنك الوصول إليه لدعمه «جسدياً ونفسياً» وهذا لا يعني تقديم المجاملات اللفظية والأمنيات السعيدة. بل ينطوي على السعي الجدّي في الوقوف بجانب صاحب الحاجة لتقليل التعاسة وزيادة الفرح ضمن الإمكانيات المتاحة. وهنا تشبه سيّدك الذي أتى لا ليُخْدَم بل ليَخْدم ولم يكن يطلب مقابل معروفه شيئاً. فهكذا تشبّه الرسول بولس بسيّده عندما كان على استعداد أن يُنْفِق ويُنْفَق لأجل خير الآخرين، ومع الأسف ردّوا عليه بالضربات والإهانات والكراهية؛ فالمحبّة لا تطلب أجراً، والعمل نفسه إذا نجح هو المكافأة المرجوة!

نعود فنقول: تتجلّى المحبّة المسيحية في مظهر الاستعداد عند المؤمن أن يتوقع الشّر مقابل الخير الذي يعمله. فموقف كهذا يعلّمنا الصبر مقابل الاستفزاز، والغفران أمام الإهانة، والوداعة مقابل التجريح، والرصانة مقابل الاغتياب؛ وعندها يتدّرب المؤمن على الاحتمال والتحمّل أكثر وأكثر والتغاضي الكريم لأجل البشارة السامية. هكذا أيضاً يظهر نكران الذات عند الأخ أو الأخت من أبناء الرّب رغبةً في إحلال السلام والمناداة به لأن المطلوب منه وضع اللجام على التهوّر والانفعال وكبح جماح اللسان. المحبة لا تطلب ما لنفسها إذْ تقول: أين حقوقي؟ هل أُعامَل كما أستحق لقاء محبتي؟ بالمقابل المحبة تقول: كيف يمكنني الترويج للسلام بشكل فعّال أكثر؟ كيف أساعد في بناء الآخرين على نحوٍ أفضل؟ فعلاً المحبة المسيحية تُظهر ذاتها واضحة في التصرّف الحسن اللائق عند أولاد الرّب؛ لأنها تتسّم بعدم الأنانية واللباقة واللياقة واحترام الآخرين. وهذا انعكاس حقيقي لشخصية لطيفة مُحَبّبة ومُحِبّة في العلاقات الخاصة والعامة على حدّ سواء؛ وزدْ على ذلك، يظهر المؤمن انشغاله براحة الآخرين وفي مراعاة مشاعرهم مع غبطة العطاء أكثر من الأخذ!!!

من عظة بعنوان: «**المحبة المسيحية**».

لا مجال لإحياء الخطايا القديمة

«لأَنَّ الْمَسِيحَ لَمْ يَدْخُلْ إِلَى أَقْدَاسٍ مَصْنُوعَةٍ بِيَدٍ أَشْبَاهِ الْحَقِيقِيَّةِ،
بَلْ إِلَى السَّمَاءِ عَيْنِهَا، لِيَظْهَرَ الآنَ أَمَامَ وَجْهِ اللهِ لأَجْلِنَا»

(عبرانيين ٩: ٢٤)

لا مجال لإحياء الخطايا السالفة كما لا مجال لإدانة المولود من الله إذْ أنّ النص أعلاه واضح فيما يقول: «**لأَنَّ الْمَسِيحَ لَمْ يَدْخُلْ إِلَى أَقْدَاسٍ مَصْنُوعَةٍ بِيَدٍ أَشْبَاهِ الْحَقِيقِيَّةِ، بَلْ إِلَى السَّمَاءِ عَيْنِهَا، لِيَظْهَرَ الآنَ أَمَامَ وَجْهِ اللهِ لأَجْلِنَا**» (عبرانيين 9: 24). ولكي نعبّر بمصطلح قانوني نقول إنَّ المسيح شخصياً يظهر في محكمة السماء ليُمثّلنا أو ينوب عنّا نحن الذين آمنا به! وهو دائم الحضور أمام الله خارج حدود الأزمنة والأوقات إذْ يحمل قضيتنا أمام عرش الله الآب الذي يرى على الدوام دمه وذبيحته الكفاريّة طوال الوقت، مع آثار أعماله المجلجلة وموته وقيامته وشفاعته التي تصل إلى مسامع الآب السماوي.

حتى جراحه وآثار المسامير في يديه وقدميه وآثار طعنة الرمح بجنبه وتاج الشوّك على رأسه وكلُّ علامةٍ أخرى تتعلّق بالحمَل المذبوح هي أمام الآب لسماوي، مما يُغْلق الباب على إحياء أو عودة الخطايا القديمة للظهور. وهكذا يقوم الكاهن العظيم يسوع الحيّ إلى الأبد بالإغلاق الأبدي على الخطايا التي دفع ثمنها من جهة مع استمرارية شفاعته وخدمته النيابيّة عنا وها هو حيّ إلى أبد الآبدين!

كيف يستطيع المؤمن إزاء هذه الامتيازات الرائعة أن يؤدّي دوره في الشهادة للمسيح؟ بكل بساطة، يعتمد على شفاعة المسيح متسلحاً بالإيمان الذي يرى يسوع القائل: «**لاَ تَخَفْ، أَنَا هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ، وَالْحَيُّ. وَكُنْتُ مَيْتًا، وَهَا أَنَا حَيٌّ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ! آمِينَ. وَلِي مَفَاتِيحُ الْهَاوِيَةِ وَالْمَوْتِ**» (رؤيا ١: ١٧–١٨). هللويا !!

من عظة بعنوان: «**قوة المسيح للخلاص**».

الانتصار!

«لأَنَّ كُلَّ مَنْ وُلِدَ مِنَ اللهِ يَغْلِبُ الْعَالَمَ. وَهذِهِ هِيَ الْغَلَبَةُ الَّتِي تَغْلِبُ الْعَالَمَ: إِيمَانُنَا. مَنْ هُوَ الَّذِي يَغْلِبُ الْعَالَمَ، إِلاَّ الَّذِي يُؤْمِنُ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ ابْنُ اللهِ؟»

(١ يوحنا ٥: ٤-٥)

نلاحظ أنَّ الرسول يوحنا يقدّم علامةً خاصة للمؤمن بالمسيح مع سِمَة مميزة بقوله: «**لأنّ كلّ من وُلِد في الله يغلب العالم**». ويوحنا نفسه يحدّد ثلاثة أعداء للإنسان وهم: العالم والجسد والشرّير. ولا يمكن قياس أيّ من هؤلاء أشدّ شراسة وأذى على النّفس من الآخر. هذا ما سيُعْلنه اليوم الأخير. لكنني أجرؤ وأقول إنه لم يكن العالم أشد ضراوةً على المؤمنين في أي وقت مضى أكثر مما هو الحال في أيامنا المعاصرة. صحيح أنَّ لكل جيل أوبئته وأمراضه، لكنّني أرى أنّ العالم الحاضر يحمل آفة دخول الروح العالمية إلى داخل أسوار المسيحية بشكل المريع.

في أيام الاضطهاد تحت الأباطرة الوثنين حيث ارتكبوا المجازر بحق الآلاف من المؤمنين؛ لكن حتى في أيامنا يموت الكثيرون ونحن نعيش في مجتمعات الرخاء والرفاهية والحرية. هو نفس العدو بالحقيقة، إنه عدّو الأرواح، إنه عدّو المسيح اذْ أنّ الناس كانوا ومازالوا أدوات في يديه، وقد يتسلّل ويقتحم العائلات وينفث شرّ الخبث والخديعة. يَظْهر كملاك نور لكنّه يقودُ عشرات الآلاف أسرى وعبيداً ليأخذهم إلى الهلاك معه. جدير بالذكر أن الثروة المتزايدة في المجتمعات وما يرافقها من وسائل تسلية وانغماس في الملذّات أحياناً والتفكير فقط في إشباع المِتَع الحسيّة تحت ذريعة الحرية والبحث عن إشباع الرغبات إلى أن يصل الإنسان إلى نسيان الأبدية كما كان في أيام القضاة حيث يخبرنا سفر القضاة أنّ كلّ واحد كان يعمل ما يحْسُن في عينيه، وليس من يُسَائل، لكن هل هذا كلّه يبرّر تجاهل نداء المسيح ونداء خدّامة الأمناء؟ فاحذروا من غرور العالم!

في وجه هذا الخطر المتفاقم يجب ألاّ ننسى أن كلمة الله لا تتغير. وكلمة الله في الكتاب المقدس تقول: «**لا تحبوا العالم**» (١يوحنا ١٥:٢). «**لا تشاكلوا هذا الدهر**» (رومية ٢:١٢). «**...أما تعلمون أن محبة العالم عداوة لله؛ فمن أراد أن يكون محبّاً للعالم صار عدّواً لله**». (يعقوب ٤: ٤) هذه تحذيرات الله القويّة تبقى نافذه ولا يمكن دحضها!!

من عظة بعنوان: «**الانتصار**».

وهو يعطيكم راحةً

«احْمِلُوا نيرِي عَلَيْكُمْ وَتَعَلَّمُوا مِنِّي، لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ، فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ»

(متى ١١: ٢٩)

الراحة التي يعطيها الرب هي التخلّص من ذنب الخطيّة. لذا، فكلّ من يأتي إلى المسيح تُرْمى خطاياه بعيداً بالكلّية، وتُغْفر له، ويُعْفى عنه، وتُشْطب وتنتهي صلاحية الملاحقة، وترمى هذه الخطايا بالغةً ما بلغت في أعماق البحر! أخوتي، هذه هي الراحة بعيْنها. حتى الخوف من الشريعة والوصايا وأحكامها صارت شيئاً من الماضي في ذاتية الشخص الذي أتى إلى المسيح بالإيمان واختبر إيفاء الدّين الذي عليه ومتطلباته، لأن مُنتهى الشريعة هو المسيح للخلاص والبرّ. لقد فدانا يسوع من لعنة الناموس، وهذا أيضاً يجسّد الراحة المنشودة.

راحة أخرى تضاف إلى الراحات، هي الراحة من الخوف من الجحيم الذي لم يعد له سلطان على من هم للمسيح لأن المسيح نفسه حمل العقاب بدلاً عنّا وقد خاض بنفسه أهوال الألم والمعاناة، وبالتالي صار الخاطئ حرّاً. وهذه إضافة أخرى إلى قائمة الراحات التي تتضمن زوال الخوف من الشرير الذي بقوته يسعى لالتهام المؤمنين مع علمه أن لا سلطان له على أولاد وبنات الرّب لأن فاديهم قوّي، وقد سيّجَ حول المقدسين سياجاً حصيناً. يمكن للشيطان أن يغربل أو يُحبط أو ينكّد لكنه لا يستطيع أن يدحر المقدسين. وهذه إضافة أخرى إلى الراحة.

الرّب يعطيك راحة من الخوف من الموت لأنّه اقتلع شوكةَ الموت لكلّ من يأتي إلى المسيح لأنه قاهر الموت الوحيد، لأن الموت عدوٌ مهزوم في المسيح ويفقد الموت رهبته ونصف أهواله عندما نتذكّر أنّه المكان الذي رقد فيه الرب مرّة بدلاً عنّا! لقد أعطى يسوع المقام ضمانة للنفس بخلودها مهما حصل للجسد الذي حسب الكتاب «**يرقدُ مطمئناً**» وهذه أيضاً إضافة أخرى للراحة. إن راحة المسيح مجهولة عند العالم الذي لا يعرف عنها شيئاً. لكن هذه الراحة معروفة عند المؤمن الذي «**فرح قلبه وابتهجت روحه**» (مزمور ١٦: ٩). هو من يقف بجانبك في وقت الضيق ويُعينك في احتمال الصعاب. اقبل نصيحتي والتمس راحتك في المسيح، فلديه ما يكفي ليعطيه لك لتكون راحتك كافية في الحاضر، ووافرة أكثر في المستقبل.

من عظة بعنوان: «**تعالوا إلي**».

فوائد المرض

«خَيْرٌ لِي أَنِّي تَذَلَّلْتُ لِكَيْ أَتَعَلَّمَ فَرَائِضَكَ»

(مزمور ١١٩: ٧١)

أستمّد الكلام عن فوائد المرض من باب النصيحة مع درايتي الكاملة بما يجرُّه المرض من ألم ومعاناة وأوجاع ناهيك على البؤس والشقاء كمشتقّات المرض لكنّني لا أستطيع أن أصفه بأنّه شرٌّ مطلق إذْ أرى من خلاله حكمة سمحَ الله بها وأعتبره محطّة لمراجعة مفيدة لإدراك أهوال الخطيّة والشرّ التي سيطرت على النفس البشرية. وإليكم بعض النقاط التي أودّ طرحها:

١- المرض تذكرة بالموت لأن بعض الناس يعيشون وقد استبعدوا الموت من ذاكرتهم كأنهم خالدون ويزاولون أعمالهم في شتّى المجالات. وكأنّ الأرض مستقرّهم الأبدي. وهنا يأتي دور المرض، وخصوصاً إذا كان ثقيل الوطأة، لكي يبدّد أوهام الخلود ويوقظ الناس من غفلتهم وأنهم مائتون لا محالة مهما طال بهم العمر. وأنا أرى في هذا الأمر منفعة كبرى

٢- المرض واحد من عناصر تذكير الإنسان بالله والحياة بعد الموت وضرورة الانتباه إلى مصير النفس الأبدي، علماً أن الإنسان في زمن الصحة والسلامة يُبْعد عن تفكيره فكرة الأبدية لا بل لا يطيق التفكير بها. وها هو الآن أمام اعتلال الصحة وتلاشي القوة وقد حان وقت الجدّ في إيلاء مصير النفس أهمية أكبر عبر استجماع الأفكار لإيجاد ما يناسب المقام.

لا حقّ لنا في التذمّر من المرض والتشكّي من وجوده، بل نتوجّه بالشكر إلى الله لكي يستخدم المرض شاهداً له ومستشاراً لمحبّتة لنفس الإنسان، وهذا يدفعني بجرأة لأقول: المرض نِعْمة وليس نقمة، ربح وليس خسارة، صديق لا عدو للإنسانية. فطالما أننا نعيش في عالم الخطيّة المستفحلة، لنتّخذ من المرض رحمة في عالم لا يملك الرحمة البديلة!

من عظة بعنوان: «**المرض**».

البساطة التي في المسيح

«وَلكِنَّنِي أَخَافُ أَنَّهُ كَمَا خَدَعَتِ الْحَيَّةُ حَوَّاءَ بِمَكْرِهَا، هكَذَا تُفْسَدُ أَذْهَانُكُمْ عَنِ الْبَسَاطَةِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ»

(٢ كورنثوس ١١: ٣)

هذا التعبير ورد وحيداً في العهد الجديد وهو مُلْفت للنظر وواضح بكلّ المعايير لأن كلمة «بساطة» تعارض كلّ ما هو معقّد أو ممتزج مع غيره، حتى أن البعض ذهب إلى حدّ اعتبار المصطلح التفرّد في العاطفة تُجاه المسيح بحيث لا يجوز توزيع العواطف بين المسيح وأيّ شيء آخر عداه، وهذا الموقف بابٌ من أبواب علم اللاهوت الذي يحدّد المعنى ضمن إطار البساطة الصافية غير الممتزجة بأيّ عنصر يشوّه نقاء عقيدة المسيح بحيث لا يحْتمل أيّ تأويل في أيّ اتجاه دون زيادةٍ أو نقصان أو استبدال!

فالانحراف عما وصفه الإنجيل، سواء كان بالتخلي أو بإضافة أي شيء عليه، كان هو بالذات ما جعل الرسول بولس أن يتوجه إلى الكورنثيين بهذا التحذير ليخشوه بنوع خاص.

لكنّنا لا نستطيع أن نلّغي فعاليّة هذا التعبير وصلاحيّته في أيامنا المعاصرة والتي نسمّيها الأيام الأخيرة لكي نشْحذ الهِمَم واليقظة لئلا نقع في مطبّ تشويه المعنى الواضح الذي قصده الروح القدس في الإنجيل والذي سبق أن سُلّمه المسيح مرّةً للقدّيسين. لا ننسى أنّ هذا التعبير له دلالة إرْشادية عالية المستوى، والمفهوم الذي يتضمنه يفوق الوصف إذ يراد منه الاحتفاظ بالنفس الغالية عند الله من الفساد والإبقاء عليها في صحّة وسلامة روحية يخشى علينا أن نضيعها إذا ما نحن أهملنا هذه الوصفة الإلهية حتى يمكن أن تتحول إلى سم. وهنا تبدو المسؤولية مُلْزمة لنا في سَعْينا لإبراز عقيدة البساطة في المسيح في كلّ شأنٍ خاص بحْرصٍ شديد؛ لأنّ أي زيادة أو نقصان يشوّه الدواء الإلهي ويجعل مضارّة أكثر من فائدته، فلْيكن شعارنا «لا عقيدة إلّا ما علّمها يسوع لا أكثر ولا أقل» فلنتمسّك بهذا المبدأ ولا نتركه يبرح بعيداً عنّا. اكتبه على لوح قلبك ولا تنساه!

من عظة بعنوان: «**مخاوف رسولية**».

الأمن والأمان داخل كنيسة المسيح الحقيقية

«وَأَنَا أَقُولُ لَكَ أَيْضًا: أَنْتَ بُطْرُسُ،
وَعَلَى هذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي، وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا»

(متى ١٦: ١٨)

الكلام الذي قاله يسوع لبطرس يحتوي على وعدٍ عظيم مُعْطى من بنّاء عظيم! «**أبواب الجحيم لن تقوى عليها**» فالرّب المنزّه عن الكذب يعطي علامة الوعد الملوكي بأن كلّ قِوى الجحيم لن تقدر على دَحْر الكنيسة بل هي تصمد رغماً عن كلِّ هجومٍ، وتنْتصر عندما كلّ الأشياء المخلوقة تزول وتتلاشى إلا كنيسة المسيح!! التاريخ يشهد كيف زالتْ الممالك وتهاوت الامبراطوريات، فبعد صعود نحو القمَّة تراها تهبط إلى الحضيض. هذا هو حال مصر وأشور وبابل وفارس وقرطاج وصور وروما واليونان وفينيقيا!! أين هي الآن؟ ضيَّعها الإنسان بيديه ودمّرها بيديه!! أما كنيسة المسيح فبقيت وما زالت وسط خرائب البشرية.

ألم تتعرّض الكنيسة للاضطهاد في الكثير من بلدان العالم؟ نعم، وكانت تضطر للانتقال إلى مكان آخر! ألمْ تُضّطهد وتُسحق على أرضٍ ما؟ فإذا بها تتبرعم وتتجذّر في مناخ آخر. لا السيف ولا الجزية ولا السجن والعقوبات استطاعت تدمير حيويّة وفعاليّة الكنيسة. الذين اضطهدوها ماتوا وهلكوا وأما كلمة الوعد الإلهي فانتشرت ونَمَتْ وتكاثرت.

قد تبدو الكنيسة في عيون الناس ضعيفة لكنها بالفعل كالسندان الذي تحطّمت عليه مطارق الغزاة في الماضي، وربما ستتحطم مطارق أخرى في قادم الأيام. من يمسْها يمسُّ حدقة عيْن الله. هي جيش المسيح المُسَالم الذي هو رئيس الخلاص ورئيس السلام، وهو الحافظ لكل نفس من نفوس جنوده. لا تقدر قوة على الأرض أن تحبط مخططاته، وعونه لا ينضب، ونداؤه للناس مازال بنفس الوتيرة منذ البداية وسيبقى حتّى النهاية! وهو المانح القوي لكل ما تحتاجه الكنيسة! ولن يسمح لأبواب الجحيم أن تقوى عليها! وحتى تاريخه لم يُفَشّل المسيح كنيسته ولو لم نرَ ذلك أحياناً لكنّه في طَور السيطرة على كلّ شيء لكي تؤول: «كلّ الممالك لإلهنا ومسيحه».

من عظة بعنوان: «**الكنيسة الحقيقية**».

ماذا ينبغي علينا أن نعْمل؟

«لأَنِّي لَسْتُ أَسْتَحِي بِإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ،
لأَنَّهُ قُوَّةُ اللهِ لِلْخَلاَصِ لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ: لِلْيَهُودِيِّ أَوَّلاً ثُمَّ لِلْيُونَانِيِّ»

(روميه ١: ١٦)

ماذا ينبغي علينا أن نعمل؟ هذه هي النقطة التي أودّ أن ألْفُت عنايتكم إليها في آخر المطاف. طبعاً المشاهدة والشعور حاسّتان لا بأس بهما في قاموس السلوك، لكنّ العمل هو حياة الإيمان والعقيدة المسيحية. إن الإحساس والتأثير السلبي الذي لا يقود إلى أداء فعّال من شأنه أن يقسّي الضمير ويوّلد الأذى البغيض. ماذا ينبغي علينا أن نعمل؟ علينا أن نعمل أكثر مما عملنا في السابق حتى تاريخه. دعم استحقاق الإنجيل ورفع شأن العمل المرسلي في الخارج. التواجد في التجمّعات السكنية الكبيرة، كلّ ذلك يناشدنا لنعمل المزيد.

هل نخجل من أسلحتنا الروحيّة التي زوّدنا بها العهد الجديد؟ نقول مع الرسول بولس: «**لست أَسْتحي بإنجيل المسيح لأنّه قوّة الله للخلاص**» (رومية ١: ١٦). فهو السلاح الذي لا يهترئ، ولا يبطل ويَصْلح لكلّ زمان ومكان لدرجة أنّنا لا نحتاجُ لأيّ جديدٍ يُضاف إليه ولا لأيّ اقتطاع منه فهو يمثّل «الحقائق القديمة» والحقائق القديمة الكاملة والجسورة المُعلنة للناس بإحساس رقيق الذي هو بعبارة أخرى: المناداة بالعهد الجديد أو الإنجيل الذي نادى به بولس عندما قال «**إنه قوة الله للخلاص لكلّ من يؤمن**» (رومية ١: ١٦). وما زال في واقع الأمر بنفس الزخم والفاعليّة!

هل نقف مكْتوفي الأيدي خجلين من نتائج البشارة بالإنجيل؟ وهل نُعْلن أن «**الإيمان المسلّم مرّة للقدّيسين**» قدْ انتهى مفعوله ولا خير يُرْجى منه؟ لا يحقّ لأحد أن يخجل من محتوى الإنجيل إذْ لا محتوى أفضل وأرْقى منه. فالمطلوب أن نأسف على تقصيرات الماضي ونسعى باجتهاد بمعونة الرب عاملين بشكلٍ حثيث في قادم الأيام! نكران الذات ونبذ الأنا وشحذ الهمّة مع تعاون وثيق غيور ضمن المواهب مع صلاةٍ حارّة ودفاعيات لاهوتية منهجيّة. وكلّ هذا يصبُّ في خانة الجدارة في الخدمة. دون أن ننسى السبب الذي استدعى أن يترك يسوع السماء وينزل إلى الأرض من أجل خلاصنا وهذا بحدّ ذاته كافٍ لكي نثابر في الخدمة.

من عظة بعنوان: «**أثينا**».

طبيعة التقديس

«قَدِّسْهُمْ فِي حَقِّكَ. كَلاَمُكَ هُوَ حَق»

(يوحنا ١٧: ١٧)

التقديس عمل روحي داخلي منوط بالرّب يسوع المسيح يعمله بواسطة الروح القدس عندما يدعو أحدنا كي يصير مؤمناً حقيقيّاً به. هو لا يغسله أو يغسلها فقط من الخطايا بدمه بل يفصل المؤمن الجديد عن محبّته أو محبّتها للخطيّة والعالم ويضع في القلب الجديد مبدأً جديداً، ويؤهل هذا الشخص ليكون تقيّاً ورعاً في حياته. أمّا الأداة التي يستعملها الروح القدس لإجراء عملية التقديس هذه، فهي بلا شك كلمة الله! علماً أنه يستخدم أحياناً ابتلاءات وانتقادات ذات تدبير إلهي يسميّها بطرس الرسول: «**بدون كلمة** « (١بطرس ٣: ١). ويسمّى الشخص الذي تُجْرى في حياته هذه العملية بواسطة الروح القدس شخصٌ مقدّس، ويصير المسيح بالنسبة له: **حكمةً وبرّاً وقداسةً وفداءً** (١كورنثوس ١: ٣٠).

ولنستمع ما يقوله الكتاب المقدس «**لأجلهم أقدّس أنا ذاتي ليكونوا هم أيضاً مقدّسين في الحق**» (يوحنا١٧:١٩). «**لقد أحبّ المسيح الكنيسة وبذل نفسه لأجلها لكي يقدّسها مطهراً اياها** ... « (أفسس ٥: ٢٥-٢٦). أما تيطس فقد أخبرهُ الرسول بولس بأن المسيح «**بذل نفسه لأجلنا لكي يفدينا من كلّ إثم ويطهّر لنفسه شعباً خاصاً غيوراً في أعمال حسنة**» (تيطس ٢:١٤). والمسيح «**الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبرّ**» (١ بطرس ٢:٤). ونبقى في نفس المساق لنرى أن المسيح «... **قد صالحكم في جسم بشريّته بالموت ليحضركم قديسين وبلا لوم ولا شكوى أمامه**» (كولوسي ١: ٢١-٢٢). فالنصوص الخمسة المقتبسة جديرة بالتدقيق فيها كلّها وإن دلت على شيء فإنها تدلُّ على أن المسيح نفسه هو من تولّى عملية التقديس التي هي على قدم المساواة مع التبرير. إن هاتين البركتين لشعبه المؤمن تعطَيان على قاعدة «**وضع لي الرّبُ عهداً أبدياً مُتْقناً في كلّ شيء ومحفوظاً**». (٢صموئيل ٢٣:٥). فوسيط هذا العهد هو المسيح، وكذلك يُدعى المسيح أيضاً بصفة أنه وسيط العهد؛ فهو «**المقدّس**» وشعبه هم «**المُقدَّسين**» (عبرانيين ٢:١١). لذلك لا يستحي أن يدعونا إخوته!!

من عظة بعنوان: «**نحن مقدسون**».

لماذا تفشل الإصلاحات الاجتماعية

«وَالْكِتَابُ إِذْ سَبَقَ فَرَأَى أَنَّ اللهَ بِالإِيمَانِ يُبَرِّرُ الأُمَمَ، سَبَقَ فَبَشَّرَ إِبْرَاهِيمَ أَنْ «فِيكَ تَتَبَارَكُ جَمِيعُ الأُمَمِ»

(غلاطية ٣: ٨)

بعد توالي القرون العديدة مازالت الطبيعة البشرية كما هي دون تغيير. أنانية، ظُلم، قساوة، سرقة، قتل، وكلّها مُتَفشيّة في كلّ أنحاء المسكونة. حتى تجارة الرقيق مازالت بشكل مقنّع تحت مسميّات يراد منها الاحتيال على القوانين. التصْفية العرقية نسمع عنها يومياً، الإساءة إلى حقوق النساء والأطفال والمُسنيّن والمرضى والفقراء وتهميش حضورهم، يُشاهد في العديد من البلدان. التفاوت الاجتماعي المدمّر لا يمكن تجاهله حتى في المجتمعات المسيحية بكل أسف. الانتهاكات بمختلف أشكالها مع ما يرافقها من إجرام نراها تفرض حضورها في منظور مخيف جدّاً، كلّ مجهود سياسي واجتماعي باء بالفشل بعد مضيّ هذه القرون الطوال والكلّ يتجاهل أنَّ أصل المشكلة هو الإنسان الخاطئ الذي ورث السقوط عن آدم وحوّاء، والعناد المستميت في عدم الاعتراف بذلك الأمر الذي يجرُّ الدمار الكبير في تركيبة الإنسان. هذا يدعونا إلى السعي الحثيث لإبراز دور الإنجيل في الإصلاح الذي يبدأ من الداخل يجريه المسيح نفسه في النفس البشرية لكي تصير هذه النفس «**خليقة جديدة**» (٢كورنثوس ٥: ١٧). هكذا ينتشر السلام وتتزايد النوايا الخيّرة وتحلّ المشاكل لأن طبيعة الإنسان الساقط قد تحوّلت إلى إنسانٍ جديدٍ صانعاً سلاماً (٢أفسس ٢: ١٥). فكلما زادت معرفة الناس وتعلّقهم بالمسيح كلما زادت تأثيرات الإنجيل في إغناء النفس بالقيم الإلهية التي ملأ بها الروحُ القدس قلوب الآتين إليه بالإيمان، لأن حضور الروح يبدّد الأزمات النفسية والروحية والصراعات والمنازعات والسُكر والعربدة والنصب والاحتيال والقمار والغشّ، لتصير في حياة المؤمنين شيئاً من الماضي وتحل محلّها المودّة والصداقة والأخوة والغيرة على مصالح الناس والاهتمام بخلاصهم الأبدي في المسيح. ربما يسْخر البعض من هذا الكلام؛ لكن أين البديل الذي قدمَته البشرية؟ يكفي النفوس التي اختبرت المسيح وشهادتها وسلوكها المقدس في الروح القدس شهادة محبة الناس.

من عظة بعنوان: «**مثل السامري الصالح**».

فردوس الرّب

«مَا دَامَ الْمَلِكُ فِي مَجْلِسِهِ أَفَاحَ نَارِدِينِي رَائِحَتَهُ»

(نشيد الأنشاد ٤: ١٢)

عند الرب يسوع المسيح فردوس هو ملتقى كل المؤمنين الحقيقيين. وهم من يشكّلون هذا الفردوس. وقد دعاهم يسوع بهذا الاسم لأنهم يختلفون بشكل جذري عن أهل العالم. لأن العالم بنظر الرب برّية قاحلة تُنْبت شوكاً وحسكاً وعوسجا، لا ثمار فيها ما خلا الخطيّة. وأهل العالم في نظر الله هم سكان أرض قاحلة بور وسليخ، رغم أن العالم يتباهى بقوّته وعلمه وفصاحته ومهاراته مع كلّ أبواب الآداب الرفيعة. مع كلّ هذا، هي أرض قاحلة خالية وعقيمة بسبب عدم وجود التوبة والإيمان والقداسة والطاعة لله. الرب ينظر من علياء سمائه فلا يرى النعمة! بل برية، بريّة موحشة. لكن يرى الشعب المؤمن بالرب يسوع المسيح على أنهم الواحةَ الغنّاء الخضراء؛ إنها كنيسته وسط أشواك وحَسَك العالم. إنها فردوسه الجميل!

ويدعو الرب شعبه أيضاً فردوساً لأن الحلاوة والجمال صفتان مميزتان لها، لأنّها تفرّح قلبه مقابل الحزن الذي يراوده عندما ينظر إلى العالم الخالي من أية نكهة. قطيعه الصغير أي الكنيسة هي السبب الحقيقي لسروره لأنّها ثمر الولادة الجديدة التي تكفي لإسعاده بالروح. يرى ملكوتاً أُعْلن للأطفال وحُجِبَ عن العقلاء الفهماء. كما كان في أيام نوح عندما قدّم ذبيحة فاشتمَّ رائحة السرور وعبقه المنعش. عندما ينظر المؤمنون إلى أنفسهم بين ماضٍ نجسٍ مع تعاسةِ وشقاءِ المعصية وكيف حوّلهم المسيح إلى خاصّته إذْ يقول لهم: **«ها أنتِ جميلة يا حبيبتي ... أسمعيني صوتك لأن صوتك لطيف ووجهك جميل... ليس فيكِ عَيْبة يا حبيبتي... أنت جميلة يا حبيبتي... من هي المُشْرقة مثل الصباح وجميلة كالقمر وظاهرة كالشمس.»** (نشيد الأنشاد ١: ١٥؛ ٤: ٧؛ ٢: ١٤؛ ٦: ٤، ١٠). فما أعمق هذه المحبة التي يصعب استيعابها لابل يصْعب تصديقها. إنه يدعو شعبه فردوساً لأنه يُسرُّ به!!

من عظة بعنوان: **«فردوس الرب»**.

الفشل الأعظم في الكنيسة

«وَلكِنْ سَيَأْتِي كَلِصٍّ فِي اللَّيْلِ، يَوْمُ الرَّبِّ، الَّذِي فِيهِ تَزُولُ السَّمَاوَاتُ بِضَجِيجٍ، وَتَنْحَلُّ الْعَنَاصِرُ مُحْتَرِقَةً، وَتَحْتَرِقُ الأَرْضُ وَالْمَصْنُوعَاتُ الَّتِي فِيهَا»

(٢بطرس ٣: ١٠)

لاحظت منذ زمن طويل أن واحداً من تقصيرات الكنيسة بحقّ خدمة المسيح هو التقاعس في المناداة بالمجيء الثاني للمسيح. وإن المؤمنين لا يعطون خصوصية لهذا الحدث المرتقب. قليلون منّا يعترفون بشغفهم في هذه المسألة العقائدية، نعم عدد هؤلاء قليل جداً لا بل لا يعتبرون هذه العقيدة تستأهل منهم المواظبة على المناداة والسعي لأجلها والشعور بالسعادة التي يتطلّع الله إلى رؤيتها عندنا، وهذا ما وصفه الإنجيل إذْ قال: **«وَفِيمَا أَبْطَأَ الْعَرِيسُ نَعَسْنَ جَمِيعُهُنَّ وَنِمْنَ»** (متى ٢٥: ١-١٣).

أنا شخصياً أقول عن نفسي كشهادة صادقة: إنّني أعتبر مجيء المسيح الثاني أغلى محطة في حياتي وأتطلّع إلى بلوغها وأنا على قيد الحياة وأصرّح بثقة أن مجيء المسيح الثاني محفزٌ قويٌ للعيشة المقدسة ودافعٌ لطول الأناة وللتواضع والروحانية الرفيعة وامتحانٌ للاستفادة من الوقت ومسبار أقيس به كلَّ أفعالي. هل أريد أن يراني ربّي في هذه الجاهزية؟ هل أريده أن يجدني أعمل عملاً يرضيه؟ أرى أن مجيء المسيح الثاني من أهم احتماليات الدخول في العمل المرسلي لأن الوقت مقصّر، الرّب قريب. وإنَّ تجميع الشعوب سيتحقق قريباً. وإن المختارين لإعلان الملكوت سيؤدّون أدوارهم بشكل تام وسينادون معلنين مجيء الملك العظيم. تناهى الليل وتقارب النهار، الملك آتٍ قريباً!

والآن، هل أنتم أخوتي تشاركونني نفس الرأي ونفس الاستعداد ونفس الحماس؟ أدعو الجميع إلى التدقيق في هذا المبدأ الكتابي بهدوء ورويّة، نقوا هذه العقيدة من أية شائبة لَحِقت أو تلحق بنقائها فلا يؤثّر التبن والخشب والعُصافة والقش على البناء الأساسي الذي يجب أن تبْنوا عليه، ولا يهمّكم ما يفعله الآخرون (١كورنثوس ٣: ١٠-١٥) لا تدينوا الآخرين من معارفكم الذين ترجون أن لا يقلّلوا من قيمة هذا المبدأ أو أن يُغالوا فيه، بل أن يلْزموا التعليم الكتابي!

من عظة بعنوان: **«الأحداث القادمة والواجبات الحالية»**.

خمس علامات لمن غُفِرت خطاياه

«طُوبَى لِلَّذِي غُفِرَ إِثْمُهُ وَسُتِرَتْ خَطِيَّتُهُ»

(مزمور ٣٢: ١)

أريد أن أضع بالتسلسل العلامات الفارقة للنّفس التي غفرت خطاياها:

١- مغفورو الخطايا يكرهون الخطيّة. إن كنتم على صداقة مع الخطيّة فأنتم لم تتصالحوا بعد مع الله وغير مؤهلين للسماء، لأنّ الجزء الأهم في السماء هو خلّوها من الخطيّة.

٢- مغفورو الخطايا يحبّون المسيح. لا يملك هؤلاء إلّا أن يصرّحوا بشيء واحد ألا وهو أنّهم يحبّون المسيح فقط بشخصه ووظائفه وعمله واسمه وصليبه ودمه وكلماته ومثاله ووصاياه كلّها مجتمعة. كلُّ ما ذكر ثمين وغالٍ في أعين مغفوري الخطايا. لا يحبون الخدمة إلّا إذا كانت تعظّم المسيح. والأسفار الملأى به مُحبّبة أكثر عندهم. والناس يشعرون بالراحة عندما يقتربون من أولئك الذين يظهر المسيح في حياتهم!

٣- مغفورو الخطايا متواضعون. لا يمكنهم أن ينسوا أنّهم مدينون بكلّ ما يملكون ويرجون للنعمة الإلهية فقط، الأمرّ الذي يحفظ تواضعهم. إنهم **«شعلة مُنتَشلة من النار»** (زكريا ٣: ٢). إنهم مدينون عجزوا عن دفع ديونهم، وأسْرى محكوم عليهم بالسجن الأبدي فإذا بالرحمة التي لا يستحقونها تحرّرهم. إنهم خراف ضالّة متجهة للهلاك فوجدهم الراعي الصالح وأنقذهم! لا نملك هنا إلّا الخطيّة والضعف. ولا نجد لباساً يناسبنا إلّا التواضع.

٤- مغفورو الخطايا قّديسون وهدفهم فقط إرضاء من خلّصهم وعمل إرادته وتمجيده بالجسد والروح لأنه المالك الحقيقي! لا يلتقي الغفران مع الخطيئة إذ يشبهان الزيت والماء الواحد يطفو فوق الآخر. وكلّ الذين غسلهم المسيح بدمه قدّسهم بروحه أيضاً!

٥- مغفورو الخطايا يُسامحون الآخرين. يعملون كما عُمِل المسيح لهم. يتجاوزون الإساءات الصادرة من الأخوة والآخرين، ويتذكّرون كيف أن الله سامحهم أيضاً في المسيح (أفسس ٤: ٣٢). إنّهم يَحذون حذو المسيح في هذا الأمر نحو الآخرين. فإذا كنا لا نحبّ الأخوة فلسنا ندرك جيداً محبّة المسيح.

من عظة بعنوان: **«الغفران»**.

الدفع للأمام للإرساليات في العالم

«وَلكِنْ كُنْتُ مُحْتَرِصًا أَنْ أُبَشِّرَ هكَذَا: لَيْسَ حَيْثُ سُمّيَ الْمَسِيحُ، لِئَلاَّ أَبْنِيَ عَلَى أَسَاسٍ لآخَرَ»

(رومية ١٥: ٢٠)

أحوج ما نكون في أيامنا في أوساطنا عمل الروح بفاعليّة؛ وأقصد إننا نريد عملاً منشطاً يدفع خدمة الإرساليات إلى الأمام وعلى نحوٍ فعّال مثلما يفكّر رجل الأعمال في النهوض بتجارته لمكسبٍ خطط له في ذهنه ليقوده إلى الأمام لعائدات عالية، حتى إنه يروّج لعمله بحيث يلّفت عناية الناس ويرسخ منتوجاته في أذهانهم.

نريد نقل نفس الصورة إلى الخدمة الإرسالية. العالم بدون المسيح يهلك ولا تستطيع قوة أن تنقذهم إلّا إنجيل المسيح، وكلّ من يغار على النفوس كما يغار على نفسه التي خَلصَت بالمسيح، عليه مؤازرة الإرساليات، وعليه أن يتساءل في نفسه: «ماذا بوسعي أن أقدمه لمساعدة الآخرين؟» الأمم تهْتزّ والعروش تسقط والرئاسات تُزَال؛ أمّا الملك الحقيقي فلا يمكنه أنْ لا يتعاطف إلّا مع البائسين رغم أنه القاضي العادل. لكنّ نعمته الآن تحتل الصدارة. وقد يقول: **«مَنْ أُرْسِلُ؟ وَمَنْ يَذْهَبُ مِنْ أَجْلِنَا؟»** (إشعياء ٦: ٨). ليسَ كلّ واحد يقول: **«هأَنَذَا أَرْسِلْنِي»**!

إن حالة العالم بدون المسيح تستدعى هذا الاهتمام، وهم في الجهات الأربع كافة من العالم. العالم يهلك من عدم المعرفة، والخطيّة تملكُ والشيطان يقود الأسرى إلى مشيئته. إن لم نكن مؤمنين شكْليين وإذا كنّا جادّين في إيماننا فلنؤازر العاملين في حقل الرب في بلدان غريبة! هذا ما تعْرضه نفوسنا المتنعّمة بنعمة المسيح علينا. قد نعلم القليل لكن السعادة الحقيقية تكمن في الانخراط الجدّي في عمل الله. فإذا كان التدريب يفيد الأبدان فإن العمل لمجد الله هو سرّ الصّحة النفْسيّة والروحية. في هذا الدرب تحديداً يقابلنا الله ويعطينا المزيد من السلام والقوّة. من يسقي العطاش، يُسقى في زمن العطش!

من عظة بعنوان: **«عمل ينبغي القيام به»**.

درّب أولادك على الطاعة

«أَيُّهَا الأَوْلاَدُ، أَطِيعُوا وَالِدِيكُمْ فِي الرَّبِّ لأَنَّ هذَا حَقٌّ»

(أفسس ٦: ١)

هذا المبدأ بحدّ ذاته هدف يستحقُّ السعي للوصول إليه. إنها أجمل عادة يمكن أن تؤثر في حياتنا كأولياء الأمور. فتجنّباً للمشاكل، علّموا أولادكم على إطاعتكم ولو كان الأمر مُكْلفاً لكم ولهم. ويجب أن تكون الأسْرة خالية من الجدال والمماحكة والمماطلة فيما يخصّ سلام البيوت من الداخل.

علّموهم تنفيذ أوامر الوالدين لأن الطاعة مظهر واقعي لتركيبة الأسرة إذ يضع الإيمان في إطار المنظور والمعمول الواضحيْن! والطاعة هي مِحكّ التلمذة بين شعب الرّب كما قال يسوع: «**أَنْتُمْ أَحِبَّائِي إِنْ فَعَلْتُمْ مَا أُوصِيكُمْ بِهِ**» (يوحنا ١٥: ١٤). هذه الطاعة علامة لأولادٍ تدرّبوا جيداً على تنفيذ الطلبات عموماً والوالدين خصوصاً، فأين إكرام الوالدين التي تذكره الوصية الخامسة من الوصايا العشر إذا كان الأولاد لا يطيعون الوالدَيْن برضى وعلى الفور؟

أيها الأولياء، هل تريدون رؤية أولادكم سعداء؟ انتبهوا أن تدرّبوهم على الطاعة بحذافير الطلب، الأمر الذي يعلّمهم المسؤولية لأننا كائنات لم نخْلق لنعيش بمعزل عن الآخرين ولا أهليّة عندنا لذلك.

تذكّروا أن الذين حرّرهم يسوع طلب منهم أن يحْملوا الخير كما قال الرسول بولس «**عَالِمِينَ أَنَّكُمْ مِنَ الرَّبِّ سَتَأْخُذُونَ جَزَاءَ الْمِيرَاثِ، لأَنَّكُمْ تَخْدِمُونَ الرَّبَّ الْمَسِيحَ**» (كولوسي ٣:٢٤). فعلى الأولاد أن يتعلموا أن العالم الذي نعيش فيه لديه تراتبية في كل قطاعات الحياة ولا نستطيع أن نكون في المكان المناسب إلّا إذا تعلّمنا احترام السلطات الأعلى. وهذا العلم يحب أن يبدأ في سنّ الطفولة وبالتدرّج وإلّا سيمضون عمرهم بالتأفف والتذمّر حتى على الله ويستهلكوا أنفسهم في توافه الأمور ومنه النزعة المزوّرة: «أريد أن أكون حرّاً وسيّد نفسي». فيا أخوتي الأولياء؛ إن كنتم تحبّون أولادكم ليكن شعار الأسرة: الطاعة وليرْتسم هذا الشعار أمام أعينهم دائماً!

من كتاب: «**واجبات الوالدين**».

خطر ازدواجيّة الرأي

«رَجُلٌ ذُو رَأْيَيْنِ هُوَ مُتَقَلْقِلٌ فِي جَمِيعِ طُرُقِهِ»

(يعقوب ١: ٨)

يمكن أن يستهلك أحدنا نفسه بالانشغال بالتوافه والتقلقل في الرأي مدى الحياة، وربما يأتي التكاسل الروحيّ لأحدنا بالارتكاز على انتماء سطحي للكنيسة عبر تسجيل أسمائنا في سجلّات عُضْوية الكنيسة دون أنْ يكون الاسم قَدْ سُجّل فعلاً في سفر الحياة لحَمَلِ الله الوديع يسوع. صورة التقوى مع فقدان قوتها ليست من الإيمان المسيحي بشيء. كما قلنا إضاعة الوقت وارد عاماً بعد عام دون أي اهتمام بما هو خير والاكتفاء بسَطْحيّة الانتماء المسيحي والاطمئنان إلى مقولات تخدّر النفس بأن الأمور ستكون على ما يرام. «**لاَ يَغُرَّكُمْ أَحَدٌ بِكَلاَمٍ بَاطِلٍ**» (أفسس٥:٦). فالتقلْقل في الرأي مدمّر للنفس والروح، تعْتمده الديانات الباطلة والبدع لهلاك النفوس. ومسيرة الحياة لا تتوقف والإنسان فيها كمن يرْكب قارباً، فإمّا أنه يتحكم فيه أو يدع القارب يسير على هواه، ولكلتا الحالتين نهاية قريبة طبعاً، أقصد الموت الذي سيأتي شئنا أم أبيْنا دون أن نكونَ قد اتّخذنا القرار الصائب من جهة خلاصنا بالمسيح. وفي واقع الأمر هو الخسران الأبدي.

الخدّام الأمناء يقْلقون على النفوس المتهاونة في خلاصها لأن القرار يُتّخذ طالما النفس على قيد الحياة وهي غالية في عين الرّب لأن الشيطان يجول لكي يأخذ الناس معه إلى الهاوية المُعدّة له أصلاً! (متى ٢٥: ٤١). هذا ما أخشاه، أن يدخل أحدنا الأبدية ويُفاجأ أن ليس له اسم في سفر حياة المسيح فيدخل أبدية قاتمة ومؤلمة جدّاً لسببٍ واحد هو أنه رفض نعمة المسيح وخلاصه. فما الفائدة في العيش في الخطيّة والمُغامرة بالمصير الأبدي والاكتفاء بالمسيحية الشكلية ظناً منّا أنّنا نستطيع أن نجمع بين المسيح والعالم بآن معاً.

عندما أرى أشخاصاً بهذه العقلية أرتعبُ مِنَ الخَوْف على مصيرهم الأبدي. بسبب خوفي على الخطر الداهم على النفوس الهالكة لإنذارها! فلعل القارئ يسْتيقظ من غفلةٍ مهلكةٍ إلى تلْبية نداء السماء، ويهرب من الغضب الآتي. أحذّرك وأشجعك بمحبة صادقة أن تأتي إلى المسيح ملاذك الوحيد والأبدي!

من عظة بعنوان: «**أرواحنا**».

كلمة لجنود الإيمان المسيحي

«فَاشْتَرِكْ أَنْتَ فِي احْتِمَالِ الْمَشَقَّاتِ كَجُنْدِيٍّ صَالِحٍ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ. لَيْسَ أَحَدٌ وَهُوَ يَتَجَنَّدُ يَرْتَبِكُ بِأَعْمَالِ الْحَيَاةِ لِكَيْ يُرْضِيَ مَنْ جَنَّدَهُ»

(٢تيموثاوس ٢: ٣-٤)

دعونا نتذكّر أنَّ الزمن الأفضل لجنود الإيمان المسيحي سيأتي لاحقاً. هنا ونحن في العالم بمواجهته في حربه ضد الإيمان يجرحنا ويمنعنا من تحقيق المآرب الإلهية. فأمامنا أشياء قاسية ينبغي أن تُعْمل وأن تُحْتَمل رغم الجروح والكدمات؛ ورغم الإنهاك والتعب جرّاء الترصّد. هناك تراجعات وخيبات أمل مريرة. إلّا أن نهاية كلّ شيء باتت قريبة! من يغلب فله إكليل الغالبين! عندما رئيس خلاصنا مع جنوده الأوفياء يلتقون وجهاً لوجه. أيّ لسانٍ يقدر أن يصِفَ السعادة الحاصلة لحظةَ وضع السلاح جانباً إذْ يُقال له: «استرحْ. انتهى دورك». أي فكرٍ يقدر أن يستوعب البركة الحاصلة ساعةَ رؤية الملك بكامل جلاله وجماله يُسمعنا هذه الكلمات: **«نِعِمَّا أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ وَالأَمِينُ! كُنْتَ أَمِينًا فِي الْقَلِيلِ فَأُقِيمُكَ عَلَى الْكَثِيرِ. ادْخُلْ إِلَى فَرَحِ سَيِّدِكَ»!** (متى ٢٥:٢١). فلننتظر ذلك اليوم المجيد بصبرٍ لأنه حسب وعد الرب قريبٌ (رويا ٣: ١١). على رجاء ذلك؛ دعونا نعمل ونراقب ونصلّي ونقاوم الخطية والعالم؛ دون أن ننْسى كلمات يسوع: **«قَدْ كَلَّمْتُكُمْ بِهذَا لِيَكُونَ لَكُمْ فِيَّ سَلاَمٌ. فِي الْعَالَمِ سَيَكُونُ لَكُمْ ضِيقٌ، وَلكِنْ ثِقُوا: أَنَا قَدْ غَلَبْتُ الْعَالَمَ»** (يوحنا ١٦: ٣٣).

شكراً لله. في ذلك اليوم لن نفْتقد لأيّ شيء. سيكون لنا لقاء طال انتظاره. وسيكون الصباح الأبدي خالٍ من الغيوم والدموع وكلِّ ما يكدّر! مكافآت ومجازاة عظيمة تعطى للذين تألّموا مقاومين الخطيّة وغالبين شهوات العالم!

من عظة بعنوان: **«الانتصار»**.

تيقظوا واسهروا

«اِسْهَرُوا وَصَلُّوا لِئَلاَّ تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ. أَمَّا الرُّوحُ فَنَشِيطٌ وَأَمَّا الْجَسَدُ فَضَعِيفٌ»

(متى ٢٦: ٤١)

أدعوكم بكل صدق لليقظة والسهر. اسهروا ضدّ كلِّ أنواع الخطيّة بكل أوصافها. لا تقل أمام أية خطيّة كانت: حاشا؛ فأنا لست ممن يفعلون هذه الخطيّة القبيحة. الكلّ يمكن أن يسقط في لحظة غفلة غير محسوبة. تذكّر داود وأوريّا. قد يكون الروح نشيط والجسد ضعيف، وطالما نحن ما زلنا في الجسد الترابي، هناك ضرورة للسهر والصلاة كن يقظاً ضدّ الشكوك وعدم الإيمان لئلا تنزلق الروح نحو الغواية التي تتربّص بالمؤمنين بالمسيح يسوع.

اسهروا ضدّ تفاوت المسار والتماهي مع العالم. اسهروا ضد خطايا الميول الجسدية والمزاج غير الرصين واللسان المُنْفلت. هذه كلّها تُحزن روح الله القدوس وتُضْعف صوته الشاهد في ضمائرنا. اسهروا وصلّوا ضدّ خميرة الخبث والشّر التي تغلّفها البدع. تذكر أن الشيطان يمكن أن يظهر بشكل ملاك نور.

تذكّر أن العملة المزوّرة لا يكشفها إلّا الخبراء بينما تنطلي على من لا خبرة عنده. كن غيوراً على حقّ المسيح كَكُتْلة متماسكة غير منقسمة. ولا تساوم مع درهم الباطل على أمل اقتناء قنطار الحق. لأن الخطأ الصغير ينمو لكي يصير خطيّة مُسْتفحلة.

أخوتي القرّاء خذوا هذا التحذير جدّياً! إنَّ التراخي في العبادة ووسائط النعمة التي أهمها قراءة الكلمة والصلاة وهما عادتان قد تتحولان إلى عادة روتينية خالية من أيّ جدوى ويأتي بعدها الارتداد. عندما تفْلق الرياحُ شجرة إلى نصفين؛ نكْتشف أنّ الفالقَ فيها كان موجوداً بانتظار هبّة ريح لقسمتها إلى قسمين بسبب تآكل كامن غير منظور في داخلها. ليكن نظرك كالرؤية عند النّسر لئلا تضعف الرؤية وتصير سديمية غير قادرة على تمييز علامة الشرّ. لتكن ذاكرتك حافظة متينة للنِعَم الإلهية وغرْباً يغربل الأخطاء الخادعة والتي منها الكبرياء وخداع الذات. ألم يقلْ بطرس للرّب: «حتى لو أنْكرك الجميع فأنا لا أنْكرك» ثم سقط بعد برهة وجيزة؟ فالكبرياء جادّة السقوط. أخوتي: ضاعفوا يقظتكم وسهركم أكثر من أيّ وقت مضى!!

من عظة بعنوان: **«الأحداث القادمة والواجبات الحالية»**.

مبدأ المثابرة

«وَلكِنِ الَّذِي يَصْبُرُ إِلَى الْمُنْتَهَى فَهذَا يَخْلُصُ»

(متى ٢٤: ١٣)

عندما أتحدّث عن مبدأ المثابرة أعْني القول بأن الكتاب المقدّس يُوصي المؤمنين بالمثابرة والاستمرار في إيمانهم المسيحي ما طال بهم العُمر. إن الوعد المعطى لهم هو أنّهم لن يهلكوا ولن يخسروا ولن يُطرحوا خارجاً. فمجرّد قبولهم المخلّص يسوع؛ حياتهم مُصانة فيه! مجرّد حصولهم على البنوّة لله بالتبنّي بالنعمة يصيرون أولاداً لله ولا يعودوا أولاد ابليس لأنهم مُنِحوا النعمة المخلّصة بالروح القدس. وهذه النعمة لن تُنْزَع منهم إلى الأبد!! مجرّد صدر بحقّهم العفو والغفران، فإنهم لن يُحْرموا منهما. مجرّد انتمائهم للمسيح بالإيمان الحيّ، فإن شركتهم معه لن تنقطع! مجرّد دعوتهم للسير في الطريق الضيّق المؤدّي للحياة الأبدية، فإنّ الهلاك لن يطالهم! بعبارة أخرى، كل رجل أو امرأة أو طفل أو شاب يقبل النعمة المخلّصة، يدخل السماء عاجلاً أم آجلاً! كلّ نفسٍ اغْتسلت بدمّ يسوع المسيح تتحصّن من يوم الدينونة لأنَّ مكانها صار على يمين الرّب يسوع!

إن المثابرة هي العلامة الظاهرة بامتياز على المؤمن الروحي والحقيقي والصادق. إنهم قطيع الراعي الصالح الذي يسمع صوته ويتْبعه. إنهم أولئك الذين اغْتسلوا وتبرّروا وتقدّسوا باسم الرب يسوع المسيح وبروح إلهنا! إنهم أولئك الذين تابوا توبةً صادقة وتبعوا المسيح ويعيشون عيشة مقدسة. إنهم أولئك الذين يحملون الثمار لأنهم أغصان في الكرمة الحقيقية! إنهم العذارى الحكيمات! أنوار في العالم! هم ملح الأرض، ورثة الملكوت. أتباع الحَمَل وهم المدعوون قدّيسين حسب تسْمية الكتاب المقدس لهم الذي كُتب لهم هذا الكتاب وهم يملكون الضمانة بأنهم لن يهلكوا أبداً!!

من عظة بعنوان: «**لا تهلكون**».

امْتحنوا كلَّ شيء

«امْتَحِنُوا كُلَّ شَيْءٍ. تَمَسَّكُوا بِالْحَسَنِ»

(١اتسالونيْكي ٥: ٢١)

«**امْتَحِنُوا كُلَّ شَيْءٍ**» هذا الكلام بمثابة حُكْم يُنْطق به بشكلٍ صائب. وهذا يجعل كلّ مؤمن بالمسيح حَكَماً على أشياء شخصية مستنداً على كلمة الله وفي كافة المجالات التي تُعْرض له من جهة حقٍّ روحي أو حق إلهي أو ما شابه. وعندما أقول إن المؤمن يصير حَكَماً فإن ذلك تكليف من الله نحونا نحن المؤمنين لنَنْظر فيما يصدر عن الناس قولاً وفكراً وكتابةً على ضوء كلمة الله وإعلاناته لئلا يقع في عثرة التعليم الكاذب وهنا تبْرز أهمية الحُكم الخاص المحايد لاعتباره ضرورة مُلحّة لكلّ مؤمن مسيحي حريص على سلامة روحه ونفسه من الزيغان والخديعة والبقاء على جادّة الصواب في ممارسة ما هو حقّ، وأداء المهمة في امتحان الأشياء التي أشرتُ إليها أعلاه؛ لأنّ التهاون في أمرٍ كهذا ا يقود إلى شرٍّ مُطْبق يؤذي كنيسة المسيح.

هنا نُصيغ المعادلة الواجب اعتمادها من قبل الرعاة والخدّام كافة في المجالات التالية: الرعاية، التعليم، الوعظ، العقيدة، البشارة، الكتابة، الآراء، الممارسات والتصرفات! امتحنوا كلّ شيء على ضوء كلمة الله التي هي معيار كلّ قياس وبها تُقَارن المسائل كافة وهي بوتقة المعايرة لكلّ ما هو ثمين وذو قيمة ليخرج نقيّاً من الشوائب. وبالتالي فإن القبول والتمسك والاعتقاد والطاعة تتوالى الواحدة تلو الأخرى لأن كلّ شيء يسقط أو يرسب في محكّ الفحص الكتابي؛ يُرْفض ويرمى بعيداً. إذاً، شعب الله مدعوٌّ لفحص ما هو حقّ والفْصل بينه وبين ما هو زائف؛ كما بين النور والظلمة طالما أن الوعد الإلهي جاء بمنْحة من الروح القدس الحاضر فينا ووضوح كلمته التي لا لَبْس فيها.

من عظة بعنوان: «**امتحنوا كلّ شيء**».

محلٌّ في السماء

«وَلَنْ يَدْخُلَهَا شَيْءٌ دَنِسٌ وَلاَ مَا يَصْنَعُ رِجْسًا وَكَذِبًا، إِلاَّ الْمَكْتُوبِينَ فِي سِفْرِ حَيَاةِ الْخَرُوفِ»

(رؤيا ٢١: ٢٧)

محلٌّ في السماء، هو مسكن أكيد لا ريب، وهو مكان راحةٍ لشعب الله! (عبرانيين ٤: ٩) فالأرض ليست مكان الراحة، ومستحيل أن تكون، لأن الناس جميعاً اختبروا ذلك. فيا أخوتي ما أصدق هذا القول: «**إِنْ كَانَ لَنَا فِي هذِهِ الْحَيَاةِ فَقَطْ رَجَاءٌ فِي الْمَسِيحِ، فَإِنَّنَا أَشْقَى جَمِيعِ النَّاسِ**» (١ كورنثوس ١٥: ١٩). فالحياة على الأرض مليئة بالصعاب والأسى والقلق والتوتّر والعناء والشقاء وفيها الخسران وفيها فقدان الأحباء والفراق والتباعد والويلات والأمراض والأوجاع وهي الحياة التي سئم إيليا منها وطلب الموت لنفسه. ولو كانت الحياة تنْتهي هنا لأصابنا الهول الصاعق، ولو انعدم الرجاء بحياة أخرى بعدها مكتفين بوحشة القبر وظلمته، لقلتُ لنفسي: ليتني لم أولد!

أَلْفُ ألفِ شكرٍ لله أن الحياة هنا ليست خاتمة المطاف. ويقيني الذي لا يتزعزع هو أن راحة مجيدة تنتظرني ما بعد القبر! فالحياة هنا مدرسةُ تدريبٍ لتأهيل أبدي والقبور درجة للارتقاء نحو منزلٍ في العُلى. وقد أكّد ليّ الربُ أن هذا الجسد المسكين سيقوم ثانيةً، وأن هذا الفاسد سيلبس عدم فساد ومع المسيح سأكون للأبد! (١كورنثوس ١٥: ٥١–٥٣). فالسماء حقيقة وليست أسطورة ولا أشكُّ في ذلك ويقيني بها أكثر من يقيني في حياتي على الأرض. نعم ويبقى هنالك راحة لشعب الله!

من عظة بعنوان: «**السماء**».

الوحي الإلهي

«لأَنَّهُ لَمْ تَأْتِ نُبُوَّةٌ قَطُّ بِمَشِيئَةِ إِنْسَانٍ، بَلْ تَكَلَّمَ أُنَاسُ اللهِ الْقِدِّيسُونَ مَسُوقِينَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ»

(٢ بطرس ١: ٢١)

ماذا نقصد تحديداً عندما نقول إن الكتاب المقدس هو كلمة الله؟ هذا سؤال صعب نوعاً ما! فالحق الصريح يقول إن الوحي هو معجزة كباقي المعجزات التي تتضمّن جزءاً عصيّاً على الاستيعاب الكامل لها! ولا يجوز الخلط بين الوحي والقوى الفكريّة التي تتجلّى في نبوغ يمتلكه بعض المفكّرين العالميين ولا ننسب إليهم الوحي على النحو الذي نَنْسبُه للنبيّ موسى أو الرسول بولس لأن ذلك يدخل في خانة التجديف. كما أنه لا يجوز أن ندمج مواهب المفكرين مع مواهب الروح التي أُعْطيت للمؤمنين الأوائل ومازالت تُعطى بنعمة الله للأمناء من شعب الرب! فالرسل تمكّنوا بقوة خاصة من البشارة المؤثرة واجتراح المعجزات الباهرة وهذه المواهب كانت أرفع من أن تُعطى للأشخاص العاديين فَكُتّاب الوحي في الأسفار المقدّسة تلقّوا الهامَ الروح القدس مباشرةً، ونحن نؤمن ونقبل ذلك ولو كنّا نعْجزُ في إدراك عمل الروح القدس في الوحي بشكل كامل.

بالمقابل لم يكن كتّاب الوحي آلات طابعة كما يحلو لبعض الساخرين أن يقولوا، بل كانوا تحت إرشاد مباشر من الروح لكتابة فقط ما يريد الله منهم أن يكتبوه، وقد قادَ أفكارهم وأقلامهم في الكتابة والتعبير حتى عندما دوّنوا السجلات العائلية والأنساب والانتماء الأسري بما فيها الأسماء. وكلّ ذلك تمّ بالإشراف المباشر للروح القدس، لذلك عندما تقرأ الكتاب المقدس فإنك لست أمام تدوين تمَّ بطريقة عشوائية بأقلام غير معصومة كباقي الناس؛ بل تمّ تزويدهم بكل وقائع الأحداث ومجرياتها كما هي فعلاً لذلك قال الرسول بطرس: «**لأنّه لم تأتِ نبوّة قطُّ بمشيئة إنسان، بل تكلّم أناس الله القدّيسون مسوقين بإلهام من الروح القدس**» (٢بط ١: ٢١). لذلك يتوجّب على من يحمل الكتاب المقدس ألّا يظنّ أنه يحمل كتاباً من عند الناس بل من عند الله لا بل إنه كلمة الله بالمطلق!

من عظة بعنوان: «**تمسكوا**».

التأمّل بعذابات المسيح

«هذَا أَخَذْتُمُوهُ مُسَلَّمًا بِمَشُورَةِ اللهِ الْمَحْتُومَةِ وَعِلْمِهِ السَّابِقِ، وَبِأَيدِي أَثَمَةٍ صَلَبْتُمُوهُ وَقَتَلْتُمُوهُ»

(أعمال ٢: ٢٣)

أعتقد أن البقاء في موقع صلب المسيح باستمرار أمرٌ في غاية الأهميّة. وأكثر من ذلك فإنّ التأمل بالخيانة التي تعرض لها يسوع على يد أشخاص أشرار يدعونا لكي نتذكّر باستمرار الشرّ الكامن في النفوس التي حاكمت يسوع بإجحاف وظلم مع تعذيب جسدي ونفسي بما في ذلك إكليل الشّوك عندما اقتادوه إلى الصليب وعلّقوه دون أن يقاوم اذْ أمعنوا في ضربه وطعنه وتسْمير يديه ورجليه على الصليب والسخرية والاستهزاء مع النزيف الذي سال من جسده والذي انتهى بالموت. كلّ هذه الانتهاكات يجب الّا تمرُّ مروراً عابراً بل يتوجّب التذكّر بعمق.

ينسى الناس أن عذابات المسيح على الصليب قد عُيّنت مسبقاً بتدبيْر ولم تنزل عليه بالصدفة أو بالحادث العَرَضي. بَلْ كما قيل بمشورة الله المحتومة التي سبق وأُعْلن عنها منذ الأزل. وقد كانت خطّة الصليب تدبيراً خلاصياً قد هُيّء له من قبل الثالوث الأزلي لخلاص البشر. إذْ لا يمكن لأي إنسان أن يقدّر حجم الألم الذي عاناه يسوع ولا تدبير حكمة الله الأزلية نحو سفك دمه الزكيّ الذي رتّبته المشيئةُ الإلهية لفداء بني البشر على صليب الجلجثة.

ويغيبُ عن ذهن الناس أن آلام المسيح على الصليب كانت ضروريّة لكي يحمل خطايانا التي لا يمكن لأحد غيره أن يحملها مع آلام تفوق القدرة على التصوّر إلا أن شفاء أرواحنا ونفوسنا كانت من خلالها! إذ يقول الوحي الكريم: «**وبِحُبُرِه شُفينا**ً» (إشعياء ٥٣: ٥).

كلّ هذا كان الدفعة الوحيدة المقبولة والمطلوبة من العدالة الإلهية «**كقربان واحد يُكْمل إلى الأبد المقدّسين**» (عبرانيين ١٠: ١٤). والبارّ مات عن الأثمة وأعطى الأمل بالأبدية إذْ لولا موته وقيامته لما كان للبشر أيّ أملٍ بالخلاص إذْ جسَّر الهوّة بيْن الإنسان الخاطئ إذْ يتوب وبين الله العادل!

من عظة بعنوان: «**صليب المسيح**».

الضمان الإلهي يُثْمرُ قداسةً

«وَالْقَادِرِ أَنْ يَحْفَظَكُمْ غَيْرَ عَاثِرِينَ، وَيُوقِفَكُمْ أَمَامَ مَجْدِهِ بِلاَ عَيْبٍ فِي الابْتِهَاجِ»

(يهوذا ٢٤)

الضمان الإلهي مطلوب ومرغوب لأنه مَسْرب نحو قداسة المؤمنين. وهذا بحدّ ذاته مدعاةً للتعجّب ناهيك عن أنه حقٌ وواقع مع أنه واحد في مفارقات العهد الجديد كما يبدو للوهلة الأولى، لكن سرعان ما تتبدّى الحقيقة القائمة. إن من نال غفران المسيح سوف ينشغل حتماً بإبراز مجد المسيح لأن الضمان الإلهي بالمغفرة الكاملة سيَفْسح المجال لمسارٍ حميم مع الله كما قال الرسول يوحنا «**وَكُلُّ مَنْ عِنْدَهُ هذَا الرَّجَاءُ بِهِ، يُطَهِّرُ نَفْسَهُ كَمَا هُوَ طَاهِرٌ**» (١يوحنا ٣: ٣).

أخوتي الاحبّاء، هل ترغبُون بامتلاك السلام؟ هل ترغبون باختبار الأذرع الأبدية محيطة بكم مع سماع صوت يسوع وهو يقترب إلى أرواحكم قائلاً: «أنا خلاصكم»؟ هل لكم نفعٌ للجيل الذي تعيشون فيه؟ هل ترغبون أن يُعْرَف عنكم صلابة إيمانكم وثبات مسيرتكم وفرادة النظرة إليكم كأتباع المسيح؟ هل أنتم في طور البقاء راسخين في طهارة وقداسة الذهن؟! آه، عددٌ كبيرٌ منكم سيقول: «هذا ما نتمنّاه وما نسعى ونتوق للوصول إليه؛ لكن الأمر يبدو بعيد المنال» فإليكم نصيحتي! اسعوا على غرار الرسول بولس الذي سعى ببساطة قلب وبثقة الأطفال في وعود الله إذْ قال: «... **لأَنِّي عَالِمٌ بِمَنْ آمَنْتُ، وَمُوقِنٌ أَنَّهُ قَادِرٌ أَنْ يَحْفَظَ وَدِيعَتِي إِلَى ذلِكَ الْيَوْمِ**» (٢ تيموثاوس ١: ١٢). وافعلوا أنتم هكذا كما فعل هو!

ربما العديد منكم سعى على هذا المنوال دون أن يفْلح في آخر المطاف! فغيّروا الخطّة، خذوا طريقاً آخر. ابدأوا بالضمان الإلهي! دعوا جانباً كلّ الشكوك. أبعدوا عنكم الارتياب من جهة كلمة الرب. تعالوا واطرحوا أنفسكم وأرواحكم وخطاياكم على المخلّص مَصْدر النعمة. ابدأوا ببساطة الإيمان وكلّ ما عداه يُزاد لكم.

من عظة بعنوان: «**الضمان**».

تعلّقوا بالمسيح

«الرَّبَّ إِلهَكَ تَتَّقِي. إِيَّاهُ تَعْبُدُ، وَبِهِ تَلْتَصِقُ، وَبِاسْمِهِ تَحْلِفُ»

(تثنية ١٠: ٢٠)

تعلّقوا بالمسيح، أقول لكم ولا تنسوا أبداً الدّين الذي عليكم له. خطاةً كنتم عندما دُعيتم من قبل الروح القدس وهرعتم مسرعين إلى المسيح. فأنتم في أحسن حالاتكم وعند ساعة موتكم ستعرفون حال الخطيئة التي عشتم فيها وليس عندكم ما تفتخرون به أبداً، إذاً ما عليكم إلّا التعلّق بالمسيح! واستفيدوا من كفّارة دمه كلّ يوم وفي كلّ صباح تقابلوا معه معترفين بحاجتكم الماسّة لخلاصه. أما في المساء وبعد عناء يوم مُتْعب، توسّلوا لأجل غفرانه باغتسالٍ من مَعين دمه الكريم من كلّ ما عَلِقَ بكم من رجاسات العالم.

تعلّقوا بالمسيح وأظهروا محبتكم له أمام الجميع عبر طاعتكم لوصاياه وتماهيكم مع صورته وامتثالكم لمثاله إذا تجعلون أمر إيمانكم محبّباً وجميلاً لدى كلّ الناس مظهرين قداسة المزاج والسيرة. أظهروا للعالم أنّ من غُفِرَ له الكثير يحبُّ أكثر!! وأن من يحبُّ أكثر هو من يعمل كلّ ما بوسعه لمجد المسيح (لوقا ٧: ٤٧).

تعلّقوا بالمسيح ولتكن أفكاركم سامية من نحو كفّارة دمه الكريم الذي سالَ على الصليب إذْ قدّم إبّان تجسّده مثالاً رائعاً يُحْتذى مع معجزات وتعاليم سامية للغاية. فكّروا بقيامته وشفاعته ومجيئه الثاني بكل جدارة، وكلّ ذلك مغلّف في ذبيحته الكفّارية إذ قدّم نفسه فِدْيةً عن الجميع ليشكّل السبيل الوحيد للراحة لمؤمني العهد القديم ومؤمني العهد الجديد ولا تستحوا من إعلان خلاصه بأن من أراد الراحة الحقيقية ليس له إلّا دم المسيح الكفاري الذي يطِّهر من كلّ إثم فهو البديل لكل إنسان يؤمن بقوّة الصليب!

من عظة بعنوان: «**أين خطاياكم**».

دائماً هو هو

«لأَنْ مَهْمَا كَانَتْ مَوَاعِيدُ اللهِ فَفِيهِ هُوَ «النَّعَمْ» وَفِيهِ «الآمِينُ»، لِمَجْدِ اللهِ، بِوَاسِطَتِنَا»

(٢ كورنثوس ١: ٢٠)

مرّةً أخرى نقول بأن يسوع هو هو دائماً في قدرته على الحفظ والمثابرة، لا يشْرع في عمل النعمة ثمَّ يتخلّى عنه دون إكماله بضمانة وعده القائل: «**خِرَافِي تَسْمَعُ صَوْتِي، وَأَنَا أَعْرِفُهَا فَتَتْبَعُنِي. وَأَنَا أُعْطِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَلَنْ تَهْلِكَ إِلَى الأَبَدِ، وَلاَ يَخْطَفُهَا أَحَدٌ مِنْ يَدِي**» (يوحنا ١٠: ٢٧-٢٨)! هو الذي أقام الرسل الذين تركوه بشكلٍ معيب وهربوا، ومنهم بطرس الذي عاد ولمس قلبه ليعود إلى قطيعه رغم أنه أنكرهُ وجاهياً؛ وما عمله يسوع آنذاك جاهز أن يعمله الآن لأيّ مؤمن كان؛ لأنّه حاشا أن تدخل الحيرة أو الارتباك إلى قلب أيّ ممن وضعوا ثقتهم فيه لأن رئيس إيماننا ومكمّله لا يغيّر أبداً!

إنه هو هو دائماً! وهذا ما يجعل العهد الجديد ذا قيمة عليا لما يتضمّنه من السيرة المباركة للرّب الذي لا يغيّر خلاف سيرتنا نحن الحافلة بالتقلّبات وعدم الاستقرار. ففادينا كان ومازال وسيظلّ كما هو بكل سجاياه العظيمة في محبّة ولطف وحنان وطول أناة وشفقة مازالت متاحة لنا ومنها نفهم طبيعة من منحنا الغفران وإليه وحده نتوّجه بالصلاة والطِلبَات مع أبيه المبارك لأنه هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد!

هذه هي المعادلة التي تجعل الإنجيل مميّزاً وثميناً لأن اختبار ما هو مُثْبت بجدارته وأمانته كحجر زاوية يُرْكن إليه أفضل من الثقة بأي شيء آخر. إنه النبع الذي لا ينْضب معينه؛ وهو مدينة الملجأ التي لا تسقط أسوارها؛ وهو صخر الدهور. كل صرحٍ وبناء ولو كان للعبادة يمكن أن يزول أو يُهْدم ويمكن للثروات أن تطير من يد أصحابها بأجنحة لا تُضْبط؛ أمّا الذين بنوا سعادتهم على المسيح المصلوب واتّحدوا معهُ بالإيمان فهم كالذي بنى بيته على الصخر الذي لن يتزعزع ويمتلك سلاماً حقيقاً أكيداً!!

من عظة بعنوان: «**المسيح غير المتغير**».

لا تهمل الصلاة الخاصّة

«وَقَالَ لَهُمْ أَيْضًا مَثَلاً فِي أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُصَلَّى كُلَّ حِينٍ وَلاَ يُمَلَّ»

(لوقا ١٨: ١)

نعيش أياماً تتزايد فيها الانتماءات الدينية وتُشاد أبنية العبادة بأعداد لم يسْبق لها مثيل. ويرتاد العابدون هذه الأماكن بأعداد تفوق أعداد العابدين في الماضي؛ ويقابل هذا التزايد رغم ذلك تناقُص عند المسيحيين في أعداد أهل الصلوات الخاصة التي تمثّل في واقع الأمر اتفاقيات ثنائية بين المؤمن وبين الله حيث تُقام بعيداً عن عيون الآخرين، ولهذا السبب يميل الناس إلى إهمالها؛ وأنا أعتقد أنَّ آلاف المسيحيين مع الأسف لا ينْطقون بكلمة واحدة على انفراد مع لله. إنهم يزاولون كلَّ عمل ونشاط مع المأكل والمشرب والعمل والنوم والاستيقاظ ويتنفّسون هواء الله مجّاناً وينْعمون بأشعة الشمس ويسافرُون في بلاد الله الواسعة، ويتنعمون بمراحم الله وخيراته بالإضافة إلى أن أجسادهم لا محالة مائته وأن الدينونة لا محالة قادمة ورغم ذلك لا يخاطبون الله بكلمة مع الأسف. يعيشون كما قال المرنم في (مزمور ٤٩: ١٢) بما «**يشبه البهائم التي تباد**». يسلكون كأنهم خلائق بلا أرواح إذْ لا يملكون كلمة يقولونها للذي بيده أنفسهم وأنفاسهم والذي من فمه سيسمعون الحُكْم الأبدي بحقّهم يوماً ما. مخيف هو المشهد الذي به تُكْشف سرائر الناس!

فهل يفاجئكم هذا الكلام؟ اسمعوا أحبّائي، ولا أتكلّم معكم كَمَنْ يفعل من غير سبب موجب أو منطق سليم. هل تعتقدون أنّ ما أشرتُ إليه آنفاً مجرّد هراء؟ انتبهوا إلى ما أقول فأنا أتكلم بالحقيقة التي تدعمها كلمةُ الله مع أنني لا أعرف القلوب ولا أفْحصُ الأشياء الروحية الخاصّة عندكم، لكنني على ضوء الكتاب المقدس وما تراهُ عيناي في العالم؛ أنا متأكد من السؤال الذي سأوجهه إليكم بداعي أهميته وهو: هل تصلّون صلاتكم الخاصّة؟

من عظة بعنوان: «**دعوة للصلاة**».

الحكمة في استخدام الوقت

«مُفْتَدِينَ الْوَقْتَ لأَنَّ الأَيَّامَ شِرِّيرَةٌ»

(أفسس ٥: ١٦)

أيها الإنسان، كن حكيماً مع الزمن. تعلّم إيداع الكنوز في السماء. فكّر أولاً بالمنزل الذي لمْ تصْنعه يدُ الإنْسان وانظر إلى الصديق الودود. الصديق الذي لا يغدر بك. ابتعد عن الديانة الباردة الجافّة التي نعيش في الظلّ وتوقّف عن الانتماء الإسمي والسطحي للمسيحية، كُن رجل الله حقاً وفعلاً! تعال إلى الآب الأزلي كطفلٍ: باعترافات وروح الصلاة. سلّم خطاياك للمخلّص الذي مات على الصليب لأجلك ولا تكتفِ بأيّ شيءٍ عدا انتمائك للمسيح يسوع! كعضوٍ حيّ في كنيسته وبه كلّ الضمانة لرجاءٍ لا يخيب وهو عنوان السعادة التي لا تتلاشى أبداً.

هل من أحدٍ بينكم ذاق هذا التغيير المبارك، إذْ خلع الإنسان العتيق الفاسد ولبس الجديد المخلوق في البرّ وقداسة الحق، والذي يتأسف على تقْصيراته اليوميّة ويتلْهف لقداسة أكثر، ونكران الذات وإماتة الجسد مع شهواته؟ أدعوك إلى أن تثق بأن يسوع لا يتغيّر ولا يتبدّل في سجاياه، وهو الذي يعطي الروح الذي يشهد في دواخلنا ولا يهملنا. قد ترتعش ولكن واصل مسيرة إيمانك وهو يدعمك على الدوام في انتظار تغيير سيحدث فيما بعد وهو تغيير جسدنا الفاسد بجسدٍ روحانيٍ مبارك عبر خلع ما هو فاسد لامتلاك ما هو عديم الفساد. واستبدال ما هو مائت لامتلاك ما هو عديم الموت مع خلع المسكن الأرضي لنوال المسكن السماوي. اسهرُوا وصلّوا فالذي بدأ فيكم عملاً صالحاً يُكْمل ولن تسمح لنفسك بالابتعاد. لن ترى تعباً ولا ضعفاً ولا وهناً؛ بل ترى مخلّصك كما هو فتحبّه كما يجب وتتعلّق به وتبقى مثله أخيراً من غير تغيير إلى الأبد.

من عظة بعنوان: «**يسوع غير المتغير**».

لنُثبّتْ أنظارنا نحو غايةٍ واحدة

«نَاظِرِينَ إِلَى رَئِيسِ الإِيمَانِ وَمُكَمِّلِهِ يَسُوعَ»

(عبرانيين ١٢: ٢)

مطلوب منا الانخراط في سباق عنوانه: «ناظرين إلى يسوع» وهذا يعني الاعتماد عليه في خلاصنا ونبذ كلّ ما عداه لأنّ كلّ أعمال برّنا مجرّد خِرَق بالية؛ لذا لا مجال أمامنا إلّا الاتكال على برّه الذي أنجزه على الصليب، شريطة أن يكون اتكالنا كاملاً وتاماً وبسيطاً وجامعاً. لأن سباقنا ليس قفزة في المجهول غير واثق من خط النهاية وليس هو صراع على جهلٍ بما سيأتي. المطلوب أن يكون خط النهاية هو تركيز النظر على حمل الله الذي يرفع خطيّة العالم والذي حمل أوجاعنا وتحمّل أحزاننا وقريباً سيحضرنا بلا عيب ولا دنس في محْضر أبيه السّماوي!

وبينما نحن في طور السباق؛ يبقى يسوع مثالنا فلا نسْمح لأنفسنا أن نأخذ نموذجاً أقلّ من ابن الله نفسه، في سعْيٍ حثيث للتشبّه بلطفه ووداعته وتواضعه ومحبّته وغيرته على النفوس من الهلاك وطهارته وصبره واستغراقه في الصلاة، وهذا الموقف يقربّنا إليه يومياً ويشبّهنا به؛ وهذا هو السرّ الذي جعل سحابة الشهود راسخين غير متزعزعين في الطريق الضيّق الذي يؤدي للحياة الابدية! وإليكم القاعدة البسيطة لكلّ من يودّ الدخول في السباق الذي ينتهي به المطاف في الفردوس! لا تغرّك الأرض فإنها إلى زوال، وهي حافلة بالخطايا، والذين يعلقون أمالهم عليها سيكتشفون أن أساسهم الأرضي لا يعدو كونه أرضياً هشاً. وعندما تُمْتحن أعمالهم بالنار ستحترق لأنها شوائب بمجملها؛ لذا لا تستأهل الأرض أن نعيرها أدنى اهتمام ومن التصق بها هلك معها!

لا تنظروا لأنفسكم! لأنكم بالطبيعة بؤساء وتعساء وفقراء وعميان وعراة؛ لا تقدرون على فدية نفوسكم بأيّةِ كفّارة ممكنة لتعدّياتكم التي اقترفتموها ولا أن تمحوا صفحة من سجلّكم الأسْوَد إلّا إذا نظرتم إلى يسوع حيث يسقط الثقل عن كاهلكم وتصيرون خفافاً لمتابعة السباق الموضوع أمامكم، الذي يصيرُ هيّناً عليكم، فتصلون إلى خط النّهاية بنجاح أكيد!

من عظة بعنوان: «**السباق المسيحي**».

تناهى الليل

«قَدْ تَنَاهَى اللَّيْلُ وَتَقَارَبَ النَّهَارُ، فَلْنَخْلَعْ أَعْمَالَ الظُّلْمَةِ وَنَلْبَسْ أَسْلِحَةَ النُّورِ»

(رومية ١٣: ١٢)

الوقت قصير وما هي إلّا برهةٌ من الزمن ويأتي الرّب يسوع في مجده. وتُعْقد الدينونة وتُفتح الأسفار حيث «**يَجْتَمِعُ أَمَامَهُ جَمِيعُ الشُّعُوبِ، فَيُمَيِّزُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ كَمَا يُمَيِّزُ الرَّاعِي الْخِرَافَ مِنَ الْجِدَاءِ**» (متى ٢٥: ٣٢). وأيضاً «**لِيَنَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مَا كَانَ بِالْجَسَدِ بِحَسَبِ مَا صَنَعَ، خَيْرًا كَانَ أَمْ شَرًّا**» (٢كور ٥: ١٠). «**وَمُلُوكُ الأَرْضِ وَالْعُظَمَاءُ وَالأَغْنِيَاءُ وَالأُمَرَاءُ وَالأَقْوِيَاءُ وَكُلُّ عَبْدٍ وَكُلُّ حُرّ، أَخْفَوْا أَنْفُسَهُمْ فِي الْمَغَايِرِ وَفِي صُخُورِ الْجِبَالِ**» (رؤيا ٦: ١٥). هناك الكلُّ دون استثناء سيواجه الدينونة والكلّ على قدم المساواة فرداً فرداً سيعطون حساباً عن أنفسهم أمام الخالق وكلّ ما كُتِبَ حقٌ وأكيد وسيصير بحذافيره.

ماذا أعددتم لتلك الساعة من أقوال يا ترى؟ وما هي المرافعة التي ستدافعون بها عن أنفسكم؟ وما هو الجواب الذي تنوون تقديمه؟ وكيف ستستأنفون الحكم الذي يصدر بحقّكم؟ أخشى ما أخشاه أحبّائي، أنّ بعضاً منكم لا يعلم جسامة الدعوى المقامة ضده. الحياة خالية من الضمانات لذا يرحل عنها المليح والقوي والقبيح دون سابق إنذار، إذْ أنّ الموت لا يعقد صفقات مع الناس الذين هم أيضاً لا يدرون عَلامَ يستندون للوصول إلى الراحة. لا أحد يعلم متى يعطي البوق الأخير صوته والناس في غفلة على أرْضية رجائهم.

بكل تأكيد ما كان هذا قصد الله من نحو البشر الذين مع الأسف يتصرفون خلاف قصد الله لأجل خلاص نفوسهم. في ذلك اليوم لا حاجة إلى شهود لأن الأفكار والأقوال والأفعال مدوّنة في السفر أو السجّل ويدعى الواحد تلو الآخر لأن القاضي آنذاك فاحص القلوب ومختبر الكِلى. ورغم هذه الحقائق؛ فالكثيرون مازالوا نياماً حيال إنذارات الكتاب وكأنها غير حقيقية. الكثيرون منكم يجهلون كيفية الانفلات من دينونة غضب الله. بكل بساطة: إنها عبر الإيمان بيسوع المسيح! (روميه ١٠: ٩).

من عظة بعنوان: «**الرب برنا**».

ما هي الكنيسة؟

«وَأَنَا أَقُولُ لَكَ أَيْضًا: أَنْتَ بُطْرُسُ،
وَعَلَى هذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي، وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا»

(متى ١٦: ١٨)

يقول الرب بأنها «كنيستهُ». إذاً؛ ما هي الكنيسة؟ القليل من الأبحاث قد تُعْمل لبلوغ أجوبة أفضل، علماً أن الناس لا يعيرون انتباهاً لهذا الأمر. كما أن الأخطاء تسلّلت إلى الكنيسة وهي ليست بالعدد القليل. الكل يعلم أن مفهوم الكنيسة لا يقتصر على البناء وملحقاته من صنع يد البشر مع مواد خاصة بإشادة الأبنية بل هي شركة المؤمنين أخوة وأخوات وهي ليست كما يعرفها الآخرون بأنّها كنائس شرقية أو غرْبيّة أو كنائس نشأتْ زمن الإصلاح تحت مُسميّات معروفة. بل الكنيسة التي تكلّم عنها يسوع هي هيئة المؤمنين بها وهي أثمن في نظر الله من كل الصروح والعقارات.

إن الكنيسة التي يتكلم عنها النص هنا تتألف من أشخاص آمنوا حقّاً بالرّب يسوع المسيح وتضمّ خطاةً تابوا توبةً صادقة ولجأوا إلى المسيح بالإيمان وقد صاروا بواسطته خليقة جديدة ويُدْعون أيضاً مختاري الله الذين نالوا نعمة الخلاص وقد غُسّلوا بدم المسيح ولبسوا رداء الخلاص كمولودين ثانية ومقدّسين بواسطة الروح القدس. كلّهم بالإجماع أتوا من كلِّ أمة وشعب ولسان يشكّلون كنيسة المسيح التي عنىَ بها يسوع حسب (متى ١٦: ١٨). والتي هي جسد المسيح وقطيع الراعي الصالح وعروس الحَمَل. هذه هي الكنيسة المؤسسة على صخر الدهور أخوتي وأخواتي. حافظوا على عقيدة نظيفة بخصوص مفهوم الكنيسة لأن أقلّ خطأ قد يودي بنفوس كثيرة إلى الهلاك. وخلاصة الأمر، تذكّروا: أن الكنيسة مجموعة من المؤمنين بالمسيح حسب تعليم العهد الجديد فقط وفيها رعاة مرسومين للوعظ والتعليم تدعو الناس على غرار ما فعل يسوع «**توبوا وآمنوا بالإنجيل**» مرقس ١: ١٥!

من عظة بعنوان: «**الكنيسة الحقيقية**».

العلاقات مع غير المؤمنين

«اَلْمُسَايِرُ الْحُكَمَاءَ يَصِيرُ حَكِيمًا، وَرَفِيقُ الْجُهَّالِ يُضَرُّ»

(أمثال ١٣: ٢٠)

لا يمكن تفادي اللقاء مع أشخاص لا يشاركوننا الإيمان وهم بحسب الكلمة غير متجدّدين ونحن في لقاء دائم معهم طوال حياتنا. كما أننا لا نستطيع تجنّب مشاركتهم في مناسبات مختلفة والتعامل معهم حتّى في مجال العمل إلّا إذا قرّرنا أن «**نخرج من العالم**» (اكور ٥: ١٠). فلا بدّ من التعامل معهم بأفضل كياسة ولطف ومحبّة ومجاملة حيثما وأينما نلتقيهم. إن هذا واجب ايجابي مع التفريق بين المعارف والأصدقاء الحميمين. نبقي هؤلاء في دائرة المعارف دون أن ننزلق إلى العلاقة الحميمة التي تنطوي على خطورة بالغة مؤذية للروح والنفس.

إن الطبيعة البشرية تُمْلي علينا أنه لا يمكن تفادي التأثيرات السلبية في علاقاتنا مع الآخرين إذا تجاوزنا المعرفة العامة إلى العلاقة الخاصّة. ولعل المثل القديم الشائع «قلْ لي من تعاشر أقول لك من أنت» مازال ساري المفعول في أيامنا. أما الكتاب المقدس فيَقول على لسان الملك سليمان: «**المساير الحكماء يصير حكيماً، ورفيقُ الجّهال يُضَرُّ**» (أمثال ١٣: ٢٠). فإذا قرّر أحد أولاد الرب أن يعيش بسويّة الإيمان مع أصدقاء لا يهتّمون بخلاص نفوسهم ولا يُعيرون الكتاب المقدس أي اهتمام وينظرون إلى القداسة كأنها أمر ثانوي ولا يهمّهم تحسين الحالة الروحية لديهم، فإن ابن الرب سيكتشف أن طريقه غير طريقهم وأفكاره غير أفكارهم وذوقه للأشياء غير أذواقهم ولا يمكن أن ينشئ أية علاقة معهم إلّا إذا أنشأوا بأنفسهم علاقة إيمان مع الرب مماثلة لإيمانه.

والخلاصة؛ إن الفرز لا بدّ منه رغم قساوة الأمر، لكن إذا تعلّق الأمر بالخيار بين خسارةِ صديقٍ أو أذى يلْحق بالروح والعلاقة مع الرب، فإن المسألة بلا شك ترجّح العلاقة مع الرب لأن سلامة النفس والروح أولى من أن يسير أحدنا في الطريق الواسع. ولا بدّ من الإشارة إلى استحالة إنشاء علاقة بين طبيعة متجدّدة وأخرى غير متجدّدة إذ لا شيء مشترك يجمعهما!

من عظة بعنوان: «**العالم**».

العذارى العشر

«حِينَئِذٍ يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ عَشْرَ عَذَارَى، أَخَذْنَ مَصَابِيحَهُنَّ وَخَرَجْنَ لِلِقَاءِ الْعَرِيسِ. وَكَانَ خَمْسٌ مِنْهُنَّ حَكِيمَاتٍ، وَخَمْسٌ جَاهِلاَتٍ. أَمَّا الْجَاهِلاَتُ فَأَخَذْنَ مَصَابِيحَهُنَّ وَلَمْ يَأْخُذْنَ مَعَهُنَّ زَيْتًا، وَأَمَّا الْحَكِيمَاتُ فَأَخَذْنَ زَيْتًا فِي آنِيَتِهِنَّ مَعَ مَصَابِيحِهِنَّ»

(متى ٢٥: ١-٤)

كل ما يمكنني أن أدركه في مقدمة المثل أن هناك عشر عذارى جاهلات وحكيمات بالمناصفة في مجموعة واحدة، نصْفهُنَّ لديهن زيتاً كفاية ونصْفهُنّ بلا زيت؛ وكلا الفريقين يسيران جنباً إلى جنب دون أي تغيير يذكر حتى جاء العريس. إلى هنا أرى الصورة واضحة بأن الكنيسة المنظورة تحوي بين ظهرانيها خليطاً مشابهاً حتى يوم مجيء المسيح؛ إذ يستحيل أن يكون جميع أعضائها غير مخلّصين لأن للمسيح شهود أمناء إذ لا يترك نفسه بلا شاهد وبالمقابل مستحيل أن يكون جميع أعضائها مؤمنين مخلّصين. فهي بيئة فيها عدم الكمال والرياء والإيمان الكاذب.

العذارى الحكيمات في المثل يمثلن الذين يملكون الحكمة التي يعطيها الروح القدس حصراً. فهم عارفون أنفسهم ويعرفون العريس المسيح جيّداً ويعرفُون كيف يكون السيْر الذي يُرْضي الله ويتصرّفون وفق معرفتهم الروحية بشكل سليم. ويستغلّون الحياة استعداداً للأبدية. لأنّ الحياة ليست نهائية هنا بل مَعْبر وليست مرفأً للرسوّ بل رحلة وليست مستقرّاً بل محطّة للمتابعة وليست اكتمالاً بل مدرسة تُكْمل فيها المعرفة، فطوبى لأولئك الذين يدركون ذلك!

والجاهلات في المثل هنّ مثال كلّ الخالين من المعرفة الروحية؛ لم يبلغُوا معرفة الله ولا معرفة المسيح ولا حتّى قلوبهم ولا خطاياهم ولا العالم ولا السماء ولا الهاوية كما يجب أن تكون المعرفة حقاً! لا غباء أعظم من غبَاء النفس إذْ تنتظر أجْراً بدون عمل ورخاءً بدون تعب وتعلّماً بدون اجتهاد واطّلاع. كلّ هذا يندرج في خانة الغباء. إلّا أن هناك عناءً أعظم يكمن في التوقّع ببلوغ السماء بدون المسيح وملكوت الله بدون ولادة ثانية وتاج مجدٍ بدون الصليب وكلّ هذا شائع بين الناس! حتى يأتي العريس، وتبقى الكنيسة المنظورة حاوية لمن نالوا النعمة ولمن لم ينالوها بعد. ويتوقف البعض بالمعرفة على شكل المسيحية؛ لكن المثابرين لا يرضون ما لم يملكوا جوهر الحق في المسيح! ففي أي من الفريقين أنت؟

من عظة بعنوان: «**العذارى العشر**».

مدائح العالم

«قَدْ كَلَّمْتُكُمْ بِهذَا لِيَكُونَ لَكُمْ فِيَّ سَلاَمٌ. فِي الْعَالَمِ سَيَكُونُ لَكُمْ ضِيقٌ، وَلكِنْ ثِقُوا: أَنَا قَدْ غَلَبْتُ الْعَالَمَ»

(يوحنا ١٦: ٣٣)

من يجهل أنَّ الإيمان الروحي والديانة الصحيحة لا تجلب للإنسان مديح العالم مطلقاً؟ لا بل يلاقي عداوةً واضطهاداً وسخريةً واستهزاءً؛ فالعالم يساهم في إيصال الناس رجالاً ونساءً إلى الهاوية، ولا يساهم أبداً في إيصال الناس إلى السماء بهدوء؛ بل يحاول قدر الإمكان إبعادهم عنها. حتى إنه يسخَر من المؤمنين ويعطيهم ألقاباً مؤذية كما قيل عن الرسول بولس أنه: «مهذار» (أعمال ١٧: ١٨). وقِسْ على ذلك؛ ومَنْ منّا لم يسْمع عن نعوت وأوصاف تعطى حتّى للانتماء الطائفي؟ من منا لم يسمع عن اضطهاد لعائلة أو عائلات تريد أنْ تكمل مسيرة حياتها بتقوى وعبادة؟ ألّا ترى شاباً ساعياً وراء ملذاته لإرضائها في كلّ مجال مُتاح ولا أحد يتدخّل في شؤونه ولا توجّه له كلمة ولو على سبيل النّصح: «أشْفق على نفسك أيها الشاب» ولا أحد يقول له: «حافظ على نفسك وراعِ مصلحة روحك ونفسك».

أمّا إذا شرعَ الشاب بقراءة الكتاب المقدس وثابر وواظب على الصلوات وابتعد عن ملذات الحياة ومجونها واستخدم الوقت بحكمة وسعى لخدمة روحية إنجيلية ينخرط فيها؛ فإنه سَيقَابل من قبل الأصدقاء والخلاّن بالقول: «لا تتزمّت ولا تتطرّف»! «لا داعي لكلّ هذه القداسة»! «علامَ هذا الانعزال عن العالم»! بل يمكن أن يكون هذا أقل ما يمكن أن يسمعه إن لم يسمع أسوأ بكثير مع الأسف لأنّ المفروض ألا تكون الأمور هكذا؛ ولا غرابة في الأمر لأن هذه الأشياء حدثت في أيام قايين وهابيل واسحق وإسماعيل كما تحدث في أيامنا حيث المولود حسب الجسد يضطهد المولود حسب الروح، وذلك لأن صليب المسيح أجّج الأحقاد على أتباعه الذين إذْ تبعوا المسيح خسروا امتيازات العالم ورضاه حتى أنهم وصفوا بالمجانين. هل من مؤمنة أو مؤمن لم يواجه سخريةً أو استهزاءً بطريقة أو بأخرى وحيداً في مواجهة مع العالم؟ افرحوا، اصبروا، انتظروا قليلًا سيأتي دوركم!

من عظة بعنوان: «**العذارى العشر**».

لا تهمل كلمة الله

«فَكُلُّ مَنْ يَسْمَعُ أَقْوَالِي هذِهِ وَيَعْمَلُ بِهَا، أُشَبِّهُهُ بِرَجُلٍ عَاقِلٍ، بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الصَّخْرِ»

(متى ٧: ٢٤)

هل الكتاب المقدس كلمة الله؟ إذا انتبه لئلا تهمله. اقرأه، ثم اقرأه! ابدأ القراءة الآن. هل من إهانة توقع الإنسان في المعصية إذا رفض قراءة الرسالة التي أرسلها الله لبني البشر من السماء أكثر من هذه؟ كن على ثقة أنك إن أهملت قراءة الكلمة فإنك تعرّض نفسك لخطر مؤذٍ للنفس! لأن الله طوّب الذي يقرأ والذين يسمعون أقوال النبوّة ويحفظون ما هو مكتوب فيها، لأن «**الوقت قريب**» (رؤيا ١: ٣). فلا تدع مأخذاً عليك إزاء هذه البركة يوم الدّين. لأن الحساب سيطال كيفية استخدام الوقت والطاقة والمال؛ بالإضافة إلى استخدام الكلمة الإلهية في التطبيقات الحياتية والمعيشية، لأن الذي يعرف ويملك يُطْلب منه أكثر من الذي لا يعرف ولا يملك المعرفة الكتابية. «**من يعطى كثيراً يُطلب منه أكثر**» (لوقا ١٢: ٤٨). وفي مثل الوزنات نرى التوبيخ الشديد للذي دفن الوزنة، الذي هو مثال إهمال النعمة الإلهية، (متى ٢٥: ١٤-٣٠). فكما تعامل الأسفار الإلهية يعامل الله نفسك.

ألا تتراجع عن إهمالك الكتاب المقدس وتشرع في قراءته فوراً؟ بدون معرفتك الكتابية. تصير لقمة سائقة للبدع والضلالات المنتشرة كثيراً في العالم الذين إذا قابلوك عجزت عن مواجهتهم إذْ تقف أمامهم فاقد الحجّة والنقاش وقد يأخذوك إلى تدحرج متتابع حتى تستقّر بك الأمور في هاوية سحيقة. أقول ثانية: ألا تتوب عن الإهمال في قراءة الكتاب المقدس؟

من عظة بعنوان: «**الوحي**».

خصال العالم

«نَعْلَمُ أَنَّنَا نَحْنُ مِنَ اللهِ، وَالْعَالَمَ كُلَّهُ قَدْ وُضِعَ فِي الشِّرِّيرِ»

(١ يو ٥: ١٩)

كما ترون، إن شهادة الأسفار المقدسة حول العنوان أعلاه واضحة وصريحة إذْ يقول البشير يوحنا «**العالم كلّه وضع في الشرير**» (١يوحنا ٥: ١٩)، لاحظوا كلمة، «**العالم كلّه**». لقد خُلِق أبونا الأول على صورة الله نقيّاً بلا خطيّة؛ ولكن ذات يوم سقط من مكانته العليا وانحدر بسبب عصيانه إذْ أكل من الثمرة المحرّمة. لقد كسر أمر الله الواضح وصار فوراً مخلوقاً خاطئاً. وهكذا نحن جميعاً من سلالته ورثنا عنه طبيعة فاسدة بل شريرة. هي طبيعة تلْتصق بنا حالما نأتي إلى هذا العالم بالولادة، وتظهر يومياً في حياتنا وحديثنا. لذا نعلم أن هذا الميل إلى الخطية تأصّل فينا منذ لحظة السقوط وصرنا خطاة في عالم خاطئ.

أحبائي، هل يبدو هذا الكلام قاسياً؟ هل تعتقدون أن تصريحاً كهذا شديد الوطأة؟ بعيداً عن المجاملات! هذا الأمر مذكور في الكتاب المقدس لأن كلَّ سفر من العهد القديم يحوي روايات محزنة عن تاريخ أشخاص وقعوا في العصيان وعدم الإيمان بالعلاقة مع الله. ونقرأ أيضاً إدانات مخيفة حلّت على العصاة كالطوفان ودمار سدوم ومع هذا لا يهتم الناس بذلك، كما أن الكتاب المقدس يحوي قصصاً عن مراحم الله المُنْعمة مثل حماية الله لشعبه بني اسرائيل، لكن الإنسان سريع النسيان. كما نقرأ عن وصايا ورؤى وتعاليم على يد معلمين مُلْهمين من السماء. كما هو حال الوصايا العشر التي أعطيت لموسى والتي لم تُطاع من قبل الناس ونقرأ عن إنذارات خاصة صادرة عن أنبياء وقد رفض الناس الانصياع إليها. أحبّائي، سواء قبلنا أم لم نقبل الحقيقة التي تؤكد أننا نمثّل عالماً خاطئاً ونحن خطاة فيه، وحتى لو كانت هذه الحقيقة مُهينة للبعض إلّا أن الكتاب المقدس صريح كلّ الصراحة، والخبرة عندنا تؤكّد ذلك لنصل إلى برهان الكتاب بأن العالم الذي نعيش فيه شرير وفاسد وستأتي عليه دينونة الخالق بدمار وهلاك؛ وإذْ يفعل ذلك يجرى قضاءً عادلاً لأنه سبق وأعطى نواميس وشرائع انتهكت من قبلنا وقد احتقرنا وعوده وعهوده ولم نصدّق إنذاراته. في الختام أحبّتي! نحن عالم خاطئ!

من عظة بعنوان «**الإيمان المخلِّص**».

أنوار مضيئة ساطعة

«فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ»

(متى ٥: ١٦)

أيها القارئ المؤمن، إني على ثقة بقولي عنك: إنك تحب الرب يسوع المسيح بإخلاص شديد.

ولهذا أرغب أن أراك مضيئاً كنورٍ ساطع لمن هم حولك حتى يقرؤوا شيئاً عن الله في ملامح وجهك وأنك من أتباع يسوع وبالتالي يمجّدون أباك الذي في السماء! بالمقابل مع الأسف أقول: أغلبنا يجلب قليلاً من المجد للرب الذي اشترانا؛ ذلك لأننا بعيدون عن السير كما يحقّ للدعوة التي دعينا بها. كم هو ضعيف إيماننا وكم من عدم الأسف على الخطيّة نظهر في حياتنا! ونكران الذات عندنا هشٌّ وضعيف! أمّا صَبْرنا فسرعان ما يتلاشى! وكم يُعْوزنا التواضع! وكم من السطحية تتصّف بها صلواتنا! وكم فاترة هي المحبّة عندنا!

لقد دعينا لنكون شهوداً لله ولكن غالباً ما تكون شهادتنا أقرب إلى الصمت منها إلى الكلام، لأنها تفتقر إلى البرهان. لقد دُعينا لنكون نوراً للعالم فإذا بهذا النور يبدو خافتاً وبالكاد يُرى. لقد دُعينا لنكون ملح الأرض ولكن ما أضعف النكهة التي يتذوّقها العالم فينا. لقد دُعينا غرباء ونزلاء، لكن مع الأسف يرانا الكثيرون متشبّثين بالعالم كأنه مَسْكننا النهائي. أخي أختي؛ ما هو دور كلٍّ منكما في العالم؟ ما هو برهان نموّكم في النعمة؟ هل أنتم مستيقظون أَمْ نائمون؟ هل من طبائع عندكم تحتاج إلى الانضباط؟ هل من خطيّة رابضة عندكم تخجلون من إعلانها وتحتفظون بها لأنفسكم؟ هل تفتقرون إلى وقت ينبغي أن تستخدموه في المنفعة والفائدة للأخرين؟ هل من أنانية معشعشة فيكم وأنتم مسرورون بها؟ هل من صلاح تقدرون على فعله إلّا أنكم تتقاعسون عن ذلك؟ هل من عادات ينبغي استبدالها بالأحسن؟ هل من بقعٍ تلوّث ثيابكم الروحيّة أيّ مظهركم الروحيّ وليس لديكم النيّة في التخلّي عنها وغسلها؟

هل من أصدقاء وعلاقات تراهم في حمأة الخطيّة ولا تكترث بهم؟ ليتكم تتعاملون مع أنفسكم بأمانة أكبر وأكثر مما أنتم عليه الآن! الرب قريب أخوتي!

من عظة بعنوان: «**لدي شيء أقوله لكم**».

أيها الخدّام، لا تغشوا الكلمة

«لأَنَّنَا لَسْنَا كَالْكَثِيرِينَ غَاشِّينَ كَلِمَةَ اللهِ، لكِنْ كَمَا مِنْ إِخْلاَصٍ، بَلْ كَمَا مِنَ اللهِ نَتَكَلَّمُ أَمَامَ اللهِ فِي الْمَسِيحِ»

(٢ كورنثوس ٢: ١٧)

ليس بالأمر السهل التحدّث مع رهط من الناس حول النفس البشرية بما يخصّ علاقتها مع الله. ولكن أخطر المسؤوليات على الإطلاق هي التحدث إلى تجمع من الخدام والرعاة، مثل ذلك الذي أراه أمامي الآن. سوف يراودني شعور رهيب بأن كلمة واحدة خاطئة تترسخ في قلب أحدهم وتؤتي ثمارها في وقت ما في المستقبل، على أحد المنابر، قد تؤدي إلى ضرر لا نستطيع أن نعرف مداه. ولكن هناك مناسبات حيث لا يمكن رؤية التواضع الحقيقي في الاعترافات بضعفنا بقدر ما يمكن رؤيته في نسيان أنفسنا تمامًا وهذا ما أرغبه أحياناً في نسيان الذات في تحويل انتباهي إلى هذا المقطع من الكتاب المقدس الذي كتبه الرسول بولس، فإذا قلت القليل عن شعوري بعدم الكفاءة، فامنحني العدالة بأن أعتقد أن ذلك ليس لعدم إدراكي له.

لقد استخدم الرسول بولس الكلمة «غاشين» في عالم الحِرَف اليدوية كأنْ يعمل أحدنا بطريقة تُعْوزها الأمانة، أو الغش بإضافة مواد رخيصة لتباع للناس وكأنها خالية من التلاعب. لقد شرح العالم اللاهوتي Tyndale قول الرسول بولس فقال: «لسنا كمَنْ يبدّلون كلمة الله عبر اجتزاء يغيّر المعنى المقصود تماماً خدمةً لأهداف خاصة. ويمكن لقراءة أخرى أن تعبّر عما أراده الرسول بالغش وهي «التلاعب في المكوّنات» خلاف ما أراده الروح القدس أن يقدّمه للناس، وهذا هو الوحي الذي بإرشاده كتب الرسول بولس يصوّر الطرق السلبية والإيجابية في تحديد الحق والحقيقة. لذلك عُرف عنه الوضوح وعدم الالتفاف من مُحْتوى كلّ ما كتبه من كلمات ولهذا كان التشديد والتأكيد عنده قوياً نابعاً من الانتباه إلى النصوص التي تحتمل المعاني الإيجابية أو السلبية مع الإيعاز إلى الخدام بعدم اللجوء إلى ما يقوّض حياه المؤمنين عبر إفْساد معاني الكلمة الإلهية بطريقة خادعة وخبيثة. لا إضافة ولا حذف هذه هي المعادلة الأمينة لكل خادم أمين.

من عظة بعنوان: «**غير غاشين الكلمة**».

الصديق الذي لا يتغيّر

«يَسُوعُ الْمَسِيحُ هُوَ هُوَ أَمْسًا وَالْيَوْمَ وَإِلَى الأَبدِ»

(عبرانيين ١٣: ٨)

الرب يسوع صديق لا يتغيّر لأن ليس فيه تقلّبات المزاج. فإذا أحبّ أحداً؛ أحبّه إلى النهاية! ومعلوم لدينا أن أزواجاً يهجرون زوجاتهم، وأولياء يتخلّون عن أولادهم. العهود والوعود التي تُقطع تُنسى غالباً! كثيرون جداً يتركون زمن الحاجة والفاقة والشيخوخة في حين كان لهم كلُّ الاحترام زمن القدرة والإمكانية أمّا المسيح فلا يتغيّر البتّة لا في مشاعره نحو أحبائه ولا في معاملته بل «**هُوَ هُوَ أَمْسًا وَالْيَوْمَ وَإِلَى الأَبَدِ**» (عبرانيين ١٣: ٨).

لا يتباعد الرب عن محبيّه وليس عند يسوع فراق ووداع بينه وبين شعبه. لأنه من لحظة سكناه في قلوب الخطاة، يحلُّ فيها إلى الأبد. العالم مليء بالفراق والتباعد والهجر. فالموت وظروف الزمان يمزّق وحدة العائلة. الأبناء يغادرون منازل ذويهم بحثاً عن نمط حياة لهم والبنات يتركن بيوت أوليائهن بداعي الزواج. تباعد، تشرذم، فراق هو ديدن العائلات على مر الأيام والسنين وغالباً ما يسلب السعادة من البيوت.

كم من الدموع ذرفناها على أحبّة غادرونا حيث لن نرى وجوههم ثانية! كم من الأحباء شيّعناهم إلى القبور ونعُود وحيدين صامتين لنرى فراغاً قد تركوه خلفهم! ولكن شكراً لله أنّ هنالك شخص لا يتخلى أبداً عن أصدقائه. إنه الرب يسوع المسيح الذي قال: «**لا أتركك ولا أهملك**» (عبرانيين ١٣: ٥).

انظروا حولكم في كل العالم وأنظروا العدد الذي لا حصر له من المشاريع التي تفشل. واحسبوا ما لا حصر له من خيبات الأمل والفراق والانفصال والثكل، كلّها تمر تحت ناظريك، ثم أحسبْ الامتياز العظيم في أن شخصاً واحداً فريداً لا يخزي طالبيه ولا يخيّب آمال الساعين إليه. إنه الصديق الدائم وعلى الدوام يسوع المسيح!

من عظة بعنوان: «**أفضل صديق**».

الفرز الكبير

«الَّذِي رَفْشُهُ فِي يَدِهِ، وَسَيُنَقِّي بَيْدَرَهُ، وَيَجْمَعُ قَمْحَهُ إِلَى الْمَخْزَنِ، وَأَمَّا التِّبْنُ فَيُحْرِقُهُ بِنَارٍ لاَ تُطْفَأُ»

(متى ٣: ١٢)

قمحٌ أم تِبْنٌ؟ السؤال: مَن تعتقد أنه المعني بكلام يسوع؟ هل الكلام موجّه إلى تجّار ومزارعي القمح والحبوب والبقول فقط. أم لآخرين؟ إذا اعتقدت هكذا، فأنت على خطأٍ كبير! فالمعني به هنا كل إنسان بالمطلق رجالاً ونساءً وأولاداً من سكّان الدينا. ومن بينهم دون شك أنت عزيزي القارئ! طبعاً سؤالي نفسه. مأخوذ من النصّ الكتابي أعلاه وكلماته التي نطق بها يوحنا المعمدان هي عبارة عن نبوءة مقصود بها الرّب يسوع المسيح والتي لم تتحقق بعد، لكنها ستتحقّق في يوم في الأيام، فالله وحده يعلم متى يأتي اليوم الخاص بهذه النبوءة التي سنشهدها كلنا.

عزيزي القارئ أرجو أن ترى الحاجة إلى فحص الذات! هل أنت من صنف القمح أم من صنف التّبن؟ ولا مجال للحياد كطرف ثالث. فأيّ من الفئتين أنت؟ هل أنت مولود ثانية؟ ولادة جديدة؟ هل خلعْت الإنسان العتيق ولبست الجديد؟ هل ندمت عن خطاياك وتبت عنها؟ هل تحصر غفران خطاياك في المسيح وحده للحياة الأبدية؟ هل تحبّ المسيح؟ هل تخدم المسيح؟ هل تمقت الآثام المستترة أيضاً وتحاربها؟ هل تسْعى نحو قداسة وتتوق إلى كمالها وتكدح لأجل الوصول إليها؟ هل خرْجتَ من العالم؟ هل تُسرّ بالكتاب المقدس؟ هل تجاهد في الصلاة؟ هل تحبّ شعب الرّب؟ هل تحبّ عمل الخير لجميع الناس؟ هل تتواضع في عيني نفسك وترضى بالمقام البسيط؟ هل تظهر مسيحيتك في عملك ومجتمعك وبيتك؟ فكر، فكر، فكر ملياً في هذه الأمور، وربما حينها ستكون قادرًا على معرفة حالة نفسك بشكل أفضل.

أيها القارئ؛ تذكّر سؤالي في بداية الصفحة، تأمّل فيه اليوم قبل الغد. هل أنت من فئة القمح أم من فئة التّبن؟

من عظة بعنوان: «**الفرز الكبير**».

حجر الأساس للمسيحيّة

«كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحًى بِهِ مِنَ اللهِ،
وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّوْبِيخِ، لِلتَّقْوِيمِ وَالتَّأْدِيبِ الَّذِي فِي الْبِرِّ»

(٢ تيموثاوس ٣: ١٦)

كيف دوّن الكتاب المقدس؟ من أين مصدره؟ أمِنَ السماء أم من البشر؟ هل تلقّى كتبة الوحي أثناء تدوينه أيَّ عَوْنٍ خاص أثناء عملهم؟ هل هناك في محتوى الكتاب المقدّس أيّة خصوصيّة تميّزه عن باقي الكتب وبذلك يحظى منا بالاحترام والانتباه؟ هذه أسئلة في غاية الأهميّة. أنا شخصياً أؤمن أن الكتاب المقدس كُتب بوحيٍ من الله وأتمنّى أن يشاركني الجميع نفس الاعتقاد فالموضوع لا يفقد أهميته عبر الزمن.

الوحي بالمختصر. هو حجر الأساس وقوام المسيحية. فلو لم يكن للمسيحيين كتاب يرجعون إليه ضمانةً للعقيدة والتعليم السليم لما كان لهم أية أرضية لتقديم السلام والرجاء للبشر ولا يحق لهم أن يلْفتوا عناية الناس إلى بشارتهم وشهادتهم لأنّ البناء قد شُيّد على الرمال المتحركة! ولكان إيمانهم باطلاً؛ أمّا وقد أيقنّا بسلامة الوحي فإننا نقول بجسارةٍ: نحن كما نحن ونفعل ما نفعل لأنّ لدينا كتابٌ نؤمن بأنه كلمة الله.

الموضوع كما قلت في غاية الأهمية في أيامنا حيث نكران الإيمان والتشكيك بالمعتقدات يتزايد يوماً بعد يوم، والرافضون للإيمان يتواجدون في كل مجال وفي كل فئات المجتمع، حتى أن الكثيرين لا يخجلون من أن يقولوا عن الكتاب المقدس بأنه بضاعة قديمة ومجرّد كتاب يهود مهجور ولا يشدّنا إلى أيّ نوع من الإيمان حتى نطيعه. خللٌ ومغالطات كثيرة. والبعض يتردد ويترنح من جهة الإيمان ويظهر ذلك في نمط حياتهم بأنهم لا يراعون الكتاب المقدس ككتاب يحوي الحقّ الإلهي. وعندما تصل الأمور إلى هذا الحدّ، يأتي دور المؤمن المسيحي بأن يقفَ ثابتاً راسخاً مدافعاً بثقة عن كلمة الله، وأن يكون لديه الحجّة السليمة في أن يُخْرس الترّهات وأقاويل المقاومين ويظهر السبب العملي في حياته والذي يظهر أن الكتاب المقدس هو من مصدر سماوي وليس من البشر!

من عظة بعنوان: «**الوحي**».

حذار من خميرة الرياء

«وَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «انْظُرُوا، وَتَحَرَّزُوا مِنْ خَمِيرِ الْفَرِّيسِيِّينَ وَالصَّدُّوقِيِّينَ»

(متى ١٦: ٦)

الكلمات التي استخدمها الرب يسوع كانت دائماً تقال بحكمة متناهية على أفضل ما يمكن أن يكون القول. كان يمكن أن يقول: «انتبهوا واحذروا في أية عقيدة أو تعليم أو آراء يسوقها الفريسيون والصدوقيون» لكنه لم يقلْ ذلك بل استخدم كلمة ذات طبيعة خاصة إذْ قال: «**... انظروا وتحرّزوا من خمير الفريسّيين والصدوقيين**» ونحن نعلم جيداً ماذا تعني كلمة «خميرة» التي تُضاف إلى العجين المستخدم في صنع الخبز. والخميرة المضافة غالباً ما تكون كميّة صغيرة إلى عجين أكثر منها بكثير. وما قصده يسوع هو أن تسلّل البدع والعقائد الفاسدة أو الكاذبة غالباً ما تكون عبر جُرعة صغيرة من الباطل إلى هيئة الإيمان المسيحي حيث تعمل هذه الجرعة بصمتٍ وهدوءٍ وفي خِفْيّة ضمن القلب الذي يتلقّى البدعة كحبّة تزرع فيه، وهذا ما قصده الرب يسوع إذْ يدعونا إلى الحذر من تعاليم الفريسيين والصدوقيين الذين يقلبون الحقائق رأساً على عقب في حال تسللت إلى الكنيسة كجماعة أو إلى القلوب كأفراد.

ولا بدّ أن نفترض أننا قد لا نرى في الأشياء البسيطة أي خطرٍ على إيماننا وهذا أيضاً يريدنا الرب أن ننتبه له دون أن ندّعي لأنفسنا الثبات وسلامة المفاهيم، وأننا على أرضٍ صُلْبة ولا نخشى دغدغات البدع. يمكن أن يسقط الجميع؛ أمّا أنا فلا!! هذا الخداع الذاتي بحدّ ذاته هو الأخطر إذْ يقود إلى حافة الخطر دون دراية ووعي وهذا ما يحدث مع كثيرين إذْ ينزلقوا إلى خسارة أبدية. لقد ذكر كاتب رواية «سياحة المسيحي»، جون بُنْيان الذي وصف «تلة الضلال» بأنّها «سحيقة في المقلب الآخر» وعندما نظر «المسيحي والراجي» إلى أسفل رأوا العديد من الرجال وقد تقطعوا أشلاء بسبب سقطة من الأعلى. إذاً لا تنسى أبداً أن نكون حذرين من خميرة الرياء. من يظنُّ أنّه قائم فلْينظر أنْ لا يسقط (١ كورنثوس ١٠: ١٢).

من عظة بعنوان: «**الفريسيون والصديقيون**».

حقائق أساسيّة

«فَإِنِّنِي سَلَّمْتُ إِلَيْكُمْ فِي الأَوَّلِ مَا قَبِلْتُهُ أَنَا أَيْضًا: أَنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الْكُتُبِ، وَأَنَّهُ دُفِنَ، وَأَنَّهُ قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ حَسَبَ الْكُتُبِ»

(١كورنثوس ١٥: ٣-٤)

إن النصّ التأملي لهذا اليوم مأخوذ في مقطع كتابي غير معروف كثيراً لدى العامة في الناس. وتُعْتبر نقطة الانطلاق لهذه الجدلية في هذا الأصحاح قائمة على عددين يشكلان وحدة النصّ. يفْتتح الرسول بولس كلامه بتذكير الكورنثيين بأن من بين «أوائل الأشياء» مما سلّمه لهم عندما قدّم تعليمه، أن هناك حقيقتين حول المسيح: الأولى موته والثانية قيامته. فلماذا يلقي الرسول ثقلاً على موت المسيح أكثر من سيرة حياته؟ لأنه أوصل لأهل كورنثوس أن «المسيح مات من أجل خطايانا» وهذا الموت ليس موت شهيدٍ فُرض الموت عليه، أو مجرّد مثال لتضحية ذاتية. بل كان موتاً بكل إرادته لعلمه أن خطة الله الخلاصية تقتضي ذلك ليكون بديلاً عن الخطاة الآثمين! ونفوذ هذا الموت ينْسحب على وضعية الإنسان الخاطئ أمام الله بحيث له القدرة على تأمين فداء كامل غير منقوص من كل تبعات السقوط.

والحقيقة العظمى الأخرى التي وصفها الرسول بولس عن المسيح في واجهة تعليمهِ، كانت القيامة الظافرة من الأموات إذْ أخبر الكورنثيين بجسارةٍ أن يسوع نفسه الذي مات ودُفن عاد حيّاً قائماً من القبر في اليوم الثالث. لقد كان موته مشهوداً ومُخْتبراً وملموساً ومبرهناً عليه بشهادة جماعة من الشهود الأكْفاء. وعبر هذه المعجزة الخارقة برهن يسوع أنه المخلّص الذي انتظره الناس بالاستناد إلى نبوءات كان قد صرّح يسوع عنها مراراً وإن إرضاء العدل الإلهي قد تمّ بهذا الموت الكفّاري، وقد قُبِلَ مِن قِبَل الآب السماوي بشكل كامل. وبه قهر العدو الذي هو الشيطان والموت.

والخلاصة؛ لقد علّم الرسول بولس أن أعظم المعجزات قد أُنْجزت برئيس الإيمان ومكمّله وهو إيمان عهدٍ جديد أعلنه في مراحله المتتابعة؛ الموت عن خطايانا والقيامة لأجل تبريرنا بخلاص غير منقوص للروح والنفس الإنسانية التي ماتت في آدم وعاشت في المسيح!

من عظة بعنوان: «**حقائق تأسيسية**».

القلب هو المرتع الحقيقي للإيمان

«لأَنَّهُ كَمَا شَعَرَ فِي نَفْسِهِ هكَذَا هُوَ. يَقُولُ لَكَ: «كُلْ وَاشْرَبْ» وَقَلْبُهُ لَيْسَ مَعَكَ»

(أمثال ٢٣: ٧)

القلب هو المحك الحقيقي لطبيعة الإنسان. أليس من خلال أقواله وأفعاله يُعرف الإنسان دائماً؟ قد يقول أو يفعل ما هو صحيح ولكن بدوافع كاذبة أو غير ذات شأن. وهو يكمن في قلبه ضغينة أو ما شابه، فالقلب هو الإنسان في واقع الأمر! «**لأنه كما شعر في نفسه هكذا هو**» (أمثال ٢٣: ٧). فالقلب هو المحك الحقيقي لإيمان الشخص. إن المظهر بحدّ ذاته ولو كان سليماً عقيدةً وفكراً ومسلكاً وتطبيقاً، ليس كافياً لإعطاء صورة واقعية عن الشخص؛ بل القلب وما يحتويه! وهذا هو السؤال الأهم: ما هو القلب؟ من القلب يبدأ الإيمان الخلاصي في مرحلة التجديد من عتيق إلى جديد بواسطة الروح القدس. «قلباً جديداً أعطيكم» لأن القلب بالطبيعة قاسٍ وبحاجة إلى شيء من ليونة يسبقها انكسار وتواضع «**وَأُعْطِيكُمْ قَلْبًا جَدِيدًا، وَأَجْعَلُ رُوحًا جَدِيدَةً فِي دَاخِلِكُمْ، وَأَنْزِعُ قَلْبَ الْحَجَرِ مِنْ لَحْمِكُمْ وَأُعْطِيكُمْ قَلْبَ لَحْمٍ**» (حزقيال ٣٦: ٢٦). «**ذَبَائِحُ اللهِ هِيَ رُوحٌ مُنْكَسِرَةٌ. الْقَلْبُ الْمُنْكَسِرُ وَالْمُنْسَحِقُ يَا اَللهُ لاَ تَحْتَقِرُهُ**» (مزمور ٥١: ١٧). والقلب بالطبيعة مُغْلق من نحو الله ولا بدّ من أن يُفْتح كما فتح الله قلب ليديا في فليبي! (أعمال ١٦: ١٤).

والقلب أيضاً هو مرتع الإيمان الذي يؤدي للخلاص. «**لأَنَّ الْقَلْبَ يُؤْمَنُ بِهِ لِلْبِرِّ، وَالْفَمَ يُعْتَرَفُ بِهِ لِلْخَلاَصِ**» (رومية ١٠: ١٠). ربما يؤمن أحدنا أن يسوع هو المسيّا أو المسيح كما أن الشيطان يؤمن بذلك أيضاً، ومع هذا يبقى في خطيّته. وربما يعترف علناً أنه خاطئ وأن يسوع هو المخلص الوحيد مع أمنيات متقاعسة حيال خطوة مطلوبة للخلاص بسبب الظن بالبرّ الذاتي! لكن بالحقيقة من يتمسك بالمسيح وينْعم بالغفران والسلام يحصل عليها عندما آمن من القلب. فإيمانُ القلب يبرر صاحبه!

من عظة بعنوان «**القلب**».

التوبة

«كَلاَّ! أَقُولُ لَكُمْ: بَلْ إِنْ لَمْ تَتُوبُوا فَجَمِيعُكُمْ كَذلِكَ تَهْلِكُونَ»

(لوقا ١٣: ٣)

يبدو النص عند لوقا للوهلة الأولى قاسٍ وجافّ «**إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون**» أتخيّل أحدهم يقول: هل هذا من الإنجيل؟ هل هذه هي الأخبار السارّة؟ هل هذه أنباء مفرحة ينادي بها الرعاة من على المنابر؟ إنّه قول قاسٍ وعنيف؛ من يقوى على سماعه؟ (يوحنا ٦: ٦٠). لكن من شَفَتْي مَنْ صدر هذا الكلام؟ لقد صدر هذا الكلام من شفتيْ الشخص الذي يحبّنا محبّة تفوق حد المعرفة، إنّه يسوع المسيح ابن الله بالذات!

قائل هذا الكلام هو نفسه الذي أحبّنا وترك السماء لأجلنا؛ نزل إلى عالمنا لأجل فدائنا، وعاش حياةً متواضعة وبسيطة لمدة ثلاثة وثلاثين عاماً على الأرض وطبعاً لأجلنا؛ عُلّق على الصليب لأجلنا؛ ذاق الموت والدفن في القبر لأجلنا؛ لذا لا يمكن أن نتصوّر هذه الكلمات إلّا من منظور المحبّة!

وعلاوة على ذلك، أيّة محبّة يمكن برهانها أكثر من هذه عندما تُعطى لصديق تحذيراً له من خطر داهم؟ فالأب الذي يرى ابنه يحْبو نحو حافة هاوية سحيقة ألا يصرخ بأعلى صوته قائلاً: «توقف، توقّف»! ألا يكون الأب محبّاً لابنه إذا صرخ عالياً؟ والأم الحنونة التي ترى طفلها على وشك أن يتناول طعاماً سامّاً، الا تصرخ بأعلى صوتها قائلةً: أبْعد هذا الطعام عنك لا تتناوله، ألا تكون الأم محبّة لطفلها؟ إن عدم الاهتمام والاكتراث بترك الآخرين يتابعون طريقهم كما يحلو لهم ليس من المحبة في شيء! المحبة اللطيفة الصادقة تحذّر بأعلى صوتها عندما تنْدلع النيران، النجدة، النجدة من النار! ألا يُجْفل الإنسان صديقه في منتصف الليل ويوقظه من نومه العميق ولو بطريقةٍ مزعجه فظّة عندما يدرك الشخص أن ذلك تمّ لأجل سلامته ونجاته؟ لا أخال أنه يعترض أبداً أمام موقف كهذا! لذا، فإن كلمات الرب يسوع «إن لم تتوبوا فجميعكم تذلك تتهلكون» لا يمكن تصنيفها في خانة الخشونة والفظاظة بل في خانة الحبّ الذي يقود إلى خلاص نفسٍ ثمينة من الهلاك!

من عظة بعنوان: «**التوبة**».

يقين الرجاء

«أَنَا اضْطَجَعْتُ وَنِمْتُ. اسْتَيْقَظْتُ لأَنَّ الرَّبَّ يَعْضُدُنِي»

(مزمور ٣: ٥)

كلّ من يملك يقين الرجاء، يرنّم ويهلّل حتى داخل السجن. هكذا فعل الرسول بولس مع زميله سيلا في فيلبي. الضمان يؤتي الأغاني في الليالي. يستطيع أن ينام وهو يعلم أن الإعدام سيُنفّذ في اليوم التالي. كما حدث مع الرسول بطرس في زنزانة سجن هيرودس. هذا النوع من الضمان ذكره المزمور ٤: ٨ «**بسلامة أضطجع بل أيضاً أنام ...**» ويمكنه أن يحسب نفسه مسروراً عندما يُهان لأجل المسيح. كما حصل مع الرسل. (أعمال ٥: ٤١-٤٢). اليقين يقول: «**افرحوا وأقول أيضاً افرحوا**» (فيلبي ٤: ٤)! «**لأَنَّ خِفَّةَ ضِيقَتِنَا الْوَقْتِيَّةَ تُنْشِئُ لَنَا أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ ثِقَلَ مَجْدٍ أَبَدِيًّا**» (٢ كور ٤: ١٧). لذا قابل الكثيرون الموت بلا خوف كما نرى ذلك عند استفانوس. والعديد من قادة الإصلاح المعروفة أسماؤهم واجهوا الموت والحرق وكل أنواع التعذيب. واليقين الحقيقي يقول: «**لاَ تَخَافُوا مِنَ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ الْجَسَدَ، وَبَعْدَ ذلِكَ لَيْسَ لَهُمْ مَا يَفْعَلُونَ أَكْثَرَ**».

إنَّ تعزية اليقين تُقدَّم لحظة الموت للوثوق بها وهذه نقطة هامة؛ لذا انتظر هذه التعزية عندما ينادى لك بترك هذا العالم. في تلك اللحظة الحاسمة، علينا امتلاك قيمة وامتياز اليقين والضمان الأبدي بغضّ النظر عمّا كانت نظرتنا إبّان حياتنا؛ ولكن لفائدتنا وسلامة اتّكالنا؛ الرجاء والثقة بكلمة الرب محطة مهمّة في حياة المؤمن وعندما تقترب ساعة الموت، تقول ساعتئذٍ «استشعر قدومك أيها الساعة». بكل صدق أقول: إن الموت عدوٌ رهيب، وعندما تأتي ساعة المغادرة فإن رحيق خمرة محبّة الله تُدْخل اليقين إلى النفوس. يوجد فصلٌ في دليل القسوس يُسمّى «زيارة المرضى» فيه صلاة هذه كلماتها «أيها الرّب العظيم الذي هو البرج الحصين لكل الذين يضعون ثقتهم فيه. كنْ الآن ولاحقاً مَعْقِل إيماننا وذكرنا بأنه ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص ونُشْفى إلّا اسم يسوع المسيح» فيظهر مؤلفو فصل الصلوات في هذا الكتاب حكمةً بالغةً إذْ يرون عندما يتْعب البصر ويخفُّ النظر وتضعف دقات القلب، علينا استحضار ذكريات فاعليّة عمل المسيح لأجلنا ليمنحنا سلامه الكامل والعجيب.

من عظة بعنوان: «**مستعد للتقدم**».

نعيش عالماً مليئاً بالمشاكل

«فَأَجَابَهُ سِمْعَانُ بُطْرُسُ: «يَا رَبُّ، إِلَى مَنْ نَذْهَبُ؟ كَلاَمُ الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ عِنْدَكَ»

(يوحنا ٦: ٦٨)

عندما نفكر في عالم ذلك الزمان الذي عاش فيه الرسول بطرس، ينتابنا شعورٌ بأن جملة أسباب دفعته إلى هذا السؤال. في أيامه وبعد مضي فتره بين العهدين المقدرة بأربعمئة سنة نرى أن «**إِذْ كَانَ الْعَالَمُ فِي حِكْمَةِ اللهِ لَمْ يَعْرِفِ اللهَ بِالْحِكْمَةِ...**» (١كورنثوس ١: ٢١). كلّ ممالك العالم تاريخياً والتي أحرزت إنجازات عظيمة على كافة الأصعدة ومنها ما هو باقٍ حتى أيامنا، تمزقت على الصعيد الروحي في بؤرة مظلمة. كلّ المفكّرين والمؤرّخين والكتّاب والشّعراء والخطباء عبدوا أصناماً وانْحنوا أمام عمل أيديهم. فلاسفة اليونان والرومان تلمّسوا طريقهم كما يفعل الأعمى وأجهدوا أنفسهم عبثاً في البحث عن مخرج. العالم قاطبة تلوّث بالجهل الروحي والتدنّي الأخلاقي لدرجة أن أحْكم الحكماء بحثوا فقط عن تنوير كما فعل أفلاطون الفيلسوف اليوناني الذي بأنين ونحيب ولهاث بحث عن منقذ. لذلك جاء كلام بطرس حكيماً إذْ صرخ «يا رب إن تركناك إلى منْ نلجأ».

هذا السؤال الذي طرحه بطرس يكرّره المؤمنون لحظة مواجهتهم تجربةٍ ما تُبْعدهم عن المسيح. حتى في أيامنا يظن البعض أن بعض الاهتراء قد أصاب المسيحية، فندعوهم بتحدٍّ سافر، أرونا طريقاً أفضل؟ إلى مَنْ يمكن أن نلجأ فعلاً في زمن الحاجة للعَوْن والقوة والتعزية إذا أدرْنا ظهورنا للمسيح؟ إننا نعيش عالماً مليئاً بالمشاكل! سواء أعْجبنا ذلك أم لم يُعْجبنا. فأجسادنا عُرْضة لعشرات الأوجاع والأمراض، والقلوب لآلاف المآسي. فلا كائن على الأرض أكثر هشاشة أمام الآلام الجسدية والنفسية والعقلية كالإنسان، فالمرض والموت والفراق والانفصال والخسارة وخيبات الأمل والتجارب العائليّة والفشل والتي لا تراها الكائنات الأخرى بهذا الحجم الذي يراه الإنسان، كل هذه تنقضُّ علينا بين الحين والآخر لتجعلنا محتاجين للمساعدة، تخرجنا من اليأس المُحْدق بنا! ويلاه! أين يمكن للقلوب العطشى والباكية ا أن تجد راحة إنْ تركنا المسيح!

من عظة بعنوان: «**إلى من نذهب**».

ملاحظة فسْتوس الوالي

«وَبَيْنَمَا هُوَ يَحْتَجُّ بِهذَا، قَالَ فَسْتُوسُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: «أَنْتَ تَهْذِي يَا بُولُسُ! الْكُتُبُ الْكَثِيرَةُ تُحَوِّلُكَ إِلَى الْهَذَيَانِ!»

(أعمال الرسل ٢٦: ٢٤)

دعونا نتأمّل في فسْتوس الوالي الروماني. هو الشخص الذي قاطع بولس فجأة أثناء حديثه قائلاً: «**أنت تَهْذي يا بولس، الكتب الكثيرة تحوّلك إلى الهذيان**». هذا الوالي كان وثنيّاً جاهلاً بأية عقيدة دينيّة ما خلا عبادة الأوثان ومعابدها التي انتشرت زمن الرسل على نطاق واسع في حضارة تلك الحقبة. ومن خلال لغة المرافعة التي ساقها أغريباس في الأصحاح السابق. نلْمسُ جهلاً كبيراً في كلتي العقيدتين اليهودية والمسيحية، فقال: «**لكِنْ كَانَ لَهُمْ عَلَيْهِ مَسَائِلُ مِنْ جِهَةِ دِيَانَتِهِمْ، وَعَنْ وَاحِدٍ اسْمُهُ يَسُوعُ قَدْ مَاتَ، وَكَانَ بُولُسُ يَقُولُ إِنَّهُ حَيٌّ**» (أعمال ٢٥: ١٩). فعلى الأرجح، شأنه شأن أغلب الرومانيين المتعجرفين زمن انحطاط الإمبراطورية، كانوا ينظرون إلى الأديان سرّاً نظرة احتقار ويعتبرونها كلّها كاذبة أو كلها متساوية في الحقيقة ولكنها لا تستأهل أن تُعار أيّ اهتمام من قبل الرجال العظماء.

ألا ترون أنه حتى في أيامنا يوجد رجال أمثال فستوس؟ أخشى أن يكون العدد يتجاوز الآلاف وهم موزعون على كلّ أطياف المجتمع الذي نعيش فيه، في شوارعنا ومحالّنا وحافلات النّقل نتقابل معهم في الكثير من الميادين ونتبادل معهم أقوالاً وردوداً وكلّ ما يهمّهم في هذه الحياة، وهم غالباً ما يكونوا رجال أعمال ناجحين وأصحاب مهن واختصاصات بارزه، ويدبّرون المهام الموكلة إليهم بكفاءة عالية، ويتركون وراءهم اسماً يُمْدحون عليه حال غيابهم ويذكرون بالخير لكن، على غرار فستوس. لا إيمان لهم ولا عقيدة! يعيشون وكأنّ لا أرواح لهم ولا نفوس، من أول شهر في السنة لآخر شهرٍ منها لا يأبهون إلى ما سيأتي ولا يشعرون بأي اهتمام بالحياة الآتية. لا يدخل في برامجهم ولا في حساباتهم ولا مخططاتهم أي شيء من قبيل ذلك؛ كلّ همّهم أجسادهم ماذا يأكلون وماذا يشربون وكيف ينامون وماذا يلبسون وكيف يحصّلون الأموال وكيف ينفقونها وليس أمام عيونهم أي عالمٍ آخر غير العالم الذي يعيشون فيه؟

من عظة بعنوان «**صُوَر قلمية**».

ملاحظة الملك أغريباس

«فَقَالَ أَغْرِيبَاسُ لِبُولُسَ: «بِقَلِيلٍ تُقْنِعُنِي أَنْ أَصِيرَ مَسِيحِيًّا»

(أعمال ٢٦: ٢٨)

لننظر إلى الملك أغريباس الذي تأثّر جداً بخطاب الرسول بولس فقال له: «بقليل تقنعني أن أصير مسيحياً» (أعمال ٢٦: ٢٨). اتضّحت الآن صورة أغريباس لدينا وتتطلّب الانتباه إذْ نراه مؤمناً بالأنبياء ونعتقد أنه فهم جزءاً لا بأس به من خطاب الرسول بولس إذْ بدا له أن الأمر حول كلمات وأسماء؛ ويبدو أنّ قناعةً في الداخل تولّدت لديه بأن بولس محقٌ في دفاعه لدرجة أنّ ضميره تحرّك نحو أشواق وأمنيات تفاعلت في داخله، إلّا أنه لم يتقدّم أية خطوة نحو الأمام لعدم وجود الشجاعة لديه. لقد كان شعوره عاجزاً على تحريضه للسعي خطوة أخرى نحو الأمام بل بقي ليس بعيداً عن ملكوت الله. ونرى ذلك مِنْ خلال موقفه؛ فهو لم يحكم على بولس ولم يسخر من إيمانه المسيحي كرجلٍ أصابه الشلل عاجز عن الحركة. فقد كان كالناظر والفاحص دون إمكانية القبول والاعتناق من داخل القلب،

ألا ترى أن العديد من المسيحيين الاسميين يشابهون أغريبّاس الملك؟ وأتجرّأ وأجيب أنا عن سؤالي بأنهم يمثّلون عدداً غفيراً من الناس يصعب عدّه. يرتادون الكنائس بانتظام، ويشاركون في كل وسائط النعمة، ويعرفون الحقّ الموجود في الكتاب المقدّس، ولا يعارضون تعاليمه قيد أنملة، ويميّزون التعليم السليم من التعليم الملتوي حول الإنجيل. ولديهم إعجاب كبير بسلوك وحياة المؤمنين المُباركين. إنهم يقرأون كتباً نافعه ويقدّمون عطايا نقدية لمشاريع خيّرة ومع هذا وبكل أسف، لا يتقدّمون خطوة أبْعد نحو اللقاء الصريح مع المسيح، ولا يحملون الصليب ويتبعون السيّد، ولا يجاهرون بإيمانهم عن المسيح أمام الملأ. إنهم لا يعرفون روحياً معنى قطع اليد وقلع العَيْن، بالإشارة طبعاً إلى النزاهة والعفّة كما قصد يسوع، ولا يقدرون على اتباع منهج التلمذة. وأسفاه على أعذارٍ واهية يقدّمونها! إذا وزنوا بالموازين يوجدوا ناقصين كما نقرأ في (دانيال ٥: ٢٧). وأيضاً أقول وأسفاه على أشخاص يداهنونهم فيما هم عليه؛ إلّا إذا استيقظوا من غفلتهم وطرحوا عنهم أغلالهم وإلّا فإنّهم يبْقوْن حُطاماً إلى الأبد!

من عظة بعنوان: «**صور قلمية**».

آراء الأُسْقف رايل Ryle في الكنيسة

«وَأَنَا أَقُولُ لَكَ أَيْضًا: أَنْتَ بُطْرُسُ،
وَعَلَى هذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي، وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا»

(متى ١٦: ١٨)

أي كنيسة منظورة على الأرض هي الأفضل؟ هي الكنيسة المنظورة التي تضيف أكبر عدد ممكن من الأعضاء إلى كنيسة المسيح غير المنظورة والحقيقية. كما أنها الكنيسة التي تروّج للتوبة إلى الله والإيمان بالرب يسوع المسيح، وتدعو للعمل الصالح بين أعضائها. هذه هي علامات ودلائل الكنيسة المنتعشة الحقيقية الصالحة. أعْطني كنيسة بهذه المواصفات التي ذكرتها وراقب ازدهارها! والآن أي كنيسة منظورة هي الأسوأ على الأرض؟ الكنيسة المنظورة الأسوأ هي التي فيها أقلَّ عدد ممكن من المؤمنين الحقيقيين في صفوفها والتي يمكن أن يكون لها أجمل مظهر مع رعاة مثقفين وعادات فخفخة وأوقات مؤسساتية إلّا أنها صامتة في دعوة الناس للتوبة وقداسة القلب ونقاوة الحياة والمسلك بين أعضائها؛ وهي كنيسة فقيرة حقاً لأنها من ثمارها تُعْرف الكنيسة بالإضافة إلى سلامة إيمان أفرادها المسيحيّ!

من الحسن أن نُبْقي هذه الأمور في ذاكرتنا. من جهة، إنّ الكنيسة الشاهدة المنظورة هي مسألة حقيقية وهي حسب فكر الله، وهي ليست من اختراع البشر كما يعتقد البعض في أيامنا، لأن الله لا يتكلّم عن مؤسسةٍ كهذه شبيهة بالعالم؛ وبالمقابل من يقرأ العهد الجديد ويسْتخرج منه صفات الكنيسة المنظورة الحقيقية لا يستطيع أن يُنْكِر أن كنيسة كهذه ترتكز كل الارتكاز على تكليف من العهد الجديد لأنها لا تدّعي أنها هي من توصل الناس إلى السماء بل تشير بكل وضوح إلى ضرورة الولادة الثانية. وتسأل: هل تُبْتم عن خطاياكم؟ هل امتلكنا المسيح بالإيمان فقط؟ هل نسلك بالقداسة حياةً وسلوكاً؟ إنها النقاط الأساسية التي تتوقى الكنيسة الصادقة للتأكيد عليها وإظهارها للعالم؛ وإلّا إذا كانت الكنيسة عكس ذلك، فإنها تقود أعضاءها مع الأسف إلى الهلاك في ذلك اليوم العظيم!

من عظة بعنوان: «**الكنيسة**».

الإيمان بالمسيح

«فَقَالاَ: «آمِنْ بِالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ فَتَخْلُصَ أَنْتَ وَأَهْلُ بَيْتِكَ»

(أعمال ١٦: ٣١)

إن الإيمان الصادق بالمسيح ينطوي على أهمية بالغة وقد استخدم الروح القدس بنعمته أشخاصاً عديدين لوصف هذا المبدأ. وعلى اعتبار أن الرب الإله يعرف بطء الناس باستيعاب الأمور الروحية فقد ضاعف أشكال التعبير لكي تصير منظومة الإيمان الحقيقي معلومة لدينا. فإذا عجز أحدنا عن فهم أحد أشكال الإيمان، فربما يفهمه بطريقة أخرى. وإليكم ثلاث طرق:

١- الإيمان هو اقتراب الروح والنفس من المسيح لأن الرب يسوع المسيح قال: «**من يقبل إلي لا يجوع**» (يوحنا ٦: ٣٥). «**تعالوا إلي يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم**» (متى ١١: ٢٨). فالمسيح هو الصديق العظيم المقتدر والمدافع عنا وطبيب الأرواح والنفوس وإليه يأتي الخطاة طالبين العون والمساعدة حسبما يوحي الكتاب بأن الآتي إلى المسيح بالإيمان يحظى بالراحة.

٢- الإيمان هو قبول الروح والنفس للمسيح. يقول بولس الرسول: «**فكما قبلتم المسيح يسوع الرب اسلكوا فيه**» (كولوسي ٢: ٦). لأن المسيح سيقدم عرضاً للإنسان بالمجيء إلى قلبه بالغفران والرحمة والنعمة ويسكن داخل القلب صانعاً سلاماً فيه ويكون ملكاً على القلب! «**هوذا أنا واقف على الباب وأقرع**» (رؤيا ٣: ٢). والمؤمن يسمع صوته ويفتح الباب ويقبل يسوع معلِّماً وكاهنا وملكاً.

٣- الإيمان هو تمسك الروح والنفس بالمسيح. كما يقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين «**نحن الذين التجأنا لنمسك بالرجاء الموضوع أمامنا**» (عبرانيين ٦: ١٨). فالمسيح هو مدينة الملجأ الحقيقية التي إذا هرب إليها الإنسان يكون في مأمن من ولي الدم الذي يطلب الانتقام (العدد ٣٥: ٦ – ١٨). والمسيح هو المذبح الذي يوفر الحماية لمن يتمسك بقرون المذبح طلباً للنجاة والغفران. فالمسيح صاحب يد الرحمة القديرة التي تأتي بالخطأة الغارقين والهالكين. لأن المؤمن إذ يتمسك بهذه اليد الرحيمة بالإيمان يخلص من طين الحمأة ومن جب الهلاك.

من عظة بعنوان: « **هل تؤمن**».

العبادة الروحية

«اَللهُ رُوحٌ. وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ فَبِالرُّوحِ وَالْحَقِّ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدُوا»

(يوحنا ٤: ٢٤)

هذه نقطة في غاية الأهمية لكل مؤمن مسيحي صريح. إلا أن البعض يحاولون تجاوز صعوبات هذا الموضوع إذ يشيرون إلى روحانية المشاعر عندهم. سيقولون إنه رغم عدم امتلاكهم العلم اللاهوتي وعدم انتمائهم إلى أية مدرسة من مدارس الفكر الديني إلا أن نمط العبادة التي يشتركون فيها تجلب لهم الشعور بالراحة والتي تبدو بالنسبة لهم أحسن ما يمكن بدون شك. وإليكم بعض الأفكار بهذا الخصوص:

١- العبادة الروحية الصحيحة تلامس قلب العابد وضميره إذ يدرك بأكثر وعي حال الخطيئة التي هو عليها مع فساد تركيبته الشخصية. لذلك يتعمق لديه التواضع ويغار بأمانة على حياته الداخلية. أما العبادة العامة المزيفة فهي كالإسراف في الطعام والشراب إذ تضعف الاهتمام بما هو أفضل، الذي هو العبادة الروحية السليمة التي هي غذاء متكامل يغذي الروح والنفس لدى العابد الصريح ويفسح المجال لنمو روحي داخلي.

٢- العبادة الروحية الصحيحة تقرب العابد نحو شركة حميمة مع يسوع المسيح نفسه وترفعه إلى أعلى من مستوى الانتماء الطائفي والاكتفاء بالشعائر والولاء لرجال الدين وسواهم. بل تولد لديه الجوع والعطش إلى قضاء الوقت مطولاً مع يسوع الملك. فكلما أخلص الاستماع والقراءة والصلوات والتسبيح زادت مكانة المسيح عنده ولا أحد سواه كمصدر للتغذية الروحية والقلبية مع زيادة الشركة لأنها مأكل حق ومشرب حق.

٣- العبادة الروحية الصحيحة ستزيد باستمرار حجم القداسة في حياة المؤمن العابد ويصير أكثر حرصاً سنة بعد سنة على ضبط لسانه ومزاجه واستثمار الوقت وترتيب السلوك في كل مسائل الحياة، لأن ضمير العابدين الحقيقيين يصير أكثر رقة مع مرور الزمن. أما العابد المزيف فيصير عاماً بعد عام أكثر ذبولاً وأكثر قساوة.

هذه هي العبادة التي تنزل من السماء ولها طابع وخاتم الله لدمغ الولاء الحقيقي لله.

من عظة بعنوان: «**العبادة**».

الرجاء الذي يصاحب الشعور القلبي الداخلي

«٥وَالرَّجَاءُ لاَ يُخْزِي، لأَنَّ مَحَبَّةَ اللهِ قَدِ انْسَكَبَتْ فِي قُلُوبِنَا بِالرُّوحِ الْقُدُسِ الْمُعْطَى لَنَا»

(رومية ٥: ٥)

الشخص الذي يمتلك رجاءً صالحاً يدركه بمشاعره الداخلية الخاصة في حين قد لا يمتلكه شخص آخر لأنّ ذا الرجاء الصالح واعٍ لامتلاكه توقعات خيرة مبنية على أرض صلبة سيبلغها في قادم الأيام. وهذه توقعات قد تتفاوت بين الناس بفارق قد يكون كبيراً فلدى الواحد منا قد تكون واضحة الملامح وقوية، ولدى الآخر ضعيفة ومشوشة. حتى لدى الشخص نفسه قد يتبدى الرجاء عنده بمراحل مختلفة متفاوتاً حسب اختبارات شخصية لديه. ففي مرحلة ما يسيطر عليه «**الفرح والسلام في الإيمان**» (رومية ١٥: ١٣)؛ وفي المقلب الآخر قد يكون مكتئبًا ومحبطًا. وهذا شائع بدرجات متفاوتة لدى كافة الأشخاص ذوي الرجاء الصالح ولو بدا الأمر غريباً.

أدرك أن هذه الحقيقة مرعبة وقد تم التحايل عليها والإساءة إليها وقد خضعت لشد وجذب بين أطراف تتنازعهم ميول متزمتة أو حماسية أو مبالغ فيها لدى بعض المسيحيين الاسميين. كثيراً ما تكون النشوة الجسدية المحضة منسوبة إلى خطأ إلى الروح القدس ، وأيضاً تحسب أحياناً المشاعر العامرة بالمغالاة لدى أشخاص تتملكهم العصبية والاندفاع غير المدروس ثم ينسبونها إلى أنها إحدى ثمار النعمة، وكما يحدث عندما نتسرع في إطلاق صبغة الإيمان والتجديد على أشخاص سرعان ما تراهم بعد قليل وقد عادوا إلى العالم بشكل يبين أنهم بالحقيقة لم يكونوا مؤمنين على الإطلاق بل أموات بالخطية وهنا يأتي دور إبليس في السخرية والاستهزاء لإشاعة الشك بالمشاعر الروحية والتشكيك بسطحية هذه المشاعر وكأنها تفتقر إلى الحقيقة.

يجب ألا نسمح للانحراف وسوء الأمانة إن وجدت أن تسلبنا استخدام الرجاء لأن الأمر يتعلق بتعليم كتابي واضح في الأسفار المقدسة ولا يجوز نسبته للتزمت أو الحماس الزائد فكلمة الله تخبرنا أن المسيحي الحقيقي يمتلك السلام والراحة والفرح والثقة! فلنحذر من الرجاء الذي لا نشعر به، ومن المسيحية التي تخلو من أية خبرة داخلية.

من عظة بعنوان: «**رجاؤنا**».

حب شبيه بالمسيح

«وَصِيَّةً جَدِيدَةً أَنَا أُعْطِيكُمْ: أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا. كَمَا أَحْبَبْتُكُمْ أَنَا تُحِبُّونَ أَنْتُمْ أَيْضًا بَعْضُكُمْ بَعْضًا. بِهَذَا يَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنَّكُمْ تَلاَمِيذِي: إِنْ كَانَ لَكُمْ حُبٌّ بَعْضًا لِبَعْضٍ»

(يوحنا ١٣: ٣٤-٣٥)

أنبحث عن نموذج للحب الحقيقي كهذا الحب وأين نجده؟ بكل بساطة أن ننظر فقط إلى حياة ربنا يسوع المسيح كما تصفها الأناجيل وسوف نرى هذا الحب مجسداً بتمامه وكماله. لقد كان الحب يشع من كل أفعال يسوع. حتى حياته اليومية كانت سعياً بدون توقف لصنع الخير. لقد كان الحب يشع من كل موقف ووضعية له إذ قوبل بالكراهية والاضطهاد والقدح والذم وتشويه السمعة؛ إلا أنه بكل طول أناة احتمل كل شيء. لقد كانت شريعة اللطف والكياسة بادية الظهور الدائم على محياه. بين تلاميذه الضعفاء وقليلي الخبرة بين طالبي المعونة من مرضى وحزانى ملتمسين منه الشفقة والحنان. مع العشارين والخطاة، مع الفريسيين والصدوقيين، كان في نفس مواقفه من لطفٍ وكياسةٍ وصبرٍ نحو الجميع.

لكن بالمقابل لا ننسى أن معلمنا المبارك لا يهادن ولا يتماهى مع الخطاة في مسألة الخطية. ولم يتقاعس في عرض الإثم والشر كما هو دون مواربة ولا حتى في توبيخه لأولئك الذين تعلقت قلوبهم بها. ولم يتردد يوماً في أن يشجب العقائد الكاذبة مهما كانت مكانة أولئك الذين اعتنقوها حتى فضح الممارسة الخاطئة والكاذبة وأظهر شكلها الحقيقي للعيان وبيّن إلى أين تصل هذه الممارسة بأصحابها. لقد دعا الأشياء بأسمائها بدون مواربة وتكلم عن الجحيم بأريحية واصفاً النار التي لا تطفأ بنفس الوضوح الذي تكلم به عن السماء وملكوت المجد. لقد ترك لنا إرثاً أدبياً كبرهان أبدي بأن المحبة الكاملة لا يطلب منها أن توافق ولا أن تساير حياة وآراء الآخرين ترطيباً لخواطرهم. وهذا يجعل إدانة البدع الكاذبة مع الممارسة الآثمة مسألة ممكنة عندما تكتنف المحبة عملية المواجهة.

من عظة بعنوان: «**الحب المسيحي**».

ما هي نعمة الله

«فَإِذْ نَحْنُ عَامِلُونَ مَعَهُ نَطْلُبُ أَنْ لاَ تَقْبَلُوا نِعْمَةَ اللهِ بَاطِلاً»

(٢ كورنثوس ٦: ١)

ما هي نعمة الله التي يتكلم عنها بولس الرسول هنا؟ إنه تعبير ذو معانٍ عديدة موجودة في الأسفار الإلهية. فأحياناً يقصد بها إحسان الله المجاني كما نقرأ في أفسس «**بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ... لَيْسَ مِنْ أَعْمَال**» (أفسس ٢: ٨-٩). واحياناً أخرى يقصد بها عمل الروح القدس الذي يقود الشخص إلى التوبة والتجديد «**اللهَ ... دَعَانِي بِنِعْمَتِهِ**» (غلاطية ١: ١٥). لكن من النص أعلاه أفهم مغزى أعرض وأوسع إذ أراه يتكلم عن النعمة المجانية للخلاص المقدم حتى لأسوأ الأشرار ضمن رسالة الإنجيل وهذا بذاته يستحق أن يدعى كتاب الأخبار السارة وفيها نرى أن الهبة المجانية للبر والسلام والمغفرة معطاة لكل من يؤمن بالرب يسوع!

والآن ما الذي يجعل هذا العرض ثميناً ومهماً؟ بكل بساطة هو: نحن بالطبيعة خطاة وفاسدون. وقد ولدنا في العالم مع ميل نحو الشر أكثر منه نحو الخير. ويظهر ذلك في انفعالاتنا غير المنضبطة، والغيرة المرة والأنانية المفرطة. وفي شبابنا يتجلى هذا الميل في الخداع والكسل، وعدم الرغبة في التعلم، وعقوق الوالدين، وقلة الامتنان، وخداع الذات، مع إطلاق العنان لشهواتنا ورغائبنا غير المنضبطة بجرأة نتطاول فيها على كسر وصايا الله، والإمعان في المتعة، والتجديف، والزنى، والعربدة والسلوك العنيف مع الأقرباء والجيران، مع كبرياء باطل وإهمال كلمة الله التي هي الكتاب المقدس والابتعاد عن العبادة في الكنيسة، وباحتقار الفرائض والازدراء بالرعاة وتبني الأهواء الدنيوية والعبور من عام إلى عام بدون أية شرارة من الحب لله معطي الحياة، وكأننا هنا لإضاعة الوقت وتمرير الزمن بعدم اكتراث مع من أعطانا نفساً حية وكل الخيرات لكي نتمتع بها. فما نعمله بمعزل عن الله يثبت أن قلوبنا أخدع من كلِّ شيء ونجيسة (إرميا ١٧: ٩).

من عظة بعنوان: «**نعمة الله باطلاً**»

دم المسيح

«وَلكِنْ إِنْ سَلَكْنَا فِي النُّورِ كَمَا هُوَ فِي النُّورِ، فَلَنَا شَرِكَةٌ بَعْضِنَا مَعَ بَعْضٍ، وَدَمُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِهِ يُطَهِّرُنَا مِنْ كُلِّ خَطِيَّةٍ»

(١ يوحنا ١: ٧)

دم المسيح هو دم الحياة الذي أراقه الرب يسوع عندما مات لأجل الخطاة على الصليب. هو الدم الذي سال من جبينه المجروح بأشواك، ومن جنبه المطعون بحربة. من المرجح جدًا أنَّ كمية ذلك الدم كانت قليلة نسبياً، وكان مظهره يشبه دمنا بلا شك. ولكن منذ خلق آدم من تراب الأرض، لم يُسفك دمٌ بهذه الأهمية العميقة لجميع أفراد البشرية.

إنه دم موعود بعهد في الماضي البعيد، في اليوم الذي دخلت فيه الخطية إلى العالم. لكن الله الواسع الرحمة وعد وتعهد بأن نسل المرأة سيسحق رأس الحية (تكوين ٣: ١٥) فالمولود من امرأة سيظهر في يوم من الأيام ليحرر أولاد آدم من سلطة الشيطان. إن نسل المرأة هو ربنا يسوع المسيح. في اليوم الذي تألم فيه على خشبة الصليب خرج ظافراً على الشيطان، محققاً الفداء للجنس البشري وقد برهن على ذلك بقيامته المجيدة.

عندما سفك يسوع دمه الذي هو دم الحياة على الصليب، في تلك اللحظة سحق رأس الحية وتحقق الوعد الإلهي القديم. إن دم المسيح العجيب حالما يلامس ضميرك بالإيمان يطهرك من كل خطية. من خطايا صباك وخطايا كهولتك. من خطاياك التي عملتها بجهل ومن تلك التي عملتها بمعرفة. من الخطايا الجريئة العلنية إلى الخطايا السرية في الخفاء، ومن الخطايا المرتكبة ضد ناموس الله ومن تلك المرتكبة ضد الإنجيل، من خطايا القلب والفكر واللسان والخيال والذهن، ومن خطايا المخالفة لكل واحدة من الوصايا العشر. منها كلها المذكورة آنفاً، يحررك ويطهرك المسيح. هذه الخاتمة العظيمة رسمت لهذه الغاية، سفك دم المسيح الذي ما زال ينبوعاً مفتوحاً لتطهير كلّ بني البشر ومنهم أنت وخطاياك.

من عظة بعنوان: «**أين خطاياك؟**».

طبيعة الإيمان الذي يخلص

«كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ فَقَدْ وُلِدَ مِنَ اللهِ.
وَكُلُّ مَنْ يُحِبُّ الْوَالِدَ يُحِبُّ الْمَوْلُودَ مِنْهُ أَيْضًا»

(١ يوحنا ٥: ١)

الإيمان. يُشار إليه باستمرار على أنه السمة المميزة لمسيحيي العهد الجديد. في إنجيل يوحنا وحده ذُكر الإيمان ثمانين أو تسعين مرة. وموضوع الإيمان قد يساء فهمه أكثر من أي موضوع آخر. إن أية إساءة أو مغالطة في هذا الموضوع قد يؤذي النفوس أذى يصعب شفاؤه. ويمكن تعقب الكثير من الآراء التي تناولت موضوع الإيمان لكنها في الواقع أضرت إذ شوشت أذهان الناس. فالمطلوب هو التركيز على فكرة واضحة تتكلم عن الإيمان كما هو من الناحية الكتابية.

إن الإيمان الذي به ينال الإنسان الخلاص ليس ملكاً لأي إنسان، وبذلك تنتفي فكرة أن عموم المسيحيين هم مسيحيون، حتى إن كلمة مؤمن صارت مصطلحاً فيه غواية كبيرة مؤذية. فمثلاً سيمون الساحر في سفر الأعمال وقد تعمد كباقي المؤمنين لكنه لم يكن له مع جماعة الرب «**نَصِيبٌ وَلاَ قُرْعَةٌ**» (أعمال ٨: ٢١). وكنيسة المسيح المنظورة يمكن أن تحوي بين ظهرانيها مؤمنين وغير مؤمنين «**لأَنَّ الإِيمَانَ لَيْسَ لِلْجَمِيعِ**» (٢ تسالونيكي ٣:٢) من هنا يتبين لنا أن الإيمان ليس حزمة من المشاعر لأنه قد يمتلك الشخص جملة من المشاعر الصادقة والرغبات النقية نحو المسيح ذهنياً! إلا أنها قد تتبخر سريعاً كما يتبخر ندى الصباح، وهم يشبهون البذور التي وقعت في الأرض المحجرة «**إذ قبلوا الكلمة بفرح**» (متى ١٣: ٢٠)، ويقول البعض بتأثير انفعال لفظي «**أتبعك أينما تمضي**» ويعودون إلى العالم سريعاً (متى ٨: ١٩).

إذاً، إن الإيمان الخلاصي هو عمل متكامل في كامل كيان الشخص حيث يعمل الرأس والقلب بتناغم متآلف وهو عمل الروح والنفس حالما يدرك الشخص أن خطيته ويأسه خطر حقيقي عليه، ثم يرى في المقلب الآخر المسيح يعرض عليه الخلاص ويهرع إليه لأن كل ما عداه خسران ومغامرة فاشلة. إن قبول المسيح هو الرجاء الوحيد للمؤمن إذ يعتمد على كفاية عمل المسيح لخلاص نفسه ويصير المسيح نهج حياة عنوانه: أعيش وأسلك بالإيمان.

من عظة بعنوان: «**التبرير**».

أنائم أنت

«لِذلِكَ يَقُولُ: «اسْتَيْقِظْ أَيُّهَا النَّائِمُ وَقُمْ مِنَ الأَمْوَاتِ فَيُضِيءَ لَكَ الْمَسِيحُ».

(أفسس ٥: ١٤)

أضع أمامك سؤالاً بسيطاً الآن. أغافل أنت عن نفسك؟ لأن العديدين يحملون اسم مسيحيين لكن بدون الصفات الواجب توافرها والتي تلائم الاسم. فهم لا يتخذون الله ملكاً على قلوبهم ويهتمون بالأرضيات. إنهم أذكياء وناجحون في أعمال الحياة لكنهم غافلون عن واقعهم الروحي إذ لا يرون أنفسهم خطاة وهالكين بالطبيعة. إنهم يخالفون وصايا الله دون أن يهتز لهم جفن ولا يعيرون اتباع الوصايا أي اهتمام يذكر، مع العلم أن الله قال إن الخطية هي تعدٍّ على الناموس وأن وصيته واسعة جداً وأن كل خيال وفكر في القلب الطبيعي هو محض شر، وأن الله لا يحتمل الخطية البتة ولا يداهنها، وأن أجرة الخطية موت؛ وأن النفس التي تخطئ تموت. حقاً إنهم نيام وفي غفلة تامة!

إذا كان ضميرك ينخسك ويخبرك أنك في حال سبات، فماذا عساني أفعل لإيقاظك؟ إن روحك في خطر داهم وشنيع وإن لم يحصل تغيير جذري في حياتك فإنك هالك لا محالة. فمتى سيحدث هذا التغيير المرتقب عندك؟ أنت مائت دون استعداد للرحيل. وستدان وأنت غير مستعد لملاقاة الله. فإذا كانت خطاياك غير مغفورة، فأنت شخص غير مبرر، كما أن قلبك لم يختبر التجديد ولن تكون سعيداً إذا بلغت السماء لأن يسوع ليس صديقك ومخلصك.

قد يكون كلامي قاسياً لأن قلبي منشغل عليك، حريص على مصيرك الأبدي لأن الحياة قصيرة ولا ضمانة لأحد فيها ولا سيما إذا انشغلنا بمهرجانات واحتفالات دينية لا تفيد الأبدية بشيء. قد يكون كلامي صريحاً إلى درجة قاسية ولكنني أخشى عليك من دينونة يكون فيها مكانك على يسار ابن الإنسان إذا أتى في مجده. أرتعب أنا شخصياً من مصير كهذا وأحزن من كل قلبي قبل أن ينفذ يوم النعمة المتاحة للخلاص ويأتي يوم النقمة. من محبتي أدعوك أن تفتح عينيك من غفلتك وتتوب. استيقظ، استيقظ وكم حكيماً، فلماذا تخسر ابديتك!

من عظة بعنوان: «**هل أنت نائم**».

برهان البنوة

«لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَنْقَادُونَ بِرُوحِ اللهِ، فَأُولئِكَ هُمْ أَبْنَاءُ اللهِ»

(رومية ٨: ١٤)

كيف يمكن للشخص أن يتأكد أن بنوته نافذة؟ وكيف يتأكد بأنه واحد من أولئك الذين يأتون إلى المسيح بالإيمان ويختبروا الولادة الثانية؟ ما هي العلامات والإشارات والمؤثرات التي بها يُعرف أبناء الله؟ هذا سؤال واجب طرحه من قبل كلِّ الذين يحبون الحياة الأبدية. وهذا سؤال بخصوص آية اليوم من الكتاب المقدس أدعوك للتأمل فيها كالعديد من مثيلاتها وهي تتطلب جواباً على عرض مقدم!

القاسم المشترك بين أبناء الله جميعاً هو أنهم يقادون بالروح القدس. ماذا تقول آية تأملنا اليوم؟ «**كُلَّ الَّذِينَ يَنْقَادُونَ بِرُوحِ اللهِ، فَأُولئِكَ هُمْ أَبْنَاءُ اللهِ**» (رومية ٨: ١٤). كلهم يسيرون تحت قيادة وإرشاد وتعليم وقوة الروح القدس. لم يعد هنالك أي مجال للسير كل على هواه وكما يحلو في عينيه تابعاً مشتهى قلبه الطبيعي. بل وراء الروح يسيرون وبإرشاده يتابعون الطريق. حركة قلوبهم وحياتهم وعواطفهم التي يشعرون بها تسير في اتجاه واحد ولو لم يكونوا قادرين على التعبير عنها دائماً، لكنها في المسار السليم.

هذا هو السبيل الذي يقود الروح القدس فيه أبناء الله، الذين تبناهم الله في يسوع المسيح، والذين سمح لهم أن يختبروا التعب والإعياء من طرقهم التي سلكوا فيها سابقاً واستبدلوها بأشواق نحو سلام داخلي. من هنا نرى أن أبناء الله هم شعب الله الذين «يقودهم روح الله» ودائماً على السكة الصحيحة ولو تعثروا قليلاً، واختبارهم يتماشى بشكل عجيب حالما يقارن بإرشادات السماء. وهذه علامة هامة في البنوة.

من عظة بعنوان: «**ورثة الله**».

الاقتناع بإرادة الله

«أَعْرِفُ أَنْ أَتَّضِعَ وَأَعْرِفُ أَيْضًا أَنْ أَسْتَفْضِلَ.
فِي كُلِّ شَيْءٍ وَفِي جَمِيعِ الأَشْيَاءِ قَدْ تَدَرَّبْتُ أَنْ أَشْبَعَ وَأَنْ أَجُوعَ،
وَأَنْ أَسْتَفْضِلَ وَأَنْ أَنْقُصَ»

(فيلبي ٤: ١٢)

أن تكون قنوعاً، هذا ضرب من الغنى والترف. لأن الغنى الفعلي هو أن يقول أحدنا: لست بحاجة إلى مزيد من أي شيء ولا يهمني موارد الآخرين مهما بلغت لأنه يمكن للشخص أن يكون غنياً وهو يسكن بيتاً بسيطاً وقد يكون فقيراً وهو من ساكني القصور. أن تكون قنوعاً ومكتفياً هو نوع من الاستقلالية لأنها تعني عدم التعلق بأية أشياء مخلوقة بحثاً عن الراحة، بل التعلق بالله كنصيب نهائي في الحياة! هكذا هو الشخص الدائم السرور ولا يشوش على سعادته أي مؤثر خارجي. إذا أتت النوائب لا يتزعزع، وإذا أتى المرض لا يعكر سلامه. يقدر أن يجمع العنب من الأشواك والتين من العوسج، ويستخرج الصالح من السيء. على غرار بولس وسيلا. يقدر أن يرنم في السجن ورجلاه في المقطرة. على غرار بطرس يستطيع أن ينام ملء جفونه ولو كان حكم الإعدام يلوح في الأفق. على غرار أيوب يبارك الرب زمن زوال كل راحة لديه.

ربما تقول إنه من الممكن أنك تحمل صليباً ثقيلاً وتجارب وصعوبات مما يجعل القناعة شبه مستحيلة. فأدعوك إلى أن تتذكر أنك لا تعرف مصلحتك أكثر من الله، أليس كذلك؟ هل أنت أحكم من الله؟ ربما تكون الأشياء التي تسعى لاقتنائها سبباً للكدر في حياتك. فدع هذه الأشياء راسخة في قلبك، وإذا أردت أن تكون سعيداً اسعَ لكي تكون إرادتك متناغمة ومنسجمة مع إرادة الله الذي يعلم ما تحتاج إليه قبل أن تسأله.

من عظة بعنوان: «**كن قنوعاً، مكتفياً بما عندك**».

خراف أو قطيع المسيح

«خَرَافِي تَسْمَعُ صَوْتِي، وَأَنَا أَعْرِفُهَا فَتَتْبَعُنِي.
وَأَنَا أُعْطِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَلَنْ تَهْلِكَ إِلَى الأَبدِ، وَلاَ يَخْطَفُهَا أَحَدٌ مِنْ يَدِي.
أَبِي الَّذِي أَعْطَانِي إِيَّاهَا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْكُلِّ،
وَلاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْطَفَ مِنْ يَدِ أَبِي. »

(يوحنا ١٠: ٢٧-٢٩)

دعوني إذاً أذكّركم ماذا يقصد النص أعلاه عن خاصية القطيع «**خِرَافِي تَسْمَعُ صَوْتِي، وَأَنَا أَعْرِفُهَا فَتَتْبَعُنِي**» (يوحنا ١٠: ٢٧)، واليكم أربع نقاط للتأمل:

١- أولاد الله هم شعب الله المؤمن مُشبّهٌ بالقطيع نظراً لوداعته وهدوئه ومسالمته وهو مُهّيئ لصنع الخير لمن حوله. وأن القطيع يحبُّ البقاء مجتمعاً ولا يحبُّ التفرّق. وأخيراً، إن قطيع الخراف ضعيف أمام الصعاب وعُرْضة للتشتّت والضياع.

٢- يدعوهم يسوع «خرافي» وكأنّهم من ملكه الخاص «ياء الملكيّة» ولقد عرفهم واختارهم «ياء الملكيّة» خاصة بالاختيار؛ واشتراهم «ياء الملكية» للشراء؛ وتبنّاهم «ياء الملكية» للتبنّي.

٣- خراف المسيح تسمع صوته وتستمع بتواضع لتعاليمه وتتّخذ كلمته قاعدةً ودليلاً في الحياة.

٤- خراف المسيح تتْبعهُ، وتسير في المسار الضيّق الذي هو واضح المعالم أيضاً ولا تعترض على طريقه ولو كان منحدراً أو ضيقاً أو متعرجّاً بل تسير الخراف في الخط الواجب اتباعه والذي يدعوهم للمتابعة فيه بدون تشكيك.

يبقى لنا أن نأخذ بالاعتبار الجزء الآخر من النّص أعلاه والذي يراعي البركات والامتيازات التي يغدقها يسوع الراعي الصالح على شعبه. فلا قدّر الله لأي واحدٍ منكم أن يسْتلب وعوداً ليست له ولا أن يُرخّص لنفسه إجازة الرحمة الإلهية لصالح بقائه في الخطيّة. فهذا النّص يحْتوي على أشياء مُريحة وسامية، لكن تذكروا أنها معطاة حصراً لقطيع المسيح فقط. وهي تدرأ عنهم خطر عدم الإيمان والتجديف والإمعان في الخطيّة. فأحذّركم أخوتي علانيّة: إن لم تسمعوا صوت المسيح وتتبعوه، فلا حقّ لكم ولا نصيب في هذا النبع الزاخر بالتعزيات المباركة.

من عظة بعنوان: «**امتيازات المسيحي الحقيقي**».

جعلوا روحياً أحياء

«وَإِذْ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا فِي الْخَطَايَا وَغُلْفِ جَسَدِكُمْ،
أَحْيَاكُمْ مَعَهُ، مُسَامِحًا لَكُمْ بِجَمِيعِ الْخَطَايَا»

(كولوسي ٢: ١٣)

إن أقوى الاستحواذات التي نملكها هي الحياة، والانتقال من الموت إلى الحياة هو أقْوى التغيرات، وأيُّ تغيير أقلّ من هذا لن يُجْدي نفعاً للروح نحو السماء. نعم! العمليّة في التغيير ليست مجرّد رقعه على لباس أو رفو لمزقةٍ على قماش أو عملية تنظيف أو تطهير طفيفة، أو عملية طلاء رقيقة لتغطية منظرٍ غير مستحبّ أو تلميح لمنظر باهت. كما أنّ التغيير ليْس فتح صفحةٍ جديدة وفق متطلبات الحال. التغيير هو تحديث متكامل أو لنقُلْ زراعة طبيعة جديدة كليّاً وكأنها كائن جديد، ومبدأ جديد، وذهن جديد حتماً؛ ولا أقل من هذا أبداً من شأنه تلبية مستلزمات الروح والنفس الإنسانية. نحن لا نحتاج لجلدٍ جديد بل لقلبٍ جديد.

أعرف أن هذا الكلام لا يَسْتسيغه الكثيرون لأن أهل العالم لا يحبّون الدعوة إلى ضرورة الولادة الثانية لأنها تنخس ضمائرهم وتولّد شعوراً بأن السماء بعيدة عنهم أو هم بعيدون عنها. إنها كبابٍ ضيّق ينْبغي الانحناء عند الدخول منه. وهم يبحثون عن باب أوْسع أو التسلّق على سور سهل المرتقى. هذه المسألة لا تحتّمل الدعابة ولا تلطيف الأجواء ولا الخداع المضلّل بل تتطلب الكلام الصريح بأن التوبة وحدها هي الحاجة الأكثر ضرورة إذْ من خلالها فقط نحصل على هبة الله التي هي حياة أبديه. هكذا هي المسيحية وهكذا نصير مسيحيين، ولا أسمح لنفسي أن استخدم أي تعبير أو لغة خلاف لغة الكتاب المقدس لأنها وحدها الكفيلة بتعليمنا التعليم الذي لا غشَّ فيه بأننا جميعاً دون استثناء نحتاج للولادة الثانية لأننا بالطبيعة أموات وقد أحيانا الله بالمسيح (أفسس ٢: ١-٣).

كلّ من انتقل من الموت إلى الحياة لديه سببٌ وجيه لأن يرفع الشكر لله!

تذكروا أنكم كنتم بالطبيعة أمواتاً. تذكروا ما أنتم عليه الآن بسبب النعمة. أنتم أحياء. تذكروا أنكم كنتم عظاماً تالفة في قبور الخطايا! من الذي أعادكم إلى الحياة؟ تعالوا واسجدوا أمام الله وباركوا اسمه القدّوس على نعمته العظيمة المُحرِّرَة والمجانية التي أعطاكم إياها!

من عظة بعنوان: «**أحياء أو أموات**».

ما هي الغيرة الحماسيّة في الدّين؟

«الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا، لِكَيْ يَفْدِيَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ، وَيُطَهِّرَ لِنَفْسِهِ شَعْبًا خَاصًّا غَيُورًا فِي أَعْمَالٍ حَسَنَةٍ»

(تيطس ٢: ١٤)

الغيرة الحماسية في الإيمان أو الدين أو العقيدة هي رغبة مُلْتهبة لإرضاء الله وعمل مشيئته والسعي قُدماً لإظهار مجده في هذا العالم بكل الطرق المتاحة. إنها رغبة لا يمْلكها الإنسان بالطبيعة لكن الروح القدس هو من يضعها في قلوب المؤمنين حالما يتوبون وتتغيّر حياتهم. وتتفاوت هذه الرغبة الملتهبة من مؤمن لآخر. فهي قوية عند الذين نسميّهم المؤمنون الغيارى. وهذه الغيرة تملك حياتهم وتُمْلي عليهم تقديم التضحيات المطلوبة مع جاهزية لتحمّل الصعاب ونكران الذات وتقبّل الألم بالغاً ما بلغ؛ وكذلك مواصلة الكدح بالعمل وأن يُنْفِق ويُنْفَق حتى الموت إذا اقتضى الأمر وهمّهم الأوحد إرضاء الله وتكريم المسيح.

فالشخص الغيور المتحمّس هو بكل وضوح رجل غاية واحدة. إذْ لا يكفي أن يُقال عنه إنه: وفيّ، شفوق، لا يهادن، مثابر، مُخْلص من كلّ القلب، وحارّ بالروح. بل هو الشخص الذي يضع نصب عينيه شيء واحد مع اهتمام واحد يستغرق في إنجازه ألا وهو إرضاء الله إن عاش وإن مات، في الصحة والمرض، في الفقر والغنى، سواء كانَ رأي الآخرين به إيجاباً أم سلباً، حكيماً أم غبيّاً، مَمْدوحاً كانَ أم مَذْموماً، مكرّماً كان أم مهاناً. كل هذه الأحوال إن واجهها المؤمن المسيحي الغيور، فإنها لا تعنيه على الإطلاق. لهيبُ قلبه مُتّقد نحو إرضاء الله فقط وإبراز مجده العظيم. يذوب بلهيب المحبة غير عابئ بالصعاب، مقتنعاً بكلّ أحوال الحياة.

من عظة بعنوان: «**كن بغيرة حماسية**».

قد يرتكب الرعاة الكبار أخطاء جسيمة

«وَلكِنْ لَمَّا أَتَى بُطْرُسُ إِلَى أَنْطَاكِيَةَ قَاوَمْتُهُ مُواجَهَةً، لأَنَّهُ كَانَ مَلُومًا»

(غلاطية ٢: ١١)

أي برهان أوضح مما هو أمامنا في النصّ في هذا المقام؟ حيث الرسول بطرس وهو المتقدّم في الرسل والتلميذ القديم وقد مُنح من يسوع فوائد وامتيازات خاصّة إذْ كان مرافقاً دائماً للرّب يسوع وقد سمع عظات يسوع ورأى معجزاته بأمّ العين وتمتع باللقاءات التعليمية الخاصة مع المسيح. وعُرف أنه من عِداد الحلقة الضيّقة الحميمة عند الرّب. دخل وخرج مع يسوع خلال خدمته على الأرض في كافة المناسبات تقريباً، وهو الرسول الذي أُعطى مفاتيح ملكوت السماوات وكان أول من استخدم هذه المفاتيح، فاتحاً كرائدٍ في مجالِ البشارة بالإيمان لجمعٍ غفير في يوم عيد الخمسين. هذا هو نفسه بطرس الذي وقع في خطأ جسيم!

والقصد من ذلك هو أن لا عصمة لأحدٍ حتى الرسل، إلّا عندما يدّونون أسفارهم فحينئذ يكون الروح القدس هو المحرّك لأقلامهم. أمّا خارج هذه الوظيفة فقد كانوا عُرْضة للخطأ، وفي هذا درس هام وهو أنه حتّى خيرة الرجال يبقون ضعافاً لا عصمة لهم طالما أنهُمُ من جسد آدم الأرضي. إلّا إذا رفعتهم نعمة الله، إذ قد يتيْه أحدهم في أيّة لحظة. وقد يكون هذا الكلام مُحْبطاً لكنّه صحيح في واقع الأمر، والصراحة مطلوبة علناً. الكلّ نظر إلى كنيسة المسيح كمنارة هُدى. لكن بالمقابل عملوا بوصية السيّد له المجد في (متى ٢٣: ٧-١١) أنّ لا سيّد ولا أب على الأرض! وحسب ما كتب بولس الرسول (١كورنثوس ١: ٣١ و٢كورنثوس ١٠: ١٧) أن من افْتخَر فلْيفْتخر بالرّب. فبصوتٍ عالٍ نقول: لا عصمة لمخلوق، وهذا تحذير للجميع لأن الإنسان بطبعهِ يميلُ للاتكال على الإنسان أكثر من اتكاله على الله، وذلك لأن الإنسان تراه العيون أما الله فتراه القلوب وهذا ما نلاحظه حتى في الكنائس عندما يلتفُّ الناس حول الرعاة إعجاباً بهم بدل الالتفاف حول الرب يسوع المسيح الراعي العظيم رئيس كهنتنا وإن كانت لا تراه العَيْن. فحذار، حذار، إذ ينبغي أن نكون يقظين دائماً لهذا الأمر.

من عظة بعنوان: «**اللاعصمة لدى الرعاة**».

جنود غالبون وظافرون

«قَدْ جَاهَدْتُ الْجِهَادَ الْحَسَنَ، أَكْمَلْتُ السَّعْيَ، حَفِظْتُ الإِيمَانَ»

(٢ تيموثاوس ٤: ٧)

النقطة الوحيدة التي أريد أن ترسخ في نفسك الآن هي: إذا أردت أن تكون قد نلت الخلاص فإن ذلك يقتضي لا أنْ تكون جندياً فحسب بل جندياً ظافراً. ولا يقتضي أن تصرّح بأنك جاهز للمعركة الروحية في معسكر الرّب ضد الخطيّة والعالم والشرير، بل يجب أن تخوضها وتخرج ظافراً. لأن الغلبة والظفر علامة فارقة للمسيحيين الحقيقيين. ربما البعض يريد أن يكون مسجّلاً في عِداد جنود المسيح. وربما البعض الآخرون ممّن يعانون من الكسل وترهّل الرغبات سعياً وراء إكليل المجد؛ بالمقابل فإن المسيحي الحقيقي هو فقط من يؤدي دوره الناجح كجندي للمسيح إذْ يواجه أعداء نفسه وروحه ويحاربهم ويغلبهم ظافراً بهم!

عزيزي القارئ؛ أتمنّى عليك أن تتعلّم درساً واحداً اليوم هو: إذا أردت أن تبرهن على أنّك مولودٌ ثانية وأنك في طريقك إلى السماء فإن عليك أن تكون جندياً ظافراً للمسيح. وإذا أردت أن يبدو واضحاً عليك أنّك تسْتحقُّ أيّاً من مواعيد المسيح الثمينة، فعليك أن تجاهد الجهاد الحسن في ميدان إنجيل المسيح وأنْ تكون غالباً في المحصّلة.

الغلبة هي البرهان الوحيد الكافي والمُرْضِي لإثبات أنك من أبناء العهد الجديد. ربما أنك من هواة العظات الجميلة وتحترم الكتاب المقدس وتقرأه من وقت لآخر، وأنك تتلو صلواتك صباحاً ومساءً وأنك تعقد مذبح العائلة لأسرتك يومياً وتتبرّع للمؤسسات الكنسيّة. أشكر الرب من أجلك إن كنت تفعل ذلك! إنها شيء حسن بلا شك، لكن كيف يسيرُ صراعك مع الخطيّة؟ كيف تجري مواجهتك العظمى مع أجناد الشرّ الروحية؟ هل غلبتَ شهوات العالم والخشية من تهديدات الناس؟ هل غلبت الرغائب الجسديّة والشهوات الحسّية والمزاج العصبي وأخرجتها من قلبك؟ هل أنت في مواجهة مع الشرير أو ابليس مقاوماً إياه دائماً؟ هل جعلته يهرب منك؟ (يعقوب ٤: ٧). كيف تجري الأمور إذاً؟ فيا أخي أو أختي، إمّا أنك غالب أو مغلوب لا حلّ وسط بينهما، هل قهرت الخطيّة وإبليس والعالم الشرّير؟ أم هم الذين قهروك؟ كُنْ ظافراً!!

من عظة بعنوان: «**المعركة العظمى**».

الجحيم خلفكم

«وَلكِنِ الَّذِي يَصْبُرُ إِلَى الْمُنْتَهَى فَهذَا يَخْلُصُ»

(متى ٢٤: ١٣)

أيها الرجال الأخوة، نحن الذين نعظ الناس بالإنجيل نستمسك بكل قوّتنا بوعود المسيح العظمى والثمينة، ويحقّ لنا أن نقدّم بكل جسارة لكم جميعاً باسم سيّدنا يسوع سلام الله الذي يفوق كلّ عقل، مع مراحمه ونعمته وكمال خلاصه المُقدّم لكلّ واحد يأتي إلى المسيح ويؤْمن به. بالمقابل لا نضمن لكم أيّ سلام مع العالم ومع إبليس. بل نحذركم؛ بأنّ حرْباً لا هوادة فيها تظلّ قائمة ما دمتم في أجسادكم على الأرض. طبعاً أنا لا أُحْبطكم أو أثبّط عزيمتكم في خدمة المسيح لكن من واجبي القول إنَ حساب الكلفة في حمل الصليب ضروري أيضاً وما يستتبعه من مشاق، فالجحيم خلفكم والسماء أمامكم والبيت السعيد يقع في الشاطئ المقابل لشاطئ الألم.

الآلافُ بل مئات الآلاف من قبلكم عبروا بحر الضيقات بعواصفه الهوجاء ومعاكسة الرياح، ومع هذا بلغوا السماء التي إليها كانوا يطمحون. أمواج الجحيم لاطمتهم لكنّهم سبحوا بنجاح فوق أمواجها. إذاً، سيروا إلى الأمام أخوتي وأخواتي ولا تخافوا من العدوّ، بل تشبثوا بالمسيح ليكون نصركم خاتمةً مؤكدة. لا تستغربوا الكراهية المكتوبة على أبواب الجحيم وذلك لأنه «**لَوْ كُنْتُمْ مِنَ الْعَالَمِ لَكَانَ الْعَالَمُ يُحِبُّ خَاصَّتَهُ**» (يوحنا ١٥: ١٩). طالما العالم هو العالم والشيطان هو الشيطان على ما هما كليهما، فإنّ الصراع سيظلّ قائماً ومحْتدماً وجود المسيح في حالة مواجهة مُسْتمرة لأن العالم الذي يكره المسيح سيكْره حتماً أتباعه المسيحيين طالما الأرض قائمة.

فكونوا على أهبة الاستعداد لمواجهة أبواب الجحيم. «**البسوا سلاح الله الكامل**» (أفسس ٦: ١١-١٦). وأسلحة محاربتنا أختبرها الملايين من الخطاة المساكين مثلنا ونجحوا لأن توبتهم كانت صادقة. اصبروا تحت وطأة مرارة أبواب الجحيم لأنّ كلّ عوامل النجاح تعمل سويةً لأجلكم في الصلاح والقداسة وتُبْقيكم يقظين مع تواضع مطلوب وتقرّبكم إلى الرب يسوع المسيح وتبعدكم عن العالم وتساعدكم على مواظبة الصلوات وفوق كلّ شيء تولّدُ فيكم أشواقاً للسماء مع دعوة قلبية صادقة! «**آمين. تعال أيها الرّب يسوع**» (رؤيا ٢٢: ٢٠).

من عظة بعنوان «**الكنيسة الحقيقية**».

الراحة في المسيح

«إِذًا بَقِيَتْ رَاحَةٌ لِشَعْبِ اللهِ! لأَنَّ الَّذِي دَخَلَ رَاحَتَهُ اسْتَرَاحَ هُوَ أَيْضًا مِنْ أَعْمَالِهِ، كَمَا اللهُ مِنْ أَعْمَالِهِ. فَلْنَجْتَهِدْ أَنْ نَدْخُلَ تِلْكَ الرَّاحَةَ، لِئَلاَّ يَسْقُطَ أَحَدٌ فِي عِبْرَةِ الْعِصْيَانِ هذِهِ عَيْنِهَا»

(عبرانيين ٤: ٩-١١)

إنّ الراحة التي يقدّمها المسيح هي راحة داخليّة قلبيّة وضميريّة حيث تسْتولي على الذّهن والعواطف والإرادة راحة خاصّة. هذه الراحة تولّد طمأنينة بمعنى أنّ مغفرة الخطايا والتخلّص من الشعور بالذنب التي محاها المسيح كافية لمنح الراحة !! وهي راحة مستقرّة على رجاءٍ راسخٍ بأنّ الآتي أفضل إذْ تتجاوز تبعات المرض والموت والقبر وتستريح على قاعدة راسخة بأن المعضلة الكبرى قد تمّ تسويتها وقد تمّ تزويدها بكلّ أسباب النجاح وأن مشروع الخلاص أنْجحه المسيح وباتت الأبدية منزلاً مُنْتظراً عند أهل الرجاء!

يملكُ القادمون إلى المسيح راحة موعودةً إذْ تتبيّن لهم كفاية عمله المُنْجز على الصليب، وإرادته بأن يلبسهم رداء البرّ ويغسلهم بدمه الكريم، وعندما يبدؤوا برؤية ابن الله وقد مات لأجل خطاياهم وتبدأ روحهم بتذوّق سلام داخلي هادئ، ويظهر لهم بأنه الرّب الذي يُعلن ذاته لهم وبأنه رئيس كهنتهم الذي يشفع بهم في السماء ويصالحهم مع الآب من خلاله، ثم يرى الإنسان أيضاً أن لشفاعة المسيح واقع مُعزيّ، يسْتولي عليه حقّاً هدوء وسلام داخلي لا يُعبَّر عنهما.

فالراحة هذه هي التي يعطيها الرب يسوع لكلّ الذين يأتون إليه ويسكن الروح القدس في قلوبهم شاهداً لأرواحهم أنهم أولاد الله! رومية ٨: ١٦. فعندما يخْتبر المؤمن قوة جاذبة داخلية نحو الله كأبٍ مع شعور بأنه نال التبنّي والغفران، يبدأ هذا الابن باختبار روحي يغمر قلبه بالسلام والسكينة!

من كراسة منشورة بعنوان: «**تعالوا...**».

دوافع القداسة

«بَلْ نَظِيرَ الْقُدُّوسِ الَّذِي دَعَاكُمْ، كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضًا قِدِّيسِينَ فِي كُلِّ سِيرَةٍ. لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «كُونُوا قِدِّيسِينَ لأَنِّي أَنَا قُدُّوسٌ»

(١ بطرس ١: ١٥-١٦)

هل من أسباب قوية عندي تدفعني لكي أصيرَ رجلاً مقدّساً؟

متى ألجأ إلى هذه الأسباب؟ هل فقط أطبق الوصايا العشر؟ هل أكتفي بدراسة نماذج شخصية كتابية عن دور الروح القدس في حياتهم؟ هل أمضى وقتاً في التأمّل حول المكافأة السماوية والدينونة الرهيبة؟ هل من دافع أقوى ما تزال قيْد البحث؟ نعم! سأنظر إلى صليب المسيح! حيث أرى حبّ المسيح يحصرني لكيلا أحيا لنفسي بل **لأجل الذي مات لأجلي وقام!** (٢ كورنثوس ٥: ١٥)، وأدرك أنني لست لذاتي الآن؛ **لأنني اشْتُريتُ بثمن!** (١كورنثوس ٦: ٢٠). فأنا ملتزم بالتزامات مُلْزمة لتمجيد يسوع بجسدي وروحي اللذين يملكهما هو! وأرى كيف قدّم يسوع ذاته لأجلي ليس لكي يفديني فحسب بل ليطهّرني ويجعلني من «**شعبه الخاص الغيور في أعمال حسنة**» (تيطس ٢: ١٤). لقد حمل خطاياي بجسده على الخشبة «**لكي نموت عن خطايانا فنحيا للبرّ، الذي بجلدته شفينا**» (١ بطرس ٢: ٢٤). لا يوجد جهة يُنْظر إليها كمصدر واضح للتقديس أكثر من صليب المسيح! حيث صلب العالم لي وأنا للعالم. هل يُعْقَل أن نحبّ الخطيّة إذْ نتذكّر أنّه بسبب خطايانا مات المسيح؟ أليس هذا الذي جعل تلاميذ الرب يعيشون في منهج القداسة؟

هل انت مؤمن توّاق إلى المزيد من القداسة؟ هل تجد قلبك جاهزاً لمحبة الأشياء الأرضية؟ لك وأنت في هذه الحال أقول: «انظر إلى صليب المسيح» فكّر بالصليب! تأمل بالصليب! وبعد اذهب إلى العالم وانظر كميّة العواطف الصادقة التي يمكنك أن تغدقها على العالم! أن أؤمن أنه لا يمكن أن نتعلّم القداسة من مكان أكثر من تلّة الجلجثة. أؤمن أيضاً أنك لا تقدر أن تنظر إلى الصليب دون أن يسْتحوذ على إرادتك المزيد من التقديس الذي إذا تذوقته تزداد روحانية حياتك في المسيح!

من عظة بعنوان «**صليب المسيح**».

الراعي الصالح

«أَمَّا أَنَا فَإِنِّي الرَّاعِي الصَّالِحُ،
وَأَعْرِفُ خَاصَّتِي وَخَاصَّتِي تَعْرِفُنِي،
كَمَا أَنَّ الآبَ يَعْرِفُنِي وَأَنَا أَعْرِفُ الآبَ. وَأَنَا أَضَعُ نَفْسِي عَنِ الْخِرَافِ»

(يوحنا ١٠: ١٤-١٥)

تعتبر الخراف من أكثر الحيوانات ضعفاً وعجزاً مع جاهزية سريعة للتيهان، والابتعاد عن المرعى على غير هدى. وهكذا يحدث مع قطيع الرّب الذي هو شعبة. لديهم قابلية كبيرة للتحوّل عن المسار، والمسير في الطريق المُضرّ. عبثاً تُرْسل إليهم الإنذارات والتحذيرات والنصائح طالبةً منهم التيقّظ ومراقبة المسلك الذي هم عليه وكأنه قد غلب عليهم النُعاس والنوم، لذا لا يستشعرون المخاطر، بل يتيهون على غير هدى في معابر جانبية إلّا إذا أيقظتهم عقوبة قاسيّة تحلُّ عليهم. ومن باب المكابرة يتابعون الطريق بثقة مُزيّفة في قوّتهم الذاتية ولا حاجة للانتباه البتّةَ. كما يبتعد نظرهم عن الراعي الصالح رويداً رويداً حتى يجدوا أنفسهم وقد ضلّوا الطريق نحو حقل ألغام في شهواتهم التي تقودهم إلى ظلام دامس وشكّ مرير. وغالباً عندما تعُود خراف المسيح إلى حظيرتها، كباقي القطعان التي تضلُّ، تعود وكَدَمات وجروح الضياع بادية عليها. لأن الضياع أسهل من استدراكه والعودة إلى جادة الصواب.

بعض الأشخاص يتخيّلون أن المؤمنين المسيحيين معصومين عن الخطأ وكاملين. إن هذا الرأي أبعد ما يكون عن الصواب. صحيح أنهم يهدفون إلى الكمال، إلّا أن أحسن واحد فيهم تعوزه مسافة لا بأس بها للوصول إليه! بل يعترفون بعجزهم وضعفهم وفشلهم وابتعادهم في أحايين كثيرة وأفضل صلاة يرفعونها إلى عرش نعمة الله هي: «يا رب نحن لسنا أفضل من خراف تائهة، فكن رحوماً علينا نحن الخطأة الذين لا نستحقُّ رحمتك»؛ أخيراً، إذا لاحظتهم فإن يسوع لا يدعو شعبهُ خرافاً بل خرافي وهو يطلب منّا أن نفهم أنّه يقصد بذلك أنّهم مِنْ خاصّته وملكيته. انهم هكذا بالفعل لأنه أعطاهم ختماً وعلامة فارقة للملكية، كملكية خاصّة للرب يسوع المسيح نفسه!

من عظة بعنوان: «**شخصية المسيحي الحقيقي**»

الاعتراف (الانتماء) الكاذب

«لَيْسَ كُلُّ مَنْ يَقُولُ لِي: يَا رَبُّ، يَا رَبُّ! يَدْخُلُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ.
بَلِ الَّذِي يَفْعَلُ إِرَادَةَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ»

(متى ٧: ٢١)

ملايين الناس يعترفون بانتمائهم للمسيحية وهم ليسوا كذلك مقارنة بما علّمه وكتبه رسل المسيح. والملايين يعتمدون سنوياً معمودية كنسيّة وتُضاف أسماؤهم إلى سجّلاتها، وهم في واقع الأمر لا يمتلكون إيماناً ولو ذرّة بسيطة. حتى أنّ البعض منهم يولد ويموت دون أن يرتاد ولا لمرّةٍ واحدة أي مكان للعبادة بل يعيشون حياة ماجنة بكل أسفٍ أقول؛ بالمقابل، البعض الآخر يشارك موسمياً في العبادات والاحتفالات الدينية. وهناك فريق ثالث. لا يمارس حتى الفرائض لدرجة إهمالها رغم وصيّة السيّد بأن يصنعوا لذكره خدمة المائدة. هؤلاء كلّهم يعتبرون مع الأسف مسيحيين وعندما يموتون تُقام لهم جنازة مسيحيّة في الكنيسة بكل أسف أقولها ثانية. ماذا يقول الرسول بولس لمثل هؤلاء يا ترى؟ يقول: لا يستحقّون أن يُعْتبروا أعضاءً في جسد المسيح! كما أنه لا يدعوهم أخوة مقدّسين في المسيح يسوع. ولا يطالبهم أن «يتمسكوا بالإقرار» (عبرانيين ٤: ١٤)، لأنّهم في نظره «أموات في الذنوب والخطايا» (أفسس ٢: ١). هذا بالحقيقة أمرٌ مؤلم ومُحزن بآنٍ معاً لكنه صحيح وصادق ولو أنكره البعض فالحقُّ هو الحق!

فلا بدّ من الاعتراف أن نسبة كبيرة من المرائين تتواجد في الأوساط الدينية وهذا ليس بجديد وستظل هذه المجموعة موجودة ما دامت الأيام. إن المراءاة هي واحدة من أشنع الاختراعات التي ابتدعها ابليس ليلطّخ سمعة المسيحيين ويقوّض المصداقية، مقنعاً بعض البائسين بالاعتراف الشفهي خلاف ما هم عليه في الواقع، محاولاً تحطيم إرسالية المسيح الحقيقية لخلاص العالم عبْر إقحام الذئاب الخاطفة بثياب الحِمْلان. ويقيم رجالاً ونساءً يتكلّمون بلغة مألوفة عند المؤمنين ويلبسون رداء أولاد الله بينما هم في الداخل جيفة فاسدة.

من عظة بعنوان: «**اعترافنا**».

درب السعادة

«فَإِذْ قَدْ تَبَرَّرْنَا بِالإِيمَانِ لَنَا سَلاَمٌ مَعَ اللهِ بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ»

(رومية ٥: ١)

المسيحي الحقيقي إنسان سعيد لأن ضميره في وضعية السلام مع الله لأنّ الروح القدس الشاهد الرحيم يسْكن فينا ضامناً لنا راحةً تامّة وكافيّة. ولأن في دم المسيح تطهير تام من كلّ الآثام التي غفرها الرب بالتوبة، وأيضاً تقدم وساطة المسيح مع كهنوته أمام عرش الآب بتبديد كل المخاوف لدى المؤمن. إذاً نتيجةً لموت المسيح فداءً عنّا وقيامته المجيدة فإن الله البارّ يبرّر الخاطئ التائب على اعتبار أن يسوع سدّد كلّ متطلبات العدالة الإلهية فصار الضمير منسجماً مع طبيعة المؤمن لا بل صار صديقاً ناصحاً للمؤمن؛ وبسبب نقاوة الضمير يعيش المسيحي سعيداً.

المسيحي الحقيقي هو الإنسان السعيد لأن بإمكانه أن يجْلس متأملاً بهدوء حول روحه التي نالت الغفران بغض النظر عن حجم خطاياها سابقاً، فهو الآن ينظر من حوله ويرى نفسه «على أحسن ما يرام» وليس ما يؤرّقه بخصوص ماضيه في الخطيئة والاثم؛ إنه الآن مغفور الخطايا، لأن برّ المسيحي يغطّيه بالكامل. نحن نعلم أن طوفان نوح بلغ أعلى القِمَم العالية دون أن يعكّر استقرار الفلك، وهكذا المؤمن والمؤمنة بالمسيح يختبران حال استقرار يمدّهم بالسعادة كمصدر مستقل تماماً عن العالم لأنه مصدر سماوي ولا يتأثر لا بالمرض ولا بالموت ولا بأية مصيبة أو خسارة تطاله «**لأن سلام الله الذي يفوق كلّ عقل**» (فيلبي ٤: ٧). مُعطى له. فرجاء الأخ والأخت في المسيح محفوظ في السماء وكنزهم أيضاً لا يصل إليه السّوس ولا الصدأ ولا الفساد. إنه بيت مؤسس على الصخر فلا يتصدّع أبداً!

من عظة بعنوان: «**السعادة**».

عمل الروح القدس في الخلاص

«وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَسْتُمْ فِي الْجَسَدِ بَلْ فِي الرُّوحِ،
إِنْ كَانَ رُوحُ اللهِ سَاكِنًا فِيكُمْ. وَلكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَيْسَ لَهُ رُوحُ الْمَسِيحِ، فَذلِكَ لَيْسَ لَهُ»

(رومية ٨: ٩)

تبْرز ضرورة عمل الروح القدس في الخلاص بداعي فساد الطبيعة البشرية، لأننا جميعنا بالطبيعة «أموات في الذنوب والخطايا « (أفسس ٢: ١). ومهما تكن حصافة وفطنة وحكمة الإنسان في أمور هذا العالم، فإنه في نظر الله كائن ميّت. لأنّ عيون أذهاننا عمياء لا ترى أي شيء بشكله الصحيح. فإرادتنا وعواطفنا وميولنا قد شردت وابتعدت عن خالقنا «**لأَنَّ اهْتِمَامَ الْجَسَدِ هُوَ عَدَاوَةٌ للهِ، إِذْ لَيْسَ هُوَ خَاضِعًا لِنَامُوسِ اللهِ، لأَنَّهُ أَيْضًا لاَ يَسْتَطِيعُ**» (رومية ٨: ٧). فنحن بالطبيعة لا نملك إيماناً ولا خوفاً من الله ولا حبّاً ولا قداسةً. لذا وبالمختصر، لا مجال لأن نخلص طالما نحن متروكين وحدنا كي ندبّر أنفسنا بأنفسنا.

فبدون الروح القدس لا قدرة لأحد على أن يأتي إلى الله أو أن يتوب أو أن يؤمن أو أن يطيع. إن التدريب الفكري ذا المنْشأ العلماني من التعليم لا يوصل صاحبه إلى الإيمان المسيحي؛ والإلمام بالفنون الجميلة والعلم لا يقودان إلى السماء. الأيقونات والتماثيل لا توصل النفس البشرية إلى الله. «رهافة الإحساس» لا تؤهل صاحبها لأن ينجو من الدينونة ولا تضمّد أو تجبر القلب المكسور؛ ولا تشفي الضمير المجروح. حتى الغيرة الصادقة على النفوس عند الرعاة والوعاظ لا تقدر على منح الخلاص لأي نفس، وأي جدل كتابي مهما كان مقنعاً لا جدوى منه في تغيير الذهن. كما أن الفصاحة الكتابية من على المنابر لا تحرّك القلب شعرةً ومثلها الحقيقة المجرّدة أيضاً لا تحرّك الإرادة! فما هي إذاً حاجة الإنسان؟ نحتاج كلّنا للولادة الثانية، وهذه الولادة الجديدة تتمّ من الروح القدس. لأن روح الحياة هو من يُحْيينا وهو الذي يجدّدنا ويأخذ منا القلب الحجري ويعطينا قلباً لحمياً، لأن إعادة الخلق من جديد ضروري أن تعمل عملها وكأن الأمر استدعاء ما هو ميت إلى الحياة؛ وبدون كل ما سبق، لا أحد يمكنه أن يخلص؟

من عظة بعنوان: «**امتلاك الروح**».

اجعلوا اختيار الله لكم أكيداً

«لِذلِكَ بِالأَكْثَرِ اجْتَهِدُوا أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ تَجْعَلُوا دَعْوَتَكُمْ وَاخْتِيَارَكُمْ ثَابِتَيْنِ. لأَنَّكُمْ إِذَا فَعَلْتُمْ ذلِكَ، لَنْ تَزِلُّوا أَبَدًا»

(٢بطرس ١: ١٠)

تأكدوا تماماً أن اختيار الله لكم ذو منشأ أبدي إذْ لا قوة لكم على إنجاز ذلك لأنه وحده مصدر الحتْمية؛ كما لا يترك الله مصيرَ شعبه للحظ والنّصيب أو عرضة للتبدّل بل على قاعدة ثابتة وأكيدة واضحة عندك وعند الكنيسة أيضاً، هكذا هو الاختيار الذي دبّره. والذي أودّ أن ألْفتَ عنايتكم إليه هو أن تجتهدوا لتمتلكوا وتختبروا ضمان الرجاء الراسخ كما قال البشر يوحنا «**بِهذَا نَعْرِفُ أَنَّنَا قَدْ عَرَفْنَاهُ**» (١يوحنا ٢: ٣). اجتهدوا أن تعيشوا وتسلكوا في هذا العالم مظهرين للعالم من حولكم أنكم من خاصّة الله وأن الكل يتولّد عندهم الشعور المعرفي الخالي من الشك بأنكم في طريقكم إلى السماء.

جاهدوا بكل ما أوتيتم من قوّة واجعلوا دعوتكم واختياركم ثابتين «**لِنَطْرَحْ كُلَّ ثِقْل، وَالْخَطِيَّةَ الْمُحِيطَةَ بِنَا بِسُهُولَةٍ، وَلْنُحَاضِرْ بِالصَّبْرِ فِي الْجِهَادِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَنَا**» (عبرانيين ١٢: ١). وكونوا على استعداد لمعاقبة الجسد عند الحاجة إذا كان معثرة لكم. ولتبقَ في أذهانكم طالما أنتم على قيد الحياة أنّ لكم امتيازاً عالٍ في أنْ تُعدّوا من أبناء الله.

إنّ الذين يصارعون من أجل مركزٍ في هذا العالم سيصابون بخيبة الأمل حتماً. لأنهم إن أتمّوا شوطهم في الحياة بنجاح باهر فإن مفاخر إنجْازاتهم لا ترضي طموحهم وإن مكافآتهم قصيرة الأجل فمقاعد البرلمان ومقام الوزارة وكل رتبة عالية ستُخْلي يوماً ما. ولا يمكن الإبقاء عليها في أحسن الحالات أكثر من سنوات معدودات. أما مختارو الله الذين كنزهم لا يُنْزع منهم ولهم مكانة لا تؤخذ منهم أيضاً، فطوبى لهم لأنهم يدركون أهمية اختيار الله لهم لأن ذلك هو الاختيار الأبْقى فوق أي اختيار آخر.

من عظة بعنوان: «**الاختيار**».

لا تُساقوا بكلِّ ريحِ تعليمٍ غريبة

«لاَ تُسَاقُوا بِتَعَالِيمَ مُتَنَوِّعَةٍ وَغَرِيبَةٍ، لأَنَّهُ حَسَنٌ أَنْ يُثَبَّتَ الْقَلْبُ بِالنِّعْمَةِ، لاَ بِأَطْعِمَةٍ لَمْ يَنْتَفِعْ بِهَا الَّذِينَ تَعَاطَوْهَا»

(عبرانيين ١٣: ٩)

إن عنوان النصّ أعلاه هو بمثابة تحذير رسولي ضد العقيدة الكاذبة، وهو جزء من تحذير خاطب به الرسول بولس المؤمنين من خلفية يهودية؛ وهذا التحذير مازال ساري المفعول حتى يومنا هذا كما كان في أيام بثّه. أعتقد أن هذا التحذير في غاية الأهمية وإلّا لما طالبَ به الرسول بشكل متكرّر «**لا تُساقوا بتعاليم متنوّعة وغريبة**». فإن العدّو القديم للإنسانية وهو ابليس لا يملك آلة مدمّرة أخْبث من نشر العقائد الكاذبة، ولقد كان قتّالاً وكذّاباً منذ البدء! فاحذروا! وترصّدوا هجماته؛ إنه يجول كأسد زائر ملتمساً من يبتلعه كفريسة!

خارج الكنيسة مازال ابليس يحاول إقناع الناس بالبقاء بحال الخطيئة المدمّرة. حتى عبادة الأصنام ما زالت شائعة على نطاق واسع مع تمرّد وعبادات شنيعة مقزّزة ومكروهة لآلهة كاذبة؛ ناهيك عن الاضطهاد وتجارة الرقيق وقتل الأطفال وانتهاك حرمة الإنسان والحروب الدينيّة المدمّرة تحت مسميّات مختلفة. كما يفعل القراصنة في البحار، إغراق وتدمير وحرق! هكذا هو داخل الكنيسة يكْدح جاهداً بزرع الهرطقات ونشْر الزيغان وتعزيز الميول نحو الابتعاد عن الإيمان. وإن لم يتمكّن من سدّ ينبوع مياه الحياة، فأنه على الأقلّ يسعى لتسْميمها. وإن لم يستطع تدمير الدواء الذي يحتويه الإنجيل، فإنه على الأقل يسعى لإضافة مواد مغشوشة وفاسدة. لذلك لا غرابة أن سفر الرؤيا دعاها «**أَبُولِّيُون**» (رؤيا ٩: ١١) أيّ المخرب.

إن الروح القدس بالمقابل، وهو المعزّي الإلهي للكنيسة فيملك سلاحاً قوياً لمقاومة مخططات ابليس ألا وهو «كلمة الله، سلاح الله الكامل» عندما تُشْرح ويُبْشّر بها لأن هدفها الوصول الواضح إلى الذهن والتطبيق السليم في القلب. فالكلمة هي السلاح الذي تمّ اختياره بعناية لإحباط مخططات الشيطان. لأن الكلمة هي السيف بيد خدّام الكلمة والذي يجب استخدامه في أيامنا إذا كانوا جادّين في مقاومة ابليس بنجاح حالما يقدْمون الكتاب المقدس بأمانة ويشرحونه ويوزّعونه للنفس العطشى كوقايةٍ ناجعةٍ تُحصّن شعب المسيح في الكنيسة الحقيقية.

من عظة بعنوان: «**جميع أنواع التعليم الغريب**».

حاجة العطاء لحقل الإرساليات

«وَلكِنْ لاَ تَنْسَوْا فِعْلَ الْخَيْرِ وَالتَّوْزِيعَ، لأَنَّهُ بِذَبَائِحَ مِثْلِ هذِهِ يُسَرُّ اللهُ»

(عبرانيين ١٣: ١٦)

السخاء في تقديم المال حاجةً ملّحة وهذا كلام لا إحراج فيه لأن الرسول بولس بعد أن تحدّث بإسهاب عن القيامة في الأصحاح ١٥ من رسالته الأولى إلى كنيسة كورنثوس؛ يتابع في موضوع العطاء ويقول: «**وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ الْجَمْعِ لأَجْلِ الْقِدِّيسِينَ** ...» (١كورنثوس ١٦: ١). فمن الطبيعي أن الله يستخدم الوسائل والوسائط ولا يتسرّع في إنجاز المقتضى. وهو راضٍ عن استخدام الوسائل والوسائط، ومنها الأموال التي بحوزتنا لكي نصْرفها لعمل الله معتبرين ذلك امتيازاً لنا، وما نملكه لا نفع له إنْ لم تكن إدارته بيد الله، ولا يجوز الإقلال من أهمية إدارة الوسائط غير واضعين ثقتنا بها لكن مجرّد استخدامها بطريقة نظهر فيها امتناننا لخيرات الله في حياتنا. فالمال طبعاً واحد من هذه الوسائط الداعمة للعمل المرسلي المسيحي حول العالم!

فالمرسلون يستحقّون العيش بكرامة والمال جزء من مقوّمات الخدمة، إعالةً لهم ولعائلاتهم في المأكل والمسكن والملبس والدراسة والاستشفاء.

وأنا أشدّد على الدعم المالي للمُرسلين لأننا نرى أيادي مراكز دعم الإرساليات مكبّلة، وقوتها مشلولة نظراً لقلّة الموارد المالية. ففي بعض محطات الإرسالية في الخارج نرى خادمين أو ثلاثة يعملون عملاً تبشيرياً يحتاج ربّما إلى أكثر من خمسين خادماً، علماً أنه يوجد أيضاً مكان فيه حقل واعد للبشارة مع ضرورة ابتعاث المرسلين لكن العائق الوحيد هو ندرة المال. كم من المناطق التي لم تسمع عن المخلّص يسوع لم تصلها حتى يومنا هذا أقدام المبشّرين، فقط لأن الحصّادين لا دعم لهم للانخراط في الحصاد الروحي!! إن الحقيقة الواضحة هي أن هناك تقصيراً في العطاء والسخاء لدعم الحقل المُرسلي ولا عذر لأحد في ادّعاء الفقر، لأن الكلّ يعطي حسب طاقته ولا يُطلب من أحد فوق الطاقة، مع العلم أن البعض يعطي فوق الطاقة بارك الرب بهم!! وقد يكونوا فقراء بالمعنى الاقتصادي لا الروحي طبعاً، مقابل انكماش أيدي من يملكون المال ويمتنعون عن العطاء. أضع أمام أحبائي القرّاء هذا الموضوع ليأخذوه بعين الاعتبار مؤكّداً لهم أن العطاء مهما كان ضئيلاً فيه بركة للأمم وعكس ذلك عارٌ كبير.

من عظة بعنوان: «**عمل للإنجاز**».

المسيحية التي قلبت العالم رأساً على عَقب

«إِنَّ هؤُلاَءِ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمَسْكُونَةَ حَضَرُوا إِلَى هُهُنَا أَيْضًا»

(أعمال الرسل ١٧: ٦)

المسيحيّة التي أقْصدها في كلامي هي المسيحيّة المثمرة التي تُظْهر جذورها الإلهية في تأثيراتها المباركة على الجنس البشري؛ هي المسيحية التي تواجه تحدّيات الرافضين وغيْر المؤمنين إذْ تشْرح لهم مبادئها بسلاسة ووضوح. إنها فريدة من نوعها ومنتشرة في كلِّ أرجاء المعمورة، وربّما فقط في مناطق قليلة من العالم قلّما نجد لها حضوراً. هي المسيحية التي قيل عنها في أيام الرسل بأن أتباعها: «**فَتَنوا المسكونة**» (أعمال ١٧: ٦). إنها المسيحية التي أفرغت المعابد الخاملة من عبادها، وهزمت الفلاسفة اليونانيين والرومان، وأجبرت حتى الكتاب الوثنيين على الاعتراف بأن أتباع «الخرافة الجديدة» كما أسموهم، هم أشخاص يحبون بعضهم بعضاً ويعيشون حياة نقية ومقدسة للغاية.

هذه هي المسيحية التي دخلتها مع الأسف عبر العصور جهالات مخيفة وكهنوت مشعوذ حتى قيّض الله لها الإصلاح الإنجيلي الذي غيّر تاريخ أوربّا. وبرز التعليم النقي الرائد للعقائد على أيدي المصلحين الكبار المعروفين بالاسم والذين اجتاحوا القارّة الأوربية والذين أثمروا الثمار الغنيّة وزادوا الأخلاقيات العامة ببُعْدٍ عام في القداسة. الأمر الذي لم ينكره أحد من المؤرخين حتى يومنا هذا!

هي المسيحية الحقيقية التي أخرجت الكنيسة الاسمية من حالة الموت السريري ومن دياجير الظلام التي تخبطت الكنيسة فيها لعصور طويلة. لقد قدّم أهل الإصلاح الحقائق الكبرى وعلى رأسها الحقيقة حول الخطيئة، والمسيح المخلّص، والروح القدس المرشد والمعزي، والقداسة، وعادوا بالكنيسة إلى زمن الرسل، وكان هذا أكبر إنْجاز لهم. تحمّلوا اضطهاد وتعذيب الكنيسة الاسمية لهم مع كراهية بغيضة، إلّا أن كل هذا جعلهم ينجحون في إصلاح حياة الناس وكذلك مماتهم بسلام حسب الكتاب.

من عظة بعنوان: «**معروفة من ثمارها**».

إلى مَنْ نذْهب؟

«فَأَجَابَهُ سِمْعَانُ بُطْرُسُ: «يَا رَبُّ، إِلَى مَنْ نَذْهَبُ؟ كَلاَمُ الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ عِنْدَكَ»

(يوحنا ٦: ٦٨)

ما الذي جعل هذا التلميذ المتحمّس الحامي المزاج يصرخ: «**إلى من نذهب؟**» الأعداد التي تسبق آية اليوم تفسّر الحالة وتجيب على السؤال إذْ تقول: «**مِنْ هذَا الْوَقْتِ رَجَعَ كَثِيرُونَ مِنْ تَلاَمِيذِهِ إِلَى الْوَرَاءِ، وَلَمْ يَعُودُوا يَمْشُونَ مَعَهُ. فَقَالَ يَسُوعُ لِلاثْنَيْ عَشَرَ: «أَلَعَلَّكُمْ أَنْتُمْ أَيْضًا تُرِيدُونَ أَنْ تَمْضُوا؟»** (يوحنا ٦: ٦٦-٦٧). هنا يسجّل الوحي موقفاً حزيناً وعاطفياً مغلّفاً بواقعة بنّاءة. لأنه حتى عن المسيح نفسه الذي «**لَمْ يَتَكَلَّمْ قَطُّ إِنْسَانٌ هكَذَا مِثْلَ هذَا الإِنْسَانِ!**». (يوحنا ٧: ٤٦). وقد عمل المعجزات الكبرى، وعاش حياة لا مثيل لها بقداسة وطهارة وعفة دون انخراط مع الخطاة، ومع هذا ابتعد عنه البعض الذين تبعوه برهة من الزمن. نعم! يقول الكتاب: كثيرون أي لم يكونوا قلّة ورغم المعجزات التي لم يشهدها العالمِ من قبل ومع العظات التي لامست شغاف القلوب والتي لم تسمع المسكونة مثيلا لها، كثيرون غادروا الشركة مع المسيح. تركوه، تخلوا عنه، استقالوا من خدمته، وعادوا إلى ماضيهم، «**لأَنَّهُ إِنْ كَانُوا بِالْعُودِ الرَّطْبِ يَفْعَلُونَ هذَا، فَمَاذَا يَكُونُ بِالْيَابِسِ؟**» (لوقا ٢٣: ٣١). فإن كان الناس قد هجروا المسيح في أيامه، فلا غرابة إن هجروا خدّامه الضعاف في الأيام الأخيرة كأيامنا هذه.

لكن ما السبب الذي دعا هؤلاء للعودة إلى الوراء؟ ربما لأنهم لم يحسبوا النفقة، فعندما يأتي الاضطهاد والضيق بسبب الكلمة، يعْثروا ويسقطوا. وربما لأنهم فهموا خطأً طبيعة الملكوت الذي نادى به المسيح منتظرين فقط المكافآت الآنية. بكل وضوح عاد أغلبهم لأنهم لم يحْتملوا التعليم العقائدي العميق الذي علّمه يسوع؛ أقصد بذلك تلك العبارة التي قالها: جسدي مأكل حقّ ودمي مشرب حقّ كقاعدة أساسية للخلاص. فالعجز عن فهم عميق لتعليم يسوع هو النغمة المتكررة دائماً، أضف إلى ذلك رفض لاهوت الدم الذي يُطّهر بسبب ظُلْمةِ قلب الإنسان الساقط كما فعل قايين بجهل عندَ فكرة الذبيحة البديلة النيابيّة، وهذا ما حدا باليهود للتراجع من وراء المسيح حالما سمعوا أنَّ الجسد مأكل حقّ والدم مشرب حق (يوحنا ٦: ٥٤-٥٨).

من عظة بعنوان: «**إلى من نذهب**».

أين هم أمثال السامري الصالح اليوم؟

«وَلكِنَّ سَامِرِيًّا مُسَافِرًا جَاءَ إِلَيْهِ، وَلَمَّا رَآهُ تَحَنَّنَ، فَتَقَدَّمَ وَضَمَدَ جِرَاحَاتِهِ، وَصَبَّ عَلَيْهَا زَيْتًا وَخَمْرًا، وَأَرْكَبَهُ عَلَى دَابَّتِهِ، وَأَتَى بِهِ إِلَى فُنْدُقٍ وَاعْتَنَى بِهِ. وَفِي الْغَدِ لَمَّا مَضَى أَخْرَجَ دِينَارَيْنِ وَأَعْطَاهُمَا لِصَاحِبِ الْفُنْدُقِ، وَقَالَ لَهُ: اعْتَنِ بِهِ، وَمَهْمَا أَنْفَقْتَ أَكْثَرَ فَعِنْدَ رُجُوعِي أُوفِيكَ. فَأَيَّ هؤُلاَءِ الثَّلاَثَةِ تَرَى صَارَ قَرِيبًا لِلَّذِي وَقَعَ بَيْنَ اللُّصُوصِ؟» فَقَالَ: «الَّذِي صَنَعَ مَعَهُ الرَّحْمَةَ». فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «اذْهَبْ أَنْتَ أَيْضًا وَاصْنَعْ هكَذَا».

(لوقا ١٠: ٣٣ – ٣٧)

من حقّنا أن نسأل، أين هم أمثال السامري الصالح اليوم في عالم تمتدّ فيه المسيحية بكتابها المقدس على مساحات شاسعة من العالم؟

أين هم الأشخاص الذي يحبّون القريب ويَسْعون لإنقاذ النفوس الهالكة؟ أين هم الأشخاص المتأهبين للعطاء قبل أن يُطلب منهم دون منافسة في العطاء؟ الملايين من العُمْلة تُصْرف على الصيد والاستجمام والسباق والقمار والمسارح واللباس والمفروشات والصور وممارسة الهوايات. مقابل ذلك أقول ومن باب السخرية، القليل يُعطى لإيصال رسالة المسيح، وكأن مبدأ العطاء الأساسي في المسيحية قد تلاشى أو نُسيَ في قطاعات شتّى من الحياة.

إذاً كيف نستقصي جذور المشكلة باحثين أولاً عن المحبة الأخوية التي كانت العلامة الفارقة عند المؤمنين في الكنيسة الأولى؟ أين هي محبة الرب المعلنة للجميع التي بها نُعْرف أننا تلاميذه لأننا نحبّ الأخوة، وبذلك يصير أولادُ الرب ظاهرون وأولاد ابليس؟ أين هي حقاً؟ (١يوحنا ٣: ١٠). أنا لا أُسرُّ بكتابة هذه الكلمات وأيضاً بمعاناة كثيرة تناولت هذا الموضوع إذْ أنه الوقت الأنسب للاستيقاظ من النّوم وإصلاح طرقنا لئلا ندخّل في العمى الفرّيسي ويتخلّى الله عنّا؛ لأن الفرّيسيين يتكاثرون في هذه الأيام؛ أمّا أمثال السامري الصالح فهُم قلّة وفي بيئة غيْر صحيّة، فليعطنا الرب أن «نشدّد ما بقي لأنه عتيد أن يموت» (رؤيا ٣: ٢). أو قبل أن يفوت الأوان وتُزحزح منارتنا!

من عظة بعنوان: «**مثل السامري الصالح**».

مسيحي راشد وناضح

«بِكُلِ تَوَاضُعٍ، وَوَدَاعَةٍ، وَبِطُولِ أَنَاةٍ، مُحْتَمِلِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِي الْمَحَبَّةِ»

(أفسس ٤: ٢)

إذا أردْنا أن ننمو في النعمة ونكْتسب مزيداً من الرجاء، يتوّجب علينا المزيد من القداسة في الحياة والسيرة المسلكية. ولئن كان هذا الدرس ذا صلةٍ بالتواضع للوقوف عنده حتى يكْتمل المسعى على اعتبار أن علاقةً غير قابلة للفْصل بيْن السّير الحميم مع الله والطمأنينة في الإيمان ضرورة لابدّ منها، فليتنا لا ننسى ذلك. بالحقيقة إن الكثير من آنية بيت الرب ليست في حالة الطهارة المطلوبة حيث نتطلّع إلى دواخلنا فنراها تفتقد أشياء كثيرة يحبُّ يسوع أنْ يراها فينا. مثال: الوداعة واللطف، على غرار سيّدنا. فكثيرون منا فظّو الطباع وسريعو الانتقاد، ونتملق أنفسنا بأننا مؤمنون. نفتقد الجرأة الحقيقية في الاعتراف بالمسيح أمام الناس، ونكتفي بالصّمت في زمن وجوب الكلام.

نفتقد إلى التواضع لأن الكثيرين لا يحبّون المقاعد الدونيّة ولا إعطاء الأفضلية للآخرين مقدّمين إياهم في الكرامة (رومية ١٢: ١٠)، وليسوا على استعدادٍ لأن يروا قوة الله مُكْتملة في ضعفهم (٢ كورنثوس ١٢: ٩). ونفتقد المحبة الأخوية والمودّة الصادقة، لأن قلّة من الناس يحبّذون روح العطاء. هؤلاء ليسوا مُستعدّين لمجاملة الآخرين في عواطفهم وإضفاء السّرور على حياتهم ولا يمتلكون روح الامتنان والتقدير بل يُدْمنون التأفّف والتذمّر ويشتهون ما عند الآخرين وبذلك يخسرون القناعة والرضى؛ ينْسون قصة مردخاي الذي تحمّل غلاظة هامان؛ لكنّ الله أكرمه عبْر الملك إذْ لم يكن متلوّناً كما الحرباء بل واضحاً لا يحتاج أحدهم أن يزمّ عينيه لكي يراه جيّداً؛ أخي القارئ، لا يجب أن تكون هذه الشوائب التي ذكرناها موجودة في حياتنا، فإذا رغبْنا بالمزيد من الرجاء فلنكن غيارى في الأعمال الحسنة لأنها الوسيلة الأمثل لإظهارِ مسيحيتنا، فالعالم الذي لا يعرف إلا القليل عن المسيح يرى المزيد من خلالنا إذا رأى سماته ظاهرة عندنا. لأن المؤمن رسالة مقروءة وعظة متجوّلة بين الناس. والسيرة الحسنة تلقّن الآخرين درساً أعمق ممّا يقدّمه أي واعظٍ أو راعٍ مهما كان بليغاً. إن قيمة المسيحي الناضج تكمن في السماح ليسوع أن يعمل في بلورة صورته فيه!

من عظة بعنوان: «**أين أنت**».

كما في أيّام لوط ونوح

«وَلكِنَّ الْيَوْمَ الَّذِي فِيهِ خَرَجَ لُوطٌ مِنْ سَدُومَ،
أَمْطَرَ نَارًا وَكِبْرِيتًا مِنَ السَّمَاءِ فَأَهْلَكَ الْجَمِيعَ.
هكَذَا يَكُونُ فِي الْيَوْمِ الَّذِي فِيهِ يُظْهَرُ ابْنُ الإِنْسَانِ»

(لوقا ١٧: ٢٩-٣٠)

«وَكَمَا كَانَتْ أَيَّامُ نُوحٍ كَذلِكَ يَكُونُ أَيْضًا مَجِيءُ ابْنِ الإِنْسَانِ»

(متى ٢٤: ٣٧)

استخدم ربنا يسوع المسيح مقارنتيْن صاعقتين عندما وقف على هذه النقطة التي تخصّ مجيئه، حيث الزمن يشبه ذلك الزمن أيام لوط هل تذكرون تلك الحقبة؟ عندما خرج لوط من سدوم كان سكانها يأكلون ويشربون ويعربدون بالإضافة إلى مزاولة كافة الأعمال الحياتية من زراعة وبناء وزواج وتزويج حيث سطعت شمْسُ ذلك النهار كالعادة إذْ لم يكن في فكر سكانها سوى الأشياء الدنيوية، ولم يستشعروا الخطر حتى داهمتهم نار الله المهلكة ودمّرتهم تدميراً!

ثم يقول يسوع في موضع آخرْ: «**وَكَمَا كَانَ فِي أَيَّامِ نُوحٍ كَذلِكَ يَكُونُ أَيْضًا فِي أَيَّامِ ابْنِ الإِنْسَانِ**» (لوقا ١٧: ٢٦). هل تذكرون تلك الحقبة؟ دعوني أذكركم أنه عندما داهم الطوفان العالم لم يكن لدى الناس أيّة إشارة مُسْبقة عن أيّة كارثة مُحْتملة الحدوث، حيث كانت الشمس تُشرق وتغرب كالعادة، وكان النهار يعْقبه ليلٌ في تتابع منتظم. كانت الحشائش والأشجار والمحاصيل تَنْمو في مواسمها الاعتيادية. وكانت الأعمال والأشغال تزاول بشكل طبيعي. ومع أن نوح أنْذر ووعظ بشكل مستمر وحذّر من خطرٍ داهمٍ لكن لم يصدّقه أحد. وأخيراً، في يوم من الأيام بدأ المطر بالهطول دون توقّف وسالت المياه في كلّ اتجاه وتعالى الطوفان وصار يغطّي بالتتابع مساحات شاسعة حيث غرق جميع من لم يكن في عداد الموجودين في الفلك. كل نفْس حيّة هلكت. وكما أن الطوفان أخذ العالم على حين غرّة، هكذا سيكون مجيء ابن الإنسان مُفاجئاً وينزل على البشرية كصاعقة في خضمّ انشغال العالم بكل مِهْنة وعملٍ وحِرْفة كالمعتاد. هكذا بالضبط ستكون ساعة عودة الرب يسوع المسيح!

من عظة بعنوان: «**العذارى العشر**».

الصلاة والإثمار

«وَلكِنِ انْمُوا فِي النِّعْمَةِ وَفِي مَعْرِفَةِ رَبِّنَا وَمُخَلِّصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ. لَهُ الْمَجْدُ الآنَ وَإِلَى يَوْمِ الدَّهْرِ. آمِينَ.»

(٢ بطرس ٣: ١٨)

بعيداً عن أية إشكالية، هناك فرق شاسع بين المؤمنين بالمسيح لأن البعض منهم مُنْدفع والآخر مُنْكفئ. صحيح أن جنود الرب في صراع روحي مع أجناد الشرّ، إلّا أن البعض منهم يواجه الشرّ ببسالة أكثر من البعض الآخر. الكل يعمل عمل الرّب، إلّا أن البعض يُنجز واجبه أكثر من البعض الآخر. الكلّ نورٌ في هذا العالم، إلّا أن إضاءة البعض أكثر سطوعاً من البعض الآخر. الكل يركض في ميدان السباق نفسه إلّا أن البعض أسرع من البعض الآخر. الكل يحبّ نفس الرّب والمخلّص، إلّا أن محبّة البعض تفوق محبة البعض الآخر.

أسألكم أخوتي الأحبة، أليست الأمور هكذا؟

إنَّ بعض المؤمنين يراوحون مكانهم دون تقدّم منذ اللحظة التي فيها يتجدّدون ويولدون ثانية. إلّا أنهم مع الأسف لا ينضجون بل يبقون في مرحلة الطفولة طوال حياتهم. تراهم دائماً يتكلمون بنغمة واحدة عن اختيار الإيمان لديهم نفسه مع شهيّة روحية ضعيفة، ومحصورين في دائرة ضيّقه من الاهتمامات وهي نفسها منذ عقدٍ من الزمن لم تتطوّر. بالمقابل ترى مجموعة من شعب الرّب دائمي الحركة والتطوّر والتقدّم من حسنٍ إلى أحسن إذْ يزدادون نعمةً فوق نعمة وإيماناً على إيمانٍ وقوة فوق قوة؛ وكلّما تقابلت معهم وجدت قلوباً أوسع وقامة روحية أعلى وقوة واضحة. والآن كيف لك أن تتناول موضوع الاختلاف والفرق اللذين تكلمت عنهما بطريقة مسؤولة؟ ما السبب الذي يجعلنا نرى مؤمنين أكثر تألّقاً وقداسة من الآخرين؟ أعتقد أن السبب إحْصائياً بنسْبة تسع عشرة حالة من عشرين أن المتألق منهم يصرف وقتاً أطول في صلاته الفردية مع الله؛ وبالمقابل إنّ المنكفئ هو أقل صلاة وشركة مع الرّب، بينما المتألقون يقضون وقتا أطول في الصلاة.

من عظة بعنوان: «**دعوة للصلاة**».

أخطار الديانة الشكلية

«لَهُمْ صُورَةُ التَّقْوَى، وَلكِنَّهُمْ مُنْكِرُونَ قُوَّتَهَا. فَأَعْرِضْ عَنْ هؤُلاَءِ»

(٢تيموثاوس ٣: ٥)

ماذا أقصد في كلامي عن الديانة الشكليّة؟ هذه نقطة تستوجب التوضيح. أعتقد أن الآلاف من الناس ليس لديهم أدنى فكرة عن الموضوع. فإذا لم أتمكّن من توضيح هدفي فإن ما أكتبه اليوم سيذهب سُدى. بدايةً لا بدّ لي من أن أرسم وأصِفْ وأعرّف متى يكون المسيحيُّ سطحياً واسْميّاً مسيحيّاً ولا يتطابق مظهرهُ مع داخله. فهو يصرّح بأنه مؤمن دون أن يمارس أي جهدٍ إيمانيّ، حيث أنّ مسيحيته، أخاً كان أم أختاً، تقتصر على شعائر وعوائد ومظاهر لا برهان على قوتها في الكيان والقلب. هذا النوع من الناس هو ما قصدته بقولي من أهل «الديانة الشكليّة»، له صورة التقوى، له قِشْرتها الخارجية دون أن يمتلك أيّاً من مقومات الإيمان وقوّته في الجوهر.

على سبيل المثال، الآلاف من الناس الذين يتمسّكون بالعبادة في ممارسة الشعائر وتطبيق الفرائض ويحضرون العبادات كافة ويشتركون في مائدة الرب بانتظام، دون أن تتقدّم شركتهم مع الرب قيد أنملة إذْ أنّ حياتهم خالية من اختبارات حقيقية كما يجب مع فقرهم في معرفة الأسفار المقدّسة. ويمكن أنهم لا يستسيغون قراءتها ولا يتّخذون مسافة بينهم وبين العالم بكل ما فيه من عدم الصلاح، مع أنهم يعرفون الفرق بين الصلاح وعدمه، حتى أن صداقاتهم وزيجاتهم تكون من خارج دائرة أولاد الرّب في أغلب الأحيان.

أضف إلى ذلك أنهم لا يُقيمون فرقاً بين عقائد الإنجيل وغيرها بطريقة تُظهر عدم اكتراثهم لما يسمعونهم من على المنابر لدرجة يخْتلط عليك فيها أمر انتمائهم، هل هم من أهل الإيمان أم لا! فماذا عسانا نقول عن مثل هؤلاء! هم بلا شك مسيحيون بالاعتراف الشفهي أما حياتهم وقلوبهم فلا تشير بذلك! الشيء الوحيد الذي يمكن أن يقال عنهم: إنهم مسيحيون شكْليون وديانتهم علامة ظاهرية لا أكثر ولا أقل وفارغة من أي جوهر حقيقي، فهل أنت منهم؟ امتحنْ نفسك بأمانة!

من عظة بعنوان: «**الديانة الشكلية**».

أفكار حول الخلود

«وَنَحْنُ غَيْرُ نَاظِرِينَ إِلَى الأَشْيَاءِ الَّتِي تُرَى،
بَلْ إِلَى الَّتِي لاَ تُرَى. لأَنَّ الَّتِي تُرَى وَقْتِيَّةٌ،
وَأَمَّا الَّتِي لاَ تُرَى فَأَبَدِيَّةٌ»

(٢ كورنثوس ٤: ١٨)

الموضوع الذي يواجهنا في هذا التأمّل يُعْتبر أهمّ عنصر فاحصٍ للقلوب في الكتاب المقدس. الموضوع هو الأبديّة بلا شك، والخلود بطبيعة الحال! وهو موضوع لا يمكن تناوله عبر حكمة الشر لأن الحكماء أنفسهم يعجزون عن إدراك كنهه. لأن عيوننا لا تدرك إلا القليل ولا تقدر على سبْر أغواره، أو تحصّل عليه؛ إلّا أن ذلك ليس عذرٌ يمْنعنا من أخذه في الاعتبار ووضعه قيد الدرس. فالسماء أعلى من أن نصل إليها بقدراتنا حتّى العلمية منها مع أن الفلك بجماله يعلّمنا ومضات من عظمة الكون. كل هذا شيء والأبدية شيء آخر حيث أن الإنسان الفاني يعجز عن استيعابه إلّا ما أعلنه الله في أسفاره المقدسة، ولا يحقّ لنا تجاهل هذه الرسالة من السماء.

موضوع الأبدية لا يمكن معالجته أو تناوله بمعزل عن الكتاب المقدس لأنه بمجرّد الابتعاد عن كلمة الله المكتوبة نقع في المحظور بلا أدنى شك؛ لأن محض أمور ونقاط كهذه لا تتم ونحن نخزّن في عقولنا أفكار مسبقة حول طبيعة الله وسجاياه التي أنشأناها لأنفسنا وحول الحياة بعد الموت.

بل لابدّ من وضع الأمور في نصابها، هذه العقيدة بكل مندرجاتها لا تتم دراستها أو معالجتها إلّا إذا كان أحدنا قد امتلك المسيح المخلّص في قلبه وحياته بإيمان قال عنه الرسول بولس «**مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لاَ أَنَا، بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ. فَمَا أَحْيَاهُ الآنَ فِي الْجَسَدِ، فَإِنَّمَا أَحْيَاهُ فِي الإِيمَانِ، إِيمَانِ ابْنِ اللهِ، الَّذِي أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِي**» (غلاطية ٢: ٢٠). فيَاله مِنْ فرقٍ بين شخص له المسيح بالإيمان في قلبه وآخر فاقد ذلك!!

من عظة بعنوان: «**أفكار حول الخلود**».

سأبْني كنيستي

«وَأَنَا أَقُولُ لَكَ أَيْضًا: أَنْتَ بُطْرُسُ،
وَعَلَى هذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي، وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا»

(متى ١٦: ١٨)

يصرّح الرب يسوع قائلاً «**سأبني كنيستي**» حيث أن كنيسته الحقيقية تلقى عناية بالغة من الثالوث المبارك مباشرة. فبتدبير الفداء بدون شك يختار الله الآب المفديين والله الروح القدس يقّدس كل عضو من جسد المسيح. ويعمل الله الآب والله الابن والله الروح القدس، الأقانيم الثلاثة في الإله الواحد بتعاون مشترك لضمان خلاص النفس المؤمنة.

إذاً، عند بناء الكنيسة الحقيقية، يكلّف الرب يسوع آلات خاضعة لإمْرته كخدمة الإنجيل وتداول البشارة بالأسفار المقدسة والإنذار الأخوي والكلمة التي تُقال في وقتها، ونفوذ المحبة والعاطفة زمن المحن؛ كلّها مجتمعةً هي وسائط ومناهج تدخل في مساق عمله الخلاصي حيث المسيح المشرف الأعلى والمهندس الأعظم للبناء والآمر لكل شيء في كلّ مراحل البناء. كالشمس ودورها في النظام الشمسي هذا هو المسيح لكلّ أعْضاء كنيسته الحقيقية. يزرع بولس، ويسقى أبلوس، لكنّ الله يُنْمي! (١كورنثوس ٣: ٥-٧). الوعّاظ يعظون والكتّاب يكتبون لكن يسوع وحده يبْني. لأنه «**إِنْ لَمْ يَبْنِ الرَّبُّ الْبَيْتَ، فَبَاطِلاً يَتْعَبُ الْبَنَّاؤُونَ**» (مزمور ١٢٧:١).

بالمختصر، «لقد سرّ الله أن يحلّ ملء اللاهوت في جسد يسوع المسيح (كولوسي ١: ١٩). لأنه رئيس الإيمان ومكمّلة! (عب ١٢: ٢). «**الَّذِي مِنْهُ كُلُّ الْجَسَدِ مُرَكَّبًا مَعًا، وَمُقْتَرِنًا بِمُؤَازَرَةِ كُلِّ مَفْصِلٍ، حَسَبَ عَمَلٍ، عَلَى قِيَاسِ كُلِّ جُزْءٍ، يُحَصِّلُ نُمُوَّ الْجَسَدِ لِبُنْيَانِهِ فِي الْمَحَبَّةِ**» (أفسس ٤:١٦). فالقوة الممنوحة من المسيح لها هدف القيام بالواجب وهو من يمنع عنهم السقوط، ويحفظهم إلى النهاية، ويقّدمهم بلا عيب أمام عرش أبيه بفرح لا يُنْطق به. لأنّه الكلُّ في الكلِّ وبالكلِّ لذا نستمر بالشكر والتسبيح إلى الأبد لله. أخوتي الاحبّاء؛ إن بناء الكنيسة الحقيقية قائم على أكتاف الرّب الجبّار فدعونا نبارك الله لأن لا دَوْر للإنسان في بناء الكنيسة بل المسيح ضامن لبقائها الأبديّ الذي لا يفْشل، وطالما أنّه تعهّدها فإنه سيُكمل إلى النهاية!

من عظة بعنوان: «**الكنيسة الحقيقية**».

تأثير الكتاب المقدس على الأمم

«طُوبَى لِلأُمَّةِ الَّتِي الرَّبُّ إِلهُهَا، الشَّعْبِ الَّذِي اخْتَارَهُ مِيرَاثًا لِنَفْسِهِ»

(مزمور ٣٣: ١٢)

للكتاب المقدس أعظم الأثر على الشعوب والأمم الذين عُرف وعُلّم وقُرء بينهم عندما انتشرت رسالته المؤثّرة. أدعو كلّ صاحبِ ذهنٍ أمين أن ينظر إلى خريطة العالم بتمعّن ويقرأ بين ثناياها عددَ البلدان على وجه البسيطة حيث الكمّ الهائل من الباطل والعنف والقهر والعفونة الأخلاقية والتعسّف والإهانة للحياة ومفاهيم الحرية والحقّ. خصوصاً في بلدان ومساحات لم يصل إليها نور الإنجيل لكنّه في طريقه إليهم. بنعمة الرّب!! لأنّ الكتاب المقدس وحده قادر أن يبدّد الجهل والخرافة والفساد المتفشي بكثرة. وهناك بلدان لا يُسْمح فيها ببشارة الإنجيل وهي معروفة في عالمنا حيْث العدّو الأول هو الكنيسة الإسمية مع الأسف؛ تُصَدُّ فيها الحريات والاختيار الحرّ.

بالمقابل هنالك بلادٍ شعَّ فيها نور الإنجيل تحت ظلال الاصلاح العظيم؛ هذه البلاد تعطي قيمة عليا لتعاليم الكتاب المقدس السامية بأدبياتها وتعاليمها وتأثيرها على السلوك السويّ عند المؤمنين لدرجة أنها أقلّ البلدان جرائماً وفساداً وفيها تناهض الشعوب كلّ ما من شأنه أن يهين قيمة الحياة. ونورد هنا قول الشاعر (وليم وردورث William Wordsworth) «الكتاب المقدس هو منبع محبة الأوطان والولاء للسلطات المحترمة ومصدر الحكمة الصحيحة التي بضوئها تبدّد ظُلْمة حيث التلمذة والتأدّب الحقيقي والطاعة والامتثال لأن كلمة الله قهرت بقوّتها جيوشاً من الطغاة وأساطيلاً من العتاة في ساحات المواجهة بسبب نقائها وامتلاكها الحبّ المتفجّر بالسلام والسعادة والسكينة والفرح في العائلات والأُسْر وحيث استُقْبلت كلمة الله، تحوّلت الصحراء إلى واحة غنّاء وروضة فيحاء».

من عظة بعنوان: «**الوحي المقدس**».

الراحة والسلام الكاملَيْن في السماء

«بَلْ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِ إِنْسَانٍ: مَا أَعَدَّهُ اللهُ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ»

(١كورنثوس ٢: ٩)

ستكون السماء حتماً مكاناً للراحة والسلام الكاملَيْن، والذين يقطنون فيها يعيشون بمنأى عن صراعات العالم والجسد والشرّ. معركتهم الروحية انتهت بنصرٍ مؤزّر وجهادهم تمّ، ووضعوا السلاح الروحي الذي استخدموه بمهارة جانباً وحقّ أن يقولوا له «ابقَ مكانك حيث استراحتك». وليس مطلّوباً منهم ترصّد العدّو لأنّه لا عدّو لهم هناك ولا داع لإماتة الجسد وشهواته لأن الجسد الأرضي الميّال إلى الخطيئة قد تمّ خَلْعه ولم تعد له أية سيطرة عليهم. حتى الصلاة غير مطلوبة منهم إذْ لا تجربة تحوم حولها حتى يصلّوا لئلا يدخلوا فيها وكلّ ما يصنع خصام وقلق وتجربة قد تمّ الإغلاق عليه! لأن أبواب السماء موصدة في وجه الشرّ والشرير خلاف فردوس عدن الذي حصلت فيها الكارثة.

أخوتي المؤمنين المسيحيين، تهلّلوا وافرحوا لأن السماء ستكون محطَة راحة حقيقية مباركة. حتى وسائط النعمة لم يعودوا يحتاجون إليها لأنهم بلغوا المكان الذي لأجل الوصول إليه استخدموا أصْلًا تلك الوسائط. لا تُمارس هناك الفرائض، ولا شرائع مطلوب تطبيقها أو مراعاتها. وإذْ قد وصلوا إلى ذلك المكان فقد انتهى دور الإيمان والرجاء والأمل. زال الحزن وحلّ السرور مع أصوات تسْبيحٍ لا تنقطع. ونحنُ الأحياء الباقين حتّى اللحظة مازلنا في مدرسة الحياة نتعلّم الدروس القاسيّة وبعد ندخل في العطلة الأبدية!

نحن هنا نتقلّب مع أمواج الحياة حتى نبلغ شاطئ الامان. نحن نحرث ونبذر وهناك يتمّ الحصاد! هنا علينا العمل وهناك نحصل على الأجور.

هنا نحملُ الصليب وهناك ننال إكليل المجد. نحن هنا غرباء ونزلاء في بادية قاحلة وهناك سندخل بيتنا الأبدي السعيد!

من عظة بعنوان: «**السماء**».

قولٌ بخصوص أجسادنا

«لأَنَّكُمْ قَدِ اشْتُرِيتُمْ بِثَمَنٍ. فَمَجِّدُوا اللهَ فِي أَجْسَادِكُمْ وَفِي أَرْوَاحِكُمُ الَّتِي هِيَ للهِ»

(١ كورنثوس ٦: ٢٠)

أجسادنا التي تأخذ من أوقاتنا واهتماماتنا للعناية بها، تدفئةً ولباساً وطعاماً وراحةً، هذه الأجساد ليست كامل الكيان عند الانسان. إنه مكان إقامة. لمستأجرٍ نبيل وهو النفس الخالدة! والموت الذي سيذوقه كلّ إنسان مهما طال به العمر ليس نهاية كينونة الإنسان، لأن لفظ الانفاس الأخيرة والتي بعدها تُعطى شهادة الوفاة وتليها مراسم جنازة مع استعدادات مهيبة ثم يقال: «الإنسان تراب والى التراب يعود» قبل لحظةٍ من ردم التراب عليه، يُنهي الوجود الجسدي، ونفترق عن مجتمعنا الذي لن يرانا ثانية. كلّا؛ ليست هنا النهاية. لأن لكلّ واحد نفسٌ خالدة!

فعندما نكون على فراش المرض. منعزلين عن العالم أو عندما نزور صديقاً لنا يحْتضر وعندما نرى أحبّتنا يوارون الثرى، في لحظات كهذه، من لا يعرف الأفكار التي تجول في أذهاننا مع مشاعر تتقاطع مع هذه الأفكار؟ من لا يعرف أنه في لحظات كهذه يخاطبنا شيء في قلوبنا مُخْبراً إيّانا أن هناك حياة بعد هذه الحياة وأن لكلّ إنسان كبيراً أم صغيراً، عالياً أم متواضعاً له نفس لا تموت؟

أسألك أخي القارئ أن تحتفظ بذهنك أن قُرْعَتك ستُلْقى في وسط يوم حافلٍ بالعمل حتى أنّه لا نهاية لأشغالك وأنْتَ في خضمّ إنجازٍ لأعمالٍ هي في نهاية المطاف ستتوقّف في يوم من الأيام لأنها زائلة لا محاله! أعتقد إنّ تجربة تواجهك لتقنعك أن العالم الذي تعيش فيه هو كلّ شيء. فقط اهتم بجسدك. قاوم بكل صلاة أية تجربة كهذه وأبعدْ شبحها عنك. وقلْ لنفسك عند كلّ صباح تستيقظ فيه وكل ليلة تخْلد فيها إلى فراشك إنَّ العالم زائل وراحل وحياتي هنا ليست كلّ شيء، فهناك ما هو أهمّ من العمل والمال والمتعة والتجارة والمقاولة. «**وَالْعَالَمُ يَمْضِي وَشَهْوَتُهُ، وَأَمَّا الَّذِي يَصْنَعُ مَشِيئَةَ اللهِ فَيَثْبُتُ إِلَى الأَبَدِ**» (١يوحنا ٢: ١٧)، إنّها الحياة القادمة بعد الموت!

من عظة بعنوان: «**أنفسنا**».

كثيرون رحلوا قبلنا

«لِذلِكَ نَحْنُ أَيضًا إِذْ لَنَا سَحَابَةٌ مِنَ الشُّهُودِ مِقْدَارُ هذِهِ مُحِيطَةٌ بِنَا، لِنَطْرَحْ كُلَّ ثِقْلٍ، وَالْخَطِيَّةَ الْمُحِيطَةَ بِنَا بِسُهُولَةٍ، وَلْنُحَاضِرْ بِالصَّبْرِ فِي الْجِهَادِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَنَا»

(عبرانيين ١٢: ١)

كثيرون رحلوا قبلنا. «**نَحْنُ أَيْضًا إِذْ لَنَا سَحَابَةٌ مِنَ الشُّهُودِ مِقْدَارُ هذِهِ مُحِيطَةٌ بِنَا**». هذا القول قيل عن الآباء والأنبياء الذين سبق وذكرهم في الإصحاح الحادي عشر من الرسالة حيث يدعونا كاتبُ الرسالة إلى أن نتذكر معاناتهم لكي نتشّجع. ألسْنا آنية ترابية هشّة، كذلك كان أولئك؛ ألسْنا ضعافاً محاطين بالعجز والوهن؟ كذلك كان أولئك؛ السنا معرّضين للتجارب والفساد والأعباء القاهرة؟ كذلك كان أولئك؛ ألسنا في ابتلاء كبير؟ كذلك كان أولئك؛ ألسنا في مواجهة السخرية والهزء من أقرب الناس إلينا؟ كذلك كان أولئك؛ فأي أنواع الآلام لم يتعرضوا لها أو لم يجتازوا في أتونها؟

البعض عُذبوا ولم يقْبلوا النجاة لكي ينالوا قيامة أفضل! وآخرون سُجنوا وصاروا هزءً وسخريةً، ورُجموا ونشروا، وقتلوا بحدِّ السيف، وطافوا بجلود معزى وجلود غنم. معتازين مكروبين مُذَلّين، (عبرانيين ١١: ٣٢-٣٧). لكنّهم كلّهم جاهدوا بالإيمان جهاداً حسناً. وأنهوا شوطهم بنجاح وكلهم أمام الله في أورشليم السماوية فرحين ونحن نستلهم الشجاعة لئلا نخور في الطريق. إنهم سحابة الشهود التي وصفتهم الرسالة هكذا. فالسباق في الطريق الذي نحن بصدده قد سبقنا فيه الملايين من قبلنا. فلا تظنّن أنك الوحيد الذي يجتاز الصعاب وكلّ أنواع التجارب! سبقك الكثيرون وعانوا ما تعاني ووصلوا إلى الطريق السعيد من الحياة بسلام وأمان. الكثيرون عبروا وادي ظلّ الموت قبلك ولا تخلو حياتهم من اضطراب وقلق، أو حتى شك إن كنت تعاني منه. لا يُغلب العالم ولا الجسد إلّا من قبل أشخاص لم ينظروا إلى ضعفهم ومسكنتهم ومخاوفهم والشرّ الدائم الذي يحاول أن يبتلعهم؛ بل نظروا إلى الله الذي رافق الملايين في رحلتهم الحافلة بالمرارة والدموع، لكن واحداً منهم لم يهلك لأن الله كفيل بخلاصهم وأوصلهم إلى البيت الأبدي.

من عظة بعنوان: «**السباق المسيحي**».

قناعات الرسول بولس

«وَأَمَّا أَنْتَ فَقَدْ تَبِعْتَ تَعْلِيمِي، وَسِيرَتِي، وَقَصْدِي، وَإِيمَانِي، وَأَنَاتِي، وَمَحَبَّتِي، وَصَبْرِي، وَاضْطِهَادَاتِي، وَآلاَمِي، مِثْلَ مَا أَصَابَنِي فِي أَنْطَاكِيَةَ وَإِيقُونِيَّةَ وَلِسْتِرَةَ. أَيَّةَ اضْطِهَادَاتٍ احْتَمَلْتُ! وَمِنَ الْجَمِيعِ أَنْقَذَنِي الرَّبُّ»

(٢تيموثاوس ٣: ١٠-١١)

كان بولس مقتنعاً تماماً بالحق المتعلّق بحقائق الإيمان المسيحي، بمعنى أن المسيح هو «**اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ**» (١تيموثاوس ٣: ١٦). وقد برهن على ألوهيته بمعجزات واضحة لا تقبل الدحض؛ وآخر معجزاته، قيامته المجيدة من بين الأموات وصعوده إلى السماء وجلوسه عن يمين الآب كالمخلّص الوحيد لبني البشر. كلّ هذه النقاط الجوهرية ركّز الرسول بولس على إظهارها بدون أدنى شكّ على صحتّها ومصداقيتها، وكان يتناول الموضوع بدءاً من سقوط الإنسان الخاطئ ومغبّة الهلاك الأبدي وصولاً إلى مجيء المسيح إلى العالم لكي يفدي البشرية ويصنع كفارة مقبولة عن الخطايا. ويشتري بدمه الكريم نفوس الأثمة التائبين والمؤمنين بموته الفدائي عنهم على الصليب وإن هؤلاء المؤمنين ينالون غفراناً كاملاً عن الخطايا وبذلك يصير المسيح الطريق الوحيد للسماء وللسلام مع الله؛ وكل من يموت على هذا الرجاء يخلص. هكذا بجسارة وبصلابة إيمان علّم الرسول بولس هذه العقائد وصار همّه الوحيد منذ لحظة تجديده إلى يوم استشهاده أن يُعْلن المسيح للبشر.

أخيراً وليس آخراً. كان بولس على يقين تام بأن العالم الآتي حقيقة راسخة وصارت امتيازات العالم ومديحه أو آلام الأرض وعذاباتها كلّها تُفاية بالنسبة له. لأن الميراث الذي لا يطاله الفساد كان نُصْب عينيه على الدوام، وإكليل المجد الذي لا يبْلى ديدنه (فيلبي ٣: ٨ و٢ تيموثاوس ٤: ٨). وكان يعلم أن لا أحد ينزع مكافأته منه والتي هي إكليل من يسوع. والآن، كم عدد الأشخاص اليوم في عالمنا من أمثال بولس؟ لا أعرف طبعاً. لا يخلو العالم من العديد من الأمثال على غرار الرسل؟ أقصد، هل من الطبيعي مقابلة مسيحيين مؤمنين ناضجين غير متردّدين في إيمانهم ولديهم مطلق الضمان الأبدي الذي كان الرسول بولس يتمتع به؟

من عظة بعنوان: «**صور قلمية**».

مجازاة المفديّين

«مِنْ أَجْلِ ذلِكَ هُمْ أَمَامَ عَرْشِ اللهِ، وَيَخْدِمُونَهُ نَهَارًا وَلَيْلاً فِي هَيْكَلِهِ، وَالْجَالِسُ عَلَى الْعَرْشِ يَحِلُّ فَوْقَهُمْ»

(رؤيا ٧: ١٥)

لقد سمعتم حتماً عن الضيقة العظيمة التي تقود كما ترى إلى راحة دائمة. ولقد سمعتم عن الصليب الذي ينتهي بكل تأكيد بإكليل مجيد. الآن أستطيع أن أقول لكم شيئاً عن بلايا أولاد الله. نستطيع أن نتكلم في حدود ما نعلم. لكن عندما يكون الأمر متناولاً موضوع الأمجاد أو المجد الذي سيُسْتَعْلن، فتكونُ على أرضية أنَّ عيون البشر لم ترَ لها مثيلاً، وحذارِ أن نتجاوز حدود ما تقدّمه الكلمة الإلهية.

هناك سيخدمه القديسون «نهاراً وليلاً» (رؤيا ٢٢: ٣). لا تعب ولا إعياء في السماء؛ ولا عمل مُضْنٍ يحول دون تركيز الانتباه، لأننا مع الأسف في هذا العالم الحاضر تجتاحنا هموم العالم من كلّ حدب وصوب مما يجعل أجسادنا الهشة تنحني تحت وطأة الضعف. ولو كانت أرواحنا نشيطه فالجسد يبقى ضعيفاً. قد نصعد إلى جبل عالٍ حيناً من الزمان، لكن سرعان ما نعْيا فنَنْحدر، أمّا في السماء فلا أفكار تأخذنا نحو الضياع والسهو ولا انشغال بحاجات الجسد ولا إعياء البتّة.

ومن المُمْتع اللقاء الذي فيه نلاقي أحبّة لنا، أولئك الذين كانوا معنا على الأرض سبب مودّتنا، إلّا أنها كانت منقوصة لسبب رحيلهم عنا. الزوج مع زوجته والأخ مع شقيقته والأصدقاء الذين هم أشقّاء الروح والذين غادرونا، نعود ونلقاهم لقاءً لا وداع بعده، بل شركة جماعية مع ربنا المجيد الذي ستراه عيوننا وهو الذي أحبّنا وقدّم نفسه لأجلنا دافعاً ثمن خطايانا بدمه وعندئذٍ يتحقق قول المرنم في (مزمور ١٦: ١١) «**تُعَرِّفُنِي سَبِيلَ الْحَيَاةِ. أَمَامَكَ شِبَعُ سُرُورٍ. فِي يَمِينِكَ نِعَمٌ إِلَى الأَبَدِ**».

من عظة بعنوان: «**دم الحمل**».

أهميّة القلب في العبادة

«فَوْقَ كُلِ تَحَفُّظٍ احْفَظْ قَلْبَكَ، لأَنَّ مِنْهُ مَخَارِجَ الْحَيَاةِ»

(أمثال ٤: ٢٣)

يخبرنا الكتاب المقدس بأن القلب هو الجزء الذي حسب وضعيته تستمرُّ نفوسنا لأن منهُ «**مخارج الحياة**» (أمثال ٤: ٢٣). إن الفكّر والاستيعاب والضمير والعواطف كلّها مُجْتمعة تحلُّ ثانيةً بعدَ القلب؛ فالقلبُ هو كيانُ الشخص وهو محطّة الحياة الروحية والصّحة والقوة والنموّ. إنه المفصل الذي تتمحور حوله حالة النفس الإنسانية، فإذا كان القلبُ حيّاً مع الله وعائشاً بالروح القدس، صار الشخص مسيحيّاً حيّا بالروح. أمّا إذا كان القلبُ بدون الروح القدس فإنه مائت في نظر الله. فالقلب هو كيان الانسان وشخصيته! لا تخبرني عن الإنسان أين يذهب يوم الأحد وبماذا يؤمن وماذا يقدّم من عطايا في كيس التقدمات، بل أخبرني بالأحرى عن قلبه. وأنا سأقول لك ما هو «**لأَنَّهُ كَمَا شَعَرَ فِي نَفْسِهِ هكَذَا هُوَ**» (أمثال ٢٣: ٧).

أضف إلى ذلك، يعلّمنا الكتاب المقدّس أن نظر الله يحطّ عند قلب الإنسان لأنه يعرف مكْنونه «... **لأَنَّ الإِنْسَانَ يَنْظُرُ إِلَى الْعَيْنَيْنِ، وَأَمَّا الرَّبُّ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى الْقَلْبِ**». (١صموئيل ١٦: ٧). وكذلك يقول سليمان الحكيم: «**كُلُّ طُرُقِ الإِنْسَانِ مُسْتَقِيمَةٌ فِي عَيْنَيْهِ، وَالرَّبُّ وَازِنُ الْقُلُوبِ**» (أمثال ٢١: ٢). فالإنسان غالباً ما يكتفي بالمظهر الخارجي للعبادة والذي نسمّيه «تديّن» مع ما يُرافقهُ من أخلاقيات وأدبيات وسلوكيات مع انتظام القيام بالواجبات الدينية ووسائط النعمة. إلّا أنّ عَيْنَ الله تنظر إلى أبعد من ذلك إنه ينظر إلى الدوافع، لأنه «**وازن الأرواح**» (أمثال ١٦: ٢)، وهو من قال عن نفسه «**أَنَا الرَّبُّ فَاحِصُ الْقَلْبِ مُخْتَبِرُ الْكُلَى لأُعْطِيَ كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ طُرُقِهِ، حَسَبَ ثَمَرِ أَعْمَالِهِ**» (إرميا ١٧: ١٠).

أين هو موقع القلب في كيان الإنسان؟ إنه الأهمُّ والأساس من باقي الأعضاء في هيكل الإنسان. قد يعيش الإنسان سنوات وهو يصاحبُ الأمراض والعاهات والجروح وفقدان بعض الأعضاء، لكنه لا يعيش إذا انعطب القلب؛ هكذا هو دور داخل الإنسان والذي نسمّيه القلب في مجال العبادة والشركة مع الله. إنه منبع الحياة للنّفس الإنسانية!

من عظة بعنوان: «**القلب**».

طريق الغفران

«لِيَتْرُكِ الشِّرِّيرُ طَرِيقَهُ، وَرَجُلُ الإِثْمِ أَفْكَارَهُ، وَلْيَتُبْ إِلَى الرَّبِّ فَيَرْحَمَهُ، وَإِلَى إِلهِنَا لأَنَّهُ يُكْثِرُ الْغُفْرَانَ»

(إشعياء ٥٥: ٧)

إن ثقتك بيسوع المسيح الرب كمخلّص لحياتك، تعني طرح نفسك بكل خطاياها بدون تحفّظ على المسيح، والتوقّف التام عن أي اتكال على أعمالنا الجسدية مهما كانت دوافعها جملةً وتفصيلاً، والاستناد فقط على عمل المسيح وحده الذي لا بِرَّ إلا بِرُّهُ ولا استحقاق إلا استحقاقه كأساس لرجائك. فبمجرّد أخذك هذه الجرعة الشافية تكون مغفور الخطايا!

إن الرّب يسوع المسيح، بدافع محبّته العظمى ورأفته الحقيقية، قد صنع كفّارة كاملة كافية ووافيّة عن خطايانا إذْ تألّم حتّى الموت بديلاً عنّا على الصليب. وقدْ قدّم نفسه ذبيحة مقبولة عنّا وحمل الدينونة التي نحن من يجب أن يحملها. حملها نيابةً عنّا واختار واجْتاز الموت وهو البار عن الأثمة، البريء عن المُذْنب، لكي ينجّينا من اللعنة التي تفرضها الشريعة على من يخالفها؛ وبسبب صلاحه أحرز لنا غفراناً كاملاً يشمل كلّ الذين يأتون إليه ويقرّون بخطاياهم ويقبلوهُ مخلّصاً لهم، وبهذا الصدد قال عنه إشعياء «**وَآثَامُهُمْ هُوَ يَحْمِلُهَا**» (إشعياء ٥٣: ١١).

كما قال يوحنا المعمدان عنه إنه «**حَمَلُ اللهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ!**» (يوحنا ١: ٢٩). أمّا الرسول بولس فيقول: «**صَنَعَ بِنَفْسِهِ تَطْهِيرًا لِخَطَايَانَا**» (عبرانيين ١: ٣ و٩: ٢٦). في حين تنبأ دانيال فقال: «**لِتَكْمِيلِ الْمَعْصِيَةِ وَتَتْمِيمِ الْخَطَايَا، وَلِكَفَّارَةِ الإِثْمِ، وَلِيُؤْتَى بِالْبِرِّ الأَبَدِيِّ**» (دانيال ٩: ٢٤)!

بمختصر الكلام نقول إن يسوع المسيح قد اشترى لنا غفراناً تامّاً وكاملاً، وبمجرّد قبولنا عمله الخلاصي ننال غفرانه الأبدي. لقد أنْجز العمل كاملاً، ودفع الثمن كاملاً، وتألم في سبيل مصالحتنا مع الله، وكسانا رداء البرّ، وفتح ينبوعاً للمياه الحيّة ليطهّرنا ويُبْعد كل عثرة من طريقنا، وسهّل درب الرجوع حتى لأعتى الخطاة. والآن كلّ شيءٍ قد أُعدَّ وما على الخاطئ إلا أن يؤمن فيخلص، لأن يسوع المسيح هو الذي يُشْبع الجائع ويروي العطشان ويغسل كلّ الذنوب.

من عظة بعنوان: «**الغفران**».

سبع خطوات للإماتة اليومية

«إِنِّي بِافْتِخَارِكُم الَّذِي لِي فِي يَسُوعَ الْمَسِيحِ رَبِّنَا ، أَمُوتُ كُلَّ يَوْمٍ»

(١كورنثوس ١٥: ٣١)

أية وسيلة أقوى في مجال المثابرة الإيمانية في قلب المؤمن كالشعور الحيّ بالتبرير عند كلّ نفس ذاقت الخلاص؟ أعرض عليكم اخوتي بضعة ملامح يسْتأنس بها المؤمنون ولا أدّعي العصمة فيما أعْرضه عليكم فما أنا إلّا أخ يودّ مشاركتكم بما يراه ملائماً:

١- للاحتفاظ بشعور حيّ للسلام مع الله يجب النظر الدائم إلى يسوع كرُبّان لسفينة حياتنا إذْ يوجهها بسلامة ويُبْعد عنها المخاطر المحتملة، فهو من يجب أن ننظر إليه فقط!
٢- يجب امتلاك الشركة الدائمة مع يسوع، والاستفادة منه يومياً كطبيب النفوس ورئيس كهنتنا، مع تداول يومي حول ظروفنا واعتراف يوميّ بضعفاتنا لتَتْميم الخلاص.
٣- لليقظة الدائمة ضدّ عدّو النفوس، فإن من يسعى للسلام لا يغرب عن ذهنه استعداده للحرب الروحيّة.
٤- للمتابعة الدائمة وراء القداسة في كلّ علاقة قائمة في الحياة وفي كل الأمزجة وعلى كل لسان داخل البيت وخارجه؛ فأية بقعة سوداء على عدسة المجهر تشوّه الرؤية وتخّلُّ بالوظيفة المرجوة؛ لأن الغبار المتراكم على أي جهاز قد يُخِلُّ بأدائه.
٥- للعمل الدؤوب سعياً للتواضع لأن قبل الكسر الكبرياء وغالباً ما تكون المبالغة بالثقة بالنفس هي أم التقاعس، وتتجلّى في القراءة السطحية للكتاب المقدس والصلاة من شفاه يغالبها النعاس. لقد قال بطرس لمعلّمه إنه لن يتخلى عنه أبداً ولو فعل الآخرون، لكنه نام في ساعة الصلاة وأنكرَه ثلاث مرات ولم يجد الحكمة إلّا بعد البكاء المرّ.
٦- للجسارة الروحية في الاعتراف بالرب أمام الناس، فإنّ الذين يُكْرمون المسيح، يُكْرمهم المسيح بحضوره الدائم معهم. عندما تركه تلاميذه صاروا تعساء ويائسين وعندما اعترفوا به أمام محفل اليهود امتلأوا بالروح القدس وبالفرح.
٧- للغيرة الشريفة دائماً من محض الذات وامتحان النفس وهذا يستدعى تفريقاً هادئاً بين التبرير والتقديس. وحذار أن نملك المسيح بدون قداسته.

من عظة بعنوان: «**التبرير**».

شفاعة المسيح

«فَمِنْ ثَمَّ يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَ أَيْضًا إِلَى التَّمَامِ الَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ بِهِ إِلَى اللهِ، إِذْ هُوَ حَيٌّ فِي كُلِّ حِينٍ لِيَشْفَعَ فِيهِمْ»

(عبرانيين ٧: ٢٥)

يوجد موضوع واحد في إيماننا المسيحي الذي نعجز عن الإلمام به كاملاً. وهو يسوع المسيح الرب! وهذا موضوع بليغ تنطوي عليه اليوم آية تأملنا المبينة أعلاه. يسوع المسيح وشفاعته. صحيح أنه لا نهاية للغنى المخزّن فيه، في شخصه، وعمله، ووظيفته، وكلماته، وأفعاله، وحياته، وموته، وقيامته. وأنا بصدد أن آخذ فرعاً واحداً من هذا الموضوع العظيم ألا وهو الشفاعة والوظيفة الكهنوتية المُناطة طبعاً بربّنا يسوع المسيح.

إنها شفاعة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح التي بها يعرف المسيحي الحقيقي أن صلواته تصل وتُقْبل في محفل السماء. وما هي صلاة المؤمن بحدّ ذاتها؟ إنها الفقيرة الضعيفة التي لا تصلح للارتفاع عن الأرض. ما هي قيمة العُمْلة التي لا تحمل توقيعاً رسمياً من الجهة التي أصدرتها؟ لا قيمة البتّة. ولمجرّد مرور توقيع المسؤول عليها صارت ذات قيمة حتماً؛ وساعتئذٍ يُنظر إلى القيمة المطبوعة على أعْلى زواياها تميزاً لها عن غيرها. هكذا هي شفاعة المسيح تشبيهاً. هو من يوقّع ويُجْيّر ويقدّم ابتهالات المؤمنين وتوسلاتهم، وبسبب شفاعته التي لا تُردّ تُسمع الصلوات في أعلى السماء وترسل البركات على نفس المؤمن المسيحي مقابل ذلك.

هل تود أن تعرف سرَّ الراحة اليومية وسط كل التعب والأعمال والمشتتات التي نمر بها؟ تمسّك بشفاعةِ المسيح يسوع واحتفظْ بقوةٍ بالفكرة العظيمة أنّ المسيح لم يمُت من أجلنا فحسبْ بل قام ثانية وهو حيّ إلى أبد الآبدين!

من عظة بعنوان: «**قوة المسيح للخلاص**».

العطاء السخيّ عند المسيحيين المؤمنين

«هذَا وَإِنَّ مَنْ يَزْرَعُ بِالشُّحِّ فَبِالشُّحِّ أَيْضًا يَحْصُدُ، وَمَنْ يَزْرَعُ بِالْبَرَكَاتِ فَبِالْبَرَكَاتِ أَيْضًا يَحْصُدُ»

(٢ كورنثوس ٩: ٦)

أرجو من كلّ الذين يسمّون أنفسهم مسيحيين أن يشجّعوا أنفسهم في مزاولة العادات الحميدة كالسخاء نحو كلّ عمل خيري في مجال الرحمة، متذكرين دائماً أنكم مؤتمنون في المسيح على العطاء بسخاء دون دمدمة كلّما سنحت الفرصة لكم بذلك لأنكم لا تستطيعون أن تحتفظوا بالمال إلى الأبد؛ كما أنكم ستقدّمون حساباً على الطريقة التي بها صرفتم أموالكم. دعوا المال جانباً تحت السيطرة واشْخصوا بأبصاركم نحو الأبدية فحسب.

أنا لا أسألُ الأغنياء أن يتخلّوا على ثرائهم في الحياة، ولا أحبّذ أن يترك أحدٌ دعوته في الأشغال الدنيوية التي يعيش منها ويتوقّف عن إعالة أهل بيته، لأن المثابرة والأمانة في العمل واجب مسيحيّ مُحبّب، وتأمين متطلبات العيش للأسرة إنما هو تعقل وحكمة مسيحية سليمة. لكنني أقصد أن يلْتفتوا إلى الفقراء والمعوزين وهم في مسيرة الحياة ليشاهدوا الحاجة والفاقة من حولهم. لأن ضعيف الجسد هو ضعيف النفس أيضاً! ولأن إقامتنا على الأرض قصيرة وزائلة. لذا، كيف يمكننا استخدام أموالنا بأفضل وسيلة ممكنة ما دمنا على قيد الحياة؟ كيف يمكننا استخدام أموالنا في إضفاء السعادة وإضفاء القداسة على المحتاجين بعد رحيلنا؟ أليس في مقدورنا اختصار رفاهيتنا؟ ألا يمكننا أن ننفق أقل على أنفسنا ونعطي أكثر لقضية المسيح وفقراء المسيح؟ ألا يوجد أحدٌ يحتاج لمساعدتنا أبداً؟ ألا يوجدُ مرضى وفقراء ومحتاجون نقدر على تخفيف آلامهم وزيادة سعادتهم؟

أظن أن العطاء في مجال الإحسان والرحمة يتماشى مع فكر المسيح وأنا أسأل القرّاء الأحباء أن يبدؤوا عادة العطاء إن لم يكونوا قد بدأوا بها! وأن يزيدوا عطاءهم إن كانوا قد بدؤوا به قبلاً. أعتقد أنني بتقديم تحذير هنا ضد الطمع، لم أفعل أكثر من تقديم تحذير مطلوب بشكل خاص في هذه الأوقات، وأطلب من الله أن يبارك النظر في هذه الصفحات لكثير من النفوس.

من عظة بعنوان: «**الغنى والفقر**».

الاجتماع العظيم

«ثُمَّ نَسْأَلُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ مِنْ جِهَةِ مَجِيءِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَاجْتِمَاعِنَا إِلَيْهِ»

(٢تسالونيكي ٢: ١)

إن كلمة «**اجتماعنا**» هو حدث سيُعقد في آخر الزمان عندما يعود المسيح إلى الأرض ثانيةً؛ تماما كما كان بمجيئه الأول حتماً؛ وكما صعد في سُحُب السماء في المرة الأولى سيعود ثانية في سُحُب السماء أيضاً؛ وأول شيء سيعمله المسيح هو «**اجتماعنا معه**» أي مع شعبه، لأنه سيرسل ملائكته بصوت بوق عظيم وسيجمعون مخْتاريه من أربع زوايا الأرض، من أقصى السماوات إلى أقصاها! (متى ٢٤: ٣١).

إن هدف هذا «**اللقاء العظيم**» واضح ممّا أعلنه الكتاب المقدس حسب وصفه. هناك يتلّقى شعبُ المسيح الدفعة الأولى في المكافآت والتي هي إكليل المجد الذي لا يبْلى (١بطرس ٥: ٤). كذلك يرثون المُلْك المعدّ لهم مُنْذ تأسيس العالم! (متى ٢٥: ٣٤). حيث سيدخلون بترحاب إلى فرح سيّدهم! حتماً سيكون هذا الاجتماع باهراً بكل المقاييس حيث يشمل كل أولاد الله الذين عاشوا على الأرض من أول قدّيس، الذي هو هابيل، إلى آخر مؤمن وُلد عند مجيء الرب! الكلّ بدون استثناء من كل عصر وأمّة ولسان، الجميع سيشهد هذا اللقاء إذْ يجتمعون سويةً لا أحد يُغْفل عنه أو يُنْسى، حتّى الأضعف والأوْهن لن يُتْرك. ولئن كانت الكنيسة الموزّعة في كلّ أصقاع الأرض على شكل قطعان مبعثرة، فإنها في ذلك اليوم ستشكّل جمعاً غفيراً لا يستطيع أحدٌ أن يعدّه.

هذا اللقاء الهائل العظيم يجب ألا يغرب عن ذهن أولاد وبنات الله إذ يستحقّ التفكّر به بتمعّن، يستحقّ الانتباه، ويجب أن يحتلَّ حيّزاً كبيراً من أفكارنا. لقاءات متعددة تحدث في عالم السياسة والعلم والمتعة والمال ولكنها في لحظة واحدة تُنْسى تماماً، لذا تبقى فكرة واحدة يجدُّ عليها الإنسان المؤمن، ألا وهي: هل سأكون واحداً من الذين سيجتمعون مع شعب المسيح في مكان الأمان والكرامة للحياة الأبدية، أو لن يكون لي نصيبٌ فيه وأصير مع من يحالون إلى العار للازدراء الأبدي؟ (دانيال ١٢: ٢). فدعونا نسعى بإخلاص لنكون مع الرّب كلّ حين! (١تسالونيكي ٤: ١٧).

من عظة بعنوان: «**الاجتماع العظيم**».

التشكيك الواسع الانتشار عبر الأزمنة، جزء ١

«قَالَ الْجَاهِلُ فِي قَلْبِهِ: «لَيْسَ إِلهٌ».
فَسَدُوا وَرَجِسُوا بِأَفْعَالِهِمْ. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحًا»

(مزمور ١٤: ١)

نشهدُ في الإعلام وفي المحاضرات وفي الروايات وحتى في العظات ومع عدد كبير من الكتّاب الأذكياء، من نجدهم يشنّون حرباً على الإيمان المسيحي لتحطيم أساساته، لأنهم يقولون حسب ادّعائهم إنّ ميادين العلم كلها مع كل الاكتشافات وما يرافقها من أفكار تسمّى موثّقة، تنفي أي سبب للإيمان بالعقيدة الفوق طبيعية، وتحديداً الكتاب المقدّس وما ينطوي عليه من معجزات ووحي في مضمون رسالته التي تبدو صعبة الفهم؛ كعقيدة الثالوث، ولاهوت المسيح، وشخصية الروح القدس، والكفارة، وضرورة العبادة مع فعاليّة الصلوات الصاعدة منها. وفي المقلب الآخر، يتحدّث الكتاب المقدّس عن الشيطان ومستقبله المريع الذي يرفضه اليوم أصحاب المقامات العليا في كل قطاعات الحياة، بل يستخفّون به، حتّى مع الأسف ينْجرّ وراءهم بعض المسيحيين الضعاف في طوفان التشكيك هذا ويقللون من ثباتهم ورسوخهم في الإيمان إلّا إذا استجمعوا ثقتهم بإيمانهم الذي هو هدف الضعْضعة.

لذلك أدعوكم أخوتي لعدم الاستغراب من التشكيك الواسع الانتشار. كما أدعوكم لعدم الاضطراب في الأذهان وأنْ لا تسقطوا من ثباتكم. فلا شيء يخيفكم بالواقع لأن فُلك النجاة ليس في خطر على الإطلاق من قرون ثيران تريد أن تنطح هيكليته الثابتة لإسقاطها. فقادة الإيمان وعلماء الكتاب المقدّس يواجهون أفكار الفلاسفة الملحدين والساخرين من الإيمان الذين يُحْدثون ضجّةً كبيرة لإخافة ضعاف النفوس؛ ولكنهم لم ينتجوا أي تأثير حقيقي أكثر من التأثير الذي ينتجه المسافرون العاطلون عن العمل عن طريق نقش أسمائهم على الهرم الأكبر في مصر. وهذه ليست إلا خدوش على جدرانٍ في أماكن تاريخية للذكرى لا أقلّ ولا أكْثر. وتبقى المسيحية قائمة كالبقاء للأصْلح لأنّها الأصْلح لأن الوزن الأثقل ليس لتأثير العالم الحديث الذي لم يقدّم للإنسان حلّا بل للقيم المسيحية التي تغيّر الحياة جذرياً.

من عظة بعنوان: «**اثبتوا**».

التشكيك الواسع الانتشار عبد الأزمنة جزء ٢

«اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّنَا إِنَّمَا نَتَكَلَّمُ بِمَا نَعْلَمُ وَنَشْهَدُ بِمَا رَأَيْنَا، وَلَسْتُمْ تَقْبَلُونَ شَهَادَتَنَا»

(يوحنا ٣: ١١)

عندما يقول المشككون والملحدون كل ما يمكنهم قوله، يكون واجباً علينا بالمقابل عدم نسيان أن هنالك ثلاث حقائق رفيعة وواسعة النطاق لم تنلْ الشرح الوافي؛ وأعتقد أنها لنْ تنالَ الشرحَ لا الآن ولا في المستقبل. دعوني أخبركم ما هي هذه الحقائق الثلاث بإيجاز:

الحقيقة الأولى: هو يسوع المسيح نفسه، فلَوْ كانت المسيحية مجرّد اختراع بشري وأن مصدر الكتاب المقدس ليس الله، كيف يشرح أولئك شخصية يسوع المسيح؟ وجوده في التاريخ الذي لا يمكن دحضه. كيف تمكّن يسوع بدون قوّة عسكرية ولا رشاوي ولا استعطاف البشر ولا كبرياء مُخْتلق من إنسان ولا تورّط شخص فيما يشتهيه الإنسان العادي من شهوات حسّية، وهو الذي ترك تأثيراً واضحا ودامغاً في عالمنا؟ من هو إذاً؟ ماذا كان هو؟ من أين أتى؟ كيف أنْ لا نظير له لا مِنْ قبله ولا مِنْ بعده منذ وجِد التاريخ؟ بكل تأكيد لا جواب لديهم. الجواب هو في عقيدتنا المسيحية التي تقول معلنةً صراحةٍ: يسوع المسيح هو الله بالحق وإنجيله هو إعلان إلهي حقيقي!

الحقيقة الثانية: وهي الكتاب المقدس نفسه، لو كانت المسيحية مجرّد اختراع بشري وأن لا سلطان له بل إن شأنه شأن أي كتاب آخر، إذاً لماذا هذا الكتاب قد بلغ الشأن الذي وصل إليه؟ كيف لكتابٍ دوّنه بضعةُ أشخاصٍ من اليهود في أزمنة متباعدة عن بعضها وأماكن نائية عن بعضها دون أنْ يتعارض أحدهما مع الآخر؟ ينْتمي كتّابُه إلى أمّة لم تصل بتعليمها إلى مستوى اليونان والرومان في الأدب والشعر والفلسفة. كيف يقف هذا الكتاب وحده صامداً بمفرده لا يدانيه كتاب آخر في نظرته الرفيعة عن الله ونظرته الواقعية على الإنسان. وعن سموّ أفكاره وعن شموخ عقائده وعن نقاوة أدبياته؟ ماذا عساه الجاحد لكل هذه الحقائق أن يقول لنا عن كتاب عميق وبسيط وحكيم وخال من كلّ خلل؟ بكل تأكيد يعجز الإنسان الجاحد عن شرح وجود وطبيعة مبادئ هذا الكتاب العظيم. فقط لا يسعنا إلّا أن نتمسّك بهذا الكتاب الذي يفوق مدارك البشر؛ أنه كتاب من الله ذاته؟

من عظة بعنوان: «**اثبتوا**».

التشكيك الواسع الانتشار عبر الأزمنة جزء ٣

«قَالَ الْجَاهِلُ فِي قَلْبِهِ: «لَيْسَ إِلهٌ». فَسَدُوا وَرَجِسُوا رَجَاسَةً. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحًا»

(مزمور ٥٣: ١)

عندما يقول المشككون والملحدون كل ما يمكنهم قوله، يكون واجباً علينا بالمقابل عدم نسيان أن هنالك ثلاث حقائق رفيعة وواسعة النطاق لم تنلْ الشرح الوافي؛ وأعتقد أنها لنْ تنالَ الشرحَ لا الآن ولا في المستقبل. دعوني أخبركم ما هي هذه الحقائق وقد وصلنا إلى الثالثة منها اليوم!

الحقيقة الثالثة: هي أن المسيحية انجزت إنجازاً واضحاً في العالم فلو كانت المسيحية مجرّد اختراع بشري وليست نتاجاً إلهياً وحْيَوِيّاً خارقاً، كيف لها والحالة هذه أن تحدث تغييراً جذرياً في واقع وحالة الجنس البشري؟ أي مطّلع يدرك أن العالم قبل المسيحية يدرك أن الواقع الأخلاقي قبلها وحالة الأخلاق بعدها كالفرق بين سواد الليل وسطوع النهار. هكذا أيضاً الفرق بين ملكوت الله وملكوت الشيطان. وأقول الآن إني أتحدى أي شخص أن ينظر إلى خريطة العالم ويقارن بين البلدان التي انْتشرت فيها المسيحيّة والبلدان التي لم تنْتشر فيها وينكر أن هذه البلدان مختلفة مثل النور والظلام، أو الأسود والأبيض. فكيف للملحد أن يشرح ذلك وفق مبادئه مهما كانت أرضيتها وخلفيتها؟ حتماً لن يستطيع. نحن فقط من يقدر على تقديم الشرح، الذين نؤمن أن المسيحية نزلت من عند الله وهي العقيدة التي تمثّل الله الحنون على الأرض وتُظْهر محبّته لبني البشر.

وعندما تصلنا الأخبار عن انتشار الإلحاد، انظر إلى الحقائق الثلاث التي استعرضتها البارحة واليوم وأطرح مخاوفك بعيداً، وخذ موقعاً جسوراً لإيمانك خلف متراس هذه الحقائق، فإذا بك تناهض جهود المشكّكين وإذا بها مهزومة مدحورة ولو اختبأوا وراء أسئلة عويصة كأصل الإنسان وعمر الأرض ونظريات علمية قائمة أساساً على فرضيات لم تثبت صحتُّها بعد وما زالت أمور العلم تتكشّف يوماً بعد يوم. ولدينا من العلماء المؤمنين ما يكفي للتصدّي لهذه الفرضيات. تجمّل بالهدوء، لا تخف. تذكّر الحقائق الثلاث وناقش بها فقط واطلب منهم جواباً على كلٍّ واحدة منها!!

من عظة بعنوان: **«اثبتوا»**.

الطريقة التي يُسْتَفادُ بها مِنْ محبّة الله وخلاص المسيح

«لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ»

(يوحنا ٣: ١٥)

لقد أحبّ الله العالم حتى بذل ابنه ليكون «**مُخَلِّصًا لِلْعَالَمِ**» (١ يوحنا ٤: ١٤). علماً أننا نتعلّم من الكتاب المقدّس أن عدداً هائلاً في سكَان المَعمورة لن يدخلوا السماء! إذاً هناك محدودية بناءً على بابٍ ضيّق وطريقة ضيّقة أيضاً، ولهذا فإن بقية قليلة من الجنس البشري تحصل على الفائدة الأبدية من المسيح. من هم إذاً، وما هم حقاً؟ إن المسيح ومجمل بركاته وفوائده محصورة ومتاحة لأولئك الذين يؤمنون به. أن يؤمنوا، في مصطلح العهد الجديد هو بكل بساطه اليقين والثقة، وكلاهما سيّان ويمثّلان عقيدة يكرّرها الكتاب المقدس دائماً بلغة يفهمها الجميع، لذا فإن أولئك الذين لن يؤمنوا بالمسيح لن يخلصوا. إن الاعتقاد بأن التجسّد بحدّ ذاته لله في شخص يسوع كافٍ لتوزيع ضمانات الخلاص للجميع، أو أنَّ مَنْ قبل المعمودية واشترك في مائدة الرب يكفي لأنْ تُفْتح له أبوابُ السماء؛ كلّ ما ذُكر لا قيمة له إنْ لم يكنْ المدخل هو الإيمان بيسوع المسيح والثقة بكفاية كفارته وغفرانه.

الإيمان إيمانٌ فردي في المسيح والثقة بيسوع صفقة ثنائية بين الرب والانسان المؤمن وما عدا ذلك خسارة أبديّةً لا تعوّض. هناك بدعة كاذبة ومهلكة تقول إن المسيح موجود في كلّ إنسان. الصحيح هو أن المسيح للجميع وليس في الجميع، لأنه جاهز أن يسكن في قلب كلّ من يأتي إليه مؤمناً، لأن الكلّ، مع الأسف، لم يخطوا خطوة الإيمان المطلوبة؛ «**الَّذِي يُؤْمِنُ بِالابْنِ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَالَّذِي لاَ يُؤْمِنُ بِالابْنِ لَنْ يَرَى حَيَاةً بَلْ يَمْكُثُ عَلَيْهِ غَضَبُ اللهِ**» (يوحنا ٣: ٣٦). «**مَنْ آمَنَ وَاعْتَمَدَ خَلَصَ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ يُدَنْ**» إذاً، «**من لا يؤمن**» كما يقول الرب يسوع المسيح في كلمات مفصلية مخيفة «**سيُدان**» (مرقس ١٦: ١٦).

من عظة بعنوان: «**الإيمان**».

هل لدينا مشاكل؟

«لأَنْ لَيسَ لَنَا رَئِيسُ كَهَنَةٍ غَيْرُ قَادِرٍ أَنْ يَرْثِيَ لِضَعَفَاتِنَا، بَلْ مُجَرَّبٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِثْلُنَا، بِلاَ خَطِيَّةٍ»

(عبرانيين ٤: ١٥)

هل لدينا مشاكل يا ترى؟ أين الرجل وأين المرأة اللذين يقولان لا مشاكل عندنا؟ فلنأخذ أحمالنا وأثقالنا كلّها إلى الرب يسوع المسيح. لا أحد يريحنا كما يفعل هو الذي مات من أجلنا واشترى لنا الغفران من خطايانا بدمه، وهو الجالس عن يمين الله بقلبٍ مُفْعم بالحبّ والشفقة. هو يعلم ماذا تعني الأحزان والآلام والأسى، عاش ثلاثةً وثلاثين عاماً في عالمنا المشحون بالخطايا وتألم مجرّباً في كلّ يوم وهو لا ينْسى ذلك. وعندما صعد إلى السماء ليجلس عن يمين الآب أخذ قلبه الحنون معه!

هل لدينا مشاكل؟ دعونا لا ننسى العهد الأبدي الذي تمّسك به داود قديماً حتى آخر أيامه. وما زال العهد ساري المفعول. لم يُلْغَ العهد؛ وهو ملك لكل مؤمن بيسوع؛ سواء كان غنياً أم فقيراً كما كان ملكيةً لداود بن يسّى، ولا نسمح البتّة أن نقْلق وندمدم ونتذمر ونشتكي بروح غير مستقرة. ليكن لنا إيمان راسخ بأنه مهما كانت الأمور سيئة فليكن معلوماً بأن كل خطوة من مراحل الحياة مقرّرة من الرب بحكمةٍ بالغة مع حبٍّ خالص حيث سنرى كل ذلك في النهاية.

أخيراً، هل لدينا مشاكل؟ لنتذكّر دون نسيان أن أحد أفضل الحلول الناجعة وأفضل الأدوية المخفّفة للألم هو أن نجرّب صنع الخير للجميع بطريقة مفيدة، وبذلك تقلّل الأوْجاع وتزيد الأفراح في هذا العالم الرازح تحت الخطيّة. وهذا المسعى وارد وفي متناول اليد وفي مسافة ليست بعيدة عنّا، فليجاهد كل مؤمن بالمسيح كي يفعل الخير وبذلك يريح إمّا الأجساد أو الأذهان أو كليهما معاً!

من عظة بعنوان: «**بلا غيوم**».

هلْ مِنْ داعٍ للخوف؟

«أَيضًا إِذَا سِرْتُ فِي وَادِي ظِلِّ الْمَوْتِ لاَ أَخَافُ شَرًّا، لأَنَّكَ أَنْتَ مَعِي. عَصَاكَ وَعُكَّازُكَ هُمَا يُعَزِّيَانِنِي»

(مزمور ٢٣: ٤)

ما الداعي للخوف لديك؟ ما السبب الذي يجعلك تخاف؟ ما الذي يجعلك تظن أنه سيُسمح لك بالسقوط، بينما يسوع المسيح جالس عن يمين الله ليشفع بك؟ كل قوة الرب يسوع المسيح مهيأة ومتاحة لتقديم العون لك لأنه تعهّد بالعناية بقطيعه الذي كلّفهُ الله الآب برعايته، وقد أدّى فعلاً دوره بكفاءة. سيهتم به، ولقد اهتم به، وضحى من أجله حتى الصليب، ومات من أجله. وهو دائمًا عن يمين الله ومازال يقدّم العناية وكلّ ما يلزم لهذا القطيع.

كلّ عضو من جماعة خراف الراعي الصالح ولو كان ضعيفاً واهناً كخروفٍ أو حَمَل هو بنفس المستوى من المحبة عند الرب المخلّص ولا أحد يخْطفهُ من يد الله الآب، (يوحنا ١٠: ٢٨-٢٩). هل تقدر أن تهدّئ أمواج البحر المتلاطمة ومدّه وجزره؟ هل تستطيع أن تأمر المياه بالتوقّف لحظة المدّ؟ هل تقدر أن تمنع الشمس من الغروب أو تمنعها في اليوم التالي من الشروق؟ حتماً ليس بمقدورك. فعلاً هذه الأمور مستحيلة. ومقابل ذلك إن كلّ قِوَى الشر والعالم وأعداء نفوس المؤمنين المسيحيين لا يقدرون على انتزاع أيّ نفس من المؤمنين الذين آمنوا بالمسيح وتتلمذوا بالرّوح القدس لشركة حقيقية مستدامة مع المسيح الذي هو شفيعهم. صحيح أن المسيح «**قد صلب من ضعف**» لقد كان ضعيفاً بسببنا عندما ذهب إلى الصليب (٢كورنثوس ١٣: ٤)، لكنه قام بقوة وبالتالي فإنّ ضَعْفَ المُخلّص قد ولّى وحلّت محلّه قدرته العظيمة. لا بيلاطس آخر سيحاكم المسيح بل هو من سيدين بيلاطس. كل قوّة في السماء وممّا على الأرض هي له وهذه القوة تعمل لخَيْر المؤمنيّن وبركتهم على الدوام.

من عظة بعنوان: «**قوة المسيح للخلاص**».

واجبات الوالديْن

«رَبِّ الْوَلَدَ فِي طَرِيقِهِ، فَمَتَى شَاخَ أَيْضًا لاَ يَحِيدُ عَنْهُ»

(أمثال ٢٢: ٦)

أعتقد أنَّ كافة المؤمنين الذين يسمّون أنفسهم مسيحيين يدركون موضوع آية اليوم. لأن نعمة الكلمات تبدو مألوفة لمسامعهم. وكلحنٍ قديم. من المرجح أنكم ممّن قد سمعوا أو قرأوا أو تحدثتم عنه، أو اقتبسْتم في معرض كلامكم عنه. أليس ذلك صحيحاً؟ وعلى الرغم من أنه قول حقٍّ وكتابيٌّ معروف جيداً؛ كَمْ من الانتباه نوليه؟ والعقيدة الموجودة ضمن الآية أعلاه نادراً ما تراود ذهننا؛ والواجب الموضوع أمامنا نادراً ما تراه موضوعاً في حيّز التطبيق. ألستُ محقّاً في هذا الأمر؟ طبعاً لا تستطيع القول إن الموضوع جديدٌ علينا في حين أنَّ التعليم والتربية صارا جزءاً من الحياة العادية، وصارت المدارس والمعاهد تُشادُ في كل الأمكنة وتصدر دائماً مؤلفات ومطبوعات تُعْنى بشؤون الشباب والشابات ومع هذا فإن السواد الأعظم من الأولاد لا يتلقّون التربية الحقيقية التي يجب أن يتعلمّوها في المنزل أولاً حيث يتعلّمون كيف يختارون الرفاق ويتجنّبون رفاق السوء، وكيف نضمن مسار إيمانهم بعد أن ينْضجوا لأنّ الكثيرين منهم يهجرون الإيمان الذي تربّوا عليه.

أيضاً يَدْخل ضمن هذا الموضوع الفشل في أداء الواجب التربوي للوالديْن وهنا ترى عيوب جيراننا في تربية أولادهم ولا نرى عيوبنا نحن مع الأسف وهم يّربون أولادهم بنفس الطريقة التي سبق وحذّروا أولادهم منها بأنّها طريقة فاشلة لأن أصدقاءهم قد تربوا عليها وهم أنفسهم يقعون في نفس المطبّ. يرون القذى الذي في عيون الناس ولا يرون الخشبة التي في عيونهم.

أنا كخادم للمسيح، لا أدري أو ألاحظ أي موضوع يُغْفل عنه بطريقة متعمدّة وعنيدة كموضوع تربية الوالديْن لأولادهم، لدرجةِ الدهشة الى تُصيبني إذْ أراهم لا يرون أخطاءَ أولادهم ولا يكلّفون أنفسهم عناء معاتبتهم أو توبيخهم حتى إنهم قد يتحملوا أنْ أتكلّم عن أخطاء الوالديْن لكنّهم لا يتحمّلون الكلام عن أخطاء أولادهم!

من كتاب: «**واجبات الوالدين**».

الخدمات الكنسيّة المُبهْرجة

«لأَنَّهُ سَيَكُونُ وَقْتٌ لاَ يَحْتَمِلُونَ فِيهِ التَّعْلِيمَ الصَّحِيحَ، بَلْ حَسَبَ شَهَوَاتِهِمُ الْخَاصَّةِ يَجْمَعُونَ لَهُمْ مُعَلِّمِينَ مُسْتَحِكَّةً مَسَامِعُهُمْ»

(٢ تيموثاوس ٤: ٣)

لا يجب أن نقع تحت تأثير أوصاف يطلقها الناس على الخدمات الكنسيّة بأنها مُفعمة بالوداد المُشْرق، لأن مثل هذه الأشياء التلميعيّة ليست من صُلْب عقيدتنا الإيمانية المسيحيّة ولأنّ القيمة العليا للخدمة تَكْمُن في العبادة التي تلامس شغاف القلوب والضمائر وكل جوانب حياة المؤمنين الصادقين. فليست الكنيسة هي التي تملك الجوقة بأصواتها الصادحة ولا موسيقاها التي تأسر القلوب ولا ترانيمها التي تأخذ بمجامع القلوب متعةً وحُبُوراً. إنها الكنيسة التي يلمس فيها العابدون حضور الرب يسوع والروح القدس حيث يكون العابدون فيها من منكسري القلوب والأرواح المتعطشة إلى الغفران!! (مزمور ٣٤: ١٨ومزمور ١٤٥: ١٨). فإذا فُتحت القلوب وتفتحت الأبصار لرؤية ما هو خفي كما تفتحت عيون جيحزي غلام أليشع النبيّ (٢ملوك ٦: ١٥-١٧). يمكن أن نكتشف لدرجة الدهشة أن حضور ملك الملوك ملموسٌ بكلّ وضوح. حتى ولو كان مكان العبادة بسيطاً متواضعاً خلاف الأبنية الفاخرة ذات الأثاث الفاره.

إن الوعظ بالإنجيل أجمل بكثير من أي شيء آخر لأنّه علامة السلامة والصحة الروحية للكنيسة أكثر من أداء طقوس، ولأن الروح القدس قاد عبادة المؤمنين عبر العصور بحضوره، اذْ خلق لديهم يقظة ونهضة روحيتيْن فأيقظ الضمائر وعزّز عقيدة الخلاص بالمسيح وخلّص النفوس الهالكة. لقد كانت العُليّة في أورشليم في الكنيسة الأولى حيث كان يجتمع المسيحيون الأوائل مع خشونتها، كانت أكثر تأثيراً من معابد فخمة وفاخرة من داخلها وخارجها وهي تفتقر إلى حضور روح الله القدّوس، هذه الكنيسة الأولى البسيطة قيل عن أعضائها أنهم «**فتنوا المسكونة**» (أعمال ١٧: ٦)، أي قلبوا العالم رأساً على عقب. وأنا على ثقة أنَّ ذلك المكان البسيط المخصّص للعبادة يُعْتبر أكثر جمالاً لأنه عندما كانت الآنية في الكنيسة خشبيّة كانت القلوب من ذهب وعندما صارت الآنية من ذهب صارت القلوب من خشب؛ فنحن نحتاجُ لعبادةٍ ووعظٍ وتسبيحٍ وصلاةٍ من الذهب الذي مصدره التواضع!!

من عظة بعنوان: «**علامات الزمان**».

وضعَ المسيحُ حياته لأجلنا

«وَلكِنَّ اللهَ بَيَّنَ مَحَبَّتَهُ لَنَا، لأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا»

(رومية ٥: ٨)

يميل الناس عموماً إلى نسيان أنَّ آلام المسيح تحمّلها طواعية وبإرادته الحرّة. لم يضغط أحد عليه. باختياره المطلق وضَع المسيح حياته حتى الصليب لكي يُنْهى بنجاح عملاً جاء خصّيصاً لأجله. كان بإمكانه أن يستدعي كتائباً من الملائكة لمؤازرته والقضاء سريعاً على بيلاطس وهيرودس وكل جنودهما كما تُذْرَّى العُصافة مع الريح. أمّا هو فقد كان متألّماً لهدف حتّى إن قلبه ركّز على خلاص الخطاة. لقد صمّم أن «**يَكُونُ يَنْبُوعٌ مَفْتُوحًا لِبَيْتِ دَاوُدَ وَلِسُكَّانِ أُورُشَلِيمَ لِلْخَطِيَّةِ وَلِلنَّجَاسَةِ**» (زكريا ١٣: ١).

عندما أفكّر بكل ذلك؛ لا أرى الصليبَ مكانَ ألمٍ أو إهانةٍ أبداً. بالعكس تماماً. أرى فيه حكمةً وقوةً وسلاماً ورجاءً مع سرور وفرح وطمأنينة وتعزية، فكلّما احتفظتُ بفكرة الصليب في ذهني وبصيرتي كلّما اختبرتُ الملء داخل قلبي، وكلّما طالت اقامتي مع الصليب في أفكاري، كلّما زادت كفايتي وقناعتي بأن مزيداً من المعرفة سأكتسبها عندما أصرف الوقت الكافي عند قاعدة الصليب، فتصير إقامتي لا تضاهيها إقامة أخرى في العالم.

هل أنا بصدد اكتشاف طول وعرض محبّة الله الآب نحو العالم الخاطئ؟ أين لي أن أرى هذه المحبة منظورة بأوضح ما يمكن؟ هل أنظر إلى الشمس الرائعة التي تسطع يومياً على عالمٍ خاطئ؟ هل أراقب زمن البذار والحصاد يعودان بالتتابع سنوياً وبانتظام؟ كلّا البتة!! ألا أجد برهاناً أقْوى عن المحبة في كل ما يمكن أن يُبْحث عنها. فقط أنظر إلى صليب المسيح. ولا أرى فيه فقط سبب محبة الآب، بل نتائج المحبة. هناك أرى أنه «**هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ**» (يوحنا ٣: ١٦).

من عظة بعنوان: «**صليب المسيح**».

قدّيسون ورأْيهم بالموت

«لأَنَّ لِيَ الْحَيَاةَ هِيَ الْمَسِيحُ وَالْمَوْتُ هُوَ رِبْحٌ»

(فيلبي ١: ٢١)

تأمّل كيف يواجه أغلب القديسين البارزين لحظات الموت. هل سمعت قط أنهم تفاخروا بما أنجزوه على الأرض؟ فإذا تفاخروا فإنهم يفتخرون بالنعمة لأنهم مخلوقين لأعمال صالحة مدعومة من الرب ولمجد الرب! لكن عندما تقترب ساعة الرحيل ولقاء كرسي المسيح ماذا يبقى في العيون والقلوب غير النعمة المجانية والدم الفادي والعهد المُحْكَم الذي وسيطه المسيح؟ فإنهم لا يحتملون أن يذكروا أي شيء شخصي لأن القداسة والنعمة والانجازات كلها من فوق من عند أبي الأنوار!

هل يرغب أحد في معرفة أي نوع من ساعات الاحتضار يجد خدام الإنجيل الراحة بحضورها عندما يدعون للزيارة؟ هل يحبُّ أحدنا أن يعرف كيف يكون المشهد الختامي المفرح الذي يترك انطباعاً مباركاً في أذهاننا؟ نحبُّ أن نرى الناس ساعة الاحتضار يمجدون المسيح مكتفين بالحديث ساعتئذٍ عن الله القدير وعنايته الفائقة ورحمته الواسعة. مقابل ذلك قد نرى أشخاصاً ساعة موتهم لا يملكون علامة كافية عن الرجاء. وآخرون رجالاً ونساءً يخبرون عن فظاعة خطاياهم وكيف خلصوا وتعلّقوا بيسوع هؤلاء الذين يشكرون الله على محبّته إذْ مات لأجلنا وعن دمه الذي كفّر عن خطايانا والذين يذكرون مراراً وتكراراً قصة الحبّ العجيب على الصليب. هؤلاء الأشخاص في لحظة الاحتضار يتركون عندنا برهاناً حسناً بعد رحيلهم. أنا شخصياً يفرّحني نطق اسم يسوع واضحاً من شفتيْ قريب لي وأنا بجانبه لحظة موته، ولا أحبّ أن أراه صامتاً لا يلفظ اسم المسيح الذي خلّصه.

إن الكلمات الأخيرة للسيد آش Ash وهو من جماعة المؤمنين المطهرين Pu–ritan، تستحق الاهتمام، فقد قال: عندما أذكر أحْسن واجباتي، أغرق وأموت وأيأس. ولكن عندما أذكر أو أفكّر بالمسيح أرى فيه كفايتي لأنه الكلّ في الكلِّ بالنسبة لي».

من عظة بعنوان: «**رجاؤنا**».

ماذا يعني أن تفكّر صحيحاً في المسيح؟

«قَالَ لَهُمْ: «وَأَنْتُمْ، مَنْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا؟»

(متى ١٦: ١٥)

يجبُ أن نفكر في المسيح رجلاً كاملاً، إنساناً مثلنا بلا خطيّة، لأنه لو كان بلا ناسوت لما تألم وحمل آثامنا وعقوبة خطايانا ومات على الصليب. ولو لم يكن للمسيح جسداً عُرضةً للتجارب مثلنا لما تمكّن من إتمام الشريعة بكمالها بديلاً عنّا، ولما كان لنا الحقّ في أن ننظر إليه كأخ جدير بكامل الثقة ليمكن أن نقترب إليه بنقائصنا وكل مشاعر الضعف.

يجب أن تفكّر في المسيح فادياً عظيماً ومخلّصاً؛ الذي بذبيحته الطوعية وموته البديلي أكمل إلى التمام كفّارة خطايانا، لا بل خطايا العالم أجمع وقدّم للجميع وسيلة المصالحة بين الآب والجنس البشري. يجب أن نفكر في المسيح ملكاً، لأنه رأس السلطة الروحية العظيم على قلوب كلّ الذين اختارهم ودعاهم من العالم. وهو عاهل المملكة الروحية التي تسْبغ البركات الخاصة والامتيازات على كلّ الذين يتبعونه بإخلاص ويخضعون لسلطانه، والمملكة التي لا تُرى وهي غير منظورة في الوقت الراهن ستعْلن وتُسْتعلن عند مجيء المسيح الثاني.

يجب أن نفكّر في المسيح كاهناً عظيماً ورئيس كهنة على غرار رئيس الكهنة في العهد القديم دخل وحيداً إلى قدس الأقداس السماوية طبعاً ليصفح عن خطايانا ويكفّر عنها بدمه ونحن شعبه، وصار لنا الفداء كاملاً به. وهو الآن عن يمين العظمة في الأعالي يشفع فينا ويشفق على ضعفنا، فلأنه تألم مجرّباً يقدر أن يعين المجربين.

يجب أن نفكّر في المسيح نبيّاً آت عن قريب وقد أظهر للعالم طريق الخلاص وبيّن بكل وضوح رحمة الله وعدالة الله، وهو الذي صالحنا كخطاة، فصرنا نتيجة المصالحة أبراراً.

أخيراً، يجب أن نفكّر في المسيح مثالاً أعلى يُحْتذى تاركاً لنا نموذجاً نتبع أثر خطواته، وما قدمه في شخصه يصير دليلاً ومَعْلَماً نتبعهُ في كل مجالات الحياة ولا يحوجنا إلى جهد كبير لنشابهه، لأن الروح القدس يعمل فينا في هذا الأمر.

من عظة بعنوان: **«من تحسبون أن المسيح؟»**

اجتهادٌ لأجل الحق

«أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، إِذْ كُنْتُ أَصْنَعُ كُلَّ الْجَهْدِ لأَكْتُبَ إِلَيْكُمْ عَنِ الْخَلاَصِ الْمُشْتَرَكِ، اضْطُرِرْتُ أَنْ أَكْتُبَ إِلَيْكُمْ وَاعِظًا أَنْ تَجْتَهِدُوا لأَجْلِ الإِيمَانِ الْمُسَلَّمِ مَرَّةً لِلْقِدِّيسِينَ»

(يهوذا ٣)

لا يجدر بنا أن نتوقّع أي شيء سوى تقديم إنجيل المسيح نقيّاً غير ممزوج، غير مغشوش، وهو نفسه الذي علّمه الرسل، الذي فيه خيرُ نفوس البشر. وأعتقد أننا عندما نلتزم بهذا المبدأ فإننا سنرى لا محالة تجاوباً ايجابياً من الناس لدرجة التضحية كي نتجنّب العشوائية في السلام والانشقاق المؤذي وأي فرصة للانقسام. وليس أمامنا إلّا أن نناهض العقائد الكاذبة بكل قوانا لأن هذه العقائد في غالبيتها متهاونة مع الخطية، وعلينا ألّا ننجرَّ إلى إضافة أو حذف أية نقطة من إنجيل المسيح الواضح، لأن ذلك يضلُّ الناس كثيراً.

نعم! إن السلام بدون الحقّ هو سلام كاذب لأنه سلام من الشيطان الفاقد أصلاً للسلام، وأي اتحاد بدون الإنجيل لا قيمة له على الإطلاق إنه كاتّحاد الهالكين. فحذار من أن تقع في فخّ الملاطفة مع العقائد المضلّلة، ولا نُذْنبُ في التفريط بأيّ جزءٍ من الحقّ الإلهي على مذبح السلام المزيّف. فدعونا نكون كأولئك الذين إذا وجدت مخطوطة يشوبها التلاعب ولو في جزء صغير منها، أحرقوها كلها حفاظاً على كل الحروف والنقاط الواصلة إلينا في الحقّ الكتابي. فلا نرضى إلّا بالكلمة الإلهية كاملة غير منقوصة التي هي إنجيل المسيح.

أدرك جيداً أن بعضاً مما قلته لا يستسيغه الكثيرون لأنهم في غالبيتهم سعداء بما هم عليه والذي فيه من الضلالة ما يكفي من تزييف الحق وهو يتماشى مع رغباتهم. آسف على حالهم وأقول لهم: لا صلاح لنفوسكم إلّا بالكلمة النقيّة، وحذار من التهاون إرادياً مع كلّ ما يمكن أن يؤذي نفوسكم وقد يكون العطب فيها بليغاً. هناك ثلاثة أشياء لا يجوز للإنسان أن يعبث بها: القليل من السُم. القليل من العقائد الكاذبة، والقليل من الخطية. إن خدام المسيح يواصلون عملهم بالمُضْي في توعية الناس من مغبّة الوقوع في التساهل مع هذه النقاط الثلاث حفاظاً على المثابرة في الحقّ.

من عظة بعنوان: **«اللاعصمة لدى الوعاظ»**.

اجتهدوا كي تُثمروا أكثر

«اُثْبُتُوا فِيَّ وَأَنَا فِيكُمْ.
كَمَا أَنَّ الْغُصْنَ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَأْتِيَ بِثَمَرٍ مِنْ ذَاتِهِ إِنْ لَمْ يَثْبُتْ فِي الْكَرْمَةِ،
كَذلِكَ أَنْتُمْ أَيْضًا إِنْ لَمْ تَثْبُتُوا فِيَّ»

(يوحنا ١٥: ٤)

علينا ألّا نكتفي بمقياس متدنّ من القداسة، ولا أيضاً بالقليل من العفّة. لا يجدر بنا أن نفكّر بأنه يكْفينا ذلك على اعتبار أننا حققّنا درجة صغرى من النعمة وأننا أفضل من أن تكون في العالم ولو كانت المسافة مجرّد خطوة واحدة. لم يبذل يسوع نفسَه لأجلنا كي نكون جيلاً نائماً، فالأشجار التي لا تنمو تراوح مكانها؛ كلّا، بل يريدنا الرب أن نكون شعباً خاصّاً في الغيرة والأعمال الصالحة، وبواسل في الحقّ، حارّين في الروح، ولا نعيش فقط لأنفسنا بل لأجل الرب. وبما أننا خَلُصْنا مجاناً يجب أن نعمل بكلّ رغبة غير منتظرين أجْراً في العالم، وكما غفرت خطايانا بدون مقابل، نجتهد أن نعمل بسرور بالغ غير منتظرين مقابلاً لعملنا. حياتنا يجب أن تكون كتاباً مليئاً بالبراهين. وأعمالنا تتحدّث عنّا من نكون «**أَنْتُمْ أَحِبَّائِي إِنْ فَعَلْتُمْ مَا أُوصِيكُمْ بِهِ**» هكذا قال يسوع، (يوحنا ١٥: ١٤).

أخي وأختي، امتحنوا أنفسكم بحذرٍ لئلا يبعدكم عن طريق الرب قلبٌ خادعٌ أو عالمٌ مفَخّخٌ أو شيطان يشتغل فيكم. اجتهدوا لبلوغ ضميرٍ حسّاسٍ؛ وحذار من التراخي تحت غطاء التواضع ولا تفسحوا المجال للإنسان القديم والشيطان أن يُقحم فيكم آثاماً صغاراً، متذكرين وصية الرسول بولس «**اِسْهَرُوا. اثْبُتُوا فِي الإِيمَانِ. كُونُوا رِجَالاً. تَقَوَّوْا**» (١ كورنثوس ١٦: ١٣). إن الذين يتبعون الرب بقلب كامل هم الذين يتبعونه براحةٍ بالغة. كونوا غيارى في ايقاظ عالم نائم. أخوتي أخواتي؛ أقدّم هذه الكلمة المحفّزة بمحبة لأنّي لا أحبُّ أن يكون أحدٌ منكم هو الأصغر في ملكوت السماوات ولا أحبّ أن أرى أحداً منكم كنجمٍ فاقد البريق واللمعان في المجد، ولا أن تخلصوا كما بنار، بل أن تأخذوا مكافأة تامّة ومجازاة عادلة. احفظوا هذا في قلوبكم!

من عظة بعنوان: «**الرب برنا**».

تعاليم المسيح السهلة

«أَجَابَهُمْ يَسُوعُ وَقَالَ:
«تَعْلِيمِي لَيْسَ لِي بَلْ لِلَّذِي أَرْسَلَنِي.»

(يوحنا ٧: ١٦)

فقط تعاليم يسوع ووصاياه لا أكثر ولا أقل دون اقتطاع أو إضافة، وهذه هي نقطة العلّام التي نسْعى إليها وهي نقطة الانطلاق في مسيرة الإيمان. هل يمكننا تطوير تعاليمه؟ هل نحن أكثر حكمة منه؟ هل نفترض أن المسيح ترك وراءه أمراً في غاية الأهمية دون تناوله أو معالجته وتركهُ عُرضة لليد البشرية تعبث فيه؟ هل ندّعي أننا مكلّفون للقيام بترقيعٍ أو رفوٍ وتغييرٍ نحو الأحسن لأيٍّ من فرائضه وتوجيهاته؟ هل يحق لنا عندما نرى الكتاب صامتاً في مكان من الأمكنة أن ننطق نحن عوضاً عنه بطريقة نراعي فيها خصوصية الموضوع ثم نفرضها على أشخاص قد لا يرون ما نحن نرتئي؟ فوق كلِّ شيء حذار من إقحام أية فكرة نراها ضرورية للخلاص والمسيح لم يقل شيئاً عنها أبداً. لدي جوابٌ واحد لمثل هذه الأسئلة وهو، حذار من المباعدة ولو بريئة عن «**البساطة التي في المسيح**»، (٢ كورنثوس ١١: ٣).

الحقُّ الوحيدُ هو أننا عاجزون عن تعظيم المسيح حقّ عظمته باعتباره رأس الكنيسة وسيّد كلّ الفرائض، ناهيك عن كونه المخلّص الوحيد لبني البشر في هذه النقطة تحديداً، كلنا نفشل في واجبنا نحو المسيح، ونعجز عن إدراك سمّو وعظمة ورفعة الملك المجيد الذي هو ابن الله وأن يبْقى ولاؤنا له حصراً غير موزّع على آخرين كما نراه عند البعض، لأنّ المسيح لم يمنح أياً من وظائفه لأحدٍ، هو الألف والياء، البداية والنهاية، رئيس خلاصنا ومكمّله! يا سيّدي يسوع:

ما أتعس الحياة بدونك والأفضل عدم الوجود في الوجود إنْ لم تكن أنت الحاضر في الحياة. لا داعي إلى الولادة إذا كان الموت يعْقبها بدونك! ألف هاوية وجهنم أسهل من أبدية يُمْضيها الانسان من دونك! وهذه الشهادة صادقة.

من عظة بعنوان: «مخاوف **رسولية**».

نصيبك هو المسيح

«نَصِيبِي هُوَ الرَّبُّ، قَالَتْ نَفْسِي، مِنْ أَجْلِ ذلِكَ أَرْجُوهُ»

(مراثي ٣: ٢٤)

أريدكم أن تدركوا طول وعرض نصيبكم في المسيح. وأريدكم أن تستوعبوا الكنز الكامل في المسيح الذي يخوّلكم استعماله. طبعاً أنتم أدركتم أنكم بالطبيعة خطاة وقد أنشأ لكم الله ملجأً للغفران والسلام معه في المسيح. الشكر للرب أنكم سلّمتم حياتكم للمسيح مرّةً وإلى الأبد. لأن رجاءكم حصراً في المسيح ودمه الكريم، ولا رجاء غيره، وقد منحكم برّه وشفاعته ووساطته وحضوره اليومي في حياتكم. المجد للرب لأجل ذلك! وقد بات قلبكم مع صلواتكم من مقدسات الله طوال الحياة. دعني أقول لكم زبدة الكلام: إن التمسك بيسوع واللجوء إليه هو ضمانة الحفظ الأبدي فلن تهلكوا أبداً ولن تُطْرحوا خارجاً ولن تسقطوا أبداً! يقول يسوع لنا كما قال لرسله: «**خرافي لن تهلك إلى الأبد**». نعم أعزائي القرّاء؛ هذا الكلام قاله يسوع وقد قصد يسوع أن نثق بكلّ كلمة يقولها لنا. إنه منزّه عن الكذب ولديه السلطان في السماء وعلى الأرض لصَوْن كلمته، ووعده يشمل المؤمنين كافة من الصغير إلى الكبير «**خرافي لن تهلك أبداً**».

هل ترغب بالحصول على سلام في الحياة؟ إذاً تمسّك بمبدأ يسوع في المثابرة الروحية. ربّما تكون التجارب التي تمتحنك صعبة وقاسية وربما يكون صليبُك ثقيلاً. لكن ثق أن شأن نفسك الخالدة قد تمّت تسويته حسب العهد الأبدي المُرتّب بدقّة وأمانة وبكلّ تأكيد. لأن كلّ الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبّون الله، فكل أحزانك هي مجرّد أداة تطهير لنفسك نحو المجد الأعلى. إن أحزانك لا تجعل منك إلا حجراً كريماً مصقولاً لهيكل السماء المصنوع بدون يدٍ بشرية. فإذا هبّت العاصفة من أية ناحية كانت فإنها تقرّبك خطوة نحو السماء! ومهما كان الجو ملبّداً وصعباً فإنما هو في سبيل إنْضاجك لمخزن الله. فمّاذا عساك تخاف وأمُورك على أحْسن ما يُرام، ومهما حدث فأنت في أمانٍ أبديّ!

من عظة بعنوان: «**الأمان الأبدي من الهلاك**»

املأ فكرك بكلمة الله

«طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي لَمْ يَسْلُكْ فِي مَشُورَةِ الأَشْرَارِ، وَفِي طَرِيقِ الْخُطَاةِ لَمْ يَقِفْ، وَفِي مَجْلِسِ الْمُسْتَهْزِئِينَ لَمْ يَجْلِسْ. لكِنْ فِي نَامُوسِ الرَّبِّ مَسَرَّتُهُ، وَفِي نَامُوسِهِ يَلْهَجُ نَهَارًا وَلَيْلاً. فَيَكُونُ كَشَجَرَةٍ مَغْرُوسَةٍ عِنْدَ مَجَارِي الْمِيَاهِ، الَّتِي تُعْطِي ثَمَرَهَا فِي أَوَانِهِ، وَوَرَقُهَا لاَ يَذْبُلُ. وَكُلُّ مَا يَصْنَعُهُ يَنْجَحُ»

(مزمور ١: ١ – ٣)

إن أمامي وأمامك ضيق وحزن! ولا نحتاج إلى عين نبوية لترى ذلك. أمراض، موت، افتراق، تفريق، ومزعجات وكلّها لا محالة آتية. ما الذي يساندنا في أيام الظلمة وهي كثيرة؟ لا شيء أقدر من نصوص تقتبس من الكتاب المقدس. أنت وأنا بكلّ الاحتمالات يمكننا أن نستلقي أشهراً على فراش المرض. أيام ثقيلة وليال متعبة، جسد متألم وذهن ضعيف، يمكن أن تجعل الحياة حملاً ثقيلاً. وما الذي يدعمنا؟ لا شيء محتمل أن يبهجنا ويؤازرنا أكثر من آيات من الكتاب المقدس. ولي ولك موت نتطلع إليه ونتوقعه. سيكون هنالك أهل نغادرهم، وأصدقاء نتركهم، ومنزل يسلم لآخرين، وأمامنا قبر لنأوي إليه وعالم مجهول ندخله، وبعد هذا كله يوم الدينونة. فما الذي يساندنا ويعزينا عندما تقترب منا اللحظات الأخيرة؟ لا شيء، وأنا أقولها باعتقاد جازم، لا شيء سيكون قادراً على أن يعين قلوبنا في تلك الساعة العصيبة كما تفعل النصوص المباركة الممكن استقاؤها من الكتاب المقدس.

فأريد الناس أن يملؤوا أذهانهم بمقاطع من الكلمة المقدسة بينما هم الآن أصحاء وأقوياء، حتى ينالوا منها شيئاً مساعداً في يوم الحاجة إليها. أريدهم أن يكونوا مجتهدين في دراسة الكتاب المقدس حتى يألفوا محتواها حتى يكون الكتاب القديم العظيم واقفاً إلى جانبهم ويتكلم إليهم عندما يفشل كل الأصدقاء من كل العالم. فابنِ أساسك على صخر يسوع المسيح. صخر الدهور.

من عظة بعنوان: «**كن قانعاً**».

المؤمنون جنة مسيجة

«أُخْتِي الْعَرُوسُ جَنَّةٌ مُغْلَقَةٌ، عَيْنٌ مُقْفَلَةٌ، يَنْبُوعٌ مَخْتُومٌ»

(نشيد الأنشاد ٤: ١٢)

هنالك سياج يحيط بالمؤمنين، وإلا فإنهم لن يخلصوا أبداً. وهذا هو سر سلامتهم. فلا هي أمانتهم ولا قوتهم ولا محبتهم! إنه الجدار حولهم الذي يحميهم من الضلال. إنهم جنة مسيجة. إنهم مسيجون بالاختيار الأبدي من قبل الله. من قبل أن يولدوا، ومن قبل تأسيس العالم، عرفهم الله، واختارهم، وعينهم ليحصلوا على الخلاص بيسوع المسيح. أبناء هذا العالم لا يحبون أن يستمعوا إلى إعلان هذه العقيدة. إنها تجعل الإنسان متواضعاً فلا تترك له مجالاً للتفاخر. لكن سواء كانت مساءة الاستخدام أم لا فإن عقيدة الاختيار هذه صحيحة. إنها حجر الزاوية لأساس المؤمن، أنه مختار في المسيح من قبل بدء العالم. فمن يمكنه أن يقدِّر قوة هذا السياج؟

إنهم مسيجون بمحبة الله الابن. الرب يسوع المسيح هو مخلص كلِّ البشر، ولكنه بشكل خاص مخلص أولئك الذين يؤمنون. له السلطان على كلِّ جسد، ولكنه يعطي الحياة الأبدية بنوع خاص لأولئك الذين أعطوا له بطريقة لا يعطيها لأحد غيرهم. لقد سفك دمه على الصليب عن الجميع، ولكنه يغسل فقط أولئك الذين لهم نصيب فيه. إنه يدعو الجميع ولكنه يحيي من يشاء ويقودهم إلى المجد. وهو يصلي من أجلهم ولا يصلي من أجل العالم. يشفع بهم حتى ينجوا من الشرير ولكي يتقدسوا بالحق، ولكيلا يفشل إيمانهم. فمن يمكنه أن يصف تماماً بركة هذا السياج؟

من يستطيع أن يصف راحة وتعزية جدار السياج الثلاثي هذا! المؤمنون مسيجون بالاختيار ومسيجون بالغسل وبالشفاعة، ومسيجون بالدعوة والولادة الجديدة. عظيم هو هذا السياج الثلاثي الرباط من المحبة حولنا، محبة الله الآب، ومحبة الله الابن، ومحبة الله الروح القدس! له كل المجد والسجود.

من عظة بعنوان: **«جنة الرب»**.

الحاجة إلى مسيحيين متحمسين

«الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا، لِكَيْ يَفْدِيَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ، وَيُطَهِّرَ لِنَفْسِهِ شَعْبًا خَاصًّا غَيُورًا فِي أَعْمَالٍ حَسَنَةٍ»

(تيطس ٢: ١٤)

فليحذر كل من يشهد أنه مسيحي من كبح الحماس. اجتهد في طلبه وتعهده بالعناية وحاول أن تذكي الحرارة في قلبك وقلوب الآخرين إنما لا تكبحه أبداً. احذر من أن تصب الماء البارد على النفوس المتحمسة عندما تجتمع بهم. احذر من أن تقضي في المهد على هذه النعمة الثمينة عندما تبدأ بالانطلاق. فإن كنت من الوالدين فاحذر من كبحها في أولادك وإن كنت زوجاً فاحذر كبحها في زوجتك. وإن كنت أخاً فاحذر كبحها في شقيقاتك وإن كنت راعياً فاحذر كبحها في أعضاء رعيتك. إنها انطلاقة بذار السماء بالذات فاحذر من سحقها، لأجل خاطر المسيح.

الحماس قد يقع في الخطأ. وربما يحتاج إلى توجيه، إلى إرشاد ضبط ونصح. مثل الفيلة في ساحات المعارك قديماً، فقد تلحق الأذى لمن تعمل من جهته. لكن الحماس لا يحتاج إلى التثبيط في عالم قذر بارد فاسد كهذا! ولا خطر في أن يكون الحماس مفرطاً لمجد الله. والله يسامح أولئك الذين يظنون أن هنالك خطر. أنتم تعلمون القليل عن الطبيعة البشرية. وتنسون أن المرض أكثر نقلاً للعدوى من الصحة وأن من الأسهل بكثير التقاط الرشح على سبيل المثال من إضفاء التورد الدال على الصحة. فاعتمد الحماس لأن الكنيسة نادراً ما تحتاج إلى لجام، لكنها غالباً ما تحتاج إلى مهماز. ونادراً ما تحتاج إلى كبح لكنها غالباً ما تحتاج إلى التشجيع. هذا الحماس يجعل الإنسان يكره كل ما يكرهه الله كالسكر والاستعباد أو قتل الأطفال وتجعله يسعى لإزالة هذه الأمور عن وجه الأرض. وتجعله حريصاً على اسم الله ومجده، وأن يغار على شرف الله ومجده، وينظر إلى كل ما يسلبه إياهما على أنه إساءة!

من عظة بعنوان: "**الحماس المسيحي**".

منافع العشاء الرباني

«وَأَخَذَ خُبْزًا وَشَكَرَ وَكَسَّرَ وَأَعْطَاهُمْ قَائِلاً: «هذَا هُوَ جَسَدِي الَّذِي يُبْذَلُ عَنْكُمْ. اصْنَعُوا هذَا لِذِكْرِي»

(لوقا ٢٢: ١٩)

من يأكل الخبز ويشرب الخمر بروح صحيحة سوف يجد نفسه منجذباً إلى شركة أوثق مع المسيح وسوف يشعر بأنه يعرفه أكثر ويفهمه بشكل أفضل.

وهنالك ثلاث نقاط:

١- إن للممارسة الصحيحة للعشاء الرباني تأثير التواضع على النفس. فرؤية الخبز والخمر كرمزين لجسد ودم المسيح يذكرنا كم خاطئة هي الخطية حتى أن لا شيء أقل من موت المسيح ابن الله الوحيد يستطيع أن يصنع الكفاية لها أو يفدينا من ذنبها.

٢- إن للممارسة الصحيحة للعشاء الرباني تأثير مبهج على النفس. فمشهد الخبز المكسور والخمر المسكوب يذكرنا بملء وتمام وكمال خلاصنا! وهذين الرمزين المفعمين بالحيوية يذكرانا كم كان الثمن المؤدى من أجل فدائنا ضخماً وباهظاً. إنهما يؤكدان لنا الحقيقة العظيمة أن ليس لدينا ما نخشاه في الإيمان بالمسيح لأن الدفعة المناسبة للدين الذي علينا قد سددت. ودم المسيح الثمين يرد الجواب عن كل ما يمكن أن يوجه ضدنا. ويمكن لله أن يكون «**... بَارًّا وَيُبَرِّرَ مَنْ هُوَ مِنَ الإِيمَانِ بِيَسُوعَ**» (رومية ٣: ٢٦).

٣- إن للممارسة الصحيحة للعشاء الرباني تأثير مقدِّس على النفس. فالخبز والخمر يذكراننا بعظم وكبر مديونيتنا بالشكر للرب ومدى كلّيَة التزامنا بالعيش لمن مات عن خطايانا. فهما يقولان لنا « تذكروا ما عمله المسيح لأجلكم، واسألوا أنفسكم ما إذا كان هنالك أي شيء أكبر من أن تعملوه لأجله».

هذا وصف موجز للمنافع التي يمكن للمشترك ذي القلب السليم أن يتوقع الحصول عليها من العشاء الرباني. فبالأكل من الخبز والشرب من الكأس تتعمق توبة الإنسان ويزداد إيمانه وتتسع معرفته وتتقوى عادته على العيش المقدس.

من عظة بعنوان: «**العشاء الرباني**»

لا يمكنني أن أستهين بالخطية

«فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا تَأَلَّمَ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ أَجْلِ الْخَطَايَا، الْبَارُّ مِنْ أَجْلِ الأَثَمَةِ، لِكَيْ يُقَرِّبَنَا إِلَى اللهِ، مُمَاتًا فِي الْجَسَدِ وَلكِنْ مُحْيًى فِي الرُّوحِ»

(١ بطرس ٣: ١٨)

هل لي أن أعرف أن الخطيئةَ جسيمةٌ وشنيعةٌ في نظر الله؟ أين أرى ذلك مُتجلِّيًا بكامله؟ هل أعود إلى تاريخ الطوفان، وأقرأ كيف أغرقت الخطية العالم بأسره؟ هل أذهب إلى شواطئ البحر الميت، وألاحظ ما جلبته الخطية على سدوم وعمورة؟ هل ألتفت إلى اليهود التائهين، وألاحظ كيف شتتتهم الخطية على وجه الأرض؟ كلا! ما زلت أستطيع أن أرى برهاناً أوضح! أنظر إلى صليب المسيح. وهناك أرى مدى سواد ولعنة الخطية حتى أن لا شيء يمكن أن يغسلها إلا دم ابن الله الوحيد. هناك أرى أن الخطية قد فصلتني عن صانعي القدوس وأن كل ملائكة السماء لم تستطع أن تصنع سلاماً بيننا. لا شيء يمكن أن يصالحنا ما عدا موت المسيح. إذا أنا استمعت إلى الحديث الحقير للبشر المتكبرين، فقد أتوهَّم أحياناً أن الخطية لم تكن خاطئة جداً! ولكنني لا أستطيع أن أستهين بالخطية عندما أنظر إلى صليب المسيح.

هناك أرى أن عقاباً كاملاً قد تسدد عن كل خطاياي الجسيمة. لعنة ذلك الناموس الذي تجاوزته وتعديت عليه قد هبطت على واحد تألم بدلاً عني. مطالب ذلك الناموس كلها قد سويت. سددت الدفعة عني إلى آخر قرش، فلن أطالَب بشيء منها البتة فيما بعد. أه! يمكن في بعض الأحيان أن أتصور أني كنت أسوأ من أن يغفر لي! وقلبي يهمس أحياناً أنني أشر من أن أخلّص. لكنني أعلم في أفضل أوقاتي أن هذا كله ضعف إيمان أحمق. وأقرأ جواباً لشكوكي في الدم السكيب على صليب الجلجثة. وأشعر بالتأكيد أن هنالك طريق إلى السماء لأخس الناس عندما أنظر إلى الصليب.

من عظة بعنوان: «**صليب المسيح**».

الصليب هو قوة الكرازة

«لأَنِّي لَسْتُ أَسْتَحِي بِإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ،
لأَنَّهُ قُوَّةُ اللهِ لِلْخَلاَصِ لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ: لِلْيَهُودِيِّ أَوَّلاً ثُمَّ لِلْيُونَانِيِّ»

(رومية ١: ١٦)

الصليب هو سر كلّ نجاح الإرسالية. ولا شيء آخر سبق أن حرك قلوب الوثنيين كما فعل الصليب. ما أن رفع ذلك الشعار حتى ازدهرت الإرساليات. هذا هو السلاح الذي كسب كل أنواع القلوب من كل حدب وصوب من المعمورة. غرينلانديون، أفارقة، سكان جزر البحار الجنوبية، هندوس وصينيون، كلهم أحسوا بقوته. فتماماً كذلك الأنبوب الحديدي الضخم الذي يعبر مضيق ميناي يتأثر وينحني تحت أشعة الشمس في مدة نصف ساعة أكثر من أي وزنٍ ميتٍ يمكن وضعه فيه، فإن القلوب القاسية ذابت على نحو مماثل أمام الصليب عندما بدا أن كلَّ حجة أخرى لم تكن لتحركهم.

«أخوتي الأحباء»، قال أحد الهنود الحمر من أميركا الشمالية بعد تحوله إلى المسيحية، «أنا كنت وثنياً وأعرف كيف يفكر الوثنيون. فمرة أتانا مبشر بدأ يشرح لنا أن هنالك إله؛ لكننا طلبنا منه أن يعود إلى المكان الذي أتى منه. ومبشر آخر أتى يطلب منا ألّا نكذب، ولا نسرق، ولا نشرب الخمرة، لكننا لم نلتفت إليه. وأخيراً أتى أحدهم إلى كوخي وقال: «أنا آت إليك باسم رب السماء والأرض. وأرسلني لأخبرك أنه سيجعلك سعيداً ويخلصك من البؤس. ومن أجل ذلك صار إنساناً وقدم حياته فدية وأراق دمه من أجل الخطاة». فلم أستطع أن أنسى كلماته ونقلتها إلى الهنود الآخرين وبدأت اليقظة بيننا.

أقول إذاً، فلنكرز بآلام وموت المسيح، مخلصنا، إن كنا نرغب بأن تحظى كلماتنا بالدخول إلى قلوب الوثنيين. فما كان لإبليس أن يحقق أي نصر كاسح كما يفعل حين يقنع المرسلين في أي مكان بحجب قصة الصليب.

من عظة بعنوان: **«صليب المسيح»**.

شهادة إيماننا

«فَإِذْ لَنَا رَئِيسُ كَهَنَةٍ عَظِيمٌ قَدِ اجْتَازَ السَّمَاوَاتِ، يَسُوعُ ابْنُ اللهِ، فَلْنَتَمَسَّكْ بِالإِقْرَارِ»

(عبرانيين ٤: ١٤)

عندما استخدم بولس الرسول عبارة «**بِالإِقْرَارِ**» كما ورد في ترجمة فانديك البستاني، (وقد أتت على أشكال عدة في ترجمات أخرى: إيماننا، شهادة الإيمان، الإيمان الذي نعترف به) فعلى العموم يمكن أن يكون هنالك شك في المعنى بالضبط، لكن الرسول قصد اعتراف الإيمان العام بالمسيح وإطاعته، ذاك الذي قام به كل إنسان عندما انتمى إلى كنيسة المسيح. ففي أيام الرسل، عندما يترك إنسان الدين اليهودي أو أي دين وثني ويقبل المسيح كمخلص، فإنه يعلن نفسه مسيحياً بأعمال محددة كالمعمودية جهاراً، والالتحاق بالذين سبق أن تعمدوا، وبالتعهد جهاراً بالتخلي عن الوثنية والآثام بأنواعها واعتياد الانضمام إلى جماعة يسوع الناصري في مؤسساتهم الدينية وطرقهم وممارساتهم. هذا ما قصده بولس الرسول عندما كتب قائلاً: «**فَلْنَتَمَسَّكْ بِالإِقْرَارِ**».

فالإقرار في تلك الأيام كان أمراً في غاية الأهمية ويستلزم تبعات جِدّية. وغالباً ما كان الأمر يسبب للإنسان اضطهاداً وخسارة ممتلكات وسجن وحتى الموت أيضاً. وكانت النتيجة أن قلة من الناس اعترفوا بالمسيحية في الكنيسة الأولى ما لم يكونوا جادين تمامًا ومتجددين بحق وحقيق. ولا ريب في أنه كانت هنالك استثناءات. فأناس مثل حنانيا وسفيرة، وسيمون الساحر، وديماس تسللوا خلسة وألحقوا أنفسهم بالتلاميذ. لكن هؤلاء كانوا حالات استثنائية. إنما على وجه العموم، لم يكن من المجدي أن يعتنق إنسان المسيحية إذا لم يكن قلبه بالكامل في اعتراف إيمانه. فالأمر مكلف للغاية ويجلب لصاحبه خطورة مشكلات كثيرة، ولا يأتيه إلا بربح قليل. والنتيجة الكلية كانت أن نسبة الناس المخلصين، ذوي القلب الصادق، والمتجددين في الكنيسة في أيام الرسل كانت أكثر بكثير مما سبق أن كانت عليه في أية فترة أخرى من القرون العشرين التي مضت. لقد كان هنالك معنى عميق جداً في كلمات الرسول بولس عندما قال: «**فَلْنَتَمَسَّكْ بِالإِقْرَارِ**» كما في ترجمة فانديك، أو «**فلنتمسك بإيماننا**» كما في الترجمة المشتركة، أو «**بشهادة الإيمان**» كما في الطبعة الكاثوليكية، وكلها توحي لنا بالمعنى نفسه.

من عظة بعنوان: **«اعتراف إيماننا»**.

هل أنت على استعداد لمجيء المسيح الثاني؟

«لِذلِكَ كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضًا مُسْتَعِدِّينَ، لأَنَّهُ فِي سَاعَةٍ لاَ تَظُنُّونَ يَأْتِي ٱبْنُ الإِنْسَانِ»

(متى ٢٤: ٤٤)

هل أنت على استعداد لمجيء المسيح الثاني؟ سيعود إلى العالم في أحد الأيام. وبقدر تأكيد مجيئه الأول قبل نيف وألفي عام سيأتي بكل تأكيد ثانية. سيأتي ليكافئ كلّ قديسيه الذين آمنوا به وشهدوا له معترفين به على الأرض. سيأتي ليدين كل أعدائه غير المبالين، الآثمين، غير التائبين، وغير المؤمنين. سيأتي فجأة في ساعة لا يتوقعها أي إنسان، كلص في منتصف الليل. سيأتي بجلالٍ عظيم، في مجد أبيه مع الملائكة القديسين. نارٌ مُلتهبةٌ ستُحرق أمامه. وسيقوم الموتى. وستقام الدينونة. وستفتح الأسفار. البعض سيُرفعون إلى العلاء لدخول السماء. وكثيرون، كثيرون جداً سيلقون تحت في جهنم. سيكون زمن التوبة قد فات. والكثيرون سيصيحون أيها الرب أيها الرب افتح لنا، لكنهم سيجدون باب النعمة قد أغلق إلى الأبد. وبعد ذلك لن يكون هنالك تغيير. فعزيزي القارئ إن يأتي المسيح ثانية في هذا العام هل أنت مستعد؟ آه عزيزي القارئ، هذه أسئلة مهيبة. يجب أن تؤدي بك إلى ان تتفحص نفسك. بل يجب أن تحثك على التفكير في الأمر، فمن المريع أن تؤخذ على حين غرة.

لكن هل أتركك هنا؟ لن أفعل ذلك. أأثير فحص القلب ولا أضع أمامكم طريق الحياة؟ لا أفعل ذلك. استمع لي لبضعة دقائق بينما أحاول أن أريك الإنسان المستعد. إنَّ المستعد له مخلص. لديه يسوع المسيح ليعينه على الدوام. وكان قد أفاق على إثمه وهرب إلى يسوع من أجل السلام. فلو أن أحد أولئك الذين يحبهم يتذكر أنَّ يسوع المسيح هو صديق ألصق من أخ له، ومعين لا يموت أبداً. فإن يأتي الرب ثانية فإنه يعرف أن ليس له ما يخشاه. لأن ديّان الجميع سيكون يسوع المسيح الذي غسل ذنوبه!

من عظة بعنوان: «**هل أنت مستعد**».

نار! نار!

«وَكُلُّ مَنْ لَمْ يُوجَدْ مَكْتُوبًا فِي سِفْرِ الْحَيَاةِ طُرِحَ فِي بُحَيْرَةِ النَّارِ»

(رؤيا ٢٠: ١٥)

ما الذي يفترض عمله أولاً إذا ما اندلعت النار في بيت؟ علينا أن نعطي الإنذار ونوقظ سكان المنزل. هذه محبة حقيقية للقريب. فعزيزي القارئ إني أحب نفسك وأريدها أن تخلص. إذاً دعني أخبرك شيئاً عن جهنم. فهنالك بالفعل مكان هو جهنم. هو موجود. فلا تدع أحداً يخدعك بكلام باطل. الناس يبذلون أقصى جهدهم كي لا يصدقوا أو يؤمنوا بما لا يحبون. وعندما سيأتي الرب يسوع المسيح ليدين العالم، سيعاقب كل من ليس تلميذاً له بعقوبة رهيبة.

عقوبة جهنم ستكون أقسى العقوبات. ليس هنالك ألم أكثر من الحرق. وإن كنت ترتاب بهذا الكلام فجرب وضع إصبعك للحظة على لهب شمعة تحترق. النار هي الأكثر تدميراً وتبديداً من كل العناصر. انظر من خلال الفتحة إلى داخل فرن أو أتون متوقد وقل ماذا يبدو هناك. النار هي الأكثر من كل العناصر مقاومة للحياة. يمكن للمخلوقات أن تحيا في الماء أو الهواء أو على الأرض، لكن لا شيء يمكن أن يعيش في النار. وذات يوم ستكون النار من نصيب أضداد المسيح وغير المؤمنين. سيرمون في بحيرة النار المتقدة. وسيكون عقاب جهنم أبدياً. ملايين الأزمنة ستنقضي ولكن النار لن تطفأ ولن تضعف. وقود تلك النار لن تنضب أو تستهلك. إنها نار لا تطفأ.

فيا عزيزي القارئ هذه هي الأمور المحزنة والمؤلمة التي نتكلم عنها. ولا مسرة لي بالمكوث فيها بل أفضِّل أن أردد مع بولس الرسول قوله: «**إِنَّ لِي حُزْنًا عَظِيمًا وَوَجَعًا فِي قَلْبِي لاَ يَنْقَطِعُ**» (رومية ٩: ٢). ولكنها أمور مكتوبة لتعليمنا ومن الصالح لنا أن نتأمل فيها. إنها جزء من ذلك السفر المقدس النافع بكليته، وينبغي سماعها. فبقدر ما يكون موضوع الجحيم مؤلمًا، فهو موضوع لا أجرؤ ولا أستطيع ولا يجب أن أصمت عنه.

من عظة بعنوان: «**نار! نار!**».

التألم مع المسيح

«اَلرُّوحُ نَفْسُهُ أَيضًا يَشْهَدُ لأَرْوَاحِنَا أَنَّنَا أَوْلاَدُ اللهِ. فَإِنْ كُنَّا أَوْلاَدًا فَإِنَّنَا وَرَثَةٌ أَيضًا، وَرَثَةُ اللهِ وَوَارِثُونَ مَعَ الْمَسِيحِ. إِنْ كُنَّا نَتَأَلَّمُ مَعَهُ لِكَيْ نَتَمَجَّدَ أَيضًا مَعَهُ»

(رومية ٨: ١٦ – ١٧)

لكل من أولاد الله صليب يحمله. لهم تجارب ومشكلات وأحزان وبلاوي تعتريهم في سبيل الإنجيل. لهم تجارب من العالم، ولهم تجارب من الجسد وتجارب من الشيطان. لهم تجارب المشاعر من العلاقات والأصدقاء، كلمات قاسية، سلوك غير مهذب، وأحكام جائرة. وهم يواجهون تجارب في أمور الشخصية، والقذف، والتحريف، والسخرية، والتلميح إلى دوافع كاذبة، وكلُّ هذه الأمور تنهال عليهم في كثير من الأحيان بغزارة. كما يواجهون أيضاً تجارب في مسائل المصالح العالمية. وغالباً ما يكون عليهم أن يختاروا ما إذا كانوا يسرون الإنسان ويفقدون المجد أو يكسبون المجد ويغضبون الإنسان. كما لهم أيضاً تجارب يعانونها من قلوبهم بالذات.

البعض منهم يعانون أكثر والبعض أقل. البعض يعانون بطريقة ويعاني غيرهم من غيرها. والله يوزع أنصبتهم كالطبيب الحكيم الذي لا يمكنه أن يخطئ. لكن لم يكن هنالك على ما أعتقد ابن واحد من أبناء الله وصل إلى السماء من غير صليب. فالتألم هو غذاء عائلة الرب. **«لأَنَّ الَّذِي يُحِبُّهُ الرَّبُّ يُؤَدِّبُهُ، وَيَجْلِدُ كُلَّ ابْنٍ يَقْبَلُهُ»** (عبرانيين ١٢: ٦). **«وَلكِنْ إِنْ كُنْتُمْ بِلاَ تَأْدِيبٍ، قَدْ صَارَ الْجَمِيعُ شُرَكَاءَ فِيهِ، فَأَنْتُمْ نُغُولٌ لاَ بَنُونَ»** (عبرانيين ١٢: ٨). **«وَأَنَّهُ بِضِيقَاتٍ كَثِيرَةٍ يَنْبَغِي أَنْ نَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللهِ»** (عبرانيين ١٤: ٢٢). وللمثل نسرد هنا أن أحد ملاك الأراضي الأمراء قال للمطران هاغ لاتيمر إنه لم يسبق أن عانى من أية مشكلة، فأجابه المطران قائلاً «إذاً لا يمكن أن يكون الله هنا».

إذاً فالمعاناة هي جزء من الإجراء الذي يتقدس به أولاد الله. فهم يؤدبون من أجل أن يفطموا عن العالم ويصيروا شركاء قداسة الله. رئيس خلاصهم بالذات قد جعل كاملاً من خلال المعاناة، وهم كذلك الأمر. ولم يكن هنالك قديس عظيم لم يواجه أحزاناً وبلاوي كثيرة جداً.

من عظة بعنوان: **«ورثة الله»**.

نفسك هي كنزك الأثمن

«اَلرَّبُّ يَحْفَظُكَ مِنْ كُلِّ شَرّ. يَحْفَظُ نَفْسَكَ»

(مزمور ١٢١: ٧)

أطلب من كل قارئ أن يدرك سمو ومسؤولية أن يكون للإنسان نفس. نعم، إدراك حقيقة إن في نفسك أعظم كنز قرنه الله بمسؤوليتك. اعلم أن في نفسك لؤلؤة تفوق كلّ ثمن، كل ما عداها من الممتلكات إذا ما قيس بها يبقى تافهاً وخفيفاً كالهواء. الحصان الذي يفوز بالسباق في الحلبات العالمية يجذب انتباه الآلاف من البشر. الرسامون يرسمونه والحفارون ينقشون شبهه ويعود بالمكاسب الوفيرة على إنجازاته. مع هذا فإن أضعف طفل في أسرة رجل عامل أهم بكثير في نظر الله من ذلك الحصان. إن روح ذلك الحيوان تموت ولكن لذلك الطفل نفس خالدة.

قد تكون فقيراً في هذا العالم لكن لك نفس. يمكن أن تكون رقيق الصحة ضعيف الجسد، لكن لك نفس. يمكن ألّا تكون ملكاً أو تكوني ملكة أو يمكن أن تكون أميراً من الأمراء أو زعيماً لكن مع ذلك إن لك نفس. والنفس هي ما يعتبره الله في المقام الأول منا. النفس هي الإنسان. النفس التي في الإنسان هي الجزء الأهم.

ولا أقف هنا لأبرهن أن للبشر نفوس. ولكنني أطلب من كلِّ البشر أن يعيشوا على أنهم يؤمنون بهذا. عيشوا كما لو أنكم تؤمنون أننا لم نوضع في العالم لمجرد أن نغزل القطن أو نزرع القمح أو نذخر الذهب، وإنما «لنمجد الله ونتمتع به إلى الأبد». نقرأ الكتاب المقدس ونتفهم محتواه. نطلب الرب ونلتمسه بالصلاة ونسكب قلوبنا أمامه. أن نذهب إلى أماكن العبادة بانتظام ونسمع الوعظ من الإنجيل. وإن يسألك أحد عن السبب سواء كانت زوجة أو ولد أو صديق ويقول خبرني عما أنت فيه فأجبهم بشجاعة وجرأة كإنسان قائلاً، «أنا أقوم بهذه الأشياء لأن لي نفس».

من عظة بعنوان: **«نفوسنا»**.

ماذا ينفع الإنسان؟

«لأَنَّهُ مَاذَا يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟»

(مرقس ٨: ٣٦)

أيها الأحباء، إنه لبرهان محزن على شر وفساد طبيعتنا أنَّ ربنا يسوع المسيح لا بد وأن يكون قد فكّر بأنه من الضروري أن يستخدم هذه اللغة ويسأل مثل هذا السؤال. لقد كان يعظ شعبه بالذات، أبناء إبراهيم واسحق ويعقوب، الشعب الذي انفرد بامتياز معرفة الإله الحقيقي طيلة الألف وخمسمئة سنة التي مضت. فلم يكن يرشد شعباً وثنياً وإنما كان يتكلم مع بني إسرائيل الذين اختصوا بالتبني والمجد والعهد واستلام الناموس وعبادة الله والمواعيد. ومع هذا يتعامل معهم وكأنهم ما زالوا محتاجين إلى تعلم أولى مبادئ المعرفة الدينية، ويقول لهم متسائلاً: **«لأَنَّهُ مَاذَا يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟»**

لكن الأكثر مدعاة إلى الحزن أيها الأحباء والأكثر باعثاً على الأسى والاستهجان هو أن الآن بعد ألفي عام ونيف من موت المسيح عن البشر، ما زال ضرورياً على خادم الإنجيل أن يلح عليكم بنفس الكلمات بالذات. فمن بالحقيقة كان يظن أنَّ من الممكن أن نضطر إلى تذكيركم بأنَّ الاعتناء بالنفس هو ما يحتاج إليه الجميع؟ الأغنياء بسبب التجارب التي يتعرضون لها، والفقراء بسبب المحن التي تعتريهم، لكبار السن بسبب اقتراب موتهم، للصغار بسبب أن الحياة بكل حماقاتها المسممة متيسرة أمامهم. ولن يكون لديهم موسم أكثر ملاءمة لتذكيركم بأنه على الرغم من أن الناس لديهم قدرات مختلفة ويشغلون مراكز مختلفة هنا على الأرض، إلا أنهم يشتركون في شيء واحد على الأقل هو أن لهم جميعاً نفوساً خالدة، وعليهم أن يقدموا حساباً عن أنفسهم في يوم الدينونة. ومع ذلك، «**اِسْمَعِي أَيَّتُهَا السَّمَاوَاتُ وَأَصْغِي أَيَّتُهَا الأَرْضُ**» (إشعياء ١: ٢) فنحن مجبرون على أن نقول لكم كل هذا أيها المسيحيين!

من عظة بعنوان: «**المكسب والخسارة**».

أترغب بأن تعرف السر؟

«السَّرَائِرُ لِلرَّبِّ إِلهِنَا، وَالْمُعْلَنَاتُ لَنَا وَلِبَنِينَا إِلَى الأَبَدِ، لِنَعْمَلَ بِجَمِيعِ كَلِمَاتِ هذِهِ الشَّرِيعَةِ»

(تثنية ٢٩: ٢٩)

هل ترغب بأن تعرف سر جرأة المؤمن في الصلاة؟ إنه لمن العجب كيف أن الإنسان الذي يشعر بعمق خطيته على قدر ما يشعر المؤمن يستطيع أن يتكلم بالثقة التي يقوم بها من حين لآخر. كيف يستطيع من يعلن نفسه «شقيٌ وبئسٌ وفقيرٌ وأعمى وعريانٌ» (رؤيا ٣: ١٧)، خرب متهدم مفلس مهمل، والذي غالباً ما يعمل ما لا يجب عمله، ويترك ما يجب عمله غير منجز، ولا يجد في نفسه حسن صحة روحية، كيف يمكن لإنسان كهذا أن يقف أمام الله بثقة ويسكب قلبه أمامه بحرية ويطلب منه ما يريد يوماً بعد يوم ولا يشعر بالخوف والخشية. إن هذا لأمر عجيب فعلاً. ما هو السر في ذلك؟ السر يكمن في شفاعة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح إذ يعرف المسيحي الحقيقي أن بتلك الشفاعة ترفع صلواته أمام العرش السماوي وتقبل.

هل ترغب بان تعرف سر العزاء والراحة في التطلع إلى تلك السماء التي يرغب كلُّ مؤمن بالذهاب إليها؟ أعتقد أن هناك قلة من أبناء الله لا يشعرون أحيانًا بالقلق والاضطراب والحزن عندما يفكرون بهدوء في المسكن الأبدي الذي يسافرون نحوه. فطبيعته ونوعه واستخدامه وعدم أهليتهم الظاهر به يربك أذهانهم. فتمر هذه الأفكار أحياناً في أذهان المؤمنين وخاصة في أوقات المرض، فتثقل الأمر عليه وتضعف قلبه. وأنا الآن لا أعرف علاجاً لهذه الأفكار يقارن بتذكر الشفاعة المستمرة للرب المخلص يسوع المسيح. لقد ذهب المسيح إلى السماء ليكون السابق الرائد للناس الذين سيأتون بعده. لقد ذهب «ليعد لهم مكاناً (يوحنا ١٤: ٢)، والمكان الذي ذهب إليه هو المكان يتبعه إليه شعبه الواحد تلو الآخر. وعندما يذهبون إلى هناك، سيجدون كلّ شيء معداً لهم، وفيه سعة للكل، مكاناً لائقاً ملائماً من خلال شفاعة ربهم ومخلصهم.

من عظة بعنوان: «**قدرة المسيح على أن يخلِّص**».

ماذا يعمل المسيح الآن؟

«وَأَمَّا هذَا فَبَعْدَمَا قَدَّمَ عَنِ الْخَطَايَا ذَبِيحَةً وَاحِدَةً،
جَلَسَ إِلَى الأَبَدِ عَنْ يَمِينِ اللهِ،
مُنْتَظِرًا بَعْدَ ذلِكَ حَتَّى تُوضَعَ أَعْدَاؤُهُ مَوْطِئًا لِقَدَمَيْهِ»

(عبرانيين ١٠: ١٢-١٣)

عزيزي القارئ، ما هو الأمر الخاص الذي يقوم به المسيح الآن؟ أعرني انتباهك. إن هذا ليس أمراً تحزيرياً خفيفاً بل يقف جنباً إلى جنب بجانب أساس كل المسيحية المعزية. فتعال وانظر. إن المسيح اليوم في السماء يقوم بمهمة الكاهن التي بدأها على الأرض. أخذ طبيعتنا في ملء الزمان وصار إنساناً من أجل أن يتأهل ليكون الكاهن الذي تحتاجه طبيعتنا. وككاهن قدم جسده ونفسه كذبيحة على الصليب وصنع كفارة كاملة عنا بدمه. وككاهن صعد إلى الأعالي مخترقاً الحجاب ودخل إلى حضرة الله. وككاهن يجلس الآن وسيطاً شفيعاً محامياً عنا إلى يمين العظمة في الأعالي، إلى يمين الله. وما بدأ عمله على الأرض يتابع به الآن في السماء وهذا ما يقوم به يسوع المسيح.

فكيف وبأية واسطة أو طريقة يمارس المسيح وظيفته الكهنوتية؟ هذا موضوع عميق القرار يمكن أن يقال فيه تصريحات طائشة. فعلينا أن نكون حذرين في هذا الأمر الجليل. إن عمل أحد أقانيم الثالوث القدوس المبارك في السماء هو عمل سام عالٍ يفوق مفهوم الإنسان. فالمكان الذي نقف فيه أرض مقدسة. والأمر الذي نتناوله هنا ينبغي أن يكون بالتوقير كتابوت العهد الذي لا يلمس. إنما على كل حال هنالك بعض الأمور المتعلقة بمهمة المسيح الكهنوتية يمكن حتى لأعيننا الضعيفة أن تنظر إليها وقد شاء الله أن تكتب بوضوح في الكتاب المقدس من أجل تعليمنا. وعلى وجه العموم يقول الكتاب المقدس بهذا الموضوع: «**السَّرَائِرُ لِلرَّبِّ إِلهِنَا، وَالْمُعْلَنَاتُ لَنَا وَلِبَنِينَا إِلَى الأَبَدِ، لِنَعْمَلَ بِجَمِيعِ كَلِمَاتِ هذِهِ الشَّرِيعَةِ**» (تثنية ٢٩: ٢٩).

من عظة بعنوان: «**هل لك كاهن؟**»

رجاؤنا

«لأَنَّنَا بِالرَّجَاءِ خَلَصْنَا. وَلكِنَّ الرَّجَاءَ الْمَنْظُورَ لَيْسَ رَجَاءً،
لأَنَّ مَا يَنْظُرُهُ أَحَدٌ كَيْفَ يَرْجُوهُ أَيْضًا؟»

(رومية ٨: ٢٤)

أنا أرجو أو أنا آمل، عبارة شائعة جداً. كل إنسان يمكن أن يقول: أنا أرجو. ولم تستخدم هذه العبارة أكثر مما استخدمت به في نطاق الدين. ولا يوجد شيء أكثر شيوعًا من سماع الناس يطفئون بعض الضغوط الداخلية على الضمير من خلال هذا الشكل المريح من الكلمات «أنا أرجو». «أرجو أن تكون الأمور في النهاية على ما يرام». «أرجو أن أكون إنساناً أفضل في المستقبل». «أرجو أن أصل في النهاية إلى السماء». لكن لماذا يرجون؟ وعلام يبنى رجاؤهم؟ غالباً ما لا يستطيعون أن يجيبوا. وغالباً جداً ما يكون الأمر مجرد عذر لتجنب الموضوع المختلف عليه. يرجون أن يستمروا في العيش. يرجون أن يشيخوا. يرجون أن يموتوا وفي النهاية يجدوا على معظم الغالب أنهم قد ضاعوا إلى الأبد في جهنم!

اطلب انتباهاً جدياً من كلِ من يقرأ هذا الكلام. فالموضوع في غاية العمق من الأهمية. «**لأَنَّنَا بِالرَّجَاءِ خَلَصْنَا**» (رومية ٨: ٢٤). دعونا إذاً نتأكد من أن رجاءنا سليم صحيح. هل لنا رجاء بأن خطايانا قد غفرت، وقلوبنا تجددت، ونفوسنا بسلام مع الله؟ إذاً دعونا نرى أن رجاءنا صالح وحي ولا يبعث على الخجل (راجع: ٢تسالونيكي ٢:١٦؛ ١بطرس ١:٣؛ رومية ٥:٥). ولنتأمل سبلنا. لا نجفل وننفر من الصدق، ومساءلة أنفسنا عن أوضاعها الروحية. فإن كان رجاؤنا صالحاً فإن الامتحان لا يؤثر فيها سلباً. وإن كان رجاؤنا سيئاً فهذا هو الوقت الأمثل لمعرفة ذلك والبحث عن رجاء أفضل.

يسوع المسيح نفسه هو الأساس الصحيح للرجاء الصالح. لأنه هو «**الصَّخْرُ الْكَامِلُ صَنِيعُهُ**» (تثنية ٣٢: ٤) وهو «**... حَجَرًا، حَجَرَ امْتِحَانٍ، حَجَرَ زَاوِيَةٍ كَرِيمًا**» كما نقرأ في (إشعياء ٢٨: ١٦) هو الذي يستطيع أن يحمل كل ثقل نلقيه عليه. وهو فقط الذي يبني و «**الَّذِي يُؤْمِنُ بِهِ لَنْ يُخْزَى**» (١ بطرس ٢: ٦).

من عظة بعنوان: «**رجاؤنا**».

تجري منكم أنهار من الماء الحي

«مَنْ آمَنَ بِي، كَمَا قَالَ الْكِتَابُ، تَجْرِي مِنْ بَطْنِهِ أَنْهَارُ مَاءٍ حَيٍّ»

(يوحنا ٧: ٣٨)

أشك أن هنالك مؤمن لم يكن لأحد أو لآخر نهراً من الماء الحي، أو قناة سرت من خلالها النعمة المخلصة. حتى اللص التائب، مع قصر ما كان له من الحياة بعد توبته، صار مصدر بركة للآلاف من النفوس. بعض المؤمنين هم «أنهار من الماء الحي» وهم أحياء. كلماتهم، أحاديثهم، وعظهم، تعليمهم، كلها وسائل سرت بواسطتها ماء الحياة إلى أقرانهم من الناس. فعلى سبيل المثال، الرسل الذين لم يكتبوا رسائل لكنهم علَّموا بالكلام فقط. وهكذا أيضاً إن جاز التعبير كان لوثر وولايتفيلد وويسلي وآلاف غيرهم الذين يضيق المجال عن ذكرهم بالتفصيل والتخصيص في هذه العجالة.

وبعض المؤمنين يصيرون «أنهار من الماء الحي» بعدما يموتون. جرأتهم في مواجهة ملك الرعب، شجاعتهم في أزمان الآلام، عدم انحرافهم عن أمانتهم للمسيح أو تحريفهم لحق المسيح حتى وهم على عمود المحرقة، سلامهم البادي وهم على حافة القبر، كل هذا جعل الآلاف من الناس يفكرون بالأمر وقاد المئات إلى التوبة والإيمان. وعلى سبيل المثال لا الحصر كان الشهداء الأوائل الذين اضطهدهم الأباطرة الرومان. هكذا كان جون هص، وجيروم الذي من براغ، هكذا كان كرانمر، ورايدلي، ولاتيمير، وهوبير، وشهداء جيش الخلاص وغيرهم الكثير من الشهداء. كان العمل الذي أنجزوه بموتهم، كما عمل شمشون، أكبر مما أنجزوه في حياتهم.

أنا أدعو كلَّ قارئ لهذه الصفحات أن يتذكر وجهة نظر ربنا بهذا الوعد الأكيد ولا ينساها. لا تفكر ولو للحظة واحدة بأن نفسك هي الوحيدة التي ستخلص إن كنت تأتي إلى المسيح بالإيمان وتتبعه. فكر ببركة أن تكون نهراً من الماء الحي للآخرين. من يستطيع أن ينكر أنك قد تكون واسطة إحضار الكثيرين إلى المسيح؟ فعش وافعل وتحدث وصلّي واعمل محتفظاً بهذا الأمر أمام ناظريك.

من عظة بعنوان: « **فليأتِ أياً كان من البشر**»

هل أنت حي في المسيح؟

«لأَنَّهُ كَمَا فِي آدَمَ يَمُوتُ الْجَمِيعُ، هكَذَا فِي الْمَسِيحِ سَيُحْيَا الْجَمِيعُ»

(١ كورنثوس ١٥: ٢٢)

هل أنت حي؟ إذاً تأكد من أنك تبرهن ذلك بأعمالك. كن شاهداً مستقيماً ثابتاً. فلتكن كلماتك وأعمالك وطرقك ونزعاتك كلها شاهدة بالقصة نفسها. كن رسالة للمسيح مكتوبة بوضوح، مخطوطة بأحرف كبيرة جلية يقرأها من يمر بها سريعاً. ولتكن مسيحيتك غير مغلوطة، ولتكن عينك ثابتة، قلبك سليماً، وسيرك صحيحاً بالاستقامة، حتى كل من يراك لا يرتاب فيمن تنتمي إليه، فإن كان الروح القدس هو الذي يذكي فينا النشاط فلا أحد يمكن له أن ينكر أو يرتاب في ذلك. حديثنا يجب أن يعلن بوضوح أننا ممن «**يَطْلُبُونَ وَطَنًا**» (عبرانيين ١١: ١٤). فلا يجب أن يلزم إعلام الناس لأنهم في حال الصورة المرتسمة على نحو سيء سيقولون «هذا هو المسيحي». وليس علينا أن نكون كسولين إلى حد كبير حتى يضطر الناس إلى أن يقتربوا منا ليروا إن كنا على قيد الحياة.

فهل أنت حي ترزق؟ إذاً برهن على ذلك بتحقيق النمو. ودع التغير الداخلي فيك يبدو جلياً واضحاً عاماً بعد عام. ليكن نورك نوراً متزايداً في السطوع ولتكن صورة السيد له المجد فيك ومن خلالك متجددةً، ونامية على نحو أوضح وأدق شهراً بعد شهر. ولا تترك الصورة بادية كالنقش على العملة المعدنية أي أكثر غموضاً وطموساً مع كثرة استخدامها. بل بالأحرى أكثر وضوحاً مع قدم استخدامها، وشبه ملكك بادياً على نحو أكثر كمالاً ودقة.

استيقظ لترى امتيازك، استيقظ ولا تنم فيما بعد، ولا تخبرني عن الجوع والعطش الروحي والفقر طالما أن عرش النعمة منصوب أمامك. بل قل بالأحرى إنك فخور ولن تأتي إليه كفقراء الخطاة. قل بالأحرى إنك كَسِل وأنك لن تتحمل المزيد من الألم. إن عشنا فللرب نعيش وإن متنا فلنمت موت الأبرار. وعندما يأتي الرب يسوع المسيح فلنكن مستعدين و «**لاَ نَخْجَلُ مِنْهُ فِي مَجِيئِهِ**» (١ يوحنا ٢: ٢٨).

من عظة بعنوان: **أحياء أو أموات**».

مفتاح السعادة

«وَفِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ الْعَظِيمِ مِنَ الْعِيدِ وَقَفَ يَسُوعُ وَنَادَى قَائِلاً: «إِنْ عَطِشَ أَحَدٌ فَلْيُقْبِلْ إِلَيَّ وَيَشْرَبْ»

(يوحنا ٧: ٣٧)

مفاتيح الطريق إلى السعادة هي في يدي الرب يسوع المسيح. إنه المعيَّن من الله الآب ليعطي خبز الحياة للجياع وماء الحياة للعطاش. الباب الذي حاول الغنى، والمقام، والعلم كثيراً أن يفتحوه، وقد حاولوا من غير جدوى، جاهز الآن لأن يفتح على مصراعيه لكلِّ مؤمن متواضع مصلي. آه، إن كنت تريد أن تكون سعيداً، تعال إلى المسيح، تعال إليه معترفاً بأنك مرهق من طرقك الخاصة وتبتغي الراحة؛ أنك تجد أن لا قوة ولا عزم لديك لتجعل نفسك مقدساً أو سعيداً أو مؤهلاً للسماء؛ وأن لا رجاء لك إلا به. قل له هذا بدون تحفظ، وهذا هو الحضور إلى المسيح.

تعال إليه، ناشده والتمس منه أن يريك رحمته ويهبك خلاصه، أن يغسلك بكفارة دمه وينزع خطاياك، أن يتحدث بالسلام إلى ضميرك ويشفي نفسك المضطربة. قل له كل هذا بلا تحفظ. هذا هو المجيء إلى يسوع المسيح. لديك كل ما يشجعك على ذلك. الرب يسوع المسيح بنفسه يدعوك. إنه يعلن لك ولكل الآخرين قائلاً: «**تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ. اِحْمِلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ وَتَعَلَّمُوا مِنِّي، لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ، فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ. لأَنَّ نِيرِي هَيِّنٌ وَحِمْلِي خَفِيفٌ**» (متى ١١: ٢٣٨ – ٣٠).

ماذا تنتظر؟ لا تتأخر؛ قد تشعر بعدم الاستحقاقية، وقد تشعر بأنك لم تتب بما يكفي. لكن لا تنتظر ولا تتأخر. تعال إلى المسيح.

من عظة بعنوان: «**السعادة**».

خطايانا الخاصة المحدقة بنا

«قَدْ تَنَاهَى اللَّيْلُ وَتَقَارَبَ النَّهَارُ، فَلْنَخْلَعْ أَعْمَالَ الظُّلْمَةِ وَنَلْبَسْ أَسْلِحَةَ النُّورِ»

(رومية ١٣: ١٢)

هنالك خطايا خاصة لكل مسيحي تحدق به بشكل محدد. ولكلٍّ منا بعض نقاط الضعف؛ لكلٍّ منا مساحة ضعف في جدار دفاعه ضد الشرير. ولكلٍّ منا خائن عهد في معسكره مستعد لأن يفتح الباب للشيطان، والحكيم هو من لا يجد الراحة حتى يكتشف نقطة الضعف في نفسه.

هذه هي تلك الخطية الخاصة التي تنصح هنا لتحذر منها، لتتغلب عليها، لتلقيها بعيداً وألا تدَّخر وسعاً في إخضاعها حتى لا تعود تعيق سباقك لبلوغ السماء. فهنالك من يهاجَم بالشهوة، وآخر بمحبة الشراب، وآخر بالخلق الرديء، وآخر بالحقد أو المكر، وآخر بشهوة ما للغير أو الحسد، أو بالفكر العالمي، وآخر بالكسل والتبطل، لكن في كلٍّ منا نقيصة محدقة به متربصة له يمكن أن تعيق حياته الروحية أكثر بكثير من الآخرين، فينبغي عليه أن يتابع مقاومتها وإلا لن يستطيع متابعة السباق ليحصل على الجعالة.

آه؛ يا لهذه الخطايا الصغيرة المحدقة، كم وقع فيها من الناس فأفسحوا المجال لأعداء الله أن يجدفوا عليه جراء تهاون أولئك الناس، وجراء عدم الحذر منهم، ومن نزوة تافهة، استأثرت بهم في وقت ما. لقد كانوا مسرفين في الثقة بأنفسهم لحد التواقح. لكن ماذا كان السبب البسيط؟ لقد كان أنهم أهملوا تلك الخطايا المحدقة. فقم أيها المؤمن المعتبر ابناً لله وفتش في حنايا فكرك وزوايا قلبك! وانظر إن كنت ترى هناك بذور شر، بعض ما تحب وقد احتفظت به برأفة وحنان لأنه كان في الأصل متناهياً في الصغر. ارمها بعيداً من قلبك وفكرك، إذ لا يجوز أن يكون هنالك رحمة وتهاون أو مساومة في شأنها. بل يجب أن تقتلع من جذورها وتمزق إرباً وترمى بعيداً، وإلا فإنها في يوم من الأيام ستعثرك وتمنعك عن الجري في السباق باتجاه السماء.

إن أبواب السماء من السعة بحيث تستطيع أن تدخل أسوأ الخطاة، ولكنها أضيق من أن تسمح بمرور أصغر حبيبة من بذار الخطية.

من عظة بعنوان: «**السباق المسيحي**».

سماع صوت المسيح

«خَرَافِي تَسْمَعُ صَوْتِي، وَأَنَا أَعْرِفُهَا فَتَتْبَعُنِي»

(يوحنا ١٠: ٢٧)

ما هو سماع صوت المسيح؟ لا يمكن أن يكون سماع الأذن المجرد، لأن الذين يموتون في خطاياهم يسمعون بآذانهم. فيجب أن يكون سماع القلب، والاستماع بانتباه، وتصديق ما يسمع، والعمل بثابت العزم بما يؤمَن به. وأين يمكن أن يُسمع صوت المسيح؟ إنه يهمس أحياناً في ضمير الخاطئ قائلاً «آه، لا تقم بعمل هذه الأمور المقيتة: التفت وعد فلماذا تموت؟» ويتكلم بعض الأحيان بوقار في افتقاد عناية إلهية كمرض أو حادث أو حزن أو موت فيقول بهدوء إنما بوضوح، «قف وفكر، تأمل طرقك، هل أنت مستعد للموت وساعة الحساب؟» ولكن في العموم يسمع الصوت من خلال قراءة الكتاب أو تعليم الإنجيل أو بالوعظ؛ ويمكن أن يسمع صوت الرب يسوع واضحاً ومحدداً، وأحياناً حاداً وقارصاً: «إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك ستهلكون». «ينبغي أن تولدوا من جديد». «استيقظ أيها النائم وقم من الأموات». وفي يوم آخر يكون لطيفاً بالقول وفاتناً جميلاً بلهجة الكلام ومتوسلاً داعياً في المعنى إذ يقول: «تعالوا إلي يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم». «»إن عطش أحد فليقبل إلي ويشرب ماء الحياة مجاناً» بكل هذه الطرق والوسائل يمكن أن يسمع صوت يسوع.

وهنا يأتي التمييز بين المتجدد وغير المتجدد. فالمتجددون يسمعون صوت المسيح، لكن غير المتجددين لا يسمعونه. فخراف المسيح الحقيقية كانت في السابق غبية وغير مطيعة، يتبعون الهوى والشهوة والملذات، مائتون في الذنوب والخطايا، ولكنهم سمعوا صوت فاديهم أخيراً وعندما سمعوا أفاقوا. لم يعرفوا أولاً من الذي دعاهم، ولكنهم سمعوا صوتاً لم يمكنهم أن لا يطيعوه، والآن يمكنهم أن يقولوا لكم أنهم متأكدون أن الصوت كان صوت الرب يسوع. سمعوا صوته وأنصتوا إلى دعوته، وصدقوا وعوده، واعترفوا بأنهم خطاة وبه وجدوا السلام.

من عظة بعنوان: «**شخصية المسيحي الحقيقي**».

القداسة العملانية

«فَإِذْ لَنَا هذِهِ الْمَوَاعِيدُ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ

لِنُطَهِّرْ ذَوَاتِنَا مِنْ كُلِّ دَنَسِ الْجَسَدِ وَالرُّوحِ، مُكَمِّلِينَ الْقَدَاسَةَ فِي خَوْفِ اللهِ»

(٢ كورنثوس ٧: ١)

إن لدي اقتناع جازم من سنوات عدة بأن المسيحيين عموماً غير معتنين على نحو كافٍ بالقداسة العملانية والتكريس الشخصي الكلي لله. فالسياسة أو الجدال والنزاع أو النزعة الحزبية أو العالميات قد استأسرت بالقلب الشفوق في الكثير جداً منا. لقد سقط موضوع الورع والتقى الشخصي بكل أسف في الباحة الخلفية وراء ظهورنا. ويجري غض النظر إلى حد بعيد عن الأهمية الكبيرة لـ: «**(تزيين) تَعْلِيمَ مُخَلِّصِنَا اللهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ**» (تيطس ٢:١٠) بجعله محبباً وجميلاً في عاداتنا اليومية. والناس العالميين يحتجون أحياناً بمنطق أن الناس المتدينين «كما يدعونهم» ليسوا بلطف ووداد وعدم أنانية وصلاح الآخرين الذين لا يتعاطون بأمر الدين. لكن مع ذلك إن التقديس في مكانه ونسبته هو بأهمية التبرير. فالعقيدة البروتستانتية الإنجيلية السليمة لا جدوى منها إن لم تترافق بالحياة المقدسة. بل هي أسوأ من أن توصف بأنها عديمة الجدوى لأنها تسبب أذى إيجابياً. ويعاملها ذوي النظر الثاقب وسليطي اللسان في العالم بازدراء على أنها شيء فارغ ويأتي بالدين إلى الخزي الازدراء.

وعلى كل حال، إن من بالغ الأهمية أن يتوضع الموضوع على أساس صحيح وألا يعرض التحرك فيه إلى عبارات وتصريحات فظة ومتفاوتة وأحادية الجانب. فإن كثرت هذه التصريحات، لا ينبغي أن نفاجأ بما نرى. إن الشيطان يعرف تماماً قوة القداسة الحقيقية، والأذى الهائل الذي تلحقه ازدياد القداسة بمملكته. لذا كان من مصلحته أن يؤازر الكفاح والنزاع حول هذا الجزء من حقيقة الله. تماماً كما نجح في القديم في أن يعمي ويربك أذهان الناس فيما يختص بالتبرير، ولذا تراه عاملاً بجد ونشاط بالعصر الحاضر في أن يعمي أذهان الناس بكلمات من غير معرفة فيما يتعلق بالتقديس. لينتهره الرب.

من كتاب: «**القداسة**».

هل أنتم ناظرون إلى يسوع؟

«نَاظِرِينَ إِلَى رَئِيسِ الإِيمَانِ وَمُكَمِّلِهِ يَسُوعَ، الَّذِي مِنْ أَجْلِ السُّرُورِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَهُ، احْتَمَلَ الصَّلِيبَ مُسْتَهِيناً بِالْخِزْيِ، فَجَلَسَ فِي يَمِينِ عَرْشِ اللهِ»

(عبرانيين ١٢: ٢)

قد يبدو السؤال الوارد في العنوان أعلاه للوهلة الأولى غريباً. فلمن وعلى من ينطبق؟ إن كلمات بولس الرسول التي ترد بعده تقدم مفتاح المعنى. إنه استبيان بخصوص نفوسكم والرب يسوع المسيح. وهو لا يعني أكثر أو أقل من هذا: «هل تنظرون إلى يسوع؟».

«النظر إلى يسوع» تعبير في غاية البساطة. يلفظ ويكتب بسرعة. ليس فيه كلمات عسرة الفهم. لكنه تعبير غني بمحتواه ومليء طافح بغذاء الفكر. إنه وصف موجز لشخصية المسيحي؛ فهو الإنسان الذي ينظر إلى يسوع. وهو سر الجري بنجاح في السباق الذي يؤدي إلى السماء؛ إنه علينا أن ننظر إلى يسوع على الدوام. وهو صورة الآباء البطاركة والأنبياء والرسل والشهداء والآباء القديسين والمصلحين الأفاضل والقديسين في كل مكان وزمان: أنهم كانوا كلهم ناظرين إلى يسوع. إنه لب وجوهر معنى كل قوانين الإيمان والمقالات والاعترافات؛ إنه النظر إلى يسوع. فيا قارئي العزيز، إن كنا نرغب بأن يكون لنا خلاص دعنا نبدأ بطرح هذا السؤال ببساطته على أنفسنا: هل أنا ناظر إلى يسوع؟

قارئي العزيز، ليس هنالك إلا جواب واحد لهذا السؤال. فيجب أن تنظر إلى يسوع بالإيمان. الإيمان الصحيح بالقلب هو ما يذكره بولس الرسول إلى المسيحيين العبرانيين. فالإيمان هو عين نفس المسيحي. فكما رفع موسى الحية النحاسية في البرية ومن نظر إليها من بني إسرائيل آنذاك قد شفي في الحال، هكذا يجب أن تنظر إلى يسوع المسيح بثقة وإيمان ورجاء واتكال وترقّب. وهذا ما قصده بولس الرسول عندما قال: «**نَاظِرِينَ إِلَى رَئِيسِ الإِيمَانِ وَمُكَمِّلِهِ يَسُوعَ**».

من عظة بعنوان: «**هل أنتم ناظرون**».

بعد قليل

«فَإِنِّي أَحْسِبُ أَنَّ آلاَمَ الزَّمَانِ الْحَاضِرِ لاَ تُقَاسُ بِالْمَجْدِ الْعَتِيدِ أَنْ يُسْتَعْلَنَ فِينَا»

(رومية ٨: ١٨)

ما هو إلا قليل من الزمن ويغادر المؤمنون إلى الأبد بأمراض وأسقام! المرضى والمرهقون الذين حزنوا على عدم جدواهم الظاهري للكنيسة، والضعفاء والعجزة الذين لهم الإرادة للعمل لكن ليس لهم القدرة، الواهنون وطريحو الفراش الذين ينتظرون سنين طويلة في غرفهم وقد حفظوا مواقع الخدوش على جدران الغرف الكئيبة، الكل، الكل سيطلقون أحراراً. كل منهم سيكون له جسد ممجد كسيدهم. وما هو إلا زمن قليل ويغادر المؤمنون الحزانى مع دموعهم. وسيشفى تماماً كلّ جرح في قلوبهم. سيجدون أن أولئك الذين ماتوا في الرب لم يفقدوا، ولكن سبق انتقالهم. سيرون أن الحكمة المطلقة قد رتبت أمر كل يتيم رحل وآخر بقي. سيعظمون الرب مع الذين كانوا رفاقهم في البلية ويؤكدون أن الله قد عمل كل شيء حسناً وقادهم بطريقة صحيحة.

وما هو إلا زمن يسير ويشعر المؤمنون أنهم وحيدون. لن يكونوا مشتتين في كل أنحاء الأرض، بعضهم في مكان وآخرون في مكان آخر، ولن يتفجعوا وينوحوا لأنهم لا يرون إلا القليل من الناس ليتحدثوا إليهم كأصدقاء بل قليلون الذين يرافقونهم. سيتحدون بجماعة الكنيسة وصحبة كل المؤمنين من كل اسم وشعب ولسان! سيرون جماعة القديسين الذين لا يحصى عددهم وليس بينهم خاطئ واحد. هوذا وقت قليل وسيرى المؤمنون العاملون أن تعبهم لم يذهب باطلاً. الخدام الذين وعظوا وعلموا وبدى أن ليس هنالك من ثمر قطفوه والمرسلون الذين شهدوا بالإنجيل وعلموه حيث بدى أن لا أحد يصدق ويؤمن، المعلمون الذين سكبوا العلم في أذهان التلاميذ، كلهم، كلهم سيكتشفون أنهم لم يقضوا أوقاتهم سدى! سيجدون أن البذار الذي زرعوه يمكن أن يبزغ وينمو ولو بعد أيام كثيرة، وإن عاجلاً أو آجلاً سيكون هنالك مكسب فيما عملوه.

من عظة بعنوان: «**الأحداث القادمة والواجبات الحالية**».

تيقظ وحاذر الخدع

«وَلكِنَّنِي أَخَافُ أَنَّهُ كَمَا خَدَعَتِ الْحَيَّةُ حَوَّاءَ بِمَكْرِهَا، هكَذَا تُفْسَدُ أَذْهَانُكُمْ عَنِ الْبَسَاطَةِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ»

(٢ كورنثوس ١١: ٣)

إني أوصي كلَّ عضو مخلص في الكنيسة بأن يفتح عينيه على الخطر الذي تقف عليه كنيسته وأن يحذر لئلا تدمَّر جراء الفتور واللامبالاة ومحبة السلام المرضي. والجدال والنزاع أمر بغيض، لكن هنالك أيام يكون فيه عنصراً إيجابياً. السلام أمر ممتاز، لكنه كالذهب الذي يمكن أن يعز الحصول عليه. والوحدة بركة عظيمة لكن لا قيمة لها إن كان ثمنها غض الطرف عن الحقيقة. ومرة أخرى أقول، افتح عينيك وكن متأهباً.

أنا أشجب القنوط والجزع والجبن من صميم قلبي في مثل هذه الحال. وكل ما أقوله هو دعونا نمارس الخشية الصالحة. أنا لا أرى أية ضرورة لمغادرة السفينة القديمة والتخلي عنها لتضيع. إن الأمور على ما تظهره من سوء في الفلك لا تبدو أفضل مما هي خارجه. لكنني أعترض على روح التهاون التي يبدو أنها تختم أعين مسيحيين كثيرين وتعميهم عن الخطر الجسيم المتمثل في قيام ونمو العقائد الزائفة في هذه الأيام. وأحتج أيضاً على المفهوم الشخصي العام المعلن من قبل رجال رفيعي المستوى بأن الوحدة ذات أهمية أكبر من العقيدة الصحيحة، وأن السلام أغلى ثمناً من الحقيقة. فأنا أدعو كل قارئ يحب الكنيسة بالحقيقة إلى أن يميز أخطار الأزمان وأن يقوم بواجبه بشجاعة وهمة في مقاومتهم بعمل متحد وبالصلاة. وليتنا لا ننسى كلمات بولس الرسول «**اِسْهَرُوا. اثْبُتُوا فِي الإِيمَانِ. كُونُوا رِجَالاً. تَقَوَّوْا**» (١كورنثوس ١٦: ١٣). لقد أتانا مصلحو الكنيسة الأفاضل بهذه الحقائق محمولة على أكتافهم ودماؤهم على أكفهم. فليتنا نكون بمنتهى الحذر في ألا نبيعها رخيصة بكسرات من الخبز واليخنة تحت مسميات الوحدة والسلام.

من عظة بعنوان: «**مخاوف رسولية**».

هل أنت غالب العالم

«أَنْتُمْ مِنَ اللهِ أَيُّهَا الأَوْلاَدُ، وَقَدْ غَلَبْتُمُوهُمْ لأَنَّ الَّذِي فِيكُمْ أَعْظَمُ مِنَ الَّذِي فِي الْعَالَمِ»

(١ يوحنا ٤: ٤)

دعوني أبدأ بسؤال. هل أنت غالب العالم أو إن العالم متغلب عليك؟ وهل تعلم كيف تخرج من العالم وتكون منفصلاً عنه، أو إنك ما زلت واقعاً في شركه ومرتبط به؟ فإن كانت لك أية رغبة في أن تخلص فإني أتوسل إليك أن تجيب على هذا السؤال.

إن كنت لا تعرف شيئاً عن الانفصال فأنا أنذرك بكل محبة بأن نفسك في خطر كبير. العالم سيمضي، والذين يتعلقون بالعالم ويفكرون بالعالم وحسب سيمضون معه إلى دمار أبدي. فاستيقظ لترى الخطر المحيق بك قبل أن يفوت الأوان. استيقظ واهرب من الغضب الآتي. إن الوقت مقصر. ونهاية كل شيء قد اقتربت. الظلال تتطاول والشمس على وشك المغيب. وسيأتي ليل حين لا يستطيع أحد أن يعمل. وقريباً سينصب العرش الأبيض العظيم. وتبدأ الدينونة. وستفتح الأسفار. فاستيقظ واخرج من العالم اليوم ما دام نهار.

هوذا وقت قصير ولا يكون هنالك انشغالات عالمية، ولا مسرات عالمية، ولا تحصيل مال للإنفاق ولا مزيد من تناول الطعام واحتساء الشراب والاحتفال والتزين وارتياد المراقص والمسارح وحلبات السباق وتبادل بطاقات الدعوات إلى الحفلات وقضاء الوقت على موائد القمار. ماذا تفعل إن غابت كل هذه الأمور إلى الأبد؟ كيف يمكن أن تكون سعيداً في سماء أبدية الكيان حيث القداسة هي الكل في الكل ولا مكان فيها للعالميات الزائلة؟ آه! تأمل بهذه الأمور وكن حكيماً! استيقظ وحطم السلاسل والأغلال التي ألقاها العالم حولك! استيقظ واهرب من الغضب الآتي.

من عظة بعنوان: «**العالم**».

معرفة اختبارية بيسوع المسيح

«لكِنْ عِنْدِي عَلَيْكَ: أَنَّكَ تَرَكْتَ مَحَبَّتَكَ الأُولَى.
فَاذْكُرْ مِنْ أَيْنَ سَقَطْتَ وَتُبْ، وَاعْمَلِ الأَعْمَالَ الأُولَى،
وَإِلاَّ فَإِنِّي آتِيكَ عَنْ قَرِيبٍ وَأُزَحْزِحُ مَنَارَتَكَ مِنْ مَكَانِهَا، إِنْ لَمْ تَتُبْ»

(رؤيا ٢: ٤ – ٥)

إن كنا نرغب بالنمو في النعمة ويكون لنا المزيد من الرجاء فإن علينا أن نلتمس المزيد من المعرفة الاختبارية بالرب يسوع المسيح، فما أقل ما نعرف عنه. عواطفنا الباردة تجاهه هي شاهد علينا. لو أن أعيننا أكثر انفتاحاً عليه، ما هو، وما يعمله لنا فإننا سنحبه أكثر. فهنالك بعض المسيحيين تبدو أذهانهم منشغلة بعقيدة التقديس واستثناء كل شيء آخر. يستطيعون أن يجادلوا بحرارة إلى أبعد الحدود حول نقاط صغيرة من السلوك. ومع ذلك تراهم فاترين إن لم نقل باردين بخصوص المسيح. إنهم يعيشون بنظامية، ويسلكون بصرامة ويقومون بالكثير. لكنهم في كل هذا الوقت يفقدون رؤية هذه الحقيقة الكبرى التي هي أن لا شيء يقدس أكثر من معرفة الرب يسوع المسيح والشركة معه؛ وهو بذاته يقول: «**اُثْبُتُوا فِيَّ وَأَنَا فِيكُمْ. كَمَا أَنَّ الْغُصْنَ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَأْتِيَ بِثَمَرٍ مِنْ ذَاتِهِ إِنْ لَمْ يَثْبُتْ فِي الْكَرْمَةِ، كَذلِكَ أَنْتُمْ أَيْضًا إِنْ لَمْ تَثْبُتُوا فِيَّ**» (يوحنا ١٥:٤). فيسوع المسيح ينبغي أن يكون ينبوع قداستنا كما هو صخرة إيماننا. هو الكل بالكل.

أنا لا أشك على الإطلاق في أنه غال نفيس على قلوبكم يا من تؤمنون. غال يجب أن يكون بسبب منصبه، وغال بسبب عمله، وغال أيضاً بسبب ما سبق أن عمل. لقد دعانا، ونمانا وغسلنا، وبررنا. وغال يجب أن يكون بسبب ما يعمل الآن فهو يقوينا ويتوسط لنا ويشفع بنا ويترأف ويتعطف ويشفق علينا.

وهو غال بما سيقوم أيضاً وأيضاً بعمله لنا، سيحفظنا إلى المنتهى يقيمنا ويجمعنا عند مجيئه الثاني، ويقدمنا بلا عيب أمام عرش الله، ويهبنا الراحة معه في ملكوته. إنما يا عزيزي القارئ، إن يسوع ينبغي أن يكون بالنسبة لنا أغلى بكثير مما كان عليه قبلاً إذ لا شيء آخر يمكن أن يخلِّص ويسر ويعوض ويقدس النفس الخاطئة. وكلنا في مسيس الحاجة إلى المزيد من المعرفة الاختبارية بالرب يسوع المسيح.

من عظة بعنوان: «**أين أنت**».

الامتياز الرئيسي للمسيحي الحقيقي

«فَإِذْ قَدْ تَبَرَّرْنَا بِالإِيمَانِ لَنَا سَلاَمٌ مَعَ اللهِ بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ»

(رومية ٥: ١)

عندما كتب بولس الرسول رسالته إلى رومية، استخدم خمس كلمات لم يسبق أن استطاع حكماء الوثنيين استخدامها. سقراط وأفلاطون وأرسطو وشيشرون وسينيكا كانوا حكماء. وفي كثير من المواضيع رأوا أوضح مما استطاع أن يراه معظم الناس في أيامنا. كانوا أناساً ذوي عقول جبارة وقدر كبير من الذكاء. لكن لم يستطع أحد منهم أن يقول ما قال الرسول: إن له «**سلام مع الله**».

فعندما استخدم بولس الرسول هذه الكلمات، لم يكن يتكلم عن نفسه فقط وإنما عن كل المسيحيين. والبعض منهم بلا ريب كان له إدراك أوسع لهذا الامتياز من الآخرين. وكل منهم يجد معتقداً سيئاً في داخله يقارع ضد صالحه الروحي يوماً بعد يوم. وكل منهم يجد خصمه الشيطان يلوح بمعارك لا تنتهي مع روحه. وكلهم يجدون أن عليهم أن يحتملوا عداوة العالم. لكن الجميع، على الرغم من ذلك، وإلى مدى قليل أو كثير «لهم سلام مع الله». هذا السلام مع الله هو شعور رصين عقلاني بحس الصداقة مع رب السماء والأرض. ومن يمتلكه يشعر بأن ليس هنالك حاجز وانفصال بينه وبين صانعه القدوس، يفكر فعلاً كأنه تحت نظر كائن كلي النظر وهو نفسه لا يشعر بالخوف رغم كل ذلك. بل يستطيع أن يؤمن إيماناً قاطعاً بأن هذا الكائن الكلي النظر يشاهده على الدوام وهو مع ذلك غير مستاء.

فإن لم يكن لديكم هذا السلام مع الله، فأنتم بالحقيقة فقراء. ليس لديكم ما يدوم، ولا شيء تتقلدونه، لا شيء يمكن لكم أن تحملوه عندما يأتيكم الدور للموت. عرياناً أتى كل منكم إلى الحياة وعرياناً بكل معنى الكلمة يبارحها. قد يحمل جسدكم إلى القبر بمراسم وموكب عظيم، وبخدمة دينية مهيبة تقام إلى جانب التابوت، ويمكن أن يقام نصب تذكاري رخامي مهيب لكم وعلى شرفكم في مكان بارز، لكن بعد كل هذا وذاك، لن تكون إلا جنازة فقيرة إذا ما متم بدون أن يكون لكم سلام مع الله.

من عظة بعنوان: **التبرير**».

الدعوة العليا

«أَيُّهَا الإِخْوَةُ، أَنَا لَسْتُ أَحْسِبُ نَفْسِي أَنِّي قَدْ أَدْرَكْتُ.
وَلكِنِّي أَفْعَلُ شَيْئًا وَاحِدًا: إِذْ أَنَا أَنْسَى مَا هُوَ وَرَاءُ وَأَمْتَدُّ إِلَى مَا هُوَ قُدَّامُ،
أَسْعَى نَحْوَ الْغَرَضِ لأَجْلِ جَعَالَةِ دَعْوَةِ اللهِ الْعُلْيَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ»

(فيلبي ٣: ١٣ – ١٤)

أناشدكم أن تلتصقوا بالرب بكل قلوبكم وأن تسعوا نحو الغرض لأجل جعالة دعوة الله العليا. وأستطيع أن أتفهم جيداً أنكم تجدون طريقاً ضيقاً. هنالك قلة معكم وكثيرون ضدكم. ويبدو أنّ نصيبكم في الحياة قاسياً ووضعكم صعباً. لكن برغم ذلك التصقوا بالرب وهو لن يخذلكم. التصقوا بالرب في غمرة الاضطهاد، التصقوا بالرب برغم أن الناس قد يستهزئون بكم محاولين أن يخجلوكم. التصقوا بالرب برغم أن الصليب قد يكون ثقيلاً والجهاد صعباً. فالمسيح لم يكن خجلاً بكم على صليب الجلجثة، ولذا لا تخجلوا به على الأرض لئلا يخجل بكم أمام أبيه الذي في السماوات. التصقوا بالرب وهو لن يترككم. هنالك الكثير من المزعجات في العالم، سواء في الممتلكات أو العائلات أو البيوت أو الأراضي أو الأحوال الاجتماعية أو غير ذلك. لكن لم يسبق لأي إنسان أن انزعج بالمسيح. ولم يفشل إنسان في رؤية وإدراك أن المسيح هو بالضبط ما يقول عنه الكتاب المقدس بل وألف مرة أكثر مما قيل.

انظروا في الداخل والخارج وإلى الأمام إلى النهاية لتروا أن الأفضل ما زال سيأتي.

الوقت مقصر، النهاية تقترب، أيام العالم الأخيرة قريبة منا. فجاهدوا الجهاد الحسن، تابعوا الكفاح تابعوا العمل تابعوا الصلاة وتابعوا القراءة. اعملوا بجد واجتهاد من أجل ازهار نفوسكم. جاهدوا من أجل ازدهار نفوس الآخرين، اعملوا على أن تصطحبوا معكم آخرين أيضاً إلى السماء وأن تخلّصوا نفوساً بكل الوسائل المتاحة. اعملوا شيئاً بمعونة الله لتجعلوا السماء أكثر امتلاء وجهنم أكثر فراغاً.

من عظة بعنوان: «**نفوسنا**».

أمثلة كتابية عن الصبر

«وَلْنُحَاضِرْ بِالصَّبْرِ فِي الْجِهَادِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَنَا»

(عبرانيين ١٢: ١)

انظر إلى ما يقول الكتاب عن موسى في (عبرانيين ١١: ٢٤-٢٦) «بِالإِيمَانِ مُوسَى **لَمَّا كَبِرَ أَبَى أَنْ يُدْعَى ابْنَ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ، مُفَضِّلاً بِالأَحْرَى أَنْ يُذَلَّ مَعَ شَعْبِ اللهِ عَلَى أَنْ يَكُونَ لَهُ تَمَتُّعٌ وَقْتِيٌّ بِالْخَطِيَّةِ، حَاسِبًا عَارَ الْمَسِيحِ غِنًى أَعْظَمَ مِنْ خَزَائِنِ مِصْرَ، لأَنَّهُ كَانَ يَنْظُرُ إِلَى الْمُجَازَاةِ**»

وانظر إلى أيوب، عندما سمح الله للشيطان بأن يبتليه: «**عُرْيَانًا خَرَجْتُ مِنْ بَطْنِ أُمِّي، وَعُرْيَانًا أَعُودُ إِلَى هُنَاكَ. الرَّبُّ أَعْطَى وَالرَّبُّ أَخَذَ، فَلْيَكُنِ اسْمُ الرَّبِّ مُبَارَكًا**» (أيوب ١: ٢١). قال لزوجته: ماذا تقولين! «**أَالْخَيْرَ نَقْبَلُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَالشَّرَّ لاَ نَقْبَلُ؟**» (أيوب ٢: ١٠).

وانظر إلى داود، الرجل الذي حسب قلب الله. فكم موجة من المضايقات مرت على رأسه وكم عاماً قضى هارباً من وجه الملك شاول. وكم من المحن عانى من عائلته. وانتبه وأنت تقرأ مزاميره كم مرة تطالعك فيها عبارة «انتظر الرب». بذلك يبدو كأنه يعتبر أن هذا الأمر أكبر نعمة يمكن للمسيحي أن يبلغها.

وانظر إلى ربك المبارك بالذات. يقول بطرس: «**لأَنَّكُمْ لِهذَا دُعِيتُمْ. فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا تَأَلَّمَ لأَجْلِنَا، تَارِكًا لَنَا مِثَالاً لِكَيْ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِهِ. الَّذِي لَمْ يَفْعَلْ خَطِيَّةً، وَلاَ وُجِدَ فِي فَمِهِ مَكْرٌ، الَّذِي إِذْ شُتِمَ لَمْ يَكُنْ يَشْتِمُ عِوَضًا، وَإِذْ تَأَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يُهَدِّدُ بَلْ كَانَ يُسَلِّمُ لِمَنْ يَقْضِي بِعَدْلٍ**» (١بطرس ٢: ٢١-٢٣). ويقول بولس الرسول: «**فَتَفَكَّرُوا فِي الَّذِي احْتَمَلَ مِنَ الْخُطَاةِ مُقَاوَمَةً لِنَفْسِهِ مِثْلَ هذِهِ لِئَلاَّ تَكِلُّوا وَتَخُورُوا فِي نُفُوسِكُمْ. لَمْ تُقَاوِمُوا بَعْدُ حَتَّى الدَّمَ مُجَاهِدِينَ ضِدَّ الْخَطِيَّةِ، وَقَدْ نَسِيتُمُ الْوَعْظَ الَّذِي يُخَاطِبُكُمْ كَبَنِينَ: «يَا ابْنِي لاَ تَحْتَقِرْ تَأْدِيبَ الرَّبِّ، وَلاَ تَخُرْ إِذَا وَبَّخَكَ. لأَنَّ الَّذِي يُحِبُّهُ الرَّبُّ يُؤَدِّبُهُ، وَيَجْلِدُ كُلَّ ابْنٍ يَقْبَلُهُ**» (عبرانيين ١٢: ٣-٦).

حسناً إذاً أيها الأحباء، دعونا نقول إنه يجب أن نحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا وإلا لن نصل. اليوم صليب، لكن غداً إكليل. اليوم يوم المعركة لكن غداً يوم الراحة. والذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص يقول السيد الرب يسوع المسيح له كل المجد.

من عظة بعنوان: «**السباق المسيحي**».

تحذيرات محزنة

«انْظُرُوا إِلَى أَنْفُسِكُمْ لِئَلاَّ نُضَيِّعَ مَا عَمِلْنَاهُ، بَلْ نَنَالَ أَجْرًا تَامًّا»

(٢ يوحنا ١: ٨)

لدي كلمة تحذير محزن لبعض من تقع أيديهم على هذه الصفحات. البعض منكم يعلم في صميم قلبه وضميره، وأقول هذا باكياً، أنكم لا تسيرون مع الله. فأنتم يا من أتكلم إليهم الآن تعلمون جيداً أن سبل الله ليست سبلكم، ومع أنكم تعلنون وتدعون أنفسكم مسيحيين فإن قلوبكم ليست مستقيمة في نظره. ليست لديكم بغضة من صميم القلب للخطية. وليس لديكم محبة من صميم القلب لوصايا الله. ليس لديكم بهجة بكلمة الله. ليست لديكم مسرة بصحبة شعب الرب. يوم الرب يوم ضجر وملل لكم. عبادته حمل ثقيل عليكم. فرائضه ليست غالية على قلوبكم. أول وأفضل اهتماماتكم تؤدى لحياة الوقت الحاضر وحسب؛ ولا تولون للحياة الآتية إلا حطام وفتات اهتمامكم. كنوزكم تكنزونها في الأرض لا في السماء. تهتمون بما على الأرض وليس بما فوق. صداقتكم معقودة مع العالم وليس مع الله. فهل يعطي العالم راحة وعزاء في الموت؟ كلا طبعاً! ولكن يسوع يهب هذا. وهل يستطيع العالم أن يعينكم في يوم الدينونة؟ كلا، كلا طبعاً، ولا أحد يمكنه أن يعينكم في هذا الأمر إلا يسوع المسيح بالذات.

العالم الذي تولونه اهتمامكم سيمضي وشهوته وأما الذي يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد. ولكن الله مخلصنا يحبكم. الله لا يريد أن يهلك أحد بل أن الكل يخلصون. واليوم يرسل الله إليكم بفمي رسالة سلام. ارجعوا من الطريق العريض الواسع الذي تسلكون فيه، وتعالوا إلى المسيح ما دام هنالك وقت. اطلبوا الرب ما دام يوجد، تحولوا قبل أن يختم النبع وهو مفتوح الآن على الخطية، قبل أن يغلق باب بيت الآب إلى الأبد ولا يسمح لأحد بعد ذلك بالدخول، وقبل أن تتوقف دعوة الروح والعريس. فكونوا حكماء، وتوبوا وارجعوا.

عزيزي القارئ، لا يمكنك أن تمنع حزني عليك، مع أنك يمكن أن تكون مرتاحاً إلى ما أنت فيه، والله شاهد على أنني أوصلت لك تنبيهاً في هذا اليوم!

من عظة بعنوان: «**الرب برنا**».

هو ليل بكل تأكيد

«قَدْ تَنَاهَى اللَّيْلُ وَتَقَارَبَ النَّهَارُ، فَلْنَخْلَعْ أَعْمَالَ الظُّلْمَةِ وَنَلْبَسْ أَسْلِحَةَ النُّورِ»

(رومية ١٣: ١٢)

دعونا نتأمل بالوضع الحالي للعالم. يسميه بولس الرسول «ليل»، ويقول «قد تناهى الليل». وأنا لا أشك في أن العبارة تبدو غريبة لبعض الناس. فهم يظنون أن من العجب العجاب أن يدعى زمننا الحاضر ليلاً لأنهم يعيشون في زمن الدراسات والعلوم والمدنية والتجارة والحرية والمعرفة. يرون أمامهم أشياء لم يكن أسلافهم يحلمون برؤيتها. السكك الحديدية والمصانع والغاز والكهرباء والآلات البخارية وحتى الذرية والثقافة للجميع إذ باتت الكتب في متناول الجميع. فأنا أعلم كل هذا وأنا شاكر لله.

لكن برغم ذلك أقول، إن العالم ما زال في ليل دامس في الأمور المتعلقة بالله. وأعتقد أن الله ينظر من عليائه إلى كوكبنا هذا وهو في دورانه حول الشمس، ويعتبره مظلماً جداً. وأعتقد أن الملائكة تروح ذهاباً وإياباً وتقدم تقاريرها بما تراه على الأرض وتقريرها الدائم هو أنه «حالك الظلمة». وأنا متأكد أن المؤمنين بربنا يسوع المسيح في كل الأصقاع لهم فكر واحد في هذا الموضوع. ينتحبون ويتنهدون جراء الأشياء البغيضة المحيطة بهم، والعالم يبدو لهم مظلماً.

ألا يسود الظلام في العديد من البلدان المعلن أنها مسيحية؟ ثلثا المعلن أنهم مسيحيون ليسوا على الإيمان السليم. ديانتهم بصراحة ليست كتابية. لقد أضافوا الكثير من الأشياء غير الموجودة في الكتاب المقدس وتخلوا عن الكثير مما يأمر به الكتاب المقدس. ألا تبدو الظلمة واضحة أمام عيني كل مؤمن حقيقي؟ اذهب الآن إلى أية أبرشية تقية ورعة ونظامية في هذه الأيام واسأل أي من أبناء الله المتربين فيها عن عدد المسيحيين الحقيقيين لديهم وما نسبة المتجددين إلى غير المتجددين. وانتبه جيداً إلى الجواب الذي سيعطيك. فأنا أشك في أن تجد أبرشية ثلث أعضائها متجددين. فإن كان هذا هو الحال في الأبرشيات اليانعة ذات الأشجار المغروسة على مجاري المياه فما يمكن أن يكون عليه الحال في الأبرشيات ذات الجفاف الروحي؟ لا شك إنه حال ليل حالك الظلمة.

من عظة بعنوان: «**الأحداث القادمة والواجبات الحالية**».

راحة لنفوسكم

«هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: قِفُوا عَلَى الطُّرُقِ وَانْظُرُوا، وَاسْأَلُوا عَنِ السُّبُلِ الْقَدِيمَةِ: أَيْنَ هُوَ الطَّرِيقُ الصَّالِحُ؟ وَسِيرُوا فِيهِ، فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ. وَلكِنَّهُمْ قَالُوا: لاَ نَسِيرُ فِيهِ!»

(إرميا ٦: ١٦)

«سيروا في السبل القديمة» يقول الرب، « فتجدوا راحة لنفوسكم». أنا لا أشك في أنَّ هذه الكلمات النبوية كانت في ذهن ربنا يسوع المسيح عندما أطلق تلك الدعوة المجيدة التي نردد حكمتها في خدمة الشركة التي نقيمها قائلين، «**تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ**» (متى ١١: ٢٨). على أن أمراً واحداً هو مؤكد على كل حال. فسواء كان في العهد القديم أو الجديد، لا شيء يمكن أن يتمسك به الإنسان أكثر ملاءمة لحاجاته الروحية من الراحة. فسيروا في «السبل القديمة» هو الوعد زهو وعد صادق وستجدون «الراحة».

فليت هذا الأمر لا ينسى إطلاقاً، أن راحة الضمير هو سر احتياج السواد الأعظم من بني البشر. الخطية وشعور الذنب هما جذر وأساس كل إرهاق القلب الذي في العالم. الجنس البشري ليس في راحة لأنهم ليسوا في سلام مع الله. ويشعر الناس غالباً بإثمهم مع أنهم لا يعرفون ما يعنيه ذلك الشعور. فيعرفون فقط أن هنالك شيء خطأ في دواخلهم ولكنهم لا يفهمون السبب. والصرخة الكونية هي: «من يرينا أي خير أو صلاح؟» لكن هنالك جهل كوني مطبق للداء الذي تنطلق من جرائه هذه الصرخة. والمتعبون ومن يحمل الأثقال كثيرون في كل مكان. إنهم جمع غفير وافر نادراً ما يمكن للإنسان أن يحصيه.

والآن نقول إن الراحة من التعب والحمل الثقيل هي إحدى الوعود الرئيسية التي تقدمها كلمة الله للإنسان في كلا العهدين القديم والجديد. « تعالوا إلي» يقول العالم، «وأنا أعطيكم الغنى والمسرات». «تعالوا معي» يقول الشيطان «وأنا أعطيكم العظمة والقوة والحكمة». لكن يسوع المسيح يقول: «**تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ**» ويقول النبي إرميا: «**سيروا في السُّبُلِ الْقَدِيمَةِ، فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ.**»

من عظة بعنوان: «**السبيل الصالح**».

عطية الله إلى العالم

«بِهذَا أُظْهِرَتْ مَحَبَّةُ اللهِ فِينَا: أَنَّ اللهَ قَدْ أَرْسَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ إِلَى الْعَالَمِ لِكَيْ نَحْيَا بِهِ»

(١ يوحنا ٤: ٩)

إنَّ الطريق والحق الموضوع أمامنا بيسوع المسيح ربنا يتطلب اهتماماً خاصاً. سيكون حسناً للكثيرين في أيامنا الحاضرة ممن يتفاخرون بكلمات عن محبة الله أن يبرزوا الطريقة التي يوضَع بها الرب يسوع أمامنا. إن محبة الله تجاه العالم ليست فكرة رحمة غامضة مجردة علينا أن نأخذها على الثقة من غير برهان على أنها صحيحة. إنها محبة قد أظهرت بعطية عظيمة. عطية وضعت أمامنا بشكل واضح ملموس ليس فيه خطأ.

الله الآب لم يرتضِ بالجلوس في السماء من غير عمل بل مجرد مشفقٍ على خليقته الساقطة على الأرض. فأعطى البرهان الأعظم على محبته لنا بعطية لا يعبَّر عنها. هي أنه «**لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ، بَلْ بَذَلَهُ لأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ، كَيْفَ لاَ يَهَبُنَا أَيْضًا مَعَهُ كُلَّ شَيْءٍ؟**» (رومية ٨: ٣٢). هكذا أحبنا حتى بذل ابنه الوحيد الذي هو المسيح! وهذا الأمر هو برهان لمحبة الآب يستحيل إعطاء أعظم منه.

من الذي يمكن له أن يقدِّر عظمة قيمة العطية عندما أعطى ابنه الوحيد للعالم؟ إنه شيء تعجز الكلمات عن التعبير عنه والأذهان عن تصوره وتفهمه وإدراكه.

هنالك أمران لا يحوطهما معادلة للقياس ولا علم بالحساب. الآب أعطانا واحداً لا يقل عن شخصه، هو بالذات وبكونه إله حق وكامل. ابنه الوحيد! فمن يفكر قليلاً بحاجة الإنسان وخطية الإنسان يحسن العمل إذا ما تأمل بمخلِّص الإنسان! فيجب في الحقيقة والواقع أن تفوق الخطية الخاطئ إلى ما فوق العادة عندما يجب أن يحتاج الآب إلى أن يبذل ابنه الوحيد ليكون صديقاً ومخلصاً للخطاة وهم خليقته.

من عظة بعنوان: «**هل تؤمن؟**».

هل أنت خاطئ وضيع أمام الله؟

«فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ قَالَ لَهُمْ: «لاَ يَحْتَاجُ الأَصِحَّاءُ إِلَى طَبِيبٍ بَلِ الْمَرْضَى. لَمْ آتِ لأَدْعُوَ أَبْرَارًا بَلْ خُطَاةً إِلَى التَّوْبَةِ»

(مرقس ٢: ١٧)

إن تقل لي إنك خاطئ وضيع أمام الله، أجيب إنَّ دم المسيح يطهر من كلِّ خطية. وتقول لي أنك خالفت وصايا الله مليون مرة، فأجيبك إنَّ غاية الناموس هي: المسيح للبر لكل من يؤمن. وتقول لي إنَّ لا بر لك، ولن تكون كفؤاً للسماء، فأقدم لك البر الكامل ليسوع المسيح نفسه. كل ما عمله سيعتبر ملكاً لك. وأكرر إنَّك ستكسى بالبر الكامل للرب يسوع المسيح بمثابة ثوب أبيض طاهر يغطي كل خطاياك وتعدياتك، فمن سيتجرأ بعد هذا أن يرفع الصوت عليك؟ ولكنك تقول لي إنَّ لك قلباً بارداً ميتاً شريراً فأجيبك إن كنت تأتي في الحال إلى الرب يسوع المسيح فإنه سيسكب عليك الروح القدس ويعطيك قلباً جديداً وستكون خليقة جديدة.

اليوم بالذات سأضع أمام الأسوأ من بينكم غفراناً وسلاماً وحياةً أبديةً بلا مال ولا ثمن يدفع بالمقابل. لن آمركم بأن تذهبوا وتصيروا قديسين، وأن تعيشوا حياة جديدة قبل أن تتمكوا من استلام البركات. بل أدعوكم إلى أن تعودوا فوراً وأنتم تحملون كل خطاياكم وترموها عند أقدام مخلصكم وستغفر في الحال. وأنا لا أعلم بأن هنالك أية شروط واجبة. أنا لم أرسل إلى واحد دون الآخر. عودوا إلى المسيح يا كل البعيدين، كباراً وصغاراً، عالين أو منخفضين، أغنياء كنتم أم فقراء، ما إذا كنتم نياماً الآن بمحض اللامبالاة والإهمال؛ ما إذا كنتم مجدفين على الحقيقة وبلا إله، وما إذا كنتم تتكلمون بالرياء خادعين أنفسكم، أو تتمسكون ببر ذاتي محدد كفريسيين شكليين طقوسيين أو مستمعين بقلب بارد مهملين الحق، أو مرتدين عن طريق الحق، عودوا إلى يسوع فأنا اناشدكم أن تفعلوا لأنه هو الذي قدم لكم الفداء بدمه على الصليب.

من عظة بعنوان: «**نعمة الله بلا جدوى**».

نصيحة

«وَكُلُّ مَا عَمِلْتُمْ بِقَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ، فَاعْمَلُوا الْكُلَّ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ، شَاكِرِينَ اللهَ وَالآبَ بِهِ»

(كولوسي ٣: ١٧)

عيشوا حياة مقدسة أيها الأخوة والأخوات. اسلكوا بما يليق بالكنيسة التي تنتمون إليها. عيشوا كمواطني السماء، رعية الرب يسوع المسيح. ليضيء نوركم هكذا قدام الناس ليستفيد العالم ويستنيروا بسلوككم. فليعلموا لمن أنتم ومن تعبدون. كونوا رسائل المسيح مقروئين ومعروفين من قبل الجميع، رسائل مكتوبة بوضوح بحيث لا أحد يستطيع القول: «لسنا ندري إن كانوا أعضاء في المسيح أم لا». عيشوا حياة الشجاعة يا أخوتي واعترفوا بالمسيح أمام الناس.

وكائن ما يكون المركز الذي تشغلونه، أعلنوا اعترافكم بالمسيح في ذلك المكان، فلماذا تستحون به؟ فهو لم يستحِ بكم على الصليب. وهو مستعد أن يعترف بكم الآن أمام أبيه الذي في السماوات. اثبتوا، كونوا رجالاً تقووا. الجندي الصالح لا يخجل بزيه العسكري والمؤمن الحقيقي لا ينبغي أن يخجل بالمسيح.

عيشوا حياة الفرح يا أخوتي. عيشوا كأناس يتطلعون إلى الرجاء المبارك الذي هو المجيء الثاني للمسيح. وهذا هو التوقع الذي يجب أن نتطلع إليه. فالأمر المطلوب أن يملأ أذهاننا ليس موضوع الذهاب إلى السماء بقدر ما هو أن تأتي السماء إلينا. هنالك زمن خير آت إلى كل شعب الله، زمن خير لكل كنيسة المسيح، لكل المؤمنين. لكن هنالك زمن سوء لغير التائبين وغير المؤمنين، الذين يعبدون شهواتهم ويولون ظهورهم للرب، لكنها أيام خير للمسيحيين الحقيقيين. فلننتظر تلك الأيام ولنسهر ونصلي. قريباً ستوضع المنصات وسيؤتى بالحجر الأخير وسيوضع حجر الغلق في مكانه من قوس الصرح. وعما قليل سيظهر جمال البناء وسيحضر البنّاء العظيم بنفسه. وسيعرض البناء الخالي من كل عيب ونقص على الكون بأسره وسيبتهج المخلص والمخلصون معاً وسيعترف الكون كله أن بناء كنيسة المسيح قد أكمل بأجود وأكمل ما يمكن أن يكون.

من عظة بعنوان: «**الكنيسة الحقيقية**».

أفكار عن الروح القدس

«ثُمَّ بِمَا أَنَّكُمْ أَبْنَاءٌ، أَرْسَلَ اللهُ رُوحَ ابْنِهِ
إِلَى قُلُوبِكُمْ صَارِخًا: «يَا أَبَا الآبُ»

(غلاطية ٤: ٦)

نقول من ناحية أولى، كونوا شاكرين للروح القدس. من جعلكم تختلفون؟ من أين أتت هذه المشاعر إلى قلوبكم بأن الآلاف من حولكم لا يعلمون وأنتم بأنفسكم لم تعلموا قبلاً؟ ولمن تدينون بشعور الخطية ذاك وبذلك الانجرار إلى المسيح وذلك الجوع والعطش إلى البر وإلى ذلك التذوق للكتاب المقدس والصلاة التي مع كل شكوككم وضعفاتكم تجدونها في أنفسكم؟ هل أتت كل هذه من الطبيعة؟ كلا... هل تعلمتم هذه الأشياء في مدارس هذا العالم؟ كلا... بل كلها من النعمة. النعمة غرستها، والنعمة سقتها، والنعمة بدأتها والنعمة حفظتها. تعلموا أن تكونوا شاكرين أكثر، مجدوا الله أكثر كل يوم. مجدوه في سريرتكم ومجدوه في العلن، مجدوه في عائلاتكم وأكثر من كل شيء مجدوه في قلوبكم. بهذه الطريقة تكونون منسجمين ومتأهبين للسماء. وهنالك سيكون النشيد: «ماذا صنع الله؟».

وشيء آخر نقوله، كونوا ممتلئين بالروح. اطلبوا أن تكونوا تحت أمرته بتأثيره المبارك أكثر وأكثر. اعملوا على أن يؤتى بكل فكر لكم وكل كلمة وكل عمل تقومون به وكل عادة تمارسونها إلى طاعة وإرشاد الروح القدس. ولا تحزنوه بالتناقضات والتكيف مع العالم. لا تطفئوه بالترهات من النقائص الصغيرة والخطايا المزعجة. التمسوا بالأحرى أن تجعلوه مالكاً حاكماً عليكم بالأكمل طيلة حياتكم. وصلّوا من اجل أن تزدادوا نمواً في كل عام بنعمة ومعرفة المسيح. وهذه هي الوسيلة لصنع الخير للعالم. المسيحي البارز هو منارة يراه الآخرون إذ هو يعمل الخير لعشرات الآلاف ممن لم يسبق له أن تعرّف بهم. وبهذه الطريقة تنعمون بالكثير من العزاء والراحة الداخلية في هذا العالم، ويكون لكم ضمان أكيد في الموت بأن تتركوا خلفكم دليلاً أوسع انتشاراً وتنالون في الأخير إكليلاًعظيماً.

من عظة بعنوان: «**امتلاك الروح**».

دم واحد

«وَصَنَعَ مِنْ دَمٍ وَاحِدٍ كُلَّ أُمَّةٍ مِنَ النَّاسِ
يَسْكُنُونَ عَلَى كُلِّ وَجْهِ الأَرْضِ،
وَحَتَمَ بِالأَوْقَاتِ الْمُعَيَّنَةِ وَبِحُدُودِ مَسْكَنِهِمْ»

(أعمال ١٧: ٢٦)

كلنا مصنوعون من دم واحد. إذاً فحساب الكتاب المقدس لأصل الإنسان صحيح. وسفر التكوين صحيح. عائلة الجنس البشري بكليتها بآلاف ملايينها تتحدر من زوج واحد، من آدم وحواء. إنها حقيقة متواضعة بلا شك ولكنها صحيحة. الملوك ورعاياهم، الأغنياء والفقراء، المتعلمون والجهلة، الأمير والمسكين، المتقدم في الحضارة والمتخلف، الكل، كلهم يمكن متابعة نسبهم إن كان يمكن متابعتها بالرجوع لستين قرن مضت، إلى رجل وامرأة واحدة لا غير. ولا شك في مقدار مدة الستة آلاف سنة، وقد نشأت خلال هذه الفترة بالتدريج والتطور تشكيلة اثنية واسعة فالأقاليم الحارة والباردة تركت آثاراً في الألوان والخصوصيات الفيزيائية للأمم. ثم إن الحضارات المدنية أنتجت تأثيرها على العادات، وسلوك التصرف والبلوغ العقلاني للسكان في مختلف أنحاء الكرة الأرضية. فالقصة التي كتبها موسى صحيحة، وكل سكان أوروبا وآسيا وإفريقيا وأمريكا قد تحدروا في الأصل من آدم وحواء وكلنا «مصنوعون من دم واحد».

كلنا مولودون من دم واحد كلنا نحتاج إلى الاغتسال. ونحن مرتبطون بكل المشاركين بدم آدم الواحد إن كنا نحب الحياة، وأن نكون محسنين شفوقين محبين ولطفاء ذوي حنان. إن الوقت مقصر. نحن ذاهبون. ذاهبون قريباً إلى عالم ليس فيه شر نبلغه ولا مجال لعمل الرحمة. إذاً فمن أجل خاطر الرب يسوع المسيح دعونا نقوم بأعمال حسنة قبل أن نموت وأن نقلل الأحزان ما أمكننا ذلك في هذا العالم المثقل بالخطية.

من عظة بعنوان: «**دم واحد**».

الله دائم الترقب

«إِذَا اخْتَبَأَ إِنْسَانٌ فِي أَمَاكِنَ مُسْتَتِرَةٍ أَفَمَا أَرَاهُ أَنَا، يَقُولُ الرَّبُّ؟ أَمَا أَمْلأُ أَنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ، يَقُولُ الرَّبُّ؟»

(إرميا ٢٣: ٢٤)

برغم الصعوبة في إدراك هذه العقيدة، فهي الأكثر نفعاً وإفادة لصحة نفوسنا. فأن نُبقي في أذهاننا أنّ الله دائم الوجود معنا؛ وأن نعيش دوماً تحت نظر الله؛ وأن نعمل ونتكلم ونفكر كما لو أننا قبالة عينيه؛ كل هذه الأمور تحسب على نحو واضح بارز أن لها تأثير صالح على نفوسنا. وفيما يلي ثلاث أفكار:

١- إن فكرة حضور الله هي دعوة صريحة إلى التواضع. فكم يمكن أن ترى العين الفاحصة في كلٍّ منا من الشر والخلل؟! نقول ما أقل ما يعرفه الإنسان عن حقيقة شخصه! «**لأَنَّ الإِنْسَانَ يَنْظُرُ إِلَى الْعَيْنَيْنِ، وَأَمَّا الرَّبُّ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى الْقَلْبِ**» (١صموئيل ١٦: ٧). الإنسان لا يرانا دائماً ولكن الرب دائم النظر إلينا، صباحاً وظهراً ومساء!

٢- إن فكرة حضور الله هي تحققٌ وكبحٌ ضابطٌ للنزعة إلى الخطية. فتذكر أنَّ هنالك واحد دائم القرب إلينا ومراقب لنا، والذي يمكن أن تكون له تصفية حساب مع كل البشر، تصفية حساب يمكن أن تبقينا بعيدين عن الشر. فما أسعد أولئك الأبناء والبنات الذين يغادرون منزلهم العائلي متجهين إلى العالم وهم يحملون معهم الذكرى الثابتة لعين الله.

٣- إن فكرة حضور الله هي منخس منبه لاتباع القداسة الحقيقية. إن أعلى مستوى من التقديس هو السير مع الله كما فعل أخنوخ، والسير أمام الله كما فعل إبراهيم، فأين هو الإنسان الذي لا يعمل جاهداً على إرضاء الله إن هو أدرك أن الله كان ملازماً له ودائم الإمساك بمرفقه. والتهرب من الله هو الهدف الخفي للخاطئ. والاقتراب من الله يبقى الرغبة التواقة للقديس المؤمن. وإن خدام الرب الحقيقيين هم «**الشَّعْبِ الْقَرِيبِ إِلَيْهِ**» (مزمور ١٤٨: ١٤)!

من عظة بعنوان: «**الحضور الحقيقي**».

يجمع قمحه

«الَّذِي رَفْشُهُ فِي يَدِهِ، وَسَيُنَقِّي بَيْدَرَهُ، وَيَجْمَعُ قَمْحَهُ إِلَى الْمَخْزَنِ، وَأَمَّا التِّبْنُ فَيُحْرِقُهُ بِنَارٍ لاَ تُطْفَأُ»

(متى ٣: ١٢)

عندما يعود الرب يسوع المسيح ثانية سيجمع المؤمنين به إلى دار الأمان. سيرسل ملائكته ويجمعهم من كلِّ حدب وصوب. البحر سيسلم الأموات الذين فيه وكذلك القبور تسلم الأموات الذين فيها (رؤيا ٢٠: ١٣) ويتغير الأحياء. ولن يُغفَل في هذا الاجتماع عن أي خاطئ كان قد ألقى رجاءه على المسيح. لن تنقص أية حبة قمح أو تترك خارجاً عندما تقع الدينونة على أشرار العالم. وستكون هنالك مخازن آمنة لقمح الأرض كافة، وإليها سيجمع كل المحصول الجيد.

فعزيزي القارئ، كم حلوة ومعزية فكرة أن الله يعتني بالبررة. لكن كم أو إلى أي حد يعتني بهم، أخشى أنَّ هذا الأمر قليلاً ما يعرف أو يرى بجلاء. إن لهم تجاربهم الكثيرة. الجسد ضعيف، والعالم مليء بالأحابيل والأشراك والصليب ثقيل الحمل والطريق ضيق والرفاق قليلون. إنما ما زال لديهم تعزيات قوية إذا هم فتحوا أعينهم ليروها. كأمر هاجر على سبيل المثال، كان نبع الماء بالقرب منهم حتى وهم في القفر، ومع ذلك لم يكتشفوه. وكمريم إذ كان يسوع واقفاً إلى جانبهم في الحقل بالقرب من القبر الفارغ ولم يلاحظوا ذلك ربما بسبب ما كانوا يذرفون من الدموع. وأقول ثانية تعزوا إن كنتم بالفعل قد أتيتم إلى المسيح. وأقول تعزوا وخذوا فرصتكم المميزة بوجود المسيح. ألقوا عليه كل هم واعرضوا عليه كل حاجة لكم. ألقوا كل حمل على يسوع، خطاياكم، عدم إيمانكم، وشكوككم ومخاوفكم وكل قلق لديكم من أي نوع كان. اطرحوها كلها على يسوع لأن هذا يسره ويحب أن تعتبروه كاهنكم الأعظم لأن من دواعي محبته أن يكون شاغلاً مكان ثقتكم المؤكدة. ويحب يسوع أن يرى جماعته وقد توقفوا عن اتباع ما لا جدوى من بذل الجهد في سبيله بحمل أثقالهم بأنفسهم.

من عظة بعنوان: «**الفصل الكبير**».

لا منزل كيسوع

«لأَنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّهُ إِنْ نُقِضَ بَيْتُ خَيْمَتِنَا الأَرْضِيُّ،
فَلَنَا فِي السَّمَاوَاتِ بِنَاءٌ مِنَ اللهِ، بَيْتٌ غَيْرُ مَصْنُوعٍ بِيَدٍ، أَبَدِيٌّ»

(٢ كورنثوس ٥: ١)

سأريكم ما هو يسوع، حتى في هذه الحياة، بالنسبة للمسيحيين الحقيقيين. السماء، بلا ريب، هي المنزل النهائي الذي سيسكنه المسيحي الحقيقي إلى الأبد. فهو يرحل يومياً بهذا الاتجاه ويقترب منها أكثر كل يوم. شخص الإنسان بالجسد والروح متحدان ثانية ومتجددان ومجمّلان ومكملان يعيش في بيت الآب العظيم في السماء إلى الأبد. ولم نأت بعد إلى ذلك اليوم. فنحن لسنا بعد في السماء. ولكن أليس هنالك من منزل في هذه الأثناء لأنفسنا؟ أليس هنالك مسكن روحي يمكننا أن نركن إليه في هذا العالم، ونجد فيه سلاماً؟ شكراً لله إذ لا صعوبة في إيجاد الجواب لهذا التساؤل. فهنالك منزل مؤمَّن لكل المتعبين والثقيلي الأحمال، وذلك المنزل هو المسيح.

فللمسيحي الحقيقي، في وسط عالم ميِّت متغير مخيب ومحبط، هنالك دائماً شيء لا يمكن لأي قوة في الكون أن تنزعه منه. لديه في الصباح والظهيرة والمساء ملجأ بالقرب منه، بيت حي لنفسه. يمكن أن تحرمه، أن تسلب منه الحياة والحرية والمال؛ ويمكنك أن تسلبه الصحة والأطيان والمسكن والأصدقاء. لكن فلتفعل ما تشاء، لا يمكنك أن تسلبه منزله. كأولئك المتواضعين من مخلوقات الله الذين يحملون أصدافهم على ظهورهم حيثما يكونون، هكذا المسيحي يحمل منزله حيثما يذهب!

لا منزل كالمسيح! فيه متسع للجميع، من كل الأجناس. ليس هنالك أضياف غير مرحب بهم ولا يرفض منهم أحد أو يطرد. الباب مفتوح دوماً وأبداً فلا يقفل. أفضل ثوب وعجل مسمن وخاتم وحذاء كلها جاهزة دوماً لمن يأتي. لا يرفض أحد ولا يطرد أحد. لا منزل كالمسيح فيه رحمة لا متناهية للجميع وما أن تقام الشركة معه تبقى ثابتة ولا تفصم أبداً. وما أن تنضم إلى الرب بالإيمان تبقى متحداً به إلى أبدية لا نهاية لها.

من عظة بعنوان: «**منزلنا**».

إهمال الصلاة يؤدي إلى الارتداد

«اِسْهَرُوا وَصَلُّوا لِئَلاَّ تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ.
أَمَّا الرُّوحُ فَنَشِيطٌ وَأَمَّا الْجَسَدُ فَضَعِيفٌ»

(متى ٢٦: ٤١)

هنالك شيء بمثابة التراجع في الدين بعد أن يكون المؤمن قد أبلى بلاء حسناً. قد يسير الناس سيراً نشطاً لفترة، كالغلاطيين، ثم يتحولون نحو معلمين كذبة. والناس قد يشهدون بصوت مرتفع إذ تكون مشاعرهم دافئة، كما فعل بطرس، ثم في ساعة التجربة ينكرون سيدهم. وقد يترك الناس محبتهم الأولى كما فعل أهل أفسس. وبعض الناس قد يبرد حماسهم لعمل الخير، كيوحنا مرقس، رفيق بولس الرسول. وأناس قد يتبعون رسولاً لفترة ثم كما عمل ديماس ويعودون إلى العالم. كل هذه الأمور يمكن أن يقوم بها الناس.

إنه لأمر مؤسف بائس، أن يصير إنسان مرتداً فمن بين كل الأشياء غير المسرة التي يمكن أن تصيب الإنسان، أفترض أن هذه هي الأسوأ. سفينة جانحة، نسر مهيض الجناح، روضة تكسوها الأعشاب الضارة، قيثارة بلا أوتار، كنيسة بالخراب، كل هذه مشاهد حزينة إنما المرتد يبقى الأكثر داع إلى الحزن والأسف. إنه ذو ضمير جريح، وذهن مريض من نفسه، وذاكرة ملأى بتأنيب النفس، وقلب مطعون بسهام الرب، وروح منكسرة بالاتهامات الداخلية، وكل هذه وتلك لا تعدو كونها من نكهة ومذاق الجحيم. إنها الجحيم على الأرض. وفي هذا يصدق قول ذلك الحكيم في الأمثال: «**اَلْمُرْتَدُّ فِي الْقَلْبِ يَشْبَعُ مِنْ طُرُقِهِ، وَالرَّجُلُ الصَّالِحُ مِمَّا عِنْدَهُ**» (أمثال ١٤: ١٤).

والآن ما هي قضية معظم المرتدين؟ أنا أعتقد كقاعدة عامة إن أحد الأسباب الرئيسية هو إهمال الصلاة الخاصة. وبالطبع إن سجل النكسات لا يُعرف إلا في اليوم الأخير. إنما أنا أستطيع فقط أن أعطي رأيي كخادم للمسيح. وأكرر بوضوح من غير ريب أن الارتداد يبدأ أولاً بوجه العموم جراء إهمال الصلاة الخاصة.

من عظة بعنوان: «**دعوة للصلاة**».

المحبة هي النعمة الأعظم

«أَمَّا الآنَ فَيَثْبُتُ: الإِيمَانُ وَالرَّجَاءُ وَالْمَحَبَّةُ، هذِهِ الثَّلاَثَةُ وَلكِنَّ أَعْظَمَهُنَّ الْمَحَبَّةُ»

(١ كورنثوس ١٣: ١٣)

السبب في القول إن المحبة هي الأعظم من بين النعم الثلاث الأعظم يبدو لي واضحاً جلياً وبسيطاً. فدعوني أبين ماهية هذه النعم الثلاث. إن المحبة تدعى الأعظم من بين هذه النعم الثلاث لأنها هي التي يظهر فيها التماثل بين المؤمن وإلهه. الله لا يحتاج إلى الإيمان. فهو لا يتكل على أحد. ليس هنالك أعظم منه ليضع الثقة فيه. والله لا يحتاج إلى الرجاء لأن كل الأمور لديه يقينية مؤكدة سواء كانت ماضياً أو حاضراً أو مستقبلاً. ولكن الله محبة، وبقدر ما يكون لدى شعبه من المحبة يكونون أشبه بأبيهم الذي في السماوات.

والمحبة من ناحية أخرى تدعى أعظم النعم لأنها الأكثر فائدة للآخرين. الإيمان والرجاء بلا ريب عزيزان أثيران غاليان ولهما فائدة قصوى ونفع مزيد للمؤمن. فالإيمان يوحد النفس بالمسيح ويجلب السلام مع الله ويفتح الطريق إلى السماء. والرجاء يملأ النفس بالأمل الذي لا يثمَّن بما سيأتي، ومن بين إحباطات ما يرى من الأمور يعزي برؤيا الأشياء غير المرئية.

أما المحبة أخيراً لا آخراً فهي أعظم النعم لأنها هي التي تتحمل إلى الحد الأقصى وفي الواقع لن تموت. الإيمان سيبطل في يوم من الأيام بالعيان والرجاء بالحقيقة. ستبطل وظيفتهما في صباح القيامة، وكالروزنامة العتيقة يوضعان جانباً. ولكن المحبة تستمر في الحياة خلال الأجيال التي لا نهاية لها في الأبدية! وستكون السماء مقر المحبة الدائم. وسيكون سكان السماء مملوئين بالمحبة. إنه شعور مشترك بين قلوبهم جميعاً، وذلك سيكون المحبة!

من عظة بعنوان: «**المحبة المسيحية**».

حيث لا حزن

«وَسَيَمْسَحُ اللهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ، وَالْمَوْتُ لاَ يَكُونُ فِي مَا بَعْدُ، وَلاَ يَكُونُ حُزْنٌ وَلاَ صُرَاخٌ وَلاَ وَجَعٌ فِي مَا بَعْدُ، لأَنَّ الأُمُورَ الأُولَى قَدْ مَضَتْ»

(رؤيا ٢١: ٤)

أيها الأخوة الأحباء، فكروا بمسكن أبدي ليس فيه حزن. من منا على الأرض لا يعرف الأحزان؟ لقد أتتنا بالشوك والحسك عند سقوط آدم، إنها الكأس المر الذي لا بد لكل منا أن يتجرعه، هو خلفنا وأمامنا، هو عن يميننا وعن يسارنا وهو الممزوج بكل نسمة هواء نتنفسها. أجسامنا مجهدة بالألم ولدينا حزن. ونحن مطوقون بالصعوبات والمشاكل فلدينا حزن. أصدقاؤنا يتخلون عنا وينظرون إلينا ببرود، فنحزن. نفترق عمن نحبهم ونحزن. أولئك الذين تعلقت بهم قلوبنا ينزلون إلى القبور لنبقى وحدنا ونحزن.

بعد هذا أيضاً، نجد قلوبنا ضعيفة ملأى بالفساد وذلك يسبب لنا حزناً.

نضطهد ونقاوم من أجل إنجيل المسيح وذلك يأتينا بالحزن. نرى القريبين منا يرفضون السير مع الله وذلك يأتينا بالحزن. فيا له من عالم محزن مؤلم هذا الذي نعيش فيه. المجد لله إذ لن يكون هنالك حزن في السماء.

لن يكون هنالك دمعة واحدة تذرف في تلك القاعات العلوية. لن يكون هنالك مرض أو ضعف أو تفسخ. التابوت والجنازة والقبر ستكون أشياء مجهولة لنا. لن نكون شاحبي الوجوه وحزانى. لا نعود نخرج من رفقة الذين نحبهم إذا ما فارقناهم. ولن تسمع كلمة «الوداع» فيما بعد. ولن يكون هنالك قلق في شأن الغد أو ما بعد الغد يفسد ويشوه فرحنا وبهجتنا. حاجاتنا ستكون قد وصلت إلى نهاية أبدية، وكل ما حولنا سيكون في انسجام ومحبة.

من عظة بعنوان: «**السماء**».

كيف ستبدو السماء؟

«فَنَثِقُ وَنُسَرُّ بِالأَوْلَى أَنْ نَتَغَرَّبَ عَنِ الْجَسَدِ وَنَسْتَوطِنَ عِنْدَ الرَّبِّ»

(٢ كورنثوس ٥: ٨)

أنا أشفق على الإنسان الذي لا يفكر بالسماء. وأنا أقول هذا بكل ما في الكلمة من معنى. وبقولي السماء أعني مكان السكن الأبدي لكل المسيحيين الحقيقيين، عندما يقام الأموات وينتهي العالم. فبارد وبلا شعور ذلك القلب الذي لا يفكر بمكان الإقامة ذاك! متبلد ودنيوي هو الذهن الذي لا يقيم اعتباراً للسماء. يمكن أن نموت في أي يوم. بل نحن في موت ونحن في قلب الحياة. سنموت عاجلاً أو آجلاً. الأصغر، الأوسم، الأقوى، الأذكى، لا بد وأن يكون الكل في متناول قطع منجل ملك الموت، ولن يستمر هذا العالم إلى الأبد كما هو الآن، بل سيقطع دابره. ملك الملوك سيأتي ليفرض قدرته ويملك على الجميع. ستقام الدينونة وتفتح الأسفار ويقام الأموات ويتغير الأحياء.

فأين نرجو أن نذهب إذاً؟ لماذا، إن كنا نعلم أي شيء من الإيمان الصحيح بالرب يسوع المسيح فإننا نرجو أن نذهب إلى السماء. وبالتأكيد ليس هنالك شيء من عدم المنطقية بالطلب من الناس أن يتأملوا بموضوع السماء. والآن كيف ستبدو السماء؟ قبل أن نذهب إلى بيتنا الأبدي علينا أن نحاول التعرف به. كاف لنا أن نقول إن السماء هي الوجود الأبدي لكل ما يجعل القديس سعيداً والغياب الأبدي لكل ما يسبب الحزن. المرض والألم والداء والموت والفقر والعمل والمال والحذر والجهل وعدم التفهم والافتراء والكذب والنزاع والتنافس والقتال والحسد والغيرة والخلق السيء والإلحاد والشكوكية والشر والخرافات والهرطقات والانشقاق والحروب وسفك الدماء والاغتيالات والمحاكم – كلها، كل هذه الأمور لن يكون لها مكان أو وجود في السماء. الآن على الأرض في الوقت الحاضر يمكن لها أن تنمو وتزدهر. أما في السماء فلن يكون حتى لبصماتها وجود.

من عظة بعنوان: «**هل سيعرف أحدنا الآخر في السماء؟**».

مظهر الدين الخارجي

«لَهُمْ صُورَةُ التَّقْوَى، وَلكِنَّهُمْ مُنْكِرُونَ قُوَّتَهَا. فَأَعْرِضْ عَنْ هؤُلاَءِ»

(٢ تيموثاوس ٣: ٥)

الترف الغزير، التبذير، الانغماس الذاتي، عبادة المال، وثنية الموضة واللهو هي علامات محزنة في أيامنا. فمع كل مظاهر التدين الخارجية هل هنالك أية زيادة متناسبة للحقيقة الداخلية؟ ومع كل النمو الكبير للمسيحية الخارجية، هل هنالك ما يقابله من نمو في التقى الحيوي؟ هل هناك المزيد من الإيمان والتوبة والقداسة بين العابدين في كنائسنا؟ هل هنالك المزيد من ذلك الإيمان المخلّص الذي بدونه لا يمكن أن نرضي الله؟ المزيد من تلك التوبة نحو الخلاص التي يهلك الإنسان بدونها، والمزيد من القداسة التي بدونها لا يرى أحد الرب؟ هل ربنا يسوع المسيح معروف لنا أكثر بالمحبة والإيمان والطاعة؟ هل عمل الروح القدس في داخلنا مميز ومختبر أكثر بين شعبنا؟ هل يعتنق أبناء رعيتنا حقائق التبرير والتجديد والتقديس ويقدرونها حق قدرها؟ هل هنالك المزيد من القراءة الشخصية للكتاب المقدس والصلاة الخاصة وإماتة الجسد، وإظهار التواضع واللطف وعدم الأنانية؟ وباختصار هل هنالك المزيد من التدين الخاص في البيوت وفي كل علاقات الحياة؟ هذه كلها أسئلة جدية أتمنى أن تجد آذاناً صاغية، وأن تلقى أجوبة جدية صادقة.

لا شيء كمثل تفحص الأمور من نتائجها. فدعونا نسأل بهدوء ورويّة إن كان هنالك المزيد من اللبرالية المسيحية والعقلانية الروحانية على الأرض في مقابل الزيادة الجمة في الاهتمام بالعبادة الخارجية. أخشى أن الجواب سيكون غير ملائم. ففي حالات كثيرة، نقول إن المال المتبرع به من قبل الرعية لدعم الإرساليات الداخلية والخارجية ولتحسين العمل المباشر لخلاص النفوس أسخف من أن يقاس بما يقدم لعازفي الأرغن والجوقة والزينات النباتية والزهور والزخرفة العامة. هل يمكن أن يكون هذا صحيحاً؟ وهل هذه حالة صحية لهذه الأمور؟

من عظة بعنوان: «**علامات الزمان**».

الخطايا الوطنية الخاصة

«وَلكِنْ إِنْ لَمْ تَفْعَلُوا هكَذَا، فَإِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ إِلَى الرَّبِّ، وَتَعْلَمُونَ خَطِيَّتَكُمُ الَّتِي تُصِيبُكُمْ»

(العدد ٣٢: ٢٣)

هل يسأل أحد ما هي الخطايا العمومية على المستوى الوطني في بلد ما؟ أود أن أدرج فيما يلي بعضها كما يبدو لي. وقد أكون مخطئاً لكنني أعطي رأيي هذا كمن ينظر بلطف ويقظة ويلاحظ علامات الأزمنة.

١- الخطية الوطنية الأولى أسميها اشتهاء ما للغير. وأقصد محبة المال والرغبة في الثراء. فلم يكن اللهاث بملاحقة الثراء كما هو عليه في هذا الزمن. ويبدو أنَّ جمع المال والموت في حال الغنى هو الفضيلة التي تسود وهي الحكمة العظمى.
٢- الخطية الوطنية الثانية أسميها الترف والرفاهية ومحبة المتع. فلم يسبق أن مرّ زمن جرى فيه الناس بأكثر جشع خلف الإثارة، والترف، والإشباع لحواسهم.
٣- الخطية الوطنية الثالثة هي إهمال يوم الرب. فذلك اليوم المبارك يكاد يصبح في كثير من المواقع يوم إتمام الزيارات واللهو والمسرات وليس يوم الرب.
٤- الخطية الرابعة هي ما أود تسميتها السكر أو الثمالة. فكمية المشروب المسكر المستهلك في كل عام تبدو مخيفة. الحانات القائمة على مختلف أنواع المشروبات المسكرة في المدن الكبرى هي خير شاهد وبرهان على أن الشعب يعيش في حال الإدمان. وعدد الناس الذين يرتادون هذه الحانات أيام الآحاد أكثر ممن يرتادون الكنائس.
٥- والخطية الخامسة التي أسميها هي الفسوق. «**لاَ تَزْنِ**» (خروج ٢٠: ١٤). ففي المدن والأرياف بين الأغنياء والفقراء، قلت مشاعر الطهارة بين الشباب إلى مستوى الانحطاط.
٦- والخطية الوطنية الأخيرة في هذه العجالة أسميها نمو نزعة الشكوكية والإلحاد. فنزعة عدم توقير الله تتنامى. وسنة بعد أخرى تتنامى موجات انتقاد الكتاب المقدس وسلطته إذ أن الإيمان بالكتاب المقدس كان علامة المسيحية.

أعتقد جازماً أن هذه الأمور بمجملها تصرخ إلى الله مستجيرة به. إنها مقاومة لملك الملوك ورب الأرباب الذي سيعاقب مرتكبيها.

من عظة بعنوان: «**إصبع الله**».

عمل الكنيسة

«لأَجْلِ ذلِكَ أَنَا أَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ لأَجْلِ الْمُخْتَارِينَ، لِكَيْ يَحْصُلُوا هُمْ أَيْضًا عَلَى الْخَلاَصِ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، مَعَ مَجْدٍ أَبَدِيٍّ»

(٢ تيموثاوس ٢: ١٠)

نعيش في عصر يكثر فيه ما يدعى بأنه «عمل الكنيسة». فالتباين بين طرق العصر الحاضر وطرق أجدادنا في محاولة عمل الخير كبير بالفعل. فتعليم الإنجيل وشرح الأسفار المقدسة كليهما في يوم الأحد وفي أيام الأسبوع؛ وزيارة المرضى من حين لآخر، والزيارات الرعوية المنزلية، والمساعي لتأليف القلوب والضمائر بين الرعية، والمحافظة على المدارس النهارية والليلية، وصفوف دراسة الكتاب المقدس، وإنشاء وإعالة الرغبة في ربح النفوس بدعم الإرساليات المحلية والخارجية، هذه كانت مهام رجل الدين، وهذا كان نوع العمل الذي يحاول أن يجند له المشاركات العملانية في أبرشيته. وكان ذلك عملاً صالحاً متيناً خادماً للأنفس كعمل المسيح.

والآن هنالك تغير كبير حصل في السنوات الأخيرة، إذ استجدت أعمال كثيرة يقوم بها العلمانيون ورجال الدين على حد سواء وهي مهما كان القصد من خير صنعها لا تكاد تسمى مسيحية، بل في الحقيقة ذات اتجاه مزعج في الواقع إذ أنها تلقي العمل المسيحي الحقيقي في الساحة الخلفية إن لم نقل في الخارج كلياً. فلا أحد على سبيل المثال لا يلاحظ أن عدداً كبيراً من المؤمنين يقضون الجهد والوقت في الموسيقى الكنسية، وتزيين الكنيسة وبرامجها، ونشر المرغبات إلى الكنيسة. وآخرون منصرفون إلى مواضيع أخرى كالعمل الاجتماعي، ومساعدة الفقراء وتحسين معيشة الطبقات العاملة. وآخرون يقيمون الحفلات الموسيقية والمحاضرات المدنية وأمسيات الاستجمام. ويعلنون في كل مكان أن عمل الخير هو ترفيه الناس!

من المؤكد أن هذه الأمور كلها لا تخلص النفوس. وأنا أرى في كل مكان زيادات في أنشطة الكنيسة. لكنني أشك في أن هنالك القليل أو أي من الازدياد في الدين الحقيقي. فهنالك المزيد من العروض التمثيلية والتألق والإبراز من غير ريب. لكنني أرتاب جداً ما إذا كانت هنالك حقيقة روحية وزيادة في نمو الصلاح العملي والحماس في سبيل خلاص النفوس.

من عظة بعنوان: «**السامري الصالح**».

ليس أخطر من البر الذاتي

«وَقَالَ لِقَوْمٍ وَاثِقِينَ بِأَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ أَبْرَارٌ، وَيَحْتَقِرُونَ الآخَرِينَ»

(لوقا ١٨: ٩)

أليس هنالك البتة من يطبق هذا المثل عليهم في عصرنا الحاضر؟ حقاً، لو أن الأمر صحيح، لكان عمل خدام المسيح سهلاً وخفيفاً نسبياً. فلا نلتقي بأناس ينكرون ألوهية المسيح أو أقنومية الروح القدس أو لا يصدقون الكتاب المقدس أو يرتابون بوجود الله وهكذا يجلبون لأنفسهم دماراً سريعاً. إنما وللحسرة، إن لدينا براهين يومية على أن هذا الداء الذي نتكلم عنه في النص أعلاه متعمق ومتفشي ومستعصي على الشفاء كما كان ولا يزال. وهو ككل الضلالات العابثة التي تبعد الناس عن السماء وككل الأشراك المدمرة للنفس التي ينصبها إبليس ويستخدمها لمقاومة إنجيل المسيح، لا نرى أكثر خطورة، ولا أكثر نجاحاً من البر الذاتي.

ربما تظنون أن هذا أمر غريب، وأتجرأ بالقول إن قليلين هم الذين لا يقولون، إن سئلوا عن أرضية أو أساس رجائهم أو كيف يتوقعون أن يخلصوا «نحن نثق بفضائل المسيح». لكن أخشى أن الكثير منكم لا يجعلون من المسيح إلا نصف مخلِّص لهم ولا يستطيعون مجابهة تدقيق الاستفسار الذي يخرج إلى النور أو يفشي أسرار قلوبكم.

فكم إذاً يمكن أن يقال وإلى حد بعيد بخصوص قيامكم بعمل ما تستطيعون عمله وبكونكم أفضل من الآخرين إذ كنتم تتصرفون برزانة ووقار وترتادون الكنيسة بانتظام ولديكم كتابكم المقدس الخاص وكتاب الصلوات منذ الصغر. هذا إلى جانب أفكار أخرى كثيرة من الاطراء الذاتي التي لا تظهر إلى وقت فراش الموت. والكل يبين جذر كلِّ شر، الذي هو الكبرياء. يا لكبرياء القلب أيها الأحباء! إنه لأمر مخيف أن نرى الأذى الذي يلحقه مقابل الإهمال أو التغاضي الذي يواجه به هذا الداء. فلا تستطيع أن تفتش قلبك بإتقان لأن هذا البر الذاتي هو العدو الأكثر مكراً.

من عظة بعنوان: **البر الذاتي**».

وقتكم قصير

«وَكَمَا وُضِعَ لِلنَّاسِ أَنْ يَمُوتُوا مَرَّةً ثُمَّ بَعْدَ ذلِكَ الدَّيْنُونَةُ»

(عبرانيين ٩: ٢٧)

قد يأتي اليوم بعد صراع طويل مع المرض، نشعر حينذاك أن العلاج لم يعد ناجعاً وأنه لم يبق إلا الموت. الأصدقاء يكونون بالقرب ولكنهم غير قادرين على أن يساعدونا. السمع والبصر وحتى القدرة على الصلاة كلها تخذلنا بسرعة. العالم وظلاله كلها تذوب تحت أقدامنا. الأبدية بحقائقها تلوح بكثرة أمام أذهاننا. فما الذي يدعمنا في ساعة التجربة تلك؟ ما الذي يجعلنا نشعر كما يقول المرنم: «**أنا لا أخاف شراً**»؟ (مزمور ٢٣: ٤). لا شيء، لا شيء يمكنه أن يفعل ذلك إلا الشركة الحميمة مع المسيح. المسيح الماكث في قلوبنا بالإيمان، المسيح واضعاً ذراعه الأيمن تحت رؤوسنا. الشعور بالمسيح جالساً إلى جانبنا. يسوع وحده يستطيع أن يعطينا النصر الكامل في جهادنا الأخير.

دعونا نلتصق بالمسيح أكثر، نحبه أكثر بكل قلوبنا، نعيش له على نحو أشمل، نماثله نعترف به بشجاعة وجرأة، نتبعه بالتمام أكثر. إن ديناً كهذا يأتي دائماً بمكافآته الجمة. أهل العالم قد يسخرون من هذا. والأخوة الضعاف يظنون أن هذا تطرف مفرط. لكن الأمر ينتهي بالخير وسيأتي إلينا بالنور في حينه. ففي المرض يأتينا بالسلام. وفي العالم الآتي سيأتينا بإكليل المجد الذي لا يبلى.

الوقت مقصر. هيئة هذا العالم ستزول. هنالك بعض الأمراض وستنتهي كلها. هنالك بعض الجنازات تمر وستأتي جنازتنا نحن. عواصف أخرى تمر علينا ونرسو في مرفأ الأمان. نسافر إلى عالم ليس فيه مرض، وحيث لا ألم ولا بكاء ولا عويل.

السماء تمتلئ أكثر من عام إلى عام والأرض تخلو ممن فيها أكثر وأكثر. «**لأَنَّهُ بَعْدَ قَلِيلٍ جِدًّا سَيَأْتِي الآتِي وَلاَ يُبْطِئُ**» (عبرانيين ١٠: ٣٧).

من عظة بعنوان: «**المرض**».

لا تسيء إلى مراحم الله

«فَكَيْفَ نَنْجُو نَحْنُ إِنْ أَهْمَلْنَا خَلاَصًا هذَا مِقْدَارُهُ؟ قَدِ ابْتَدَأَ الرَّبُّ بِالتَّكَلُّمِ بِهِ، ثُمَّ تَثَبَّتَ لَنَا مِنَ الَّذِينَ سَمِعُوا»

(عبرانيين ٢: ٣)

هنالك جاهزية إلى أبعد الحدود في كل الناس لإساءة استخدام مراحم الله. وحتى أولاد الله ليسوا خلواً من هذه الإصابة المحزنة. فهنالك شيطان ناشط إلى جانب أفضل القديسين يحاول إقناعهم ليجعلوا ميزاتهم ذريعة لحياة الإهمال وليحول غذاء نفوسهم النافع إلى سم ناقع. أنا لا أستطيع أن أطوف في الكنيسة وفي الطرف الذي يأتي إليه المعلمون الكبار من غير الشعور أن هنالك حاجة إلى الحذر. «**إِذًا مَنْ يَظُنُّ أَنَّهُ قَائِمٌ، فَلْيَنْظُرْ أَنْ لاَ يَسْقُطَ**» (١ كورنثوس ١٠: ١٢). فهل نعلم ما هي إساءة استخدام عقيدة المواظبة؟ نعم، يساء استخدامها عندما يجعل المؤمنون قضية سلامتهم عذراً لممارسة التنافر. ويساء استخدامها عندما يجعلون أمنهم أو نجاتهم من الخراب النهائي دفاعاً عن المستوى الأقل من التقديس وعذراً للسير في بعد عن الله.

وهل تودون أن تعرفوا ما هو استخدام عقيدة المواظبة على نحو صحيح؟ دعونا نرقب الغيرة والحسد في الأعمال اليومية لقلوبنا. دعونا نميت الكسل والتراخي الروحي ونكبحه في المهد. ودعونا وبمثابة المبدأ المتحكم في حياتنا نرسخ في عقولنا أن مراحم الله تعود إلينا بالخير والبركات عندما يكون لها في قلوبنا الأثر الذي يقدّس ويطهّر. ودعونا نعمِّق في إنساننا الداخل أن محبة المسيح لا تُقَدَّر حقيقةً حق قدرها كما يكون الأمر عندما تقيدنا بالمستفيض من العقلانية الروحية. ولنضع نصب أعيننا اننا نكون بالقدسية بقدر ما نشعر بالسلامة. وبقدر ما نميز أن الله قد عمل الكثير من أجلنا ينبغي أن يكون فيض شكرنا وامتناننا. وبقدر ما نرى غنى النعمة أكثر، نكون في كثرة من الأعمال الصالحة.

من عظة بعنوان: «**لا هلاك**».

طبيعة التوبة

«قَدْ كَمَلَ الزَّمَانُ وَاقْتَرَبَ مَلَكُوتُ اللهِ، فَتُوبُوا وَآمِنُوا بِالإِنْجِيلِ».

(مرقس ١: ١٥)

دعنا نتأكد أننا نقف بثبات على هذه النقطة، إذ لا يمكن المبالغة بتقدير أهمية هذا الاستعلام. فالتوبة تعتبر إحدى أحجار الأساس في المسيحية، ونحن نرى الحديث يتكرر عنها ستين مرة في العهد الجديد. فما هي العقيدة الأولى التي علمها الرب يسوع المسيح؟ نرى أنه قال: «**تُوبُوا وَآمِنُوا بِالإِنْجِيلِ**» (مرقس ١: ١٥). وماذا أعلن الرسل عندما أرسلهم الرب أولاً؟ «**خَرَجُوا وَصَارُوا يَكْرِزُونَ أَنْ يَتُوبُوا**» (مرقس ٦: ١٢) وما المهمة التي كلّف الرب تلاميذه بها عندما غادر العالم صاعداً إلى السماء؟ «**أَنْ يُكْرَزَ بِاسْمِهِ بِالتَّوْبَةِ وَمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا لِجَمِيعِ الأُمَمِ**» (لوقا ٢٤: ٤٧). وماذا كانت خلاصة الطلب في العظة الأولى التي ألقاها بطرس؟ «**تُوبُوا وَلْيَعْتَمِدْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ**» (**أعمال ٢: ٣٨**). «**فَتُوبُوا وَارْجِعُوا لِتُمْحَى خَطَايَاكُمْ**» (**أعمال ٣: ١٩**).

فالتوبة هي تغيير شامل لقلب الإنسان بموضوع الخطية. كلنا مولودون بالخطية. نحن بالطبيعة نحب الخطية. نحن نولع بالخطية حالما نستطيع أن نعمل أو نفكر، تماماً كما يولع الطير بالطيران والسمك بالسباحة. وما كان الولد يتطلب مدرسة ليتعلم الغش، أو الأنانية، أو العطف أو النهم أو الكبرياء، أو التفاهة والحماقة. هذه الأشياء لا تلتقط من الرفقة السيئة أو تدرس بمساق طويل الأمد من التعليمات المملة. بل تنبجس من الذات حتى عند تربية الأولاد منفردين. فمن الجلي أن بذور هذه الأمور هي المنتج الطبيعي للقلب. وسلوك الأولاد تجاه هذه الأشياء السيئة هو برهان بديهي لفساد وسقوط الإنسان. والآن عندما يتغير هذا القلب بعمل الروح القدس، وعندما تطرد هذه المحبة الطبيعية للخطية، يحل محلها ذلك التغيير الذي تدعوه كلمة الله «توبة». فيقال للإنسان الذي يجرى فيه هذا التغيير أن «يتوب». وبذا يمكن أن يدعى بكلمة واحدة لا غير إنساناً «تائباً» أو «نادماً».

من عظة بعنوان: «**التوبة**».

نبع السلام الحقيقي

«لَيْسَ سَلاَمٌ، قَالَ إِلهِي، لِلأَشْرَارِ»

(إشعياء ٥٧: ٢١)

إن السلام للإنسان المسيحي الحقيقي ليس غموضاً أو أضغاث أحلام من غير منطق أو أساس بل هو يُظهر لزوماً موجباً إليه، ويبني على أرض صخرية صلبة. إن له سلام مع الله لأنه مبرّر. ومن المستحيل أن يكون هنالك سلام حقيقي مع الله من غير تبرير. إن الضمير يمنعه. والخطية جبل عال بين الإنسان والله ينبغي إزالته.

والشعور بالذنب يتمدد بثقله على القلب فينبغي نزعه، والخطية غير المغتفرة تغتال السلام. والمسيحي الحقيقي يعلم كل هذا جيداً. وسلامه ينشأ من وعيه بأن خطاياه قد غفرت واستبعد شعوره بالذنب. لأنَّ بيته غير مبني على أرض رملية وبئره غير مشقق حتى لا يضبط ماء. وله سلام مع الله لأنه مبرر.

إنه متبرر وخطاياه مغفورة. كائن ما كانت عليه تلك الخطايا من الكبر فقد غفرت ومسحت. لقد شطبت من كتاب ذاكرة الله. أغرقت في أعماق البحار. رميت خلف ظهر الله. حتى أنها لا توجد إذا ما جرى التفتيش عنها، ولا تذكر فيما بعد. ومع أنها كانت كالقرمز فقد ابيضت أكثر من الثلج، وحمراء كالدودي فصارت كالصوف. وهكذا صار له سلام مع الله.

فليرسخ في ذهنك أنه لن يكون هنالك سلام مع الله ما لم نشعر بأننا متبررون. فعلينا أن نعرف ما جرى لخطايانا. ويجب أن يكون لدينا رجاء أكيد بأنها قد غفرت وأزيلت. وأن يكون لنا شهادة ضميرنا بأننا نُحتسَب غير مذنبين أمام الله. وبدون هذا يكون من غير المجدي أن نتحدث عن السلام مع الله إذ لا يكون لنا حينذاك من السلام إلا خدعته وزيفه. لأن الوحي المقدس في كلمة الله يقول: **«لَيْسَ سَلاَمٌ، قَالَ إِلهِي، لِلأَشْرَارِ»** (إشعياء ٥٧: ٢١).

من عظة بعنوان: **التبرير**».

تمسكوا بالحسن

«امْتَحِنُوا كُلَّ شَيْءٍ. تَمَسَّكُوا بِالْحَسَنِ»

(١ تسالونيكي ٥: ٢١)

كلمات بولس الرسول بهذا الموضوع فعّالة وتزخر بالقوة. فهو يقول: **«تَمَسَّكُوا بِالْحَسَنِ»** وكأنه يقول لنا «عندما تجدون الحقيقة بأنفسكم وعندما تقتنعون وترضون أن حقيقة المسيح، هي الحقيقة التي تضعها الأسفار المقدسة فتمسكوا بها واعتنقوها واحفظوها في قلوبكم، ولا تتركوها»!

إنه يتكلم كمن يعلم ما هي قلوب كل المسيحيين. يعلم أن تعلقنا بالإنجيل، في أحسن حالاته، بارد جداً؛ أن محبتنا تصير واهنة؛ أن إيماننا يتردد ويتمايل؛ أن حماسنا يذوي؛ أن ألفتنا بحقيقة المسيح غالباً ما تجلب معها ضرباً من عدم الاحترام؛ حتى إنه كما الشعب القديم قابلون لتثبط الهمة جراء طول السفر؛ ومثل بطرس الجاهز لينام في لحظة ويستيقظ ليقاتل في لحظة تالية، وكمثل بطرس غير جاهزين لنسهر ونصلي.

كلُّ هذا يتذكره بولس الرسول وكحارس أمين يصرخ بالروح القدس، **«تَمَسَّكُوا بِالْحَسَنِ»**. إنه يتكلم كأنه رأى مسبقاً بالروح أن أنباء الإنجيل الجيدة ستفسد قريباً وتقتلع من الكنيسة في تسالونيكي. يتكلم كمن رأى الشيطان وعماله مسبقاً يعملون جاهدين لتحطيم حقيقة المسيح. ويكتب كأنه ينذرهم مسبقاً من هذا الخطر ويصرخ قائلاً **«تَمَسَّكُوا بِالْحَسَنِ»**.

فعزيزي القارئ إن النصيحة مفيدة دائماً ولها حاجة في عمل الرب طالما أن العالم قائم. فإن كنا نحب الكتاب المقدس المفتوح، وإن كنا نحب الإنجيل، وإن كنا نحب حرية قراءة الكتاب المقدس، وفرصة سماع الإنجيل من غير أن يمنعنا أحد، وإن كنا نحب الحرية المدنية، إن كنا نحب الحرية الدينية، وكانت هذه ثمينة لأنفسنا فعلينا أن نقرر بأن نتمسك الحسن لئلا نفقد الكل مع مرور الزمن.

من عظة بعنوان: **«امتحنوا كل شيء»**.

أعطي لخرافي حياة أبدية

«وَأَنَا أُعْطِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَلَنْ تَهْلِكَ إِلَى الأَبَدِ، وَلاَ يَخْطَفُهَا أَحَدٌ مِنْ يَدِي»

(يوحنا ١٠: ٢٨)

يقول الرب يسوع المسيح عن خرافه «وأنا أعطيها حياة أبدية». ما هو النصيب الذي يعطيه يسوع المسيح لشعبه؟ إنه «حياة أبدية»، سعادة تامة دائمة لذلك الجزء الذي هو الأكثر أهمية في الإنسان، نفسه الخالدة. لن يصيبهم أذى بموت ثانٍ، الذي هو وحده ما يخشى منه. وهل هنالك أشياء أعظم يمكن أن يهبها الرب لشعبه؟ صحة وغنى وشرف رفيع ومسرات، بيوت وأطيان، وزوجات وأولاد – ما هي هذه كلها؟ وكم يمكن أن تدوم؟ إنها ستون عاماً وعشرة، ونتركها كلها، وقطعة من الأرض لا تتجاوز ستة أقدام مربعة هي أكثر ما يكفينا.

عراة دخلنا إلى العالم وعراة نخرج منه عائدين إلى الغبار ولا نحمل معنا شيئاً البتة. فما الفرق بين الغني والفقير في الموت؟ كلاهما يعود إلى واحد وإلى نفس المكان. تقتات الديدان بكليهما وفي وقت قصير لا تستطيع أن تفرّق بين عظام الواحد منهما عن الآخر.

لكن إذا رقد الإنسان الفقير في المسيح بينما يموت الغني بخطاياه، فيا للهاوية السحيقة بينهما؛ الغني يقيم في تلك النار التي لا تطفأ؛ والفقير يستيقظ ليجد أن له كنزاً أبدياً في السماء، وحياة أبدية. الحياة الأبدية! بالمقارنة مع ما في هذا العالم من اهتمامات تبدو مهمة وهي لا تساوي أكثر من قطرة ماء. فتأمل بنفسك كم مجيدة هي هذه العقيدة وكم تستبعد كلَّ عذر يقدمه السادر غير التائب. العفو والغفران يعطى هنا بلا شروط. ولا يقال لنا كم علينا أن ندفع كل يوم من أجل أن نخلص؛ لأن ذلك يقودنا إلى الشك واليأس. لكن إن يسمع الإنسان صوت يسوع المسيح ويتبعه فإنه يقول: «أنا أعطيه حياة أبدية وهنالك يبقى ولا دينونة عليه».

من عظة بعنوان: «**امتيازات المسيحي الحقيقي**».

الكتاب المقدس بالذات هو الكتاب المقدس

«لأَنَّ كُلَّ مَا سَبَقَ فَكُتِبَ كُتِبَ لأَجْلِ تَعْلِيمِنَا، حَتَّى بِالصَّبْرِ وَالتَّعْزِيَةِ بِمَا فِي الْكُتُبِ يَكُونُ لَنَا رَجَاءٌ»

(رومية ١٥: ٤)

دعوني أقول إن الكتاب المقدس هو الكتاب المقدس. من أوله سفر التكوين إلى آخره سفر الرؤيا يتناول موضوعاً بسيطاً واحداً هو كيف يمكن أن يخلص الإنسان. وهو الشيء نفسه: بربنا يسوع المسيح فقط، بالإيمان؛ لا بأعمال خاصة أو ببرٍّ على الإطلاق. ترى الأمر معلناً بشيء من الغموض أولاً، يلوح للعيان من ضبابية بعض المواعيد، لكنه هناك. تراه بوضوح فيما بعد؛ يعلَّم بصور ورموز ناموس موسى. وتراه على نحو أوضح بمرور الزمن. وقد رأى الأنبياء بالرؤى تفصيلات كثيرة عن الفادي الذي سيأتي.

وهنالك رؤيا كاملة في شمس تاريخ العهد الجديد: تجسد المسيح، صلب المسيح، قيامة المسيح، والكرازة بالمسيح إلى العالم. لكن هنالك خيط ذهبي يجري خلال الكتاب المقدس بأكمله هو أنَّ لا خلاص إلا بالإيمان بيسوع المسيح. سحق رأس الحية جرى التنبؤ به في يوم السقوط؛ إكساء أبوينا الأولين بجلد الحيوان، تقدمات نوح وإبراهيم واسحق ويعقوب؛ الفصح؛ وكل خصوصيات الناموس اليهودي، رئيس الكهنة، المذبح، التقدمات اليومية للحمل، قدس الأقداس يدخل إليه بالدم فقط، كبش الفداء، مدن الملجأ، كلها شهادات عديدة للحقيقة المعبر عنها في نص الكتاب. وكل التعليم بصوت واحد هو: الخلاص بالمسيح وحده.

أنا لا أعلم كيف تستخدم كتابك المقدس، فسواء كنت تقرأه أم لا، أو كنت تقرأ بعضه أو تقرأ المقاطع التي تحبها؛ أريد أن أقول لك بصراحة ووضوح: إن كنت تقرأ وتصدق الكتاب المقدس كاملاً، ستجد من الصعب التهرب من عقيدة أنه ليس من خلاص إلا من خلال شخص ودم يسوع المسيح. وأنا لا يمكنني أن أرى كيف يمكنك أن تستمر في رفض ما أحاول أن أبرهنه. المسيح هو الطريق، وهو الطريق الوحيد. المسيح هو الحق وهو الحق الوحيد، والمسيح هو الحياة وهو الحياة وحده ولا حياة بأحدٍ غيره.

من عظة بعنوان: «**طريق واحد فقط – هو المسيح**».

حمل الأحزان

«يَشْفِي الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ، وَيَجْبُرُ كَسْرَهُمْ»

(مزمور ١٤٧: ٣)

دعونا نتأمل في كونيَّة تعرض الإنسان للأحزان. فشهادة الكلمة المقدسة بأن الإنسان مولود للمشقة (أيوب ٥: ٧) يردد صداها الآلاف ممن لا يعرفون شيئاً عن الأسفار المقدسة ولكنهم ببساطة يتكلمون لغة اختبارهم الخاص. العالم، والكل تقريباً يوافقون، مليء بالمشقة. وصحيح جداً إننا نأتي إلى العالم باكين، ونمرُّ فيه متذمرين، ونغادره خائبين. ومن خلائق الله كافة ليس من هو عرضة للحزن بقدر الإنسان. الجسد والعقل والعواطف والعائلة والممتلكات كل منها قابل بدوره على أن يصبح مصدراً ووسيلة للحزن. وليس من مناعة أو استثناء من هذا لأي طبقة من الناس. فهنالك أحزان للأغنياء كما للفقراء، للمتعلمين المثقفين كما للجهلة الأميين، للشباب والشيوخ، وللقلاع والحصون كما للمنازل والأكواخ.

فلا الغنى ولا العلم ولا المركز المرموق يمكن أن يمنع الأحزان من اقتحام بيوتنا ومفاجأتنا في بعض الأحيان بالهجوم علينا كما لو كان جندياً مسلحاً؛ وهذه كلها أمور قديمة، وأنا أعلم ذلك تماماً. فلاسفة وشعراء قدماء اليونان والرومان عرفوا ذلك تماماً كما نعرفه نحن اليوم. لكن يستحسن التذكير به. لأن ما هو الأفضل لإنسان لمواجهة واحتمال الحزن؟ هذا هو السؤال؛ فإن كان أمرنا هكذا من قديم الزمان منذ السقوط بأن لا مهرب من الحزن، فما هو العلاج لجعل الأحزان ممكنة التحمل؟

أنا أؤكد وأدافع عن فكرة أنّ عقيدة الرسول بولس عن المسيح المقام تأتي بقوة مدهشة وتلبي احتياجاتنا تماماً. إن لنا واحد جالس عن يمين الله على أنه صديقنا الشفوق وله كل القدرة على مساعدتنا وهو يرثي لضعفاتنا، هو يسوع ابن الله. يعرف قلب الإنسان وكل أحواله، لأنه هو نفسه ولد من امرأة واتخذ جسداً ودماً. هو يعلم ما هي الآلام لأنه هو بنفسه في أيام تجسده بكى وتأوه وحزن. ولقد برهن عن محبته لنا باحتماله أوضاعنا ثلاثة وثلاثين عاماً في هذا العالم، وبآلاف أعمال الرحمة والحنان وعشرات آلاف كلمات التعزية، وأخيراً بالموت عنا على الصليب.

من عظة بعنوان: «**حقائق أساسية**».

أنا حبيب الله

«لاَ أَعُودُ أُسَمِّيكُمْ عَبِيدًا، لأَنَّ الْعَبْدَ لاَ يَعْلَمُ مَا يَعْمَلُ سَيِّدُهُ، لكِنِّي قَدْ سَمَّيْتُكُمْ أَحِبَّاءَ لأَنِّي أَعْلَمْتُكُمْ بِكُلِّ مَا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي»

(يوحنا ١٥: ١٥)

التمسوا أن يكون لكم مع الله الذي جعلكم أحباء شركة أقرب وأن تعرفوا أكثر عن نعمته وقدرته. فالمسيحية الحقيقية ليست مجرد معرفة مجموعة خاصة من الفرائض والقضايا اللاهوتية؛ بل هي أن تحيا حياة يومية في صلة شخصية مع شخص حي حقيقي. فبهذا يقول بولس الرسول: «**لأَنَّ لِيَ الْحَيَاةَ هِيَ الْمَسِيحُ وَالْمَوْتُ هُوَ رِبْحٌ**» (فيلبي ١: ٢١). والتمسوا في كل يوم أن تمجدوا ربكم ومخلصكم في كل طرقكم. «**اَلْمُكْثِرُ الأَصْحَابِ يُخْرِبُ نَفْسَهُ، وَلكِنْ يُوجَدْ مُحِبٌّ أَلْزَقُ مِنَ الأَخِ**» (أمثال ١٨: ٢٤)، وليس هنالك إنسان تحت مثل هذه الالتزامات العظيمة أكثر من حبيب المسيح. فتجنبوا كل ما يحزن الرب. وناضلوا بشدة ضد الخطايا المحدقة، ضد التناقض، ضد التراجع بالشهادة له والاعتراف به أمام الناس. قولوا لنفوسكم عندما تجربون لارتكاب الخطأ، «يا نفسي، يا نفسي، هل هذا لطفك ومحبتك لمحبيك؟».

وافتكروا فوق كل الرحمة التي أظهرها لكم وتعلموا أن تفرحوا كل يوم بحبيبكم؛ وماذا لو أحنى المرض ظهركم؟ ماذا لو كان فقركم وتجاربكم ثقيلة الوطأة؟ ماذا لو تخلى عنكم أصدقاءكم الذين في العالم؟ كل هذا يمكن أن يحصل ويكون صحيحاً. لكن إن كنتم في المسيح فإن لديكم صديق حبيب، صديق عظيم قدير، صديق محب، صديق حكيم، صديق لا يتخلى ولا يضعف؛ ففكروا وفكروا كثيراً بهذا الصديق الحبيب، وسيأتي عن قريب ليصحبكم إلى السماء لتحيوا معه إلى الأبد. عن قريب سترون وستعرفون كما عرفتم. وبعد ذلك ستسمعون شعوباً مجتمعة يعترفون أنه غني وسعيد الإنسان الذي له المسيح صديق وحبيب.

من عظة بعنوان: «**أفضل صديق**».

وسائط النعمة

«كَمَا أَنَّ قُدْرَتَهُ الإِلهِيَّةَ قَدْ وَهَبَتْ لَنَا كُلَّ مَا هُوَ لِلْحَيَاةِ وَالتَّقْوَى، بِمَعْرِفَةِ الَّذِي دَعَانَا بِالْمَجْدِ وَالْفَضِيلَةِ»

(٢ بطرس ١: ٣)

عندما أتحدث عن وسائط النعمة، فأنا أرى بعين ذهني خمسة أمور رئيسية هي: قراءة الكتاب المقدس، الصلاة الخاصة، العبادة العامة، سر عشاء الرب، وراحة يوم الرب. إنها الوسائط التي تفضل الله بتحديدها من أجل أن يمنح النعمة لقلب الإنسان بالروح القدس أو للمحافظة على الحياة الروحية بعد أن تكون قد بدأت في الإنسان المؤمن. وطالما أن العالم باقٍ فإن حال نفس الإنسان ستعتمد وإلى حد كبير على طريقة وروح ممارسته لوسائط النعمة. وأقول طريقة وروح الممارسة بترو وبقصد وتعمد. ومشاعرنا تجاهها هي إحدى الاختبارات الكثيرة لحال أنفسنا.

كيف يمكن لذلك الإنسان أن يكون محباً لله الذي يقرأ عنه وعن مسيحه كمجرد أمر واجب وكافٍ ومرضٍ إن كان ينتقل كمن يمر مرور الكرام في قراءته الكثير من الأصحاحات؟ كيف يمكن لذلك الإنسان أن يفترض أنه مستعد للقاء المسيح وأنه لا يتوانى بأن يسكب قلبه له كصديق وهو مكتفٍ بترديد سلسلة من الكلمات في كلِّ صباح ومساء تحت اسم الصلاة، ونادراً ما يفكر بما هو يفعله أو ما هو فيه من أمر؟ كيف يمكن لذلك الإنسان أن يكون سعيداً في السماء إلى الأبد وهو يجد الآن يوم الأحد يوماً مملاً متعباً كئيباً وهو لا يعلم ما هي الصلاة الصادرة من عمق القلب، وكذلك التسبيح، ولا يهتم ما إذا كان يسمع الحق أو الخطأ من المنبر، لأنه في الواقع نادراً ما يصغي إلى الوعظ؟ وماذا يمكن أن تكون الحال الروحية لذلك الإنسان الذي لا يشتعل قلبه فيه عندما يأخذ الخبز والخمر الذي يذكرنا بنوع خاص بموت المسيح على الصليب والكفارة التي قدمها الرب يسوع فدية عن خطايانا؟

من عظة بعنوان: «**امتحان النفس**».

تسلحوا ضد التعليم الزائف

«مُؤَدِّبًا بِالْوَدَاعَةِ الْمُقَاوِمِينَ، عَسَى أَنْ يُعْطِيَهُمُ اللهُ تَوْبَةً لِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ»

(٢ تيموثاوس ٢: ٢٥)

العقائد الزائفة من كل الأنواع تطرح أمامنا باستمرار بأكثر الأشكال براعة وخداعاً فلا يُظن بأنها غير مألوفة إذا أنا قدمت بعض الوقاية العملية ضد الوثنية. فما هي، ومن أين تأتي، وأين هي، وما نهايتها، كل ذلك رأيناه. فدعوني أبين كيف نحصن أنفسنا منها، ولن أقول أكثر من ذلك. فلنتسلح إذاً بأمر واحد هو معرفة كلمة الله معرفة شاملة. فلنقرأ بكتبنا المقدسة بإتقان واجتهاد أكثر من السابق لنصبح على اطلاع حميمي بكل جزء منها. ولتسكن فينا الكلمة بغنى. ودعونا نحذر من كل شيء يدفعنا إلى أن نعطي وقتاً أقل ومحبة أقل لدراستها والتمعن بصفحاتها المقدسة. فالكتاب المقدس هو سيف الروح فلا نسمح بأن نهمله. والكتاب المقدس قنديل يضيء ظلام الزمن الغائم. فلنحذر السفر من غير نوره.

فوق كل هذا، دعونا نحافظ على الشركة الدائمة مع الرب يسوع المسيح! دعونا نثبت فيه كل يوم، ونغتذي به كل يوم، ننظر إليه، ونتكل عليه، ونحيا به، ونغرف من ملئه كل يوم. دعونا نميز هذا الأمر وندركه تمام الإدراك وسنرى أن فكرة الوسطاء الآخرين، والمعزين الآخرين، والشفعاء الآخرين وما إلى ذلك ستبدو سخيفة ومنافية للعقل. وإن يسألوننا ماذا ننتفع من ذلك نجيب « إن لي المسيح وبه أنال الكل. بل ماذا افعل بالأصنام؟ لدي يسوع في قلبي، يسوع في الكتاب المقدس، ويسوع في السماء، ولا أريد شيئاً أكثر». ولنركز بثبات في عقولنا أن يسوع المسيح قد عمل كل شيء، كل ما يلزم، من أجل أن يقدمنا بلا عيب أمام عرش الله، وأن قبول المسيح بذلك الإيمان البسيط الذي هو مثل إيمان الأطفال هو الأمر الوحيد المطلوب لنمنح الخلاص بعمل المسيح.

من عظة بعنوان: «**الأحداث القادمة والواجبات الحالية**».

شكوك حول حقيقة المسيحية

«وَلكِنْ لِيَطْلُبْ بِإِيمَانٍ غَيْرَ مُرْتَابٍ الْبَتَّةَ، لأَنَّ الْمُرْتَابَ يُشْبِهُ مَوْجًا مِنَ الْبَحْرِ تَخْبِطُهُ الرِّيحُ وَتَدْفَعُهُ»

(يعقوب ١: ٦)

سأحاول أن أشرح السبب في أن العديد من المسيحيين يخشون ويقلقون في أذهانهم بشكوك في شأن الحقيقة المسيحية. وأنا لدي انطباع قوي بأن هذه هي حال الكثيرين. وأرتاب في أن كثيرين في الواقع يجحدون بسخط واضح تهمة الشكوكية لكن مع كل هذا يقلقون ويضطربون بخصوص حقيقة المسيحية. وتظهر بعض الكتب الجديدة والمحاضرات والمواعظ بأقلام رجال مثل داروين أو غيره على سبيل المثال فترى أولئك الناس يتخوفون ويتنقلون بأسئلتهم واستفساراتهم من لاهوتي إلى آخر، وكأن فلك الله بالذات في خطر. ويتساءلون هل يمكن أن تكون هذه الأفكار الجديدة صحيحة؟ فيا للحسرة ماذا نعمل؟ وبالمختصر إنهم مثل أحاز بن يوثام ملك يهوذا يوم بلغه أن ملك آرام وملك إسرائيل قد خرجا لمحاربته: «... **رَجَفَ قَلْبُهُ وَقُلُوبُ شَعْبِهِ كَرَجَفَانِ شَجَرِ الْوَعْرِ قُدَّامَ الرِّيحِ**» كما نقرأ في (إشعياء ٧: ٢).

والآن نتساءل ما سبب هذه الجاهزية لإفساح المجال للشكوك؟ ولماذا تخيف هذه التحذيرات جماعة إيمان لهذا الردح الطويل من الزمن من أن تهزه مثل هذه الترهات التي لا تؤثر فيه أكثر من إمكانية أن يخدش مسمار هرم مصر الأكبر؟ أقول إن السبب والجواب مختصر، فالعديد من المسيحيين العصريين يجهلون حقائق وبراهين المسيحية وصعوبات الإلحاد الهائلة الشنيعة. وثقافة أكثرية الناس بهذه الموضوعات هزيلة وسطحية إلى حد كبير، أو إنها في الواقع ليست تربوية. وبالمقابل أيضاً يمكن القول إن ولا واحد من مئة، على سبيل الاحتمال، ممن يرتادون الكنائس قد قرأ صفحة واحدة من كتب أو براهين الإيمان المسيحي! فأين العجب إن كانت عقول هؤلاء الناس كمدينة بلا جدران وغير قابلة كلياً لمقاومة هجوم الأفكار الإلحادية الأكثر شيوعاً والتي معظمها أفكار شكوكية مصقولة تبث في عصرنا الحاضر.

من عظة بعنوان: «**ماذا يمكن أن تعرف؟**».

أنا الآن أسكب سكيباً

«فَإِنِّي أَنَا الآنَ أُسْكَبُ سَكِيبًا، وَوَقْتُ انْحِلاَلِي قَدْ حَضَرَ. قَدْ جَاهَدْتُ الْجِهَادَ الْحَسَنَ، أَكْمَلْتُ السَّعْيَ، حَفِظْتُ الإِيمَانَ، وَأَخِيرًا قَدْ وُضِعَ لِي إِكْلِيلُ الْبِرِّ، الَّذِي يَهَبُهُ لِي فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، الرَّبُّ الدَّيَّانُ الْعَادِلُ، وَلَيْسَ لِي فَقَطْ، بَلْ لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُحِبُّونَ ظُهُورَهُ أَيْضًا»

(٢ تيموثاوس ٤: ٦-٨)

نرى بولس الرسول بهذه الكلمات ناظراً إلى جهات ثلاث: الأسفل والخلف والأمام. فإلى الأسفل إلى القبر، وإلى الخلف إلى خدمته الشخصية، وإلى الأمام إلى ذلك اليوم العظيم، يوم الدينونة. سعيد منا من ينظر كما نظر بولس الرسول ثم يتكلم كما تكلم. إنه ينظر إلى القبر إنما من غير خوف. فاسمع ما يقول: «أنا الآن أسكب سكيباً» أي كشاة تساق إلى مكان التقدمة مربوطاً بالقرنين إلى المذبح. وقد سكب الخمر والزيت على رأسي وهذه هي المراسم الأخيرة تجري وكل الإجراءات قد اتخذت. ولم يبق إلا تقبل لطمة الموت وينتهي الأمر.

ينظر إلى الخلف إلى جهاده وحياته في الخدمة من خير خجل، فاسمعه يقول: جاهدت الجهاد الحسن مع العالم والجسد والشرير الذي يتوجس منه خيفة ويتراجع الكثيرون منسحبين إلى الخلف. وينظر إلى الأمام إلى يوم الحساب العظيم، وهو يفعل ذلك من غير ارتياب. ولننظر إلى كلماته حيث يقول: «**وَأَخِيرًا قَدْ وُضِعَ لِي إِكْلِيلُ الْبِرِّ**». ويعني قوله إنها المكافأة المجيدة، مهيأة لي، وهي التي لا تعطى إلا إلى الأبرار، في يوم الدينونة العظيم ذاك، سيهب الرب هذا الإكليل لي ولكل الذين أحبوه مخلصاً غير منظور إذ لم يروه بأم أعينهم بل تاقوا إلى أن ينظروا إليه وجهاً لوجه. وها قد انتهى عملي. وهذا ما تبقى لي لأرنو إليه وأرجوه ولا شيء غيره أكثر.

من عظة بعنوان: **الآن أسكب سكيباً**».

عدم الإيمان في الزمن الحاضر

«وَلأَجْلِ هذَا سَيُرْسِلُ إِلَيْهِمُ اللهُ عَمَلَ الضَّلاَلِ،
حَتَّى يُصَدِّقُوا الْكَذِبَ،
لِكَيْ يُدَانَ جَمِيعُ الَّذِينَ لَمْ يُصَدِّقُوا الْحَقَّ، بَلْ سُرُّوا بِالإِثْمِ»

(٢ تسالونيكي ٢: ١١-١٢)

لا يمكن إنكار أن هنالك الكثير من عدم الإيمان في عصرنا الحاضر. الناس الذين لا يرتادون أماكن العبادة ويبدو أن لا دين لهم كثيرون جداً. نوع مبهم من الشكوكية أو اللاأدرية هو أحد الأمراض الروحية في هذا الجيل. نلقاه في كلِّ منعطف ويبرز في كلِّ مجتمع على نحو غير متوقع. بين الطبقات العليا والدنيا والثرية والفقيرة، في المدن والأرياف، في الجامعات والمدن الصناعية، في القلاع والأكواخ، نجد باستمرار نوعاً ما من عدم الإيمان. لم يعد هذا الأمر وباء كطاعون مستعصٍ يسير في الظلام بل دمار يتفشى في وقت الظهيرة. حتى إنه يعتبر ذكاء وفطنة وعلامات ذهن مفكر. ويبدو أنَّ المجتمع متأثر به كالخميرة في العجين. فمن يجاهر بإيمانه بكل ما يحتويه الكتاب المقدس يجب عليه أن يتوقع في كثير من المجتمعات أن يستخف به بازدراء ويعتبر كإنسان جاهل وضعيف!

ولا ريب الآن، كما سبق أن قلت، إن مقعد عدم الإيمان في بعض الناس هو في الرأس. فهم يرفضون أي شيء لا يستطيعون فهمه أو إنه يبدو فوق ما يعتبرونه المنطق والبديهة. الوحي والمعجزات والثالوث والتجسد والكفارة والروح القدس والقيامة وحال المستقبل، كل هذه الحقيقيات العظيمة الجبارة ينظر إليها بلا مبالاة وبرود على أنها نقاط خلافية إن لم ترفض كلياً. «هل يمكننا أن نفسرها؟ هل نستطيع أن نرضي مقدرتهم العقلية على تفهم منطقها؟» إن كنا لا نستطيع فيجب أن يعذروا على أنهم وقفوا منها موقف الشك. فما لا يستطيعون فهمه تماماً يقولون لنا في أمره إنهم لا يستطيعون الإيمان به، ولذا لا يظهرون أو يعتنقون أي دين طالما هم على قيد الحياة، مع أنه وللغرابة في الأمر يريدون أن يدفنوا بمراسم دينية عندما يموتون.

من عظة بعنوان: «**ماذا تستطيع أن تعرف؟**».

رسول المسيح

«ظَاهِرِينَ أَنَّكُمْ رِسَالَةُ الْمَسِيحِ، مَخْدُومَةٌ مِنَّا، مَكْتُوبَةٌ لاَ بِحِبْرٍ بَلْ بِرُوحِ اللهِ الْحَيِّ،
لاَ فِي أَلْوَاحٍ حَجَرِيَّةٍ بَلْ فِي أَلْوَاحِ قَلْبٍ لَحْمِيَّةٍ»

(٢ كورنثوس ٣: ٣)

عزيزي القارئ المؤمن، آمل أن أستطيع القول إنك تحب الرب يسوع المسيح بصدق وإخلاص. فاعلم إذاً إنني أريدك أن تكون نوراً ساطعاً لامعاً لمن حولك. أريدك أن تكون للمسيح ذلك الرسول الصريح الذي يقرأ الجميع في وجه حديثك شيئاً من الله. أريدك أن تعيش ليرى الجميع أنك أحد شعب المسيح، ليمجدوا أباك الذي في السماء. ولحسرتي إني أقول بخجل إن الكثير منا لا يقدمون إلا القليل من المجد للرب الذي اشترانا. فنحن بعيدون عن أن نكون سالكين بجدارة في مقتضى دعوتنا. يا لضعف إيماننا! يا لسرعان أسفنا على الخطية! يا لبهاتة إنكارنا لذواتنا! يا لسرعة فقدان صبرنا! يا لضآلة وابتذال تواضعنا! يا لشكلية صلاتنا! وصقيع محبتنا.

نحن ندعى شهود الله ولكن بالحقيقة إن شهادتنا غالباً ما تكون مجرد أفضل بقليل من الصمت، فهي ليست إلا صوت مبهم. ونحن ندعى نور العالم ولكننا أو الكثير منا ومضات واهنة تكاد لا ترى. ونحن ندعى ملح الأرض ولكن نادراً ما نقوم بشيء يجعل طعمنا مؤثراً ومعروفاً. نحن ندعى سواحاً وغرباء في الأرض لكن الذين يروننا يظنون أحياناً أن هذا العالم هو موطننا الوحيد. فلا ينبغي لهذه الأمور أن تكون على هذه الشاكلة يا عزيزي القارئ.

فيا أخوتي أو أخواتي، ماذا تعملون في العالم؟ أين هو برهان نموكم في النعمة؟ هل أنتم في يقظة من أمركم أو نيام؟ أليس هنالك خطية مؤرقة تحجمون عنها بخجل؟ أليس هنالك وقت تستخدمونه لفائدة أوفر؟ أليست هنالك عادات يومية تحسّنون أداءها؟ أليس هنالك بقع على ملابسكم الروحية لم يسبق أن حاولتم غسلها؟ أليس هنالك صداقات أو علاقات تتركونها في خطيتها؟ ليتكم تتصرفون بصدق أكثر مع أنفسكم مما كنتم تفعلون حتى الآن. الرب قريب وميسور ليمد يد المساعدة.

من عظة بعنوان: «**الرب برنا**».

السعادة في خدمة المسيح

«وَلْيَمْلأْكُمْ إِلهُ الرَّجَاءِ كُلَّ سُرُورٍ وَسَلاَمٍ فِي الإِيمَانِ، لِتَزْدَادُوا فِي الرَّجَاءِ بِقُوَّةِ الرُّوحِ الْقُدُسِ»

(رومية ١٥: ١٣)

أعزائي المؤمنين، إن كان لكم أن تكونوا أكثر سعادة في خدمة المسيح، فاعملوا دوماً على أن تكونوا شاكرين أكثر. صلوا لكي تعرفوا المزيد وأكثر فيما هو أمر كتابي بالقول: «**افْرَحُوا فِي الرَّبِّ**» (فيلبي ٣: ١). تعلَّموا أن يكون لكم إحساس أعمق بإثمكم التعيس وفسادكم وأن تكونوا شاكرين على نحو أعمق على أنكم أنتم ما أنتم بنعمة الله. وللأسف إن هنالك كثيراً من الاحتجاج والقليل من الشكر فيما بين شعب الرب. هنالك الكثير من التذمر والاشتهاء لما ليس لدينا. وهنالك القليل جداً من التمجيد والتبريك للرحمات غير المستحقة التي نحصل عليها. فيا ليت الله يسكب علينا المزيد من روح الشكر الكثير والتسبيح.

أعزائي المؤمنين، إن كان لكم أن تكونوا أكثر سعادة في خدمة المسيح فاعملوا دوماً ليكون لكم المزيد من عمل الخير. انظروا حولكم في الدائرة التي تتلقون فيها أنصبتكم من الله وتجهزوا لكي تكونوا ذوي نفع. جاهدوا لتكونوا متصفين بما لله؛ فهو ليس مجرد صالح ولكنه كما يقول المرنم «**صَالِحٌ أَنْتَ وَمُحْسِنٌ**» (مزمور ١١٩: ٦٨). إنما للأسف الشديد إن هنالك الكثير من الأنانية بين المؤمنين في أيامنا، والكثير من التكاسل بالجلوس في البيوت شاكين أحوال قلوبنا. فانهضوا يا مؤمنين وكونوا نافعين في أيامكم لجيلكم! ألا يوجد من تتحدثون إليه؟ أليس هنالك من يمكنكم الكتابة إليه؟ أليس هنالك ما يمكن أن تعملوه لمجد الله ونفع الناس؟ أنا أستغرب، وإنه لأمر عجيب لأن هنالك الكثير مما يمكنكم عمله إن كانت لكم الرغبة بذلك. فمن أجل خاطر سعادتكم انهضوا وافعلوا ذلك من غير تأخير. إن المسيحيين الشجعان، الصريحين العاملين هم الأكثر سعادة على الدوام.

من عظة بعنوان: «**السعادة**».

درب أولادك وإلا سيدبون أنفسهم

«اَلْعَصَا وَالتَّوبِيخُ يُعْطِيَانِ حِكْمَةً، وَالصَّبِيُّ الْمُطْلَقُ إِلَى هَوَاهُ يُخْجِلُ أُمَّهُ»

(أمثال ٢٩: ١٥)

إن كنت ترغب بتدريب أولادك على نحو صحيح فدربهم في الطريق الذي يجب أن يسلكوا فيه وليس في الطريق الذي يرغبون أن يسلكوا فيه. تذكر أنّ الأولاد يولدون بنزعة محددة نحو الشر، ولذلك إذا تركتهم يختارون لأنفسهم، فالمؤكد أنهم سيختارون خطأً. الأم لا تستطيع أن تعرف ما يمكن أن يتربى عليه طفلها الغض ليكون. طويل أو قصير، ضعيف أو قوي، حكيم أو أبله. فيمكن أن يكون على أي من هذه أو غير ذلك فالأمر غير مؤكد. لكن هنالك أمر تستطيع الأم أن تقوله بالتأكيد: سيكون لديه قلب خاطئ، لأن من الطبيعي لنا أن نخطئ. «**اَلْجَهَالَةُ** (يقول سليمان الحكيم) **مُرْتَبِطَةٌ بِقَلْبِ الْوَلَدِ...**» (أمثال ٢٢: ١٥) ويقول أيضاً كما في عنوان التأمل: «... **وَالصَّبِيُّ الْمُطْلَقُ إِلَى هَوَاهُ يُخْجِلُ أُمَّهُ**» (أمثال ٢٩: ١٥). إن قلوبنا كالأرض التي نسير عليها. أهملها، فتنتج لك الأعشاب الضارة.

إذاً والحالة هذه، إذا أردت أن تكون حكيماً بالتعامل مع أولادك فيجب ألّا تتركهم لقيادة وإرشاد إرادتهم الخاصة. فكّر معهم واقضِ معهم، اعمل معهم، كما لو تعمل مع عميان وضعفاء. لكن من أجل الشفقة لا تدعهم يتابعون أذواقهم وميولهم العنيدة الصعبة المراس. فلا يجب أن تكون نزعاتهم ورغباتهم هي المفضلة. إنهم لا يعرفون بعد ما هو الأفضل لعقولهم وأنفسهم أكثر مما هو صالح لأبدانهم. فأنت لا تتركه يقرر ماذا يأكل وماذا يشرب أو ماذا يلبس. فكن متيناً ومتناغماً وتعامل مع أذهانهم بنفس الطريقة. دربهم بالسبل التي هي كتابية وصحيحة، وليس بما يظنون أنه الصحيح.

من كتابه: «**واجبات الوالدين**». وهو كتاب سبق ترجمته من قبل مترجمي كتاب التأملات هذا بدعم وإشراف (Amen Organization) ويمكن الحصول عليه منهم مجاناً.

كيف يعمل الروح القدس في المؤمنين، (الجزء الأول).

«اللَّذَيْنِ بِهِمَا قَدْ وَهَبَ لَنَا الْمَوَاعِيدَ الْعُظْمَى وَالثَّمِينَةَ، لِكَيْ تَصِيرُوا بِهَا شُرَكَاءَ الطَّبِيعَةِ الإِلهِيَّةِ، هَارِبِينَ مِنَ الْفَسَادِ الَّذِي فِي الْعَالَمِ بِالشَّهْوَةِ»

(٢ بطرس ١: ٤)

بالحديث عن طريقة عمل الروح القدس، أود أن أسجل ببساطة وبالتحديد حقائق رئيسية محددة. إنها حقائق يصادق عليها الكتاب والاختبار كليهما. إنها حقائق ظاهرة للعيان لكل مراقب خبير ونزيه. وأعتقد أنها حقائق يستحيل إنكارها.

فأقول إذاً إنّ الروح القدس يعمل في قلب الإنسان بطريقة ملغزة. فربنا يسوع المسيح يقول لنا ذلك بكلمات معروفة: «**اَلرِّيحُ تَهُبُّ حَيْثُ تَشَاءُ، وَتَسْمَعُ صَوْتَهَا، لكِنَّكَ لاَ تَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ تَأْتِي وَلاَ إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ. هكَذَا كُلُّ مَنْ وُلِدَ مِنَ الرُّوحِ**» (يوحنا ٣: ٨). لا نستطيع أن نفسر كيف وبأية طريقة يأتي الروح الكلي القدرة إلى إنسان ويعمل فيه. ولكن هنالك ألف أمر آخر في العالم الطبيعي لا نعرف لها تفسيراً. لا يمكننا أن نفسر كيف تعمل إرادتنا يومياً في أعضاء أجسادنا وتجعلها تسير وتتحرك وتتوقف بحسب هوانا وما نريد. ومع هذا لا أحد يفكر بأن يحاجي الحقيقة. هكذا يكون الأمر بعمل الروح. فعلينا أن نصدّق الحقيقة برغم أننا لا نستطيع أن نعرف لها تفسيراً.

وأقول أيضاً إن الروح القدس يعمل في قلب الإنسان بطريقة سيادية بالكليّة فيأتي إلى إنسان ولا يأتي إلى إنسان آخر. وغالباً ما يجدد أحداً في عائلة بينما يُترك الباقون وشأنهم. كان هنالك لصان صلبا مع الرب يسوع المسيح على الجلجثة. وكلاهما رأى نفس المخلص يموت وسمعا نفس الكلمات تخرج من شفتيه الكريمتين. مع هذا تاب أحدهما وذهب إلى الفردوس بينما مات الآخر بخطاياه. وإلى جانب شاول كان كثير من الفريسيين لهم يد في اغتيال استفانوس لكن شاول وحده صار رسولاً للمسيح. والأمثلة كثيرة على هذه المسألة. لكن ما نعلمه هو أنَّ هكذا حدثت الأمور.

من عظة بعنوان: «**الروح القدس**».

كيف يعمل الروح القدس في المؤمنين (الجزء الثاني)

«اللَّذَيْنِ بِهِمَا قَدْ وَهَبَ لَنَا الْمَوَاعِيدَ الْعُظْمَى وَالثَّمِينَةَ، لِكَيْ تَصِيرُوا بِهَا شُرَكَاءَ الطَّبِيعَةِ الإِلهِيَّةِ، هَارِبِينَ مِنَ الْفَسَادِ الَّذِي فِي الْعَالَمِ بِالشَّهْوَةِ»

(٢ بطرس ١: ٤)

وأقول أيضاً إنَّ الروح القدس يعمل في قلب الإنسان بطريقة يجري الإحساس بها. ولا أقول إن المشاعر التي يثيرها يفهمها دائماً من يعمل به الروح. بل على العكس أقول إنها على الدوام مثار تلهّف وربما نزاع داخلي. كلّ ما أؤكده هو أنَّ لا بينة من الكلمة المقدسة لافتراض أن هنالك حلول للروح لا يمكن الشعور به إطلاقاً. فحيث يحل الروح تتواجد مشاعر متجاوبة.

وأقول أيضاً إن الروح القدس يعمل في قلب الإنسان دائماً بطريقة تعكس ذلك في حياته. فلا أقول إنه حالما يأتي إلى إنسان فإنه يصبح على الفور مسيحياً مؤسَّساً لا يلاحظ في حياته إلا الروحانية. ولكن أقول إن الروح الكلي القدرة لا يتواجد في نفس إنسان من غير أن ينتج بعض النتائج المدرَكة في سلوك ذلك الإنسان. فهو لا يغط في النوم؛ ولا ينفق وقته في البطالة. فليس لدينا بينة من الكتاب للتحدث عن النعمة الساكنة بل: **كُلُّ مَنْ هُوَ مَوْلُودٌ مِنَ اللهِ لاَ يَفْعَلُ خَطِيَّةً، لأَنَّ زَرْعَهُ يَثْبُتُ فِيهِ، وَلاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُخْطِئَ لأَنَّهُ مَوْلُودٌ مِنَ اللهِ**» (١ يوحنا ٣: ٩). فحيثما يتواجد الروح القدس لا بد من أن يكون هنالك شيء ظاهراً.

وأقول أيضاً تحت هذا العنوان، إنّ الروح القدس يعمل عموماً في قلب إنسان من خلال استخدام وسائط. كلمة الله المسموعة أو المقروءة، غالباً ما تستخدم كوسيلة أو جهاز لتجدد النفس. فهو يطبق تلك الكلمة على الضمير، يضفيها عليه. يأتي بتلك الكلمة لتستقر في الذهن. وهذا عموماً نهجه المتبع الإجراء. وهنالك شواهد بكل تأكيد يتجدد بها الناس كما يقول بطرس في (١ بطرس ٣: ١) «**بِدُونِ كَلِمَةٍ**» أي من خلال تصرفات شخص قريب حول الإنسان أو في العائلة. ولكن كمبدأ عمومي، إن حقيقة الله هي سيف الروح. وبها يعلّم، ولا يعلّم أي شيء إلا ما هو مكتوب في الكلمة.

من عظة بعنوان: «**الروح القدس**».

القلب شرير مخادع

«اَلْقَلْبُ أَخْدَعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ نَجِيسٌ، مَنْ يَعْرِفُهُ؟
أَنَا الرَّبُّ فَاحِصُ الْقَلْبِ مُخْتَبِرُ الْكُلَى
لأُعْطِيَ كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ طُرُقِهِ، حَسَبَ ثَمَرِ أَعْمَالِهِ»

(إرميا ١٧: ٩-١٠)

تتضمن الآية الأولى المبينة في العنوان أعلاه قولاً شديد الوقع جداً على المفهوم، والعالم لا يميل إلى تصديقه، إذ يقول: «**القلب أخدع من كلِّ شيء**». وغير المؤمن يقول إنه ينكر هذا الكلام. ويضيف «إن قلبي خالي الهم وغير آبه لكنه قلب صادق». لكن النص يقول إنَّ القلب شرير مخادع، فيجيب الخاطئ قائلاً «لا شيء من هذا القبيل، وأنا أعلم أنني أهمل وسائط النعمة وأستخف بها، وربما لا أعيش كما ينبغي لي العيش لكنني أعرف أن لي قلباً صالحاً». لكن النص في العنوان يسأل: «من يعرفه؟» فيجيب «أعرفه». «نحن لا ندعي أننا قديسون كما تريد الإنسان أن يكون، لكن على كلِّ حال نعرف قلوبنا؛ ونعرف أخطاءنا بكل تأكيد».

وهكذا ترون، أيها الأعزاء، يبدو إنّ هنالك تصريحين ويجب أن يكون أحدهما خاطئاً. فالكتاب المقدس الأبدي من جهة، والمنطق البشري من جهة أخرى. الله يقول شيئاً والإنسان يقول شيئاً آخر. وبالمختصر ما لم تعرف أنت بالحقيقة خصيصة وطبيعة قلبك لن تستطيع أن تثمّن الإنجيل كما يجب، ولن تحب الرب يسوع المسيح بصدق وإخلاص، ولن تعرف كم كانت الضرورة قصوى في أن يعاني ابن الله الموت على الصليب من أجل أن يخلِّص نفوسنا من الجحيم ويأتي بنا إلى الله. إنَّ أمنيتي المؤكدة المقترنة بصلاتي هي أن تأتوا جميعكم إلى المسيح وتخلصوا من الغضب الاتي. لكن هذا لن يحصل إلى أن تقتنعوا بالخطية، ولن تقتنعوا تماماً إلى أن تعرفوا أنَّ جذور ومصدر ونبع الخطية كلها هو فيكم، في داخلكم، بل حتى في صميم قلوبكم!

من عظة بعنوان: «**قلب سيء**».

ماذا يعني أن نخلص؟

«لأَنَّكَ إِنِ اعْتَرَفْتَ بِفَمِكَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ،
وَآمَنْتَ بِقَلْبِكَ أَنَّ اللهَ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ، خَلَصْتَ»

(رومية ١٠: ٩)

ما القصد بأن نكون مخلّصين؟ هذا أمر ينبغي توضيحه. فإلى أن نعرف ذلك، لا نحرز تقدماً. فبقولنا أن نكون مخلَّصين، ربما يعني أحدنا شيئاً غير ما يعنيه الآخر. فدعني أخبركم ما يقوله الكتاب المقدس بعبارة أن نخلص، وبعد ذلك لن يكون هنالك سوء فهم. إنّ قولنا نخلص لا يعني مجرد أن نشهد وندعو أنفسنا مسيحيين. فقد يكون لدينا كلّ المظاهر الخارجية المسيحية ومع ذلك نضل. يمكن أن نُعمَّد في كنيسة المسيح ونأتي إلى مائدة الرب وتكون لدينا معرفة، ونحسب مسيحيين ومسيحيات، ومع ذلك نبقى كلّ حياتنا أموات النفوس وأخيراً في يوم الدينونة نوجد إلى يسار الرب يسوع المسيح بين الجداء! لا! إن هذا ليس خلاصاً! فالخلاص أرفع وأعمق من هذا. فما هو؟

أن نخلص يعني أن نتخلص في هذه الحياة من ذنب الخطية بالإيمان بيسوع المسيح، المخلّص. أن يغفر لنا، ونبرر ونتحرر من كلِّ تُهَم الخطية بالإيمان بدم المسيح وشفاعته. كلُّ من يؤمن بقلبه بالرب يسوع المسيح يخلص. ولن يهلك. وستكون له الحياة الأبدية. وهذا هو الجزء الأول من الخلاص وجذر كلّ ما يتبقى. لكن هذا ليس كلّ شيء.

فأن نخلص يعني أن نتخلص في هذه الحياة من سلطة الخطية بأن نولد من جديد ونتقدس من الروح القدس. هو أن نتحرر من سلطان الخطية الكريهة، والعالم، والشيطان بأن تكون لنا طبيعة جديدة يضعها الروح القدس فينا. فكلُّ من يولد من فوق بروح ذهنه ويتجدد هو نفس مخلصة. ولن يهلك. وسيدخل إلى ملكوت الله المجيد. بعد كل هذا، إنَّ الغاية الكبرى في أن يكون للإنسان دين هي أن يخلص. هذه هي المسألة التي ينبغي تسويتها في ضمائرنا.

من عظة بعنوان: «**قليلون يخلصون**».

عمل الخير في هذا العالم

«فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ»

(متى ٥: ١٦)

دعونا ننشط أكثر في مساعي عمل الخير للعالم. فبالتأكيد يمكننا أن نعمل لغير المتجددين أكثر بكثير مما عملناه بعد. كثير منا، للأسف، يأخذون الأمور بهدوء حتى يحسب المرء أنَّ كل واحد منا قد تجدَّدَ وأن ملكوت المسيح قد تأسس بالتمام. فأنا أناشدكم أن نضع هذه العادات الكسولة جانباً. هل كلّ أصدقائنا في المسيح؟ هل كلّ أقاربنا ومعارفنا قد دخلوا الفلك؟ هل كلّ من يمكننا الاتصال بهم قبلوا الحقيقة في محبته؟ هل دعوناهم كلّهم إلى الدخول؟ هل أخبرناهم عن كلِّ طريق الخلاص وعن اختبارنا بأنَّ الطريق صالح؟ هل عملنا كلَّ ما نستطيع عمله؟ هل حاولنا بكل الوسائل المتاحة؟ هل بقي من لم نره الحنان المسيحي في الإنجيل؟ هل يمكننا أن نرفع أيدينا إلى الله والأنفس من حولنا تؤخذ الواحد تلو الآخر ونقول: أيدينا لم تسفك هذا الدم، وأعيننا لم تبصر؟

فبالتأكيد، يا أخوتي الأعزاء، إنَّ النعمة يجب أن تكون ناشطة من حيث مبدأ محاولة نشر التقى والصلاح لأن الخطية تحاول نشر الشر. فبالتأكيد لو كان لنا الجزء العاشر من الحماس الذي يبذله إبليس لتوسيع مملكته فإننا سنكون أكثر ملئاً بكثير من العناية لأنفس البشر. أين هي رحمتنا وأين حناننا إن كنا نرى مرض النفس ولا نحاول تخفيضه. فلننتبه إلى فهم صحيح لمسؤوليتنا في هذا الأمر. نحن نتذرع بأن العالم مليء بالشر والآثام، وهذا صحيح. إنما هل يعمل كلٌّ منا دوره في محاولة جعله أفضل؟

من عظة بعنوان: «**فكروا ملياً بطرقكم**».

تمسكوا وتشبثوا بالتبرير بالإيمان وحده

«وَأَمَّا الَّذِي لاَ يَعْمَلُ، وَلكِنْ يُؤْمِنُ بِالَّذِي يُبَرِّرُ الْفَاجِرَ، فَإِيمَانُهُ يُحْسَبُ لَهُ بِرًّا»

(رومية ٤: ٥)

إن كنت تحب الحياة فتمسك بعقيدة التبرير بالإيمان. وإن كنت تحب السلام الداخلي فلتكن آراؤك بالإيمان بمنتهى البساطة. فاحترم وافخر بكل ما في الدين المسيحي. اعمل بجد طيلة حياتك من أجل ضرورة القداسة. استخدم كل وسائط النعمة بإتقان واحترام، إنما لا تعطِ هذه الأمور مكانة تبرير نفسك حتى إلى أصغر حد. فإن كنت تبغي السلام وتحتفظ به فتذكر أن الإيمان وحده هو الذي يبرر وليس على أساس أهلية المكافأة، بل على أساس العمل الذي يصل النفس بالمسيح. وصدقني إن أكليل مجد الإنجيل هو التبرير بالإيمان بدون أعمال الناموس.

لا عقيدة يمكن تصور أنها تمجد الله. فهي تكرِّم كلَّ صفاته، عدله، رحمته، وقداسته. وتعطي كامل فضل خلاص الخطاة إلى المخلص الذي عينه الله. تكرم الابن وتكرم الآب الذي أرسله، ونحن نقرأ في (يوحنا ٥: ٢٣) «**لِكَيْ يُكْرِمَ الْجَمِيعُ الابْنَ كَمَا يُكْرِمُونَ الآبَ. مَنْ لاَ يُكْرِمُ الابْنَ لاَ يُكْرِمُ الآبَ الَّذِي أَرْسَلَهُ**». فالعقيدة لا تعطي شركة للناس في أمر فدائهم وإنما تجعل الفداء كاملاً من الرب. ويجب أن يكون الأمر من الله. لا عقيدة يمكن تصور أنها تحسب الإنسان إلا في مكانه الصحيح. بل تظهر للإنسان إثمه وضعفه وعجزه عن أن يخلِّص نفسه بأعماله. وتبقيه بلا عذر إن هو لم يخلص أخيراً. وتقدم له السلام والغفران مجاناً حيث نقرأ قول الوحي الكريم «**أَيُّهَا الْعِطَاشُ جَمِيعًا هَلُمُّوا إِلَى الْمِيَاهِ، وَالَّذِي لَيْسَ لَهُ فِضَّةٌ تَعَالَوْا اشْتَرُوا وَكُلُوا. هَلُمُّوا اشْتَرُوا بِلاَ فِضَّةٍ وَبِلاَ ثَمَنٍ خَمْرًا وَلَبَنًا**» (إشعياء ٥٥: ١). إذاً يجب أن يكون من الله.

ولا عقيدة يمكن تصور أنها أكثر تلبية للمسيحي الحقيقي من هذه. إنها تقدم له أرضية صلبة من العزاء، بعمل المسيح الكامل. فإن كان هنالك ما تبقى للمسيحي أن يقوم به فأين وبمن يكون عزاؤه؟ فهو لن يعلم أنه قد عمل ما يكفي وأنه بالحقيقة آمنٌ على سلامة نفسه. ولكن عقيدة أن المسيح يتعهد ويتحمل الكل وأن علينا فقط أن نؤمن ونقبل السلام تغطي الأمر بكامله وتزيل كل تخوف. إذاً يجب أن يكون الأمر من الله.

من عظة بعنوان: «**التبرير**».

المسيح غير المتغير

«يَسُوعُ الْمَسِيحُ هُوَ هُوَ أَمْسًا وَالْيَوْمَ وَإِلَى الأَبدِ»

(عبرانيين ١٣: ٨)

هو هو دائماً! لا يتغير! إنه الشخص المجيد. الشخص الذي لا ينتمي إلى أي شيء من الأرض؛ الشخص الوحيد المستحق كونه الرب من السماء.

من قبل أن تولد الجبال أو تتكون الأرض والمسكونة، منذ الأزل كان المسيح كما كان الآب. منذ البدء تعين ليكون مخلص الخطاة. وكان هو دائماً الحمل المذبوح منذ تأسيس العالم الذي بدون دمه لم يكن هنالك غفران. يسوع نفسه الذي نصبو إليه من أجل الخلاص، يسوع ذاك بنفسه كان الرجاء الوحيد لهابيل وأخنوخ ونوح وإبراهيم وكل الآباء. وما كان امتيازاً لنا أن نراه عياناً رأوه هم بالإيمان، لكن المخلص الذي أرسينا عليه وإياهم هو نفسه. إنه المسيح يسوع الذي أخبر عنه كل الأنبياء بالوصف والذات وقد أشير إليه وتمثل في كل الناموس والوصايا، وذبيحة الحمل اليومية، ومدن الملجأ، والحية النحاسية. كلُّ هذه وتلك كانت رموزاً عدة أعطيت للشعب القديم عن ذلك الفادي الذي سيأتي في ملء الزمان والذي بدونه ليس لأحد أن يخلص. ولم يكن هنالك إلا طريق واحد إلى السماء؛ ويسوع المسيح هو الطريق والحق والحياة في الماضي كما في الحاضر.

إنه هو، هو، بمحبته لجنس البشر. وكانت محبته هذه هي ما جعله يخلي نفسه ويترك الأمجاد ويأخذ شكل العبد الخادم على الأرض. وكانت المحبة هي ما دفعه إلى أن يحتمل الصليب والعار ويضع حياته من أجلنا، نحن الخطاة العاقون. وكانت المحبة هي ما دفعته إلى أن يذرف الدمع على أورشليم التي لم تعرف زمن افتقادها وسلامها. وهي نفس المحبة التي يحملها تجاه الخطاة اليوم. فهو هو أمساً واليوم وإلى الأبد.

من عظة بعنوان: «**المسيح غير المتغير**».

التكريس الذاتي

«أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِي تُقَدِّمُونَ ذَوَاتِكُمْ لَهُ عَبِيدًا لِلطَّاعَةِ، أَنْتُمْ عَبِيدٌ لِلَّذِي تُطِيعُونَهُ: إِمَّا لِلْخَطِيَّةِ لِلْمَوْتِ أَوْ لِلطَّاعَةِ لِلْبِرِّ؟»

(رومية ٦: ١٦)

إن حياة التكريس الذاتي والشركة اليومية مع الله ينبغي أن يهدف إليها كلّ من يعترف بأنه مؤمن؛ أن تتكون لدينا عادة أن نهرع إلى الرب يسوع المسيح بكل ما نجده حملاً يثقل كاهلنا سواء كان كبيراً أو صغيراً ونلقيه عليه. وأكرر أن كلَّ هذا لا يحلم بمخالفته أبناء الله المدربون على نحو جيد. لكن بالتأكيد يعلمنا العهد الجديد أننا نريد شيئاً أكثر من العموميات فيما يختص بالحياة المقدسة التي غالباً ما لا تنخس الضمير ولا تغيظ. فالتفاصيل والمحتويات الخاصة التي تتشكل القداسة منها في الحياة اليومية يجب أن توضع أمام المؤمنين ويشدد عليها من قبل كل من يتعاملون بهذا الموضوع.

إن القداسة الحقيقية لا تتشكل من مجرد الإيمان والشعور وإنما من العمل والتحمل والعرض العملي للنعمة المعلومة والمجهولة. ألسنتنا، أمزجتنا، عواطفنا الطبيعية وميولنا وسلوكنا كآباء وكأبناء، أسياد وخدام، أزواج وزوجات، حكام ورعية، لباسنا، استخدامنا لأوقاتنا المتاحة، وسلوكنا في العمل، سلوكنا في الصحة والمرض، في الغنى والفقر، كلُّ هذه أمور يتناولها الكتاب الملهمون. وهي ليست متضمنة بعبارات عامة بما يجب أن نؤمن ونشعر وكيف ينبغي أن تكون جذور القداسة مزروعة في قلوبنا. إنهم يتعمقون ويدخلون بالخصوصيات ويصفون ما ينبغي أن يعمله الإنسان المقدس في عائلته ومجتمعه. فيجب أن نتذكر أن السعادة الحقيقية لا تتشكل من محض المشاعر الداخلية والانطباعات. إنها أكثر من ذرف الدموع والأحزان والإثارة الجسدية، والمشاعر العاطفية ذات العلاقة بمعلمينا المفضلين وحزبنا الديني واستعدادنا للنزاع مع كلِّ من لا يتفق معنا. بل هي شيء من صورة المسيح أي «**مُشَابِهِينَ صُورَةَ ابْنِهِ**» (رومية ٨: ٢٩) التي يمكن رؤيتها ومتابعتها من قبل الآخرين في حياتنا الخاصة وعاداتنا وشخصيتنا وأفعالنا.

من كتاب «**القداسة**».

رجاؤنا العظيم

«ثُمَّ نَسْأَلُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ مِنْ جِهَةِ مَجِيءِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَاجْتِمَاعِنَا إِلَيْهِ»

(٢ تسالونيكي ٢: ١)

ظن بولس الرسول بجلاء ووضوح أن التجمع في اليوم الأخير أمر مفرح للمسيحيين ينبغي عليهم أن يبقوه ماثلاً أمامهم. وصنَّفه بذلك المجيء الثاني لربنا، والذي يقول في مكان آخر أنّ المؤمنين يحبونه ويتوقون إليه. ورفّعه بالتمجيد في الأفق البعيد كواحد من الأمور الصالحة الآتية والتي يجب أن تنشط إيمان كل سائح في الطريق الضيق. وليس فقط يبدو أنه يقول إن لكلّ خادم للرب راحة وملكوت وإكليل بل إضافة إلى ذلك يسعد بما يسميه «اجتماعنا». والآن أين هي البركة المتميزة في هذا الاجتماع؟ ولماذا هو أمر ينبغي أن نتطلع إليه بفرح ونتوقعه بالمسرة؟ دعونا نرى.

الأمر الأول هو أنّ اجتماع كل المسيحيين الحقيقيين سيكون مجموعة حال أشياء مغايرة كلياً لوضعهم الحالي في العالم. فالتفرق وليس الاجتماع هو قاعدة وجود الإنسان الآن. فمن كل الملايين التي تولد كل عام في العالم قليلون الذين يبقون معاً إلى أن يموتوا. فالأولاد الذين يرون النور تحت سقف واحد ويلعبون في دار واحدة، سيتفرقون عندما يكبرون وكلّ منهم يموت في مكان بعيد عن الآخر. فنفس القاعدة مطبقة على شعب الله فهم متفرقون وكلّ منهم في مكان ولا يتابعون كلهم معاً. وربما كان هذا بلا ريب أمر مفيد للعالم. فالمدينة ستكون مظلمة جداً في الليل إذا كانت كلّ الأنوار مضاءة في بقعة واحدة. لكن مع كون ذلك أمر جيد للعالم فهي ليست تجربة قليلة الأثر على المؤمنين. كثيرون يشعرون بالتوحد كل يوم؛ وكثيرون يتوقون إلى بعض الشركة مع الأخوة ومع الذين يحبون الرب. فكلهم يمكن أن يتطلعوا برجاء وعزاء. فالساعة آتية يوم لا يكون بعدها افتراق. فليرفعوا رؤوسهم ويفرحوا. لأنهم سيجتمعون كلهم، كلهم معاً ومع المسيح.

من عظة بعنوان: «**الاجتماع العظيم**».

عقيدة الفداء الخاص

«كَمَا أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ، وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ»

(متى ٢٠: ٢٨)

أنا أعترف، بصراحة، أنني أعتنق عقيدة الفداء الخاص بمتانة كلّ العقائد الأخرى. أنا أعتقد أنَّ لا أحد مفدي فعلاً إلا مختاري الله. فهم، وهم وحدهم محررون من ذنب وسطوة وتبعات الخطية. على أنني أعتقد بنفس التصميم أن عمل المسيح الكفاري كافٍ وافٍ لجميع البشر. فهنالك مفهوم بأنه قد ذاق الموت عن كلّ إنسان وحمل على عاتقه خطية العالم (عبرانيين ٩:٢؛ يوحنا ٢٩:١). ولا أتجاسر على أن أمحو أو أعلّقَ بعيداً ما تظهره لي العبارات الواضحة في الأسفار المقدسة. كما لا أتجاسر على أن أغلق الباب الذي على ما يبدو لعينيّ أن الله قد تركه مفتوحاً. ولا أتجاسر أيضاً على أن أخبر أي إنسان على وجه الأرض أن المسيح لم يفعل شيئاً وأن ليس لديه ضمان لما يقدمه بشجاعة إلى المسيح من أجل الخلاص. فعلي أن أتمسك بعبارات الكتاب المقدس. المسيح هو عطية الله للعالم أجمع.

ودعونا نلاحظ مدى معطائية الدين المسيحي. فالمواهب، والمحبة، والنعمة المجانية، هي الخصائص الكبيرة التي تميز الإنجيل الطاهر. الله أحب العالم وبذل ابنه الوحيد. الابن يحبنا ويهب نفسه لأجلنا. والآب والابن معاً يهبان الروح القدس لكل من يطلب. كلٌ الأقانيم الثلاثة في الثالوث المقدس يعطون النعمة فوق النعمة للذين يؤمنون. فلا نخجل أبداً بكوننا مسيحيين إن كنا نعلن بأن لنا رجاء في المسيح. دعونا نعطي بحريتنا وبسخائنا وبإنكار الذات، طالما لنا قوة وفرصة لنقوم بذلك. ولا تكون محبتنا مقتصرة عبارات اللطف الباهتة والشفقة. بل نبرهن على إيماننا والتزامنا بالعمل. ودعونا نؤيد قضية المسيح على الأرض ببذل المال والنفوذ والألم والصلاة. فإن كان الاله أحبنا حتى أعطانا ابنه من أجل خلاص أنفسنا فحري بنا أن نحسبها ميزة ومناسبة لنا وليس حملاً ثقيلاً علينا أن نعطي ما نستطيع من أجل خير الناس.

من عظة بعنوان: «**الإيمان**».

هل لديك منزل لنفسك

«لأَنْ لَيْسَ لَنَا هُنَا مَدِينَةٌ بَاقِيَةٌ، لكِنَّنَا نَطْلُبُ الْعَتِيدَةَ»

(عبرانيين ١٣: ١٤)

هل لديك منزل لنفسك؟ هل نفسك آمنة؟ هل هي مغفورة الخطايا؟ هل هي مستعدة لملاقاة الله؟ أتمنى لك من كلِّ قلبي منزلاً سعيداً. لكن تذكر سؤالي. في وسط تحيات وسلامات المنزل، وبين اللقاء والرحيل، وبين الضحك والمرح، وبين الأفراح والمشاركات الوجدانية، فكر، فكر بسؤالي. هل لديك منزل لنفسك؟ منازلنا الأرضية ستغلق إلى الأبد. الوقت يسرع بخطوات واسعة. الشيخوخة والموت سيدركنا لا محالة قبل مرور السنوات. فاطلب أن يكون لك منزل دائم للجزء الأفضل من ذاتك، الجزء الذي لا يموت، قبل فوات الأوان، اطلب منزلاً لنفسك.

اطلب المسيح لتكون سالماً. ويل للإنسان الذي سيتواجد خارج الفلك عند انطلاق غضب الله على العالم الخاطئ. اطلب المسيح لكي تكون سعيداً. ليس لأحد الحق المجرد ليكون فرحاً، بهيجاً جذلاً خالياً من الهموم، ومرتاحاً إلا من كان لهم منزل لنفسهم. وأكرر القول اطلب المسيح بدون تأخير.

فإن كان المسيح هو منزل نفسك فاقبل مني تنبيهاً ودياً. احذر من أن تخجل بمنزلك في أي مكان أو مع أي كان. من يخجل من مسقط رأسه، ومن الأبوين الذين ربوه في طفولته والأخوة والأخوات الذين لعب معهم، هذا الإنسان بوجه العموم يمكن تصنيفه بأنه جدير بالازدراء. لكن ماذا يمكن أن نقول عن الإنسان الذي يخجل بمن مات عنه على الصليب؟ ماذا نقول عن الإنسان الذي يخجل من سيده ومن منزله أو وطنه؟ احذر من أن تكون ذلك الإنسان. فمهما يكون ما يقوله أي من الناس من حولك أو يسهم التفكير به فلا تخجل من كونك مسيحياً. دعهم يضحكون ويسخرون ويمزحون ويهزؤون، إن هم فعلوا. فلن يستطيعوا أن يهزؤوا ويضحكوا ويمزحوا في ساعة الموت وفي يوم الدينونة العظيم. ارفع رايتك عالياً وأظهر ألوانك وسمرها على السارية. وانتبه بأن لا تستحي إطلاقاً بسيدك. ولا تخجل من منزلك.

من عظة بعنوان: **«منزلنا»**.

ورثة الله

«لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَنْقَادُونَ بِرُوحِ اللهِ، فَأُولئِكَ هُمْ أَبْنَاءُ اللهِ.
إِذْ لَمْ تَأْخُذُوا رُوحَ الْعُبُودِيَّةِ أَيْضًا لِلْخَوْفِ،
بَلْ أَخَذْتُمْ رُوحَ التَّبَنِّي الَّذِي بِهِ نَصْرُخُ: «يَا أَبَا الآبُ».
اَلرُّوحُ نَفْسُهُ أَيْضًا يَشْهَدُ لأَرْوَاحِنَا أَنَّنَا أَوْلاَدُ اللهِ.
فَإِنْ كُنَّا أَوْلاَدًا فَإِنَّنَا وَرَثَةٌ أَيْضًا، وَرَثَةُ اللهِ وَوَارِثُونَ مَعَ الْمَسِيحِ.
إِنْ كُنَّا نَتَأَلَّمُ مَعَهُ لِكَيْ نَتَمَجَّدَ أَيْضًا مَعَهُ»

(رومية ٨: ١٤-١٧)

يتوجه بولس الرسول بالكلام في هذه الآيات الكريمة إلى أغنى الناس على الأرض. ويدعوهم «**وَرَثَةُ اللهِ وَوَارِثُونَ مَعَ الْمَسِيحِ**». وإرث هؤلاء الناس هو الإرث الوحيد المستأهل والجدير بالحصول عليه، وكلُّ ميراث غيره لا يعدو أن يكون غير مرضٍ ومخيب للأمل إذ يأتي معه بكثير من الهموم ولا يشفي القلب المتوجع ولا ينير الضمير المثقل، ولا يستبعد المشاكل العائلية ولا يمنع المرض والثكل والفرقة والموت. لكن ليس هنالك هموم البتة لدى ورثة الله.

والميراث الذي أتكلم عنه هو الوحيد الذي يمكن الاحتفاظ به إلى الأبد. كلُّ ما عداه يترك في ساعة الموت إن لم يكن قد انتزع قبل ذلك. أصحاب الملايين لا يمكنهم أن يأخذوا معهم منها شيئاً إلى ما بعد القبر. لكن الأمر ليس كذلك مع ورثة الله لأن ميراثهم أبدي. والميراث الذي أتكلم عنه هو الوحيد الذي يمكن لكل البشر الحصول عليه. معظم الناس لا يستطيعون أن يبلغوا الثراء والعظمة مع أنهم يعملون في سبيل ذلك طيلة حياتهم. لكن المجد والكرامة والحياة الأبدية تقدَّم مجاناً لكل إنسان يرضى بقبولها بشروط الله. نعم كلّ من يمكن أن يكون من ورثة الله ووارث مع المسيح.

من عظة بعنوان: **«ورثة الله»**.

يسوع يقول، تعالوا

«تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ»

(متى ١١: ٢٨)

كم أحب هذه الكلمة: «**تعالوا**». إنها تبدو لي زاخرة بالنعمة والرحمة والتشجيع. «تعالوا الآن» يقول الرب في إشعياء «**هَلُمَّ نَتَحَاجَجْ، ...، إِنْ كَانَتْ خَطَايَاكُمْ كَالْقِرْمِزِ تَبْيَضُّ كَالثَّلْجِ**» (إشعياء ١:١٨). «**تعالوا**» هي الكلمة التي حمّلها الملك صاحب العرس لرسله في مثل عشاء العرس ليبلغوها للمدعوين: «**كُلُّ شَيْءٍ مُعَدٌّ. تَعَالَوْا إِلَى الْعُرْسِ!**» (متى ٢٢: ٤). و«**تعالوا**» هي الكلمة الأخيرة في الكتاب المقدس للخطاة: «**وَالرُّوحُ وَالْعَرُوسُ يَقُولاَنِ: «تَعَالَ»**» (رؤيا ١٧:٢٢).

يسوع لا يقول «اذهب هيئ نفسك»، فهذا كلام الفريسيين جماعة البر الذاتي. «اذهب واعمل البر والصلاح، قم بكذا وكذا من الأعمال لتخلص». لا... لكن يسوع يقول: «**تعالوا**». إنها كلمة الدعوة الرحيمة. والمعنى فيها «أريدكم أن تهربوا من الغضب الآتي. فلا أريد لأحدكم أن يهلك، ولا مسرّة لي بالموت، وسيسرني أن الكل يخلصون، وأقدم ماء الحياة مجاناً فتعالوا إلي».

«**تعالوا**» هي كلمة الأمل المتسم بالشفقة. وتشير بمعناها للقول: «إني هنا أنتظركم. أجلس على كرسي نعمتي متوقعاً حضوركم. أنتظر لأكون منعماً عليكم. أنتظر المزيد من الخطاة ليحضروا قبل أن أغلق الباب. أريد المزيد من الأسماء لتكتب في سفر الحياة قبل أن يغلق السفر إلى الأبد. إذاً تعالوا إلي. «**تعالوا**» هي كلمة التشجيع الكريم. وتشير بمعناها إلى القول: «إن لدي كنوزاً لأغدق بها إن كنتم تقبلونها. لدي ما أعطيه مما يستأهل الحضور: غفران مجاني، وثوب البر، والقلب الجديد، ونجم السلام. فلذا تعالوا إلي.

أطلب منكم أيها الأخوة الأعزاء أن تستمعوا لهذه الكلمات وتضعوها في قلوبكم. ألتمس هذا من سيدي. أقف هنا سفيراً طالباً منكم أن تأتوا وتتصالحوا مع الله. قولوا له إنكم سمعتم أنه يستقبل الخطاة؛ أنكم أنتم المستهدفون، وأنكم تريدون أن تخلصوا. قولوا له إنَّ لا شيء لديكم تلتمسونه إلا نفاذ دعوته، أنه قال: «**تعالوا**»، ولذلك تأتون إليه تلبية لهذه الدعوة الكريمة.

من عظة بعنوان «**تعالوا إلي**».

الحكم الشخصي

«امْتَحِنُوا كُلَّ شَيْءٍ. تَمَسَّكُوا بِالْحَسَنِ»

(١ تسالونيكي ٥: ٢١)

عندما أقول حق الحكم الشخصي، فإنني اقصد أنَّ كلَّ شخص مسيحي له الحق في أن يحكم بنفسه أو بنفسها فيما يتعلّق بكلمة الله ما إذا ما وضع أمامه أو أمامها على أنه حقيقة دينية وأنه هو حق الله أم لا. وعندما أقول واجب الحكم الشخصي فأنا أعني أنَّ الله يطالب كلَّ مسيحي باستخدام الحق الذي تكلمت عنه آنفاً ليقارن الكلمات أو الكتابات البشرية مع رؤيا الله وأن يتأكد أنه غير مضلَّل أو مساق بتعليم كاذب زائف.

وعندما أقول ضرورة الحكم الشخصي فإنني أعني ما يلي: إن من الضرورة المطلقة لكلِّ مسيحي يحب روحه ولا يضلَّل بممارسة حقه وإبطال الواجب الذي أشرت إليه، مرتئياً أنَّ الخبرة التي تظهر إهمال واجب الحكم الشخصي كانت دائماً سبب الشرور الهائلة في كنيسة المسيح. وهنا يجب أن نتذكر أنّ بولس الرسول يكتب إلى أهل تسالونيكي، إلى الكنيسة التي أسسها هو بنفسه. فانتبه جيداً إلى ما يقول: «**امْتَحِنُوا كُلَّ شَيْءٍ**» ولا يقول: «ما يقوله الرسل ما يقوله المبشرون، الرعاة، المعلمون، أو أساقفتكم، أو كهنتكم وخدامكم، بأنه الصحيح لتؤمنوا به» كلا، بل يقول: «**امْتَحِنُوا كُلَّ شَيْءٍ**». ولا يقول «ما تعلن الكنيسة العالمية بأنه الصحيح لتتمسكوا به»، كلا بل يقول: «**امْتَحِنُوا كُلَّ شَيْءٍ**». فالمبدأ الموضوع هو امتحنوا كلَّ شيء بموجب كلمة الله. وكل شيء يعني كلّ الخدام وكلّ تعليم، وكلّ كرازة، وكلّ العقائد، وكلّ المواعظ وكل الكتابات وكل الآراء وكل الممارسات. فامتحنوا كلَّ شيء بكلمة الله.

قيسوا كل شيء بمقياس الكتاب المقدس. قارنوا كلَّ شيء بمعيار الكتاب المقدس.

أوزنوا كلَّ شيء بميازين الكتاب المقدس. امتحنوا كلَّ شيء على نور الكتاب المقدس. اختبروا كلّ شيء ببوتقة الكتاب المقدس. فما يحتمل حرارة لهب الكتاب المقدس اقبلوه وتمسكوا به وآمنوا به وأطيعوه. وما لا يمكنه تحمل حرارة لهب الكتاب المقدس انبذوه وارفضوه وأنكروه واجحدوه وألقوه بعيداً عنكم ضاربين به عرض الحائط.

من عظة بعنوان: «**الحكم الشخصي**».

الكتاب المقدس وحده

«اَلسَّمَاءُ وَالأَرْضُ تَزُولاَنِ وَلكِنَّ كَلاَمِي لاَ يَزُولُ»

(متى ٢٤: ٣٥)

الكتاب المقدس وحده هو الذي يعطينا الآراء الحقيقية عن الله. فالإنسان بالطبيعة لا يعرف شيئاً عنه تعالى. كل مفاهيم الإنسان عن الله قليلة منخفضة تحبو حبواً. ما الذي يمكن أن يكون أكثر انحطاطاً من آلهة الكنعانيين والمصريين والبابليين واليونان والرومان؟ وماذا يمكن أن يكون أكثر تفاهة من آلهة الهندوس وغيرهم من الآلهة الوثنية في عصرنا؟ بالكتاب المقدس نعلم أنّ الله يكره الخطية. خراب العالم القديم بالطوفان، دمار سدوم وعمورة، غرق فرعون والمصريين في البحر الأحمر، زوال الأمم الكنعانية، خراب أورشليم والهيكل، تشتت اليهود، كل هذه شواهد واضحة جلية.

وبالكتاب المقدس نعرف أنَّ الله يحب الخطاة. فوعده الكريم يوم سقوط آدم، وطول انتظار أناة الله في أيام نوح، وإخراجه لبني إسرائيل من أرض مصر، وإعطائه الناموس في جبل سيناء، وإدخاله الأسباط إلى أرض الميعاد، وتدرعه بالصبر في أيام القضاة والملوك، وتكرار تنبيهاته بفم أنبيائه، وإعادته لبني إسرائيل بعد السبي البابلي، وإرساله ابنه إلى العالم في ملء الزمان ليصلب، وأمره للرسل بتبشير الأمم بالإنجيل، كلّ هذه حقائق ناطقة. والكتاب المقدس وحده يفسر حال الأمور التي نراها واقعة حولنا في العالم، إذ هنالك أمور كثيرة لا يستطيع الإنسان الطبيعي أن يفسرها، كأوضاع التفاوت الاجتماعي المذهلة من الفقر والبؤس، والظلم والاضطهاد، والزلازل والاضطرابات، وسقوط الحكام والمشرّعين، والتواجد الدائم للشرور والإساءات المستعصية، كلُّ هذه الأمور محيرة ومربكة له. فالإنسان يرى بأم عينيه لكنه لا يفهم. لكن الكتاب المقدس يوضح بجلاء أنَّ هنالك، وفي زمن أقصر مما قد يكون متوقعاً، أياماً صالحة قادمة بالتأكيد، أيام المعرفة الكاملة، والعدالة الخالصة، والسعادة التامة والسلام المطلق!

من عظة بعنوان: «**الوحي والإلهام**».

كيف تحرَّف كلمة الله

«لأَنَّنَا لَسْنَا كَالْكَثِيرِينَ غَاشِّينَ كَلِمَةَ اللهِ،
لكِنْ كَمَا مِنْ إِخْلاَصٍ، بَلْ كَمَا مِنَ اللهِ نَتَكَلَّمُ أَمَامَ اللهِ فِي الْمَسِيحِ»

(٢ كورنثوس ٢: ١٧)

نحن نغش أو نحرف كلمة الله على أخطر ما يكون عندما نلقي الريب والشك على مطلق وحي الله المتمثل في الأسفار المقدسة. وهذا ليس محض غش الكأس وحسب بل يتعدى ذلك إلى إفساد المنهل كله. وهذا ليس مجرد إفساد دلو الماء الحي الذي نعلّمه ونشهد به ونقدمه للناس بل إنَّ هذا تسميم للنبع كله. وعندما نخطئ في هذه النقطة تصير كلُّ مادة ديننا في خطر. إنه خلل وعيب في الأساس. أنه دودة في أصل لاهوتنا. فإذا ما سمحنا لهذه الدودة بأن تنخر الجذر فلا نفاجأ إذا ما لحقت بها الأغصان والأوراق بالتعفن.

وثانياً، نحن نغش ونحرف كلمة الله عندما نضع صيغاً معابة أو منقوصة للعقيدة. وغالباً ما نصنع ذلك بإضافة آراء الكنيسة أو آباء الكنيسة إلى الكتاب المقدس وكأنهم ذوو سلطان مساو لمن أوحى بالكلمة. وكذلك أيضاً عندما نحذف أو نختصر شيئاً من الكتاب المقدس لنسر الناس. ونفعل ذلك أيضاً بأن نتغاضى عن عبارات من الكتاب المقدس جراء مشاعر التحررية العصرية إذ نشعر بأنَّ كلمات الكتاب تضيق عن تضمن ما يريدون نشره. ونفعل ذلك أيضاً عندما نلين ونضعف أي شيء معلن عن العقاب الأبدي أو حقيقة وجود جهنم.

وفي المقام الثالث نحن نغش ونحرّف كلمة الله عندما نصنع لها تطبيقاً عملياً معاباً أو منقوصاً. ونحن نفعل ذلك عندما لا نفرق بين الصفوف في رعيتنا، وعندما نتكلم مع الجميع على أنهم قد نالوا النعمة بسبب معموديتهم أو عضوية كنيستهم ولا نضع خطاً فاصلاً ما بين من نالوا الروح القدس ومن لم ينالوه. إذاً ألسنا في خطر التداول المنقوص للكلمة في وعظنا العملي بأن لا نأتي بعبارات الكتاب المقدس إلى مختلف طبقات أو صفوف رعيتنا على حد سواء؟ نحن نتكلم بوضوح وجلاء مع الفقراء فهل نفعل هذا مع الموسرين الأغنياء أيضاً؟ وهل نحن نتكلم بصراحة ووضوح مع الطبقات العليا من المجتمع؟ أو إننا نساير أوضاعهم الخاصة تبعاً لمصالح معينة؟ إن هذه نقطة أخشى أننا نحتاج إلى أن نسائل بها ضمائرنا.

من عظة بعنوان: «**غير غاشين الكلمة**».

لأولئك الذين لديهم الروح القدس

«لِكَيْ يُعْطِيَكُمْ بِحَسَبِ غِنَى مَجْدِهِ،
أَنْ تَتَأَيَّدُوا بِالْقُوَّةِ بِرُوحِهِ فِي الإِنْسَانِ الْبَاطِنِ،
لِيَحِلَّ الْمَسِيحُ بِالإِيمَانِ فِي قُلُوبِكُمْ»

(أفسس ٣: ١٦-١٧)

دعوني أوجه كلمة نصح لكلِّ القراء الذين أخذوا روح المسيح، للنادمين، للمؤمنين، للذين يصلون، ولمحبي كلمة الله. امتلئوا بالروح. اطلبوا أن تتأسسوا أكثر وأكثر تحت سلطانه المبارك. جاهدوا لكي يؤتى بكلُّ فكر، وكلمة، وعمل، وعادة، إلى طاعة الروح القدس الهادي. لا تحزنوه بتناقضات وتضاربات العالم. لا تطفئوه بالعبث في النقائص الصغيرة والخطايا المقلقة. بل بالأحرى اطلبوا إرشاده وقيادته الكاملة لكم على الدوام. وصلّوا لكي تنموا عاماً بعد عام بنعمة ومعرفة يسوع المسيح. وهكذا تصنعون الخير للعالم. المسيحي البارز هو منارة يراها الآخرون من بعد بعيد وعريض، ويعمل الخير لعشرات آلاف البشر وهو لا يعرفهم. هذه هي الطريقة للتمتع بالكثير من الراحة الداخلية في هذا العالم، والحصول على سلام ساطع في الموت، ومن أجل أن نترك دليلاً واضحاً خلفنا وننال إكليلاً عظيماً في النهاية.

وأخيرا، صلّوا يومياً من أجل سكيب الروح العظيم على الكنيسة وعلى العالم. هذه هي الحاجة الكبرى لعصرنا. إنها الحاجة الماسة لنا أكثر من المال، والمكننة، وكل البشر. إن صحبة الكارزين في العالم المسيحي اليوم أعظم مما كانت عليه في زمن بولس الرسول؛ لكن العمل الروحي الحقيقي المنجز على الأرض بالنسبة للوسائط المستخدمة هو بلا ريب أقل بكثير. فنحن نحتاج إلى المزيد من حضور الروح القدس، أكثر على المنابر، وأكثر بين الرعية، وأكثر من الزيارات الرعوية، وأكثر في المدارس. فحيث يكون الروح القدس تتواجد الحياة والصحة والنمو والإثمار. وحيث لا يكون يبقى الكلّ ميتاً ومذللاً وشكلياً ونائما وبارداً. إذاً على جميع الذين يرغبون برؤية زيادة الدين النقي غير الملوث أن يصلّوا في كلِّ يوم لزيادة حضور الروح القدس في كلِّ فرع من كنيسة يسوع المسيح المنظورة.

من عظة بعنوان: «**الروح القدس**».

ثلاث نقاط عن القناعة

«لَيْسَ أَنِّي أَقُولُ مِنْ جِهَةِ احْتِيَاجٍ، فَإِنِّي قَدْ تَعَلَّمْتُ أَنْ أَكُونَ مُكْتَفِيًا بِمَا أَنَا فِيهِ.
أَعْرِفُ أَنْ أَتَّضِعَ وَأَعْرِفُ أَيْضًا أَنْ أَسْتَفْضِلَ.
فِي كُلِّ شَيْءٍ وَفِي جَمِيعِ الأَشْيَاءِ قَدْ تَدَرَّبْتُ أَنْ أَشْبَعَ وَأَنْ أَجُوعَ،
وَأَنْ أَسْتَفْضِلَ وَأَنْ أَتْقُصَ. أَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ الَّذِي يُقَوِّينِي»

(فيلبي ٤: ١١-١٣)

دعوني أخبركم لماذا لا يتواجد إلا القليل من القناعة في العالم. والجواب بكل بساطة لأنه لا يوجد سوى القليل من النعمة والدين الصحيح. قليلون يعرفون خطيتهم الشخصية، قليلون يعرفون استحقاقهم، وهكذا قليلون الذين يقنعون بما عندهم. التواضع، ومعرفة الذات، والرؤية الواضحة لتفاهتنا وفسادنا، هذه هي الجذور الحقيقية لراحة البال.

ودعوني أخبركم ثانياً ما عليكم أن تفعلوه إن كنتم تبغون القناعة. فعلى المرء أن يعرف قلبه ويطلب حصته من الله، فيأخذ المسيح مخلصاً له ويستخدم كلمة الله زاداً يومياً له. فالقناعة ليست التعلم عند رجلي غمالائيل بل عند قدمي الرب يسوع المسيح. فمن يتخذ الله صديقاً والسماء موطناً يمكنه أن ينتظر ما يصلح له ويمتلك القناعة.

ودعوني أخبركم أخيراً أن هنالك شيء واحد لا ينبغي أن نقنع به. ذلك الشيء هو القليل من الدين، القليل من الإيمان، القليل من الرجاء، والقليل من النعمة. فلا نجلس مكتفين بالقليل من هذه الأمور. بل على العكس من ذلك ليتنا نطلبها أكثر وأكثر.

وأمر آخر ينبغي أنْ لا يكفينا ويقنعنا على الإطلاق، وهو أي شيء يقف حائلاً ما بين أرواحنا والرب يسوع المسيح!

من عظة بعنوان: «**كونوا مكتفين**».

أربع نقاط لامتحان النفس

«جَرِّبُوا أَنْفُسَكُمْ، هَلْ أَنْتُمْ فِي الإِيمَانِ؟ امْتَحِنُوا أَنْفُسَكُمْ.
أَمْ لَسْتُمْ تَعْرِفُونَ أَنْفُسَكُمْ، أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ فِيكُمْ، إِنْ لَمْ تَكُونُوا مَرْفُوضِينَ؟»

(٢ كورنثوس ١٣: ٥)

أود أن أقدم كلمة نصح ودية. أقدم للمجتمعين بين جدران هذه الكاتدرائية في هذه الليلة بعض الغذاء للفكر وما يتعلق بامتحان النفس.

١. أولاً، كيف تقضون أوقاتكم؟ الحياة قصيرة ومتقلبة. لا تعلمون ما تجلبه الأيام. العمل والمتعة، جمع وصرف المال، الطعام والشراب، الزواج وما به من عطاء، الكلُّ، الكلُّ سينتهي ويزول إلى الأبد، فهل تهدرون الوقت أو تستغلونه للأمور الصالحة؟

٢. ثانيا، أين ستكونون في الأبدية؟ إنها آتية سريعاً، آتية علينا لا محالة، ونحن متوجهون إليها سريعاً. لكن أين ستكونون؟ على اليمين أو على اليسار في يوم الدينونة؟ بين الضالين أو بين المخلّصين؟ فلا تتركوا الأمر قبل أن تُضْمَن أنفسكم. لا تتركوا الأمر مشكوك فيه. فالموت من غير استعداد أمر مخيف، وكذا الوقوع في قبضة الله الحي.

٣. ثالثاً، هل ستكونون آمنين للزمن الحاضر وللأبدية؟ إذاً، اقصدوا المسيح وآمنوا به. تعالوا إليه كما أنتم. ادعوه ما دام موجوداً، اطلبوه وهو قريب. فمازال هناك عرش نعمة، ولم يفت الأوان. المسيح ينتظركم ليسبغ عليكم نعمته. يدعوكم لتأتوا إليه. فقبل أن يغلق الباب وتبدأ الدينونة، توبوا وآمنوا وكونوا مخلّصين.

٤. وأخيراً، هل تنشدون السعادة؟ إذاً تشبثوا بالمسيح وعيشوا حياة الإيمان به. اثبتوا فيه وعيشوا بالقرب منه. اتبعوه من كلِّ القلب والنفس والتمسوا أن تعرفوه على نحو أفضل في كل يوم. فإن تفعلوا هذا تنالون سلاماً كبيراً وأنتم تمرون بالأمور المؤقتة وفي وسط العالم المائت، **«لَنْ يَمُوتَ إِلَى الأَبَدِ»** (يوحنا ١١: ٢٦).

من عظة بعنوان «**تأملات بالخلود**».

يسوع على يمين الآب

«فَإِنْ كُنْتُمْ قَدْ قُمْتُمْ مَعَ الْمَسِيحِ فَاطْلُبُوا مَا فَوْقُ، حَيْثُ الْمَسِيحُ جَالِسٌ عَنْ يَمِينِ اللهِ»

(كولوسي ٣: ١)

فلتنظر عين إيمانكم يسوع كاهناً لكم في السماء وابتهجوا بالمشهد. فماذا سترون هناك؟ سترون نفس المخلص الذي مات عنكم وهو مرفّع إلى مكان الشرف الأعلى يقوم بعمل الوسيط والشفيع لأرواحكم. لم يكن الكلُّ قد جرى عمله عندما تألم عن خطاياكم في الجلجثة. فلقد قام وصعد إلى السماء ليتابع هناك العمل الذي بدأه على الأرض. فهناك ككاهننا وممثلنا يحيا إلى الأبد ليشفع فينا. يعرض أسماءنا على الآب. يدافع عن قضايانا باستمرار. يحصِّل لنا زاداً لا ينتهي من النعمة. يسهر على مصالحنا بعين لا تنام أبداً. حاضر صبحاً وظهراً ومساءً ليستمع إلى اعترافاتنا وليعطينا الحل والغفران، ليقوينا للعمل، ليعزينا في التجارب، ليرشدنا فيما يحيرنا، ليقيمنا في التجربة، وليحفظنا سالمين في طريق رحلتنا إلى موطننا في السماء.

فعلام تحصلون بتطلعكم إلى المسيح في العلاء؟ راحة وقوة في كلِّ معارك العمر اليومية بحياتكم. وما هو الفكر الأكثر إبهاجاً من فكر أنّ يسوع المسيح ينظر إليكم مراقباً على الدوام. وأية فكرة أكثر تقوية من فكرة أنكم لستم وحدكم، وغير منسيين، وغير مهملين أو من غير صديق **«يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَ أَيْضًا إِلَى التَّمَامِ الَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ بِهِ إِلَى اللهِ، إِذْ هُوَ حَيٌّ فِي كُلِّ حِينٍ لِيَشْفَعَ فِيهِمْ»** (عبرانيين ٧: ٢٥). انظروا إليه في كلِّ يوم إن كان لكم أن تكونوا مسيحيين سعيدين. اسكبوا قلوبكم أمامه إن كنتم تتمتعون بتعزيات الإنجيل. هذا التطلع اليومي إلى يسوع الوسيط الشفيع هو أحد أسرار القوة والعزاء في الدين.

من عظة بعنوان: «**هل تتطلعون؟**».

صليب المسيح

«الَّذِي حَمَلَ هُوَ نَفْسُهُ خَطَايَانَا فِي جَسَدِهِ عَلَى الْخَشَبَةِ، لِكَيْ نَمُوتَ عَنِ الْخَطَايَا فَنَحْيَا لِلْبِرِّ. الَّذِي بِجَلْدَتِهِ شُفِيتُمْ»

(١ بطرس ٢: ٢٤)

الصليب... يعني في بعض الأحيان ذلك الصليب الخشبي الذي سُمِّرَ عليه الرب يسوع المسيح ومات على تلة الجلجثة. ذلك ما كان في فكر بولس الرسول عندما قال لأهل فيلبي «**وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ**» (فيلبي ٢: ٨). ولم يكن ذلك هو الصليب الذي افتخر به بولس الرسول. ولعله كان ارتد ونفر جراء الخوف من فكرة الافتخار بمجرد قطعة من الخشب. ولا ريب عندي في أنه لكان شجب عبادة الصليب الحامل المصلوب على أنها انتهاك وتجديف وصنمية.

وكلمة الصليب أحياناً يمكن أن تعني الحزن والأسى والمحن التي يجتاز فيها المؤمنون بالمسيح إذا تبعوا المسيح بأمانة من أجل خاطر دينهم. هذا هو المعنى الذي يستخدمه ربنا بهذه الكلمة عندما يقول: «**وَمَنْ لاَ يَأْخُذُ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعُنِي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي**» (متى ١٠: ٣٨). وهذا أيضاً ليس المعنى الذي يستخدمه بولس الرسول عندما يكتب إلى كنيسة غلاطية. فهو يعرف ذلك الصليب جيداً. فلقد حمله بصبر ولكنه لا يتكلم عنه هنا.

يسوع المسيح المصلوب كان الفرح والبهجة والعزاء والسلام والرجاء واليقين، وأساس ومكان الراحة، والفُلك والملجأ، والغذاء والدواء لروح بولس الرسول. لم يفكر بما عمله هو وما قاساه بنفسه ولم يستغرق بالتأمل بصلاحه الشخصي وبره الذاتي. لقد أحب أن يفكر بما عمله وعاناه المسيح، بموت المسيح، ببر المسيح، بكفارة المسيح، بدم المسيح، بعمل المسيح الكامل المتمم. فبهذا افتخر.

وهذه كانت شمس روحه.

من عظة بعنوان: «**صليب المسيح**».

اطرحوا كلّ ثقل

«لِذلِكَ نَحْنُ أَيْضًا إِذْ لَنَا سَحَابَةٌ مِنَ الشُّهُودِ مِقْدَارُ هذِهِ مُحِيطَةٌ بِنَا، لِنَطْرَحْ كُلَّ ثِقْلٍ، وَالْخَطِيَّةَ الْمُحِيطَةَ بِنَا بِسُهُولَةٍ، وَلْنُحَاضِرْ بِالصَّبْرِ فِي الْجِهَادِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَنَا»

(عبرانيين ١٢: ١)

إنه يعني بذلك أن علينا أن نتخلى عن كلّ ما هو مضر بأرواحنا. علينا أن نطرح كل ما يعوقنا في طريقنا إلى السماء. شهوة الجسد، شهوة العيون، وتعظم المعيشة. محبة الغنى والملذات، والتفاخر؛ وروح الفتور والكسل والإهمال وعدم المبالاة بأمور الله؛ كلُّ ذلك يجب أن ينزع من جذوره ونتخلى عنه إن كنا نرغب بالثواب. يجب أن نميت أعمال الجسد وأن نصلب تعلقنا وتمسكنا بهذا العالم. وعلينا أن ننظر جيداً إلى عاداتنا وأهوائنا وأعمالنا فإذا وجدنا أن فيها ما يقف حجر عثرة بيننا وبين خلاص أنفسنا فعلينا أن نكون مستعدين للتخلي عنه وكأنه حجر رحى في أعناقنا مع أن ذلك قد يكلفنا ألم ما يمكن أن يكون مماثلاً لقطع اليد أو قلع العين. فلنبعد عنا كل ما يؤخرنا. إنَّ أقدامنا على بطء في أسرع حالاتها وأمامنا طريق طويل لنجري فيه فلا يمكننا أن نحمل اثقالاً تعطل جرينا نحو الحياة الأبدية.

إنما فوق كل ذلك علينا أن نتخلى عن الخطية المحدقة بنا والتي تتملكنا جراء العمر أو الذوق أو المزاج. أنا أعرف اثنين غالباً ما يكونان في متناول أيدينا، خطيتان تجربان أكثر المسيحيين خبرة وتقدماً ألا وهما الكبرياء وعدم التصديق. فالكبرياء في اختلافنا عن الآخرين، والكبرياء جراء الشهرة والسمعة الحسنة كمسيحيين، وجراء مكاسبنا المسيحية. وعدم التصديق غالباً ما هو جراء إثمنا الشخصي، وجراء حكمة الله في اعتباراتنا، وكذلك فيما يختص برحمة الله. إنها أحمال ثقيلة بلا ريب ومعطلة لمسيرتنا على نحو مؤلم إن لم يكن بعنف، وقليلون الذين يعرفون أنهم يحملونها. وقليلون فعلاً من لا يكتشفون أنها في صميم قعر قلوبهم تنتظر فرصاً لتعوم على سطح القلب.

من عظة بعنوان: **السباق المسيحي**».

عطية ابنه

«لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ»

(يوحنا ٣: ١٦)

عطية ابنه: دعونا نسأل ونحقق كيف سُرَّ الله بأن يبيّن محبته. نحن كلنا أخطأنا. فمن يستطيع أن يزيل عنا هذه الخطايا ويقدمنا أطهاراً لا عيب فينا أمام عرشه؟ كلنا فشلنا تماماً في أن نحفظ وصاياه المقدسة. فكيف إذاً يمكن أن نُكتسى لأجل حفل عرس ربنا؟ هذه هي الحكمة أيها الأحباء. هذه بالذات هي النقطة التي ما كان لعلماء هذا العالم أن يفهموها أبداً. ويسألون: كيف يمكن مصالحة العدل والنعمة الكاملين؟ كيف يمكن لله أن يبرر خليقته الخاطئة ويبقى هو ذلك الواحد القدوس الذي ينبغي أن تحفظ وصاياه؟ لكن كلَّ ذلك مفسر في هذه الآية الكريمة البسيطة إن كان يمكن لك أن تقبلها وهي أنه «**بذل ابنه الوحيد**»

لاحظوا مقدار عظم هذه العطية، «**ابنه الوحيد**». هل يمكن لأي شيء آخر أن يعطيك فكرة أكثر حناناً عن محبة الله؟ ولاحظ مرة أخرى كلمة «**بذل**»، ليس لأننا أسلفنا أي شيء، لأنها كانت عطية مجانية. ليس لأننا مستحقين لأنها كانت بالنعمة كلياً. «**بالنعمة أنتم مخلصون**» يقول بولس الرسول لكنيسة أفسس في رسالته إليهم كما نقرأ في (أفسس ٢: ٨). وإن «**هبة الله هي حياة أبدية**» يقول الرسول نفسه في رسالته إلى رومية (رومية ٦: ٢٣). وماذا كانت الغاية من بذل ابنه؟ لقد بذل أيها الأحباء ليكفر عن ذنبنا بذبيحة وموت نفسه كحمل بلا عيب ولا دنس. وبهذا العمل صنع قرباناً تاماً كاملاً عن خطية كل العالم. أعطي أن يحمل أحزاننا ويتحمل أوجاعنا على الخشبة الملعونة، التي هي الصليب، وهو البار قد حسب مذنباً من أجلنا، لأجل أن نحسب من أجله أبراراً. لقد أعطي أن يتمم مقتضيات الناموس الذي كسرناه نحن بتعدياتنا وقد فعل هو ذلك بالتمام والكمال. وبحسب قول الرسول بولس في (عبرانيين ٤: ١٥) «**مُجَرَّبٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَنَا، بِلاَ خَطِيَّةٍ**».

لم يكن عليه شيء لرئيس هذا العالم، وهكذا جلب براً أبدياً كثوب أبيض لكلِّ وعلى كلِّ الذين يؤمنون.

من عظة بعنوان: «**الإيمان المخلّص**».

الأساس الذي تبنى عليه الكنيسة

«وَأَنَا أَقُولُ لَكَ أَيْضًا: أَنْتَ بُطْرُسُ، وَعَلَى هذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي، وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا»

(متى ١٦: ١٨)

يقول الرب يسوع المسيح «**عَلَى هذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي**» فماذا قصد له المجد عندما تكلّم عن هذا الأساس؟ هل قصد بطرس الرسول الذي كان يتكلم معه؟ أنا أعتقد لا بكلِّ تأكيد. فإن كان يقصد بطرس فأنا لا أرى سبباً لعدم قوله «**عليك** أبني كنيستي. فلو أنه قصد بطرس لقال «**عليك أبني كنيستي**»، تماماً بوضوح قوله: «**أُعْطِيكَ مَفَاتِيحَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ**». كلا، لم يكن ذلك شخص الرسول بطرس لكن الاعتراف الصالح الذي كان بطرس الرسول قد نطق به لتوه. لم تكن الصخرة هي بطرس الرجل الخاطئ المتقلب، إنما الحقيقة الجبارة التي أعلنها الآب لبطرس. الحقيقة المتعلقة بيسوع المسيح نفسه الذي كان هو الصخرة وليس غيره. كانت وساطة ومسيّانية المسيح. كانت الحقيقة المباركة أنَّ يسوع كان هو المخلِّص الموعود الوسيط الحقيقي بين الله والناس. تلك كانت الصخرة وذلك كان الأساس الذي ستبنى عليه كنيسة المسيح.

هذا الأساس يا أخوتي الأحباء قد أرسي على تكلفة باهظة. كان لازماً أن يتخذ ابن الله طبيعتنا ويحيا بها ويتألم ويموت، ليس عن خطاياه، بل عن خطايانا. كان لازماً أن يذهب المسيح بهذه الطبيعة إلى القبر ويقوم. وكان لازماً أن يصعد بهذه الطبيعة إلى السماء ويجلس عن يمين الله إذ قد نال فداء أبدياً لكل شعبه. وليس هنالك أساس آخر غير هذا يمكن أن يحمل ثقل الكنيسة التي يتكلم هذا النص الكريم عنها. لا أساس آخر كان يمكن أن يلقى حاجات عالم واسع الأرجاء من الخطاة.

وهذه هي النقطة التي تتطلب اهتمامنا الشخصي. هل نحن على الصخرة؟ هل نحن منضمون إلى هذا الأساس الواحد الذي لا أساس غيره؟ فانظروا إلى الأساس الذي تعتمدوه أيها الأحباء. أن تدركوا ما إذا كنتم أعضاء الكنيسة الصحيحة الواحدة أم لا.

من عظة بعنوان: «**الكنيسة الصحيحة**».

أيام يكتنفها الخطر

«وَلكِنِ اعْلَمْ هذَا أَنَّهُ فِي الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ سَتَأْتِي أَزْمِنَةٌ صَعْبَةٌ، لأَنَّ النَّاسَ يَكُونُونَ مُحِبِّينَ لأَنْفُسِهِمْ، مُحِبِّينَ لِلْمَالِ، مُتَعَظِّمِينَ، مُسْتَكْبِرِينَ، مُجَدِّفِينَ، غَيْرَ طَائِعِينَ لِوَالِدِيهِمْ، غَيْرَ شَاكِرِينَ، دَنِسِينَ، بِلاَ حُنُوٍّ، بِلاَ رِضًى، ثَالِبِينَ، عَدِيمِي النَّزَاهَةِ، شَرِسِينَ، غَيْرَ مُحِبِّينَ لِلصَّلاَحِ، خَائِنِينَ، مُقْتَحِمِينَ، مُتَصَلِّفِينَ، مُحِبِّينَ لِلَّذَّاتِ دُونَ مَحَبَّةٍ لِلهِ، لَهُمْ صُورَةُ التَّقْوَى، وَلكِنَّهُمْ مُنْكِرُونَ قُوَّتَهَا. فَأَعْرِضْ عَنْ هؤُلاَءِ».

(٢تيموثاوس ٣: ١-٥)

أريد أن أكتب أشياء لا تسر كلَّ الناس. وأنا مستعد لذلك. «... **فَلَوْ كُنْتُ بَعْدُ أُرْضِي النَّاسَ، لَمْ أَكُنْ عَبْدًا لِلْمَسِيحِ**» (غلاطية ١: ١٠). البعض قد يظن أنني مجنون مثير للمخاوف وينكر أنّ هنالك أي خطر. فليكن ذلك... فما كان الأنبياء الأمناء يوماً محبوبين. والبعض سيظن أنني رجل متشائم، سوداوي، ويتهمني بتجاهل مقدار الصلاح المتَّبع الإجراء في البلد. فليكن ذلك... الإلحاد يكثر ويتعزز. انظروا إلى ترنح الزمن الثمل. فبرغم المسيحية، والاعتدال، والامتناع عن المسكرات، والثقافة، نبقى شعباً مسرفاً. شهادة القضاة والحكام التي تشير إلى أنَّ تأثير الشراب سبب رئيسي للجريمة، تكفي لتجعل دم المرء يتجمد في العروق، أليس هذا أمر يكتنفه الخطر؟

أنظر إلى الفجور المتفشي في أيامنا هذه. أنا لا ألمح إلى الأشكال الرديئة للخطية مع إمكاني بأن أقول الكثير بهذا الخصوص. إنما أرى فساد السلوك الأخلاقي بين الشابات في مختلف طبقات المجتمع. وأتحدى أياً كان في أن ينكر أنَّ الروايات والقصص الغرامية تقرأ في هذه الأيام في كثير من البيوت وهي تتضمن مشاهد وأوصاف لم يكن يسمح بها منذ ثلاثين عاماً، وصار هنالك تآلف وقبول لما هو شائن وغير محتشم. أليس هذا أمر يكتنفه الخطر؟

وانظر إلى شهوة ما للغير في هذه الأيام. ناهيك عن العادات البائسة لمحبة المال الشديدة التي تعم كلَّ الطبقات. وكم يتطلب الأمر من حياة الناس لتكديس ثروة بسنوات قليلة، والمضاربة بنجاح، والحصول على القوة في مختلف الأهواء. إنَّ تاريخ الشركات المدمّجة الأسهم، والمصارف والسكك الحديدية في السنوات الأخيرة ليست إلا حكايات شائنة تظهر كيف يقوم الناس بعمل أي شيء في سبيل الحصول على المال. أليس هذا أمر يكتنفه الخطر؟

من عظة بعنوان: «**زمن يكتنفه الخطر**».

ماذا يمكن أن نتعلم من المرض

«إِحْصَاءَ أَيَّامِنَا هكَذَا عَلِّمْنَا فَنُؤْتَى قَلْبَ حِكْمَةٍ»

(مزمور ٩٠: ١٢)

السقم والمرض والاعتلال والتفسخ والاضمحلال أمور مشتركة بين بني البشر بدون استثناء. إنها القصة القديمة. إنها تاريخ كلٍّ من بني آدم للآلاف الستة من السنوات التي انقضت، فيما عدا بالنسبة لأخنوخ وإيليا. ليس من مهارة طبية تقدر أن تمنع الموت. أطباؤنا وجراحونا لا يعرفون الكلل والملل في سعيهم لإيجاد أدوية ومعالجات جديدة في نطاق هذه البغية. يذرعون البر ويخوضون البحار في سبيل منع المرض وإيجاد العلاجات وإزالة الألم وإطالة الحياة. لكن برغم كلِّ ما يمكن أن يفعله الدواء وتسعفه الجراحة هنالك أمر يراه أمهر الأطباء أبعد من أن يصلوا إليه. فعندما يأتي الوقت المحدد من الله لا يستطيعون أنْ يبقوا الناس قيد الحياة. وليس من شيء غريب في هذا الأمر. فالخيمة التي تحيا بها نفوسنا أي الجسد البشري، ليست إلا آلة معقدة هشة. من أخمص القدم إلى هامة الرأس ليس هنالك من جسدنا ما لا يمكن أن يتعرض للمرض. فعندما أفكر بتشكيلة العلل التي يمكن أن تهاجم هيكلنا لا أستغرب أن نموت في نهاية عمر نحياه.

أخوتي الأعزاء، عندما يأتي الأوان لتمرضوا، أناشدكم أن لا تنسوا ما يعنيه المرض. احذروا الغيظ والتذمر والاحتجاج وأن تعطوا سبيلاً لروح نفاذ الصبر. اعتبروا مرضكم بركة تضع على وجهها قناعاً، وصلاحاً لا شراً، وصديقاً لا عدواً. ولا ريب أننا نرغب في أن نتعلّم دروساً روحية في مدرسة الراحة والطمأنينة وليس بالعصا. إنما كونوا متأكدين أنَّ الله يعرف أكثر مما نعرف كيف يعلِّمنا. إن نور اليوم الأخير سيبين لكم أنه كان هنالك معنى وحاجة في كلِّ عللكم الجسدية. فالدروس التي نتعلمها على فراش المرض عندما نحتجز عن العالم، غالباً ما تكون دروساً لا يمكن أن نتعلمها في أي مكان آخر. وليتجذر في أذهانكم أنّ مهما كانت عدم محبتكم للمرض فإنه ليس شراً محضاً.

من عظة بعنوان: «**المسيح في حجرة المرض**».

أهمية الجسد المحلي للمؤمنين

«غَيْرَ تَارِكِينَ اجْتِمَاعَنَا كَمَا لِقَوْمٍ عَادَةٌ، بَلْ وَاعِظِينَ بَعْضُنَا بَعْضًا، وَبِالأَكْثَرِ عَلَى قَدْرِ مَا تَرَوْنَ الْيَوْمَ يَقْرُبُ»

(عبرانيين ١٠: ٢٥)

لا يخفق القارئ المتأني للكتاب المقدس في ملاحظة أنّ هنالك كنائس كثيرة مذكورة في العهد الجديد. في كورنثوس، وأفسس، وتسالونيكي، وأنطاكية، وسميرنا، وساردس، ولاوديكية، وعدة أماكن أخرى. وفي كلٍّ منها نرى جسداً متميزاً من المسيحيين، جسد شعب متعمد باسم المسيح يشهد بإيمانه بإنجيل المسيح. وهذه الأجساد من الناس التي نتكلم عنهم عبارة عن كنائس بحسب الأماكن المسماة باسمها. نقرأ عن كنائس اليهودية، كنائس سورية، كنائس غلاطية، كنائس آسيا، وكنائس مكدونيّة. والتعبير في كلٍّ منها يعني المسيحيين المعمدين في البلدان المذكورة.

ونحن نعلم، أنَّ هذه الكنائس كانت تتألف من مختلف الأعضاء. فلم تتضمن المتجددين وحسب بل معهم أيضاً بعضاً غير المتجددين. لم تتضمن مجرد مؤمنين وحسب بل أعضاء ارتكبوا أخطاء جسيمة سواء كان بالإيمان أو بالممارسة. وهذا واضح مما نقرأه عن الكنائس التي في كورنثوس وأفسس وساردس. فعن ساردس يقول الرب يسوع نفسه أنهم **«أَسْمَاءٌ قَلِيلَةٌ فِي سَارْدِسَ لَمْ يُنَجِّسُوا ثِيَابَهُمْ»** (رؤيا ٣:٤). ونعلم أيضاً أنه حتى في زمن الرسل تلقت الكنائس تحذيرات واضحة أنها يمكن أنْ تزول وتهلك. وبالنسبة للكنيسة في رومية كان الخطر المهدد لها أنها ستقطع. وللكنيسة في أفسس أن تزحزح منارتها من مكانها، وإلى الكنيسة التي في لاوديكية أنْ تلفظ نهائياً (رومية ١١:٢٢؛ رؤيا ٢:٥؛ ٣:١٦).

ونعلم أكثر أيضاً أنَّ في كلِّ هذه الكنائس كانت تقام اجتماعات العبادة الجمهورية، والوعظ، وقراءة الأسفار المقدسة، وصلوات وتسابيح، ونظام إداري، وخدمات، وممارسة أسرار. وفي نطاق مثل هذه الكنائس المختلطة والمنقوصة تجد كلَّ المؤمنين والأعضاء المتواجدين باعتبارهم جسد المسيح. وكلُّ الأمور في العهد الجديد تدفعنا إلى أنْ نفترض وجود مؤمنين قليلين ليسوا أعضاء في كنيسة أو أخرى من الكنائس العاملة المنتشرة في مختلف أنحاء العالم.

من عظة بعنوان: «**الكنيسة**».

اخرجوا من وسطهم

«لِذلِكَ اخْرُجُوا مِنْ وَسْطِهِمْ وَاعْتَزِلُوا، يَقُولُ الرَّبُّ. وَلاَ تَمَسُّوا نَجِسًا فَأَقْبَلَكُمْ، وَأَكُونَ لَكُمْ أَبًا، وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي بَنِينَ وَبَنَاتٍ، يَقُولُ الرَّبُّ، الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ»

(٢كورنثوس ٦: ١٧-١٨)

النص الذي في الأعلى يتناول موضوعاً ذا أهمية بالغة في الدين. ذلك الموضوع هو الواجب الكبير بالانفصال عن العالم. وتلك كانت النقطة التي كانت قيد النظر عندما كتب بولس الرسول إلى كنيسة كورنثوس ليقول لهم «**اخْرُجُوا مِنْ وَسْطِهِمْ وَاعْتَزِلُوا**». فالموضوع يتطلب منتهى انتباه كلِّ من يعلنون إيمانهم ويدعون أنفسهم مسيحيين. ففي كلِّ عصر للكنيسة كان الاعتزال عن العالم أحد أكبر الأدلة على عمل النعمة في القلب. فمن كان بالحقيقة مولوداً من الروح وصار خليقة جديدة في المسيح يسوع يسعى دائماً لأن يعتزل عن العالم ويحيا حياة منفصلة. والذين لهم اسم المسيحية فقط من غير حقيقتها، دوماً يرفضون أن يعتزلوا وينفصلوا عن العالم.

وربما لم يكن الأمر بالأهمية التي هو عليه اليوم في عصرنا الحاضر. فهنالك رغبة منتشرة بجعل الأمور مسرة في الدين، لتدوير زوايا وحواف الصليب، وتجنب إنكار الذات بقدر الإمكان. وفي كلِّ مكان بتنا نسمع مسيحيين يعلنون بأعلى الأصوات أنه لا ينبغي أن نبقى على الضيق والامتناع أو الاقتصار وأنه ليس هنالك أذى من أشياء كثيرة حسبها القديسون القدماء رديئة على النفوس ومضرة بالأرواح. وإنَّ باستطاعتنا أن نذهب إلى أي مكان ونعمل أي شيء وأن نقضي أوقاتنا بأي شيء ونقرأ أي شيء ونبقي على أية رفقة أو صحبة وأن نقتحم أي شيء، وبكل هذه يمكن أن نكون مسيحيين صالحين. وما ذكرناه في هذه العجالة إنما هو غيض من فيض. لذا أرى لزاماً أن أطلق صوت تحذير وأدعو إلى الانتباه لتعاليم كلمة الله. فمكتوب بتلك الكلمة أن «**اخْرُجُوا ... وَاعْتَزِلُوا**»!

من عظة بعنوان: «**العالم**».

خمسة ثمار للتوبة

«فَاصْنَعُوا أَثْمَارًا تَلِيقُ بِالتَّوْبَةِ»

(لوقا ٣: ٨)

١. تبدأ التوبة الحقيقية بمعرفة الخطية. عينا الإنسان التائب مفتوحتان. يرى برعب وارتباك طول وعرض ناموس الله المقدس والمدى الهائل لتعدياته الشخصية. ويكتشف بعجب واستغراب أنه كان يحسب نفسه إنساناً جيداً وذا قلب صالح، فإذا به واقع بضلال مبين.

٢. التوبة الحقيقية تستمر بالحزن على الخطية. وقلب الإنسان التائب يلمسه ندم عميق على آثامه السابقة. يتقطع قلبه بعلمه أنه قد عاش بهذا القدر من الجنون والشر. يتأسف بشدة على الزمن الذي ضيعه والمواهب التي بددها وعلى عصيانه لله وعلى نفسه الجريحة. فيكون تذكر هذه الأشياء أمر محزن له.

٣. التوبة الحقيقية تدفعه إلى الاعتراف بالخطية. ولسان النادم منطلق العنان يود أن يحدث الله الذي أخطأ إليه إذ فيه أمر يدفعه إلى أن يصرخ إلى الله ويصلي إلى الله ويتحدث إليه عن وضعه الروحي. فيجب أن يسكب قلبه ويعترف بآثامه أمام عرش النعمة.

٤. التوبة الحقيقية تظهر نفسها في انفصال كامل عن الخطية. حياة الإنسان النادم تبقى يقظة. مسيرته اليومية تكون قد تبدلت كلياً. ملك جديد قد تولى زمام الأمور في قلبه. يخلع الإنسان العتيق. والآن تراه يرغب في أن يمارس وصايا الله ويتجنب نواهيه.

٥. أخيراً إن التوبة الحقيقية تظهر نفسها بأن تنتج في القلب عادة متأصلة بكره عميق لكل الخطايا. وذهن الإنسان النادم يصبح ذهناً مقدساً بالسليقة. يتخلى عما هو شر ويتمسك بما هو صالح. يسر بناموس الله ووصاياه. يترك شهواته ورغباته.

من عظة بعنوان: «**التوبة**».

الحقيقة الجبارة في الإنجيل

«فَمِنْ ثَمَّ يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَ أَيْضًا إِلَى التَّمَامِ
الَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ بِهِ إِلَى اللهِ، إِذْ هُوَ حَيٌّ فِي كُلِّ حِينٍ لِيَشْفَعَ فِيهِمْ»

(عبرانيين ٧: ٢٥)

ليتنا لا نغفل عن رؤية هذه الحقيقة الجبارة في الإنجيل، الشفاعة والمهمة الكهنوتية لربنا ومخلصنا يسوع المسيح. وأنا أعتقد أنَّ إغفال رؤية هذه الحقيقة العظيمة هي سبب رئيسي واحد لتراجع الكثيرين عن الإيمان في بعض الدوائر والارتداد عن عقيدة آبائهم الإنجيليين. فإذا ما تأسسنا بثبات على الحقيقة الجبارة بأنَّ لنا كاهن ومذبح واحد؛ وشفيع ثابت حي إلى الأبد لم يعطِ أو يكلّف أو يجيّر وظيفته لأحد، فإننا سندرك تمام الإدراك أنَّ ليس علينا أنْ نذهب إلى غيره أو إلى أي مكانٍ آخر. فنحن لا نحتاج لأنْ نجد لأنفسنا آباراً مشققة لا تضبط الماء عندما يكون لنا بالرب يسوع المسيح ينبوع ماء حي يتدفق لنستقي منه مجاناً. لا نحتاج إلى أنْ نقصد أيَّ كاهن بشري على الأرض عندما يكون لنا كاهن إلهي في السماء.

ولنحذر من أنْ نعتبر الرب يسوع المسيح على أنه قد مات. وهنا، أعتقد أنَّ كثيرين يرتكبون خطأ فادحاً. يفكرون كثيراً بموته الكفاري، وليس خطأ أنْ يفعلوا ذلك لكن لا ينبغي أنْ نتوقف عند هذا الحد من الموضوع. بل يجب أنْ نفتكر أنَّ الأمر لم يقتصر على أنه مات ودفن بل أنه قام وصعد إلى العلاء سبى سبيا (أفسس ٤:٨). يجب أنْ نتذكر أنه إلى يمين الله في الأعالي ليقوم بعمل حقيقي وصحيح ومهم لأرواحنا بأهمية العمل الذي قام به عندما سفك دمه. فالمسيح حي وليس ميتاً. يعيش حقيقة كأي واحد منا. يسوع يرانا ويسمعنا ويعرفنا ويعمل ككاهن في السماء لصالح شعبه المؤمن. إنَّ فكرة حياته يجب أنْيكون لها في أنفسنا مكان بعظمة وأهمية فكرة موته على الصليب.

من موعظة بعنوان: «**قدرة المسيح على أنْ يخلّص**».

ما هو التجديد

«أَجَابَ يَسُوعُ: «اَلْحَقَّ اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكَ:
إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنَ اَلْمَاءِ وَالرُّوحِ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللهِ»

(يوحنا ٣: ٥)

التجديد يعني ذلك التغير في القلب والطبيعة الذي يجتازه الإنسان عندما يصبح مسيحياً حقيقياً. فكما يصفه حزقيال: «**وَأُعْطِيهِمْ قَلْبًا وَاحِدًا، وَأَجْعَلُ فِي دَاخِلِكُمْ رُوحًا جَدِيدًا، وَأَنْزِعُ قَلْبَ الْحَجَرِ مِنْ لَحْمِهِمْ وَأُعْطِيهِمْ قَلْبَ لَحْمٍ**» (١١: ١٩)؛ «**وَأُعْطِيكُمْ قَلْبًا جَدِيدًا، وَأَجْعَلُ رُوحًا جَدِيدَةً فِي دَاخِلِكُمْ، وَأَنْزِعُ قَلْبَ الْحَجَرِ مِنْ لَحْمِكُمْ وَأُعْطِيكُمْ قَلْبَ لَحْمٍ**» (٣٦: ٢٦). ويدعوه يوحنا الرسول «**مولود من الله**» وأحياناً «**مولود ثانية**» وأحياناً «**مولود من الروح**» (يوحنا١:١٣، ٣:٣، ٦).

وتتكلم عنه الرسالة إل رومية بالقول: «**كَأَحْيَاءٍ مِنَ الأَمْوَاتِ**» (رومية ٦:١٣). وفي الرسالة الثانية إلى كورنثوس بالقول: «**إِذًا إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ: الأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ، هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيدًا**» (٢كور ٥:١٧). والرسالة إلى أفسس تتحدث عنه بالقول إنه قيامة مع المسيح: «**وَأَنْتُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا بِالذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا**» (**أفسس ٢:١**). **ويزيد على ذلك بالقول: «أَنْ تَخْلَعُوا مِنْ جِهَةِ التَّصَرُّفِ السَّابِقِ الإِنْسَانَ الْعَتِيقَ الْفَاسِدَ بِحَسَبِ شَهَوَاتِ الْغُرُورِ... وَتَلْبَسُوا الإِنْسَانَ الْجَدِيدَ الْمَخْلُوقَ بِحَسَبِ اللهِ فِي الْبِرِّ وَقَدَاسَةِ الْحَقِّ**» (أفسس ٤: ٢٢، ٢٤). أما الرسالة إلى تيطس فتدعوه: «**غُسْلِ الْمِيلاَدِ الثَّانِي وَتَجْدِيدِ الرُّوحِ الْقُدُسِ**» (تيطس ٣:٥).

كل هذه العبارات تنتهي إلى الأمر نفسه. إنها نفس الحقيقة لكن منظور إليها من مختلف الجهات. وكلها تحمل نفس المعنى. إنها تصف تغيراً جذرياً عظيماً للقلب والطبيعة البشرية، فهي تغير شامل وتحول في كامل الداخل الإنساني، ومشاركة في حياة قيامة المسيح.

من عظة بعنوان: «**التجديد**».

الفريسيون والصديقيون

«وَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «انْظُرُوا، وَتَحَرَّزُوا مِنْ خَمِيرِ الْفَرِّيسِيِّينَ وَالصَّدُّوقِيِّينَ»

(متى ١٦: ٦)

«**انْظُرُوا**» يقول لهم «**وَتَحَرَّزُوا مِنْ خَمِيرِ الْفَرِّيسِيِّينَ وَالصَّدُّوقِيِّينَ**». فالخطر الذي يحذرهم منه هو العقيدة الزائفة. لا يقول شيئاً عن سيف الاضطهاد أو محبة المال أو محبة المتع والملذات. كلّ هذه دون ريب كانت أخطاراً وأشراكاً تعرض لها الرسل لكنَّ الرب لا يرفع عليها صوت تحذير هنا.

فعقيدة الفريسيين تتلخص بثلاث كلمات: كانوا شكليين، عباداً بالتقليد، وأصحاب بر ذاتي. لقد أقاموا وزناً معتبراً جداً لتقليد الناس حتى صاروا يعتبرونه عملياً أكثر أهمية من الكتابات الموحى بها في العهد القديم. وقد قدّروا أنفسهم على أساس التمسك الزائد بالمتطلبات الطقسية للناموس الموسوي. وألقوا أهمية كبرى على الأجزاء الخارجية للدين والأمور التي يمكن أنْ يراها ويشاهدها الناس.

وعقيدة الصدوقيين من جهة أخرى، يمكن تلخيصها بثلاث كلمات: التفكير الحر، الشكوكية، والعقلانية. وكان الأثر العملي لتعليمهم هو تشكيك إيمان الإنسان بأي إعلان وإلقاء سحب الشك على عقول الناس التي كانت أفضل بقليل من الإلحاد. وأنا أعتقد أنَّ ربنا قد قدم هذا التحذير المهيب من أجل المصلحة المستدامة للكنيسة التي أتى إلى الأرض ليؤسسها. لقد عرف أنه لا بد وأنْ يكون هنالك روح فريسية وروح صدّوقية بين المسيحيين. وقد علم أنّ أمثالهم سيستمرون من غير أنْ يتسموا بأسمائهم لكنَّ أفكارهم هذه ستبقى موجودة دائماً. وقد علم أنَّه في الزمن الذي ستستمر به الكنيسة بالبقاء إلى أنْ يعود سيكون هنالك من يضيف إلى الكلمة أو من يحذف منها، وبعض من يولّف نصوصها بإضافة أمور أخرى عليها ومن ربما يعمل على أنْ يدميها حتى آخر قطرة من حقائقها الرئيسية ليميتها. ولهذا السبب نرى السيد له المجد يلقي هذا التحذير قائلاً: «**انْظُرُوا، وَتَحَرَّزُوا مِنْ خَمِيرِ الْفَرِّيسِيِّينَ وَالصَّدُّوقِيِّينَ**».

من عظة بعنوان: «**انظروا وتحرزوا**»

سعادة من عالم آخر

«طُوبَى لِلشَّعْبِ الَّذِي لَهُ كَهذَا. طُوبَى لِلشَّعْبِ الَّذِي الرَّبُّ إِلهُهُ»

(مزمور ١٤٤: ١٥)

لكي يكون الإنسان سعيداً حقاً ينبغي أنْ تكون له مصادر سعادة لا تعتمد على أيّ شيء من هذا العالم لأنه لا يوجد شيء في العالم غير ممهور بعلامة الريب وعدم الاستقرار. كلُّ ما يمكن أنْ يشتريه المال من حسن الأشياء لا يعدو كونه سريع الانقضاء. فإما أنْ يتخلى عنا أو نجبر نحن على التخلي عنه. كلُّ العلاقات العذبة في الحياة عرضة للانتهاء، إذ قد يأتي الموت ويفصلها. إنَّ من تعتمد سعادته كليّاً على ما سنقوله فيما بعد يكون كمن يبني بيته على الرمل، أو يلقي بثقله على شيء أضعف من أنْ يعتمد عليه.

لا تحدثني عن سعادتك إنْ كانت تعتمد دوماً على أمور العالم المجهولة وغير المؤكدة. يمكن أنْ يكون منزلك متخماً بأسباب الراحة، زوجتك وأولادك على أفضل ما يمكنك أنْ ترغب، ووسائطك المتاحة يمكن أنْ تكون في غاية الكفاية لتلبية كلِّ حاجاتك. لكن نعم، تذكَّر، إنْ لم يكن لك شيء أكثر من هذا تتطلع إليه، فأنت تقف على شفير الهاوية. أنهار المسرات يمكن أن تجف وتنضب ينابيعها في أي يوم. ابتهاجك يمكن أنْ يكون عميقاً لكن يخشى أنه قصير الأجل. ليس له جذر وهذه ليست سعادة حقيقية. فمن أجل أنْ يكون الإنسان سعيداً عليه أنْ ينظر في كلِّ اتجاه من غير أنْ تكون هنالك مشاعر غير مريحة. يجب أنْ ينظر إلى الماضي من غير مخاوف الشعور بالذنب. ويجب أنْ ينظر حوله من غير استياء وقلق بال. ويجب أنْ ينظر إلى المستقبل من غير قلق مثير للرهبة. يجب أنْ يجلس ويفكر بهدوء في الماضي والحاضر وما سيأتي ويشعر بأتم الاستعداد. الإنسان الحاوي ناحية ضعيفة بحاله، ناحية لا يسره أنْ ينظر إليها ويتأمل فيها، لا يكون إنساناً سعيداً!

من عظة بعنوان: «**السعادة**».

دروس من أثينا

«وَبَيْنَمَا بُولُسُ يَنْتَظِرُهُمَا فِي أَثِينَا احْتَدَّتْ رُوحُهُ فِيهِ، إِذْ رَأَى الْمَدِينَةَ مَمْلُوَّةً أَصْنَامًا. فَكَانَ يُكَلِّمُ فِي الْمَجْمَعِ الْيَهُودَ الْمُتَعَبِّدِينَ، وَالَّذِينَ يُصَادِفُونَهُ فِي السُّوقِ كُلَّ يَوْمٍ»

(أعمال ١٧: ١٦-١٧)

ماذا رأى بولس الرسول في أثينا؟ الجواب واضح جلي في النص الذي بين أيدينا. رأى مدينة ملأى بالأصنام. رأى الأصنام بأمِّ عينيه في كلِّ شارع. هياكل الآلهة الوثنية تشغل كلَّ ناصية. التمثال العظيم للإلهة مينيرفا بحسب ما وصفه المؤرخ بيليني يرتفع أربعين قدماً على هضبة الأكروبوليس حتى تلتقطه الأعين من كلِّ الجهات. نظام عبادة وثنية واسع الانتشار على كامل المنطقة ملفت للنظر. وعن ذلك يعبر الكاتب بوسانياس بقوله «لقد فاق الأثينيون كلَّ المناطق في اهتمامهم بعبادة الآلهة». وبالمختصر كما يقول النص الكتابي كانت المدينة «مملوءة أصناماً».

وبالإجمال أود أنْ أذكِّر بأنَّ هذه المدينة كانت النموذج الأمثل لأي مدينة وثنية كان يمكن لبولس الرسول أنْ يشاهدها. فمن ناحية حجمها احتوت أكثر مما تحتويه أيَّة مدينة على الكرة الأرضية من السكان المتعلمين المتحضرين المتفلسفين المثقفين الفنانين والمفكرين. لكن ماذا كانت من وجهة النظر الدينية؟ فإذا كان الإله الحقيقي مجهولاً في أثينا، فكيف يمكن أنْ يكون في الأماكن الأكثر ظلاماً وجهلاً على الأرض؟ دع إنساناً بدون الكتاب المقدس وستراه يعتنق ديناً من نوعٍ ما؛ ذلك أنَّ الطبيعة الإنسانية على فسادها تحتاج إلى إله. لكن سيكون ذلك ديناً بلا نور أو سلام أو رجاء. «**لأَنَّهُ إِذْ كَانَ الْعَالَمُ فِي حِكْمَةِ اللهِ لَمْ يَعْرِفِ اللهَ بِالْحِكْمَةِ**» (١كورنثوس ١: ٢١). فأثينا القديمة مثال جيد نحسن العمل إذا نحن درسناه. فمن العقيم أنْ نفترض أنَّ الطبيعة من غير دعم الإعلان الإلهي يمكن في يوم من الأيام أنْ تقود الإنسان إلى معرفة طبيعة الله. فبدون الكتاب المقدس كان الأثينيون ينحنون ويحترمون الصخور والأخشاب المنحوتة ويعبدون ما صنعته أيديهم. هات فيلسوفاً وثنياً، رواقياً كان أو أبيقورياً، واسأله عن العالم الآتي، وستراه أعجز من أنْ يعلمك شيئاً مؤكَّداً ومقنعاً ومرضياً أو مانحاً سلاماً.

من عظة بعنوان: «**أثينا**».

كيف شعر بولس الرسول في أثينا

«وَبَيْنَمَا بُولُسُ يَنْتَظِرُهُمَا فِي أَثِينَا احْتَدَّتْ رُوحُهُ فِيهِ، إِذْ رَأَى الْمَدِينَةَ مَمْلُوَّةً أَصْنَامًا. فَكَانَ يُكَلِّمُ فِي الْمَجْمَعِ الْيَهُودَ الْمُتَعَبِّدِينَ، وَالَّذِينَ يُصَادِفُونَهُ فِي السُّوقِ كُلَّ يَوْمٍ»

(أعمال ١٧: ١٦-١٧)

رأى بولس الرسول مدينة مملوءة أصناماً. كيف أثر فيه المشهد؟ بماذا شعر إزاء ذلك؟ إنه لمن المفيد أنْ نلاحظ كيف يؤثر المشهد الواحد في مختلف الناس. ضع رجلين في موقع واحد ودعهما يقفان جنباً إلى جنب. ولتعرض نفس الأشياء لأعينهما. فالمشاعر التي ستنتاب أحدهما ستكون مختلفة كلياً عن الآخر. وستكون الأفكار التي تنشا غالباً على طرفي نقيض.

لقد احتدت روحه فيه. وأزعج قلبه أنْ يرى الآلاف يهلكون جراء نقص المعرفة، وبدون الله، وبدون المسيح، وليس لهم رجاء، مسافرين في الطريق الرحب الواسع الذي يقود إلى الهلاك. واحتدَّت روحه بمشاعر الحزن المقدس وأزعج قلبه أنْ يرى هذه المواهب مساءة الاستخدام. فهنا أيادٍ ماهرة لإنتاج أعمال ممتازة وعقول قادرة على حمل مفاهيم جليلة. ومع ذلك فإنَّ الله المعطي الحياة والقوة لا يمجَّد. لقد احتد بسخط مقدس ضد الخطية والشيطان. رأى إله هذا العالم وقد أعمى عيون جموع ضخمة من زملائه في الإنسانية وهو يقودهم أسرى لإرادته. رأى سيده الإلهي العظيم غير معروف ولا مدرك وهم لا يعدو كونهم من مخلوقاته، ورأى أصناماً تتلقى الإجلال والإكرام والولاء الواجب الأداء لله ملك الملوك ورب الأرباب.

عزيزي القارئ، إنَّ هذه المشاعر التي حركت الرسول هي خصائص رئيسية برجل مولود من الروح. فهل تعرف شيئاً عن هذه الخصائص؟ فحيثما توجد النعمة الحقيقية يكون هنالك اهتمام محب حنون بأرواح الآخرين. وحيث توجد البنوة الحقيقية لله يكون هنالك غيرة وحماس دائم لمجد الله الآب. وإنه مكتوب عن الأشرار أنهم لا يقترفون الأشياء المستحقة للموت وحسب «**بَلْ أَيْضًا يُسَرُّونَ بِالَّذِينَ يَعْمَلُونَ**» (رومية ١: ٣٢). فيمكن أنْ يقال بالمثل ونفس الصدق أنَّ الصالحين لا يحزنون على خطية في قلوبهم وحسب وإنما يحزنون أيضاً على خطية الآخرين.

من عظة بعنوان: «**أثينا**»

ماذا عمل بولس في أثينا

«وَبَيْنَمَا بُولُسُ يَنْتَظِرُهُمَا فِي أَثِينَا احْتَدَّتْ رُوحُهُ فِيهِ، إِذْ رَأَى الْمَدِينَةَ مَمْلُوَّةً أَصْنَامًا. فَكَانَ يُكَلِّمُ فِي الْمَجْمَعِ الْيَهُودَ الْمُتَعَبِّدِينَ، وَالَّذِينَ يُصَادِفُونَهُ فِي السُّوقِ كُلَّ يَوْمٍ»

(أعمال ١٧: ١٦-١٧)

لقد قام بعمل. وما كان بولس الرجل الذي يبقى غير مبال في مدينة ملأى بالأصنام. كان يمكن أنْ يفكر في نفسه أنه يقف هنا وحيداً، وأنه يهودي بالولادة رغم انتمائه الروماني الرسمي، وأنه غريب في مدينة غريبة، وأنَّ عليه أنْ يجابه آراء متجذرة وتحالفات قديمة العهد لرجال مثقفين، وأنَّ مجابهة دين قديم لمدينة بأكملها كمن يتحرش بأسدٍ في عرينه، وأنَّ عقائد وتعاليم الإنجيل أقل من أنْ يكون لها تأثير في عقولٍ تعمقت بالفلسفة اليونانية. لكن لا يبدو أنَّ أياً من هذه الأفكار قد طرأت على ذهن بولس الرسول. لقد رأى أرواحاً تهلك. شعر بأنَّ الحياة قصيرة والوقت يمضي سريعاً. وكانت له الثقة بأنَّ قوة رسالة سيده يمكن أنْ تلمس نفس كلِّ إنسان. وهو نفسه كان قد تلقى رحمة ولا يعلم كيف يلزم الصمت. فتحرك في الحال بدون تأخير وعمل ما استطاع أنْ يعمل بعزم وتصميم. فليت كان لنا المزيد من رجال العمل الجاد في عصرنا الحاضر.

وقام يعمل ما عمل بالحكمة المقدسة كما بالجرأة المقدسة. وابتدأ بما رأى أنه ضروري من الإجراءات من غير أنْ ينتظر عوناً من أحد. وبدأ ذلك ببراعة من الطراز الأول وبطريقة يحصل بها على موطئ قدم للإنجيل.

فأولاً، كما يخبرنا الكتاب، تجادل مع اليهود المتعبدين في المجمع والدخلاء الذين يحضرون اجتماعات العبادة اليهودية. ثم انتقل ليتحاور مع الذين يصادفونه يومياً في السوق فكان يتقدم في كلِّ هذا خطوة تلو الخطوة كما لو كان قائداً محنكاً. فهنا وفي أماكن أخرى، يبقى بولس لنا مثلاً يقتدى. لقد جمع الحماس المتقد والجرأة إلى الحكمة المتسمة بالمعرفة وحسن التمييز إلى اللباقة والإحساس العام المكرس. فليت لنا المزيد من رجال الحكمة في هذه الأيام!

من عظة بعنوان: «**أثينا**».

رجاء السماء

«فِي بَيْتِ أَبِي مَنَازِلُ كَثِيرَةٌ، وَإِلاَّ فَإِنِّي كُنْتُ قَدْ قُلْتُ لَكُمْ.
أَنَا أَمْضِي لأُعِدَّ لَكُمْ مَكَانًا، وَإِنْ مَضَيْتُ وَأَعْدَدْتُ لَكُمْ مَكَانًا آتِي أَيْضًا وَآخُذُكُمْ إِلَيَّ،
حَتَّى حَيْثُ أَكُونُ أَنَا تَكُونُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا، وَتَعْلَمُونَ حَيْثُ أَنَا أَذْهَبُ وَتَعْلَمُونَ الطَّرِيقَ»

(يوحنا ١٤: ٢-٤)

أخوتي الأحباء، كلّكم ترجون أنْ تذهبوا إلى السماء. وليس منكم إلا من يرجو أنْ يكون في السعادة الأبدية بعد الموت. لكن على ماذا بنيتم رجاءكم؟ السماء مكان مجهز محضَّر، وكلّ الذين سيحلون فيه سيكونون من خصيصة واحدة. والدخول إلى السماء ليس إلا من بابٍ واحد. فتذكروا هذا يا أخوتي، وبالتالي أيضاً، أنا اقرأ عن نوعين من الرجاء: رجاء صالح ورجاء سيئ. رجاء صحيح ورجاء كاذب مزيف، رجاء حي ورجاء ميت، رجاء الأبرار ورجاء الأشرار. رجاء المؤمنين ورجاء المنافقين. أقرأ عمن رجاؤهم من خلال النعمة، رجاء لا يُخْزي وعن آخرين ليس لهم رجاء صحيح وهم في العالم من دون الله.

نعم أخوتي الأعزاء، هؤلاء هم النساء والرجال الذين سيدخلون السماء. ولا شيء يمكن أنْ يمنعهم عن ذلك ليبقيهم خارجاً. لا تخبروني عن شهادات تروى من فراش الموت ورؤى وأحلام أناس يحتضرون، لأنه لا يوجد شهادات كهذه لأتباع المسيح. التوبة والإيمان والقداسة، خصائص لا يمكن أنْ تغلق في وجهها الأبواب. فتب وآمن بالمسيح وتجدد، وبعد ذلك مهما يحصل للآخرين فأنت ستدخل إلى السماء، ولن تطرح خارجاً. فانظر واطمئن أيها المسيحي. لقد أعد لك المسيح مكاناً والذين يتبعونه لن يهلكوا ولن يُخطف أحدٌ من يديه. فتطلعوا إلى ذلك المقام المجيد المجهز لكم. تطلعوا بإيمان لأنه لكم من كلِّ بد. فيا أيها الأخوات المسيحيات والأخوة المسيحيون، فكروا كم سيكون ذلك لقاء مجيداً.

من عظة بعنوان: «**السماء**».

البسوا أسلحة النور

«قَدْ تَنَاهَى اللَّيْلُ وَتَقَارَبَ النَّهَارُ، فَلْنَخْلَعْ أَعْمَالَ الظُّلْمَةِ وَنَلْبَسْ أَسْلِحَةَ النُّورِ»

(رومية ١٣: ١٢)

كيف تلبسون أسلحة النور؟ استمعوا إلي وسأخبركم. يجب أنْ تسعوا إلى كلِّ نعمة وعادة تفيد المؤمن بالمسيح وابن الله والمواطن الذي من رعية ملكوت السماوات. يجب أنْ لا تتركوا القداسة الفائقة والروحانية للقليلين وكأنّ القليلين فقط مفضَّلون على غيرهم بصيرورتهم قديسين كبار. بل عليكم أنْ تلبسوا أسلحة النور، نطاق الحق ودرع البِر وخوذة الخلاص وسيف الروح (أفسس ٦: ١٤-١٧). فحيثما يمكن أنْ تعيشوا ومهما كانت تجاربكم ومهما عظمت مصاعبكم وقلَّت معوناتكم، فلا شيء ينبغي أنْ يمنع سعيكم على أعلى المستويات فتتصرفوا كمن يؤمنون بأنَّ المسيح سيأتي ثانية! ويجب عليكم أنْ تعقدوا النية بمعونة الله على أنْ تحيوا على أنه عندما يأتي يوم الرب يجدكم مستعدين. أنْ تكون ميولكم سماوية ومشاعركم روحانية، وإرادتكم خاضعة وأذهانكم روحية غير أرضية حتى عندما يظهر الرب تكونون على أهبة الاستعداد لملكوته!

فليت كلّ من تقع هذه الدعوة بين يديه يسير مع الله كما سار أخنوخ وينتقل من درجة صغرى للشركة مع الله إلى درجة أعلى، ومن السير بالإيمان إلى السير بالعيان. وهذا ما يعنيه لبس أسلحة النور. أنْ تحيا كمن يحسب أنَّ المسيح قد يأتي في أي وقت. أنْ تفعل كلَّ شيء وكأنه آخر ما تقوم به من عمل. أنْ تقرأ أصحاحاً من الكتاب المقدس كأنك لا تعلم إنْ كنت ستعيد قراءته. وارفع صلاتك كمن يشعر بأنها فرصتك الأخيرة. واسمع كلَّ عظة وكأنها ستكون آخر ما تسمعه من مواعظ.

هذا هو سبيل الاستعداد. هذا هو السبيل لتجعل مسألة عودة المسيح بالحساب. هذا هو السبيل لتلبس أسلحة النور

من عظة بعنوان: «**الأحداث القادمة والواجبات الحالية**»

ستمسح دموعكم

«وَسَيَمْسَحُ اللهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ، وَالْمَوْتُ لاَ يَكُونُ فِي مَا بَعْدُ، وَلاَ يَكُونُ حُزْنٌ وَلاَ صُرَاخٌ وَلاَ وَجَعٌ فِي مَا بَعْدُ، لأَنَّ الأُمُورَ الأُولَى قَدْ مَضَتْ»

(رؤيا ٢١: ٤)

أولادي الأحباء، هنالك آية كريمة من الكتاب المقدس في أعلى هذه الصفحة. أرغب إليكم أنْ تعيدوا قراءتها. وأرغب أنْ أقول لكم شيئاً على أمل أنْ تتذكروا نص هذه الآية طيلة حياتكم. سأخبركم عن ثلاثة أمكنة يذكرها الكتاب المقدس كثيراً. وطبيعي أنْ يكون معرفة الأمكنة مهماً لكن مهم أكثر بكثير معرفة شيء عن الأمكنة الثلاثة التي سأخبركم عنها. فأولاً هنالك مكان يتواجد فيه البكاء كثيراً. وتسألون ما هو ذلك المكان؟ إنه العالم الذي نعيش فيه أنا وأنتم على حد سواء. هذا العالم مكان فيه بكاء كثير لأنَّ الأمور لا تسير فيه على ما يرام. وقد دخل البكاء إلى العالم بسبب الخطية التي هي سبب كلَّ البكاء والدموع والأحزان والآلام التي على الأرض.

وهنالك مكان لا يوجد فيه إلا البكاء. وتسألون ما هو ذلك المكان؟ إنه المكان الذي يذهب إليه كل السيئين بعد الموت. إنه المكان الذي يدعوه الكتاب المقدس جهنم. فلا يوجد ضحك وابتسام في جهنم. لا شيء في جهنم سوى البكاء والعويل وصرير الأسنان. فليست هنالك سعادة في جهنم. والذين يلقون هناك يبكون ليلاً ونهاراً دونما انقطاع. لا راحة لهم. لا يخلدون إلى نوم ليستيقظوا مسعدين. لا يتوقفون عن البكاء أبداً في جهنم.

وهنالك مكان ليس فيه بكاء أبداً. وتسألون عن هذا المكان؟ إنه السماء. إنه المكان الذي يذهب إليه كلُّ الناس الصالحين عندما يموتون. في السماء لا يوجد إلا الفرح والسعادة. فلا دموع تسكب ولا يدخل إلى هناك الحزن والألم والمرض والموت. فليس هنالك بكاء في السماء لأنه لا يوجد ما يسبب الأسى والحزن. وأفضل ما فيها أنَّ الرب يسوع المسيح نفسه سيكون في وسطها وشعبه سيراه حينذاك وجهاً لوجه ولن يعدموا وجوده على الإطلاق.

من عظة بعنوان: «**لا دموع بعد الآن**»

كيف نصير مقدسين

«فَبِهذِهِ الْمَشِيئَةِ نَحْنُ مُقَدَّسُونَ بِتَقْدِيمِ جَسَدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَرَّةً وَاحِدَةً»

(عبرانيين ١٠:١٠)

هل تصبح مقدساً؟ هل تصير خليقة جديدة؟ إذاً فابدأ مع المسيح. لأنك لن تستطيع أن تصنع شيئاً ما لم تشعر بخطيتك وضعفك وتهرع إليه. إنه هو بدء كلِّ قداسة. فهو ليس مجرد حكمة وبر لشعبه بل هو تقديس أيضاً. يحاول الناس أنْ يجعلوا أنفسهم مقدسين أولاً ولا ينتج معهم غير عمل سيء. فهم يكدحون ويعملون ويقلبون أموراً كثيرة رأساً على عقب، لكن كالمرأة النازفة الدم لا يشعرون بشيء من التحسن بل بالأحرى إلى الأسوأ. يركضون بلا جدوى، ويعملون بلا فائدة ترجى، وذلك للعجب لأنهم انطلقوا من الطرف الخطأ فهم يبنون سوراً من الرمال. وينهار عملهم وتذهب أتعابهم سدى. إنهم ينزحون الماء بدلو راشح. فالرشح يدنف عليهم وليس العكس. لا يمكن لأحد أنْ يضع أساساً آخر للتقديس غير الذي أرساه بولس الرسول على المسيح. فبدون المسيح لا يمكننا أنْ نفعل شيئاً. فالتقديس خارج المسيح سوء وخطية. الفداء خارج المسيح استرقاق وعبودية. «**وَمِنْهُ أَنْتُمْ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ، الَّذِي صَارَ لَنَا حِكْمَةً مِنَ اللهِ وَبِرًّا وَقَدَاسَةً وَفِدَاءً**» (١كورنثوس ١: ٣٠).

هل تريد أن تكون مقدساً؟ هل تريد أنْ تكون شريكاً في الطبيعة الإلهية؟ إذاً فاذهب إلى المسيح.

لا تنتظر شيئاً! لا تنتظر أحداً! لا تتوانى! لا تفكر في أنْ تؤهل نفسك لذلك! اذهب إليه فوراً مرنماً كلمات الترنيمة الجميلة التالية:

يا محباً مات عن جنس البشر	أنت حصني وإليك الملتجا
امحُ إثمي أنت أولى من غفر	منك ألقى بالتجائي الفرجا
كن معيناً فأنا ممن عثر	وأعن ضعفي وولد بي الرجا
بالخطايا يا حبيبي يا يسوع	بخلاصي يا حبيبي يا يسوع

من عظة بعنوان: «**يجب أنْ نتقدس**»

الغنى والفقر

«كَانَ إِنْسَانٌ غَنِيٌّ وَكَانَ يَلْبَسُ الأَرْجُوانَ وَالْبَزَّ وَهُوَ يَتَنَعَّمُ كُلَّ يَوْمٍ مُتَرَفِّهًا
وَكَانَ مِسْكِينٌ اسْمُهُ لِعَازَرُ، الَّذِي طُرِحَ عِنْدَ بَابِهِ مَضْرُوبًا بِالْقُرُوحِ»

(لوقا ١٦: ١٩-٢٠)

يبدأ الرب يسوع المثل بإخبارنا عن رجل غني وآخر مسكين فقير معدم. ولا يذكر أية كلمة مديح سواء للغنى أو للفقر. ويصف أحوال رجل موسر وأحوال رجل فقير، إنما لا يدين الحال الزماني لأي منهما ولا يمدح حال الآخر. لكن التباين بين الحالين مؤلم صارخ. فانظر إلى هذه الصورة وهذه الحال. فهنا رجل امتلك وفراً مما هو جيد وجميل من هذا العالم، كان «**يَلْبَسُ الأَرْجُوانَ وَالْبَزَّ وَهُوَ يَتَنَعَّمُ كُلَّ يَوْمٍ مُتَرَفِّهًا**». وهنا على المقلب الآخر إنسان ليس لديه شيء. مطروح على باب الغني وكان «**مَضْرُوبًا بِالْقُرُوحِ**» ويشتهي فتات الخبز ليقتات به.

كلاهما من أبناء آدم. كلاهما خلق من نفس التراب فهما من نفس العائلة الإنسانية.

كلاهما يعيشان على نفس الأرض ومن رعايا الدولة نفسها. ومع ذلك كم كان الفارق بينهما كبيراً. فعلينا الانتباه إلى أننا لا نأخذ دروساً من المثل الذي لم يكن القصد منه التعليم. فالأغنياء ليسوا دائماً أردياء، ولا كلّهم ودوماً يذهبون إلى الجحيم. والفقراء ليسوا دوماً قديسين ولا كلُّهم دوماً يذهبون إلى السماء. فلا يجب أنْ نسارع إلى التطرف بافتراض أنَّ الغنى خطية تودي إلى الجحيم. ولا نهرع مولين الظهور حاملين فكرة أنَّ هنالك شيء آثم بالفارق الموصوف في المثل، وأنَّ قصد الله هو أنْ يكون كلُّ البشر متساوين.

فاعمل على أنْ تصنع الخير لكلِّ الناس. أشفق على أخوتك الفقراء وادعم كلَّ سعي حصيف لرفعهم من حالهم السيئة. لا تتوانى عن تقديم المساعدة لزيادة المعرفة، وترقية الأخلاقيات، وتحسين الأوضاع الآنية للفقراء. إنما لا تنسى، لا تنسى البتة أنْك تعيش في عالم ساقط، وأنَّ الخطية تحيط بك من كلِّ الجوانب، وأنَّ الشيطان قابع في كل اتجاه. وكن متأكداً أنَّ الرجل الغني ولعازر هما رمزان لطبقتين من الناس ستبقيان في العالم إلى أنْ يعود الرب.

من عظة بعنوان: «**الغنى والفقر**».

مع أن لعازر فقير، فإنه غني

«كَانَ إِنْسَانٌ غَنِيٌّ وَكَانَ يَلْبَسُ الأَرْجُوانَ وَالْبَزَّ وَهُوَ يَتَنَعَّمُ كُلَّ يَوْمٍ مُتَرَفِّهًا
وَكَانَ مِسْكِينٌ اسْمُهُ لِعَازَرُ، الَّذِي طُرِحَ عِنْدَ بَابِهِ مَضْرُوبًا بِالْقُرُوحِ
وَيَشْتَهِي أَنْ يَشْبَعَ مِنَ الْفُتَاتِ السَّاقِطِ مِنْ مَائِدَةِ الْغَنِيِّ،
بَلْ كَانَتِ الْكِلاَبُ تَأْتِي وَتَلْحَسُ قُرُوحَهُ»

(لوقا ١٦: ١٩-٢١)

إنما من هو الذي يقرأ المثل إلى نهايته ويخفق في أنْ يرى أنّ لعازر لم يكن فقيراً بل غنياً؟ لقد كان ابناً لله. كان وريث المجد العتيد. لقد امتلك غنىً وبراً متينين. كان اسمه في سفر الحياة. وكان مكانه معدّاً له في السماء. كان يرفل بأفضل اللباس الذي هو برّ المخلّص. ولديه أفضل الأصدقاء، فالله نفسه كان نصيبه. كانت لديه أفخر الأطعمة التي لا يعرفها العالم، والمهم في ذلك كله هو أنّ كلَّ ذلك كان نصيباً له إلى الدهر والأبد. كانت هذه كلها معدَّة له منذ كان في الحياة ولم تتركه في ساعة الموت، فرافقته إلى ما بعد القبر لتكون له إلى الأبد. إذاً حق لنا أنْ لا نقول «**لعازر الفقير**» بل أنْ نقول «**لعازر الغني**».

فيا عزيزي القارئ، أنت تفعل حسناً إذا ما قومت كلَّ الناس بمقاييس الله، أنْ تقومهم لا بمقادير مدخولهم بل بحال أرواحهم. فعندما ينظر الله إلى الإنسان من السماء، لا يأخذ بالحساب كثيراً من الأمور التي يقدِّرها ويقومها العالم. لا ينظر إلى أموال الناس أو ممتلكاتهم أو ألقابهم، بل ينظر فقط إلى أحوال أرواحهم ويقدّرهم على هذا الأساس. فليتك تسعى إلى أنْ تفعل هكذا. ليتك تثمن قيمة النعمة فوق الألقاب والألمعية الفكرية، أو الذهب. وفي الغالب حين يطرح السؤال عما يساوي إنسان ما، يكون من الحسن لنا أنْ نتذكر أنَّ كلَّ إنسان فقير إلى حد ما يرثى له إلى أنْ يُغنى بالإيمان ويوثر فيما يختص بالله.

من عظة بعنوان: «**الغنى والفقر**»

دروس من الموتى

«فَمَاتَ الْمِسْكِينُ وَحَمَلَتْهُ الْمَلاَئِكَةُ إِلَى حِضْنِ إِبْرَاهِيمَ. وَمَاتَ الْغَنِيُّ أَيْضًا وَدُفِنَ، فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ فِي الْجَحِيمِ وَهُوَ فِي الْعَذَابِ، وَرَأَى إِبْرَاهِيمَ مِنْ بَعِيدٍ وَلِعَازَرَ فِي حِضْنِهِ»

(لوقا ١٦: ٢٢-٢٣)

مات لعازر ومات الرجل الغني أيضاً. ومع اختلاف ما كانوا عليه في الحياة صار على كليهما أنْ يتجرعا الكأس نفسه في النهاية. وكلاهما ذهب إلى المنزل المعد لكلِّ حي. كلاهما ذهبا إلى ذلك المكان الذي يلتقي فيه الغني والفقير. تراباً كانا وعادا إلى التراب. وهذا هو قدر كلّ إنسان. وسيكون لنا هكذا أيضاً إلا إذا عاد الرب قبل ذلك بالمجد. بعد كلِّ وسيلة نقوم بها واحتيال لأمر نسعى به وبعد كلِّ دراسة وتخطيط منا في الحياة، وبعد كلِّ اختراعاتنا واكتشافاتنا وما نجترحه من المنجزات العلمية، يبقى عدو واحد لا نستطيع أنْ نتغلب عليه أو ننزع سلاحه، ألا وهو الموت. فالموت جبار يساوي بين الناس كافَّة. لا يستبقي أو يستثني أحد. لا ينتظر، ولا يتوانى أو يتلكأ في أمر أحد ليكون على أهبة الاستعداد للقائه. ولا تحجبه أبواب ولا قضبان أو أقفال.

عزيزي القارئ، أنا أعلم أنَّ هذه أشياء قديمة العهد. ولا أنكر ذلك الآن. وأكتب أموراً مرَّ عليها الزمن ولا يجهلها أحد. إنما أنا أكتب عن أمور لا يشعر بها الناس. أو أقول بالأحرى إنهم لو كانوا يشعرون بها لما كانوا يتحدثون ويعيشون كما هم عليه اليوم. وأيضاً من أجل أنْ يتعلَّم الناس أنْ يعيشوا على أنهم في يوم من الأيام سيموتون. ولعلّ من العجز أنْ ننصب أمورنا على عالمٍ ميِّت وراحته القصيرة الأمد، وأنْ نخسر الخلود المجيد مقابل ردح قصير من الزمن نعيشه. فنحن هنا نكدح ونعمل ونرهق أنفسنا في أمور تافهة ونجري صعوداً وهبوطاً كالنمل على التلال، ومع ذلك لا ترى بعد سنوات إلا أننا قد ذهبنا وقد احتل جيل آخر مكاننا. فعش حياتك هنا للأبدية عزيزي القارئ! واطلب نصيباً لا ينزع منك ولا تنسى القاعدة الذهبية في قول يوحنا بنيان: «من يبغي أنْ يعيش على نحو جيد فليجعل يوم موته رفيقه الحارس»

من عظة بعنوان: «**الغنى والفقر**».

ما أثمن روح المؤمن في عين الله

«فَمَاتَ الْمِسْكِينُ وَحَمَلَتْهُ الْمَلاَئِكَةُ إِلَى حِضْنِ إِبْرَاهِيمَ. وَمَاتَ الْغَنِيُّ أَيْضًا وَدُفِنَ، فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ فِي الْجَحِيمِ وَهُوَ فِي الْعَذَابِ، وَرَأَى إِبْرَاهِيمَ مِنْ بَعِيدٍ وَلِعَازَرَ فِي حِضْنِهِ»

(لوقا ١٦: ٢٢-٢٣)

الرجل الغني في المثل يموت ويدفن. وربما كانت له جنازة فخمة، تتناسب مع ما كان ينفقه في حياته. لكن لا نسمع شيئاً أكثر عنه عندما انفصلت روحه عن الجسد. أمَّا الأمر التالي الذي نسمعه عنه فهو أنه في الجحيم. والرجل الفقير في المثل يموت أيضاً. ولا نعرف نوع الدفن الذي حظي به لكن نعلم أنَّ الجنازات الفقيرة الطابع عمل ممل وكئيب لمن يقوم بها. لكن ما نعلمه بالحق أنه في الساعة التي مات بها لعازر حملته الملائكة إلى حضن إبراهيم، حمل إلى دار الراحة التي ينتظرها المؤمنون كافة. إنها «**قِيَامَةِ الأَبْرَارِ**» (لوقا ١٤:١٤).

إذاً عزيزي القارئ، إنَّ أهل العالم لا يفكرون بمن يحتقرون عندما يهزؤون بشعب المسيح. إنهم يهزؤون بمن لا تخجل الملائكة بأنْ تخدمهم. إنهم يهزؤون بأخوات وأخوة المسيح نفسه. يقللون من أهمية أولئك الذين من أجلهم تقصر أيام الضيقة العظيمة. هؤلاء هم أولئك الذين بالتماسهم وصلاتهم يقضي الملوك أيامهم بسلام ويحكمون. وقليلاً ما يأخذون بالاعتبار أنَّ لصلوات أشخاص من أمثال لعازر شأن خطير وأهمية وازنة في شؤون الأمم أكثر من الجند المسلحين.

أعزائي المؤمنين الذين يقرؤون هذه الصفحات، أنتم قليلا ما تعرفون المدى الكامل لميزاتكم وقدراتكم وما تملكونه. كالأولاد في المدارس لا تعلمون نصف ما يقوم به آباؤكم لمصلحتكم. فتعلموا أنْ تحيوا بالإيمان أكثر مما قمتم بعمله. وعرّفوا أنفسكم بملء الكنز الموضوع لكم في المسيح الآن!

من عظة بعنوان: «**الغنى والفقر**»

الرجاء الثابت هو المطلب المستدام

«قَدْ فَنِيَ لَحْمِي وَقَلْبِي. صَخْرَةُ قَلْبِي وَنَصِيبِي اللهُ إِلَى الدَّهْرِ»

(مزمور ٧٣: ٢٦)

فاعلم إذاً أنّ الطمأنينة هي أمر ينبغي أن يرغب به بسبب الفرح الحاضر والسلام الذي تقدمه. إنَّ للشكوك والمخاوف شأن كبير في إفساد عزاء وطمأنينة المؤمن الحقيقي. كما أنَّ في الشكوكية والقلق ما يكفي من السوء في كل الأحوال – بأمر صحتنا، أملاكنا، عائلاتنا، مشاعرنا، ودوافعنا الأرضية. والآن طالما أنْ المؤمن لا يستطيع أنْ يتخطى الرجاء والرغبة، فإنه يشعر على نحو واضح بدرجة ما من عدم الاطمئنان على وضعه الروحي. والكلمة المعبرة عن ذلك هي قوله «**أنا أرجو**» لأنه لا يستطيع أنْ يقول «**أنا أعرف**».

فالطمأنينة يا أخوتي تسير شوطاً بعيداً بتحرير ابن الله المؤمن من هذا النوع من القيد المؤلم وتعمل على تعزيته. إنها تزوده بالفرح والسلام في الإيمان. تجعله صابراً في الضيق مطمئناً في التجربة، غير خائف من سيول الشر. تحلِّي كؤوسه المرة وتخفف ثقل صلبانه، وتمهد له مسالك أسفاره، وتضيء له وادي ظل الموت. تجعله يشعر كما لو أنَّ له شيئاً صلباً تحت قدميه وشيء ثابت راسخ تحت يده، وصديق مؤكد في الطريق ومنزل في المنتهى. وهو يشعر أنَّ العمل العظيم في الحياة هو العمل المؤسس، فالمديونية والكارثة والعمل كلُّ هذه وكلُّ عمل آخر ليس إلا كونه الأصغر بالمقارنة. فالطمأنينة تساعد الإنسان على أنْ يحتمل الفقر والخسارة بل وتصل به إلى حد أن يقول: «أعلم أنَّ لي في السماء شيء أفضل وأكثر دواماً. ليس لي فضة أو ذهب، ولكن لي النعمة والمجد فلا يستطيع أحد أنْ يسلبها مني». الطمأنينة تدعم الإنسان في المرض، فتمهد فراشه وتطري وسادته وتمكِّنه من أنْ يقول: «**إذا نقض بيت خيمتي الأرضي فلي في السماء بناء من الله، غير مصنوع بيد، أبدي في السماء. ولي اشتهاء أنْ أنطلق وأكون مع المسيح ذلك أفضل جداً. قَدْ فَنِيَ لَحْمِي وَقَلْبِي. صَخْرَةُ قَلْبِي وَنَصِيبِي اللهُ إِلَى الدَّهْرِ**» (٢كورنثوس ٥: ١-٢، فيلبي ١: ٢٣، مزمور ٧٣: ٢٦).

من عظة بعنوان: «**على استعداد**»

كيف تحيا في الأيام الأخيرة

«فَانْظُرُوا كَيْفَ تَسْلُكُونَ بِالتَّدْقِيقِ، لاَ كَجُهَلاَءَ بَلْ كَحُكَمَاءَ، مُفْتَدِينَ الْوَقْتَ لأَنَّ الأَيَّامَ شِرِّيرَةٌ»

(أفسس ٥: ١٥-١٦)

هذه ست نقاط من النصائح بينما تعيشون منتظرين عودة الرب يسوع المسيح.

واجبنا الأول هو أنْ نقوم بعمل أكيد من أجل خلاص أنفسنا. لا نتكاسل إلى أنْ نعرف ونشعر بأنَّنا أمسكنا بديانة كتابية كاملة ومتينة وأننا قد تبرّرنا وتجددنا وخلصنا. وواجبنا الثاني هو أنْ نصلي ليلاً ونهاراً لكي يتدخل الله ويبعد طوفان الشر الذي يبدو أنه سيجتاح بلادنا. وواجبنا الثالث هو العمل بجد للحفاظ على الدين الحقيقي الصحيح ومجابهة الخطأ. فبالكتاب المقدس الذي بين أيدينا وحديث الكتاب المقدس على شفاهنا، دعونا نعلن دونما خوف بالعلن وبالخصوصية إيماننا الكامل بالسلطان الإلهي لكلمة الله. فليس إنسان في العالم له الحق بأنْ يكون جريئاً كالمؤمن بالكتاب المقدس.

وواجبنا الرابع هو أنْ نعطي الانطباع لكلِّ من حولنا بالأهمية القصوى للوصيتين الخامسة والسابعة. فواضح لذهني وضوح نور النهار أنَّ عشرات الآلاف من أقراني المواطنين ناسين هاتين الوصيتين الإلهيتين العظيمتين من ناموس الله. فتجاهل روح الوصية الخامسة هو السر الحقيقي لغزارة الفوضى الاجتماعية التي نراها حولنا.

وتجاهل روح الوصية السابعة يسبب الكثير من الفسوق المخيف الزاحف في كلِّ طبقات المجتمع. وأحد العلاجات للأزمان المحفوفة بالمخاطر هو زيادة تعليم وصايا الله. وواجبنا الخامس هو تعزيز روح البهجة والطمأنينة والقناعة وتعهد ذلك بالعناية في المجتمع من حولنا. وواجبنا الأخير وليس الآخر هو استمرار انتظار عودة وملكوت ربنا يسوع المسيح. وهذا هو الحدث العظيم الذي سيختم أوضاع كلِّ الأمم. بعد ذلك، ستمحق الخطية وتنتهي الفوضى والخرافات نهائياً. فمتى يكون ذلك؟ لا أستطيع أنْ أقول. لأنَّ ذلك اليوم وتلك الساعة لا يعرفها أحد.

من عظة بعنوان: «**أزمان محفوفة بالمخاطر**»

خرافي لن تهلك

«وَأَنَا أُعْطِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَلَنْ تَهْلِكَ إِلَى الأَبَدِ، وَلاَ يَخْطَفُهَا أَحَدٌ مِنْ يَدِي»

(يوحنا ١٠:٢٨)

قال يسوع عن خرافه «إنها لن تهلك، لن تطرد خارجاً إذا ما ختمت واعتبرت أنها من قطيعي». ربما تنزلق أو تقع مرات عديدة وقد يكتنفها موطن ضعف أو فتور حماسة ولكن لن تهلك إلى الأبد. ستحفظ بقدرة الله من خلال الإيمان إلى الخلاص. إين هم أولئك المسيحيون الخائفون الذين يظنون أنهم خراف المسيح ومع ذلك يقصرون في النهاية؟ أنا ألفت نظركم إلى من لا يتكلم إلا الصدق وقد قال: «إنها لن تهلك أبداً».

المسيحيون الحقيقيون لا يهلكون. أليسوا خاصة المسيح وملك يده، خدام بيته، أعضاء عائلته، وأولاده المتبنين؟ إذاً وبالتأكيد لن يسمح بالإطاحة بهم. سيعتني بهم بعناية مثلما نعتني بأجسادنا ودمائنا بلطف وحنان. سيدللهم كما ندلل أعز الأعزاء على قلوبنا. وما كان ليضع حياته من أجلهم لو أنه قصد التخلي عنهم.

«لا يهلكون!» ملوك الأرض وعظمائها سيرحلون ولا يشاهَدون فيما بعد. عروش وممالك وإمارات، أغنياء موسرين وأشراف الرجال، سيسحبون إلى القبور. ولكن أفقر ساكن كوخ مسيحي لن يرى الموت إلى الأبد، وعندما تزول السماوات بضجيج وتنحل العناصر وتحترق الأرض سيجد ذلك الإنسان بيتاً أبدياً في السماء غير مصنوع بأيدٍ بشرية. ذلك الإنسان يمكن أنْ يكون فقيراً وقليل الاحترام في العالم، لكنني أرى فيه من سيكون قديساً ممجداً بينما أولئك الذين صدف أنْ امتلكوا الكثير في العالم سيكونون في العذاب. أنا على ثقة من أنَّ لا شيء يمكن أنْ يفصله عن محبة المسيح. وقد تكون له شكوكه، لكنني أعلم أنه سيكون مؤهلاً لذلك وأنه لن يضل.

من عظة بعنوان: «**امتيازات المسيحي الحقيقي**»

اجْعَلُوا قَلْبَكُمْ عَلَى طُرُقِكُمْ

«هكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ: اجْعَلُوا قَلْبَكُمْ عَلَى طُرُقِكُمْ»

(حجي ١:٧)

أود أنْ أكتب بعض الكلمات عن أنفسكم... عن أرواحكم.... أريد أنَّ هذه الأنفس، هذه الأرواح تخلص. وأنا أدعو جميعكم إلى أنْ تقبلوا النصيحة التي سأقدمها لكم اليوم وهي أنْ تجعلوا قلبكم على طرقكم. تأملوا ملياً بطرقكم. أكتب إليكم لأنَّ الوقت مقصر. يوم النعمة ينساب مبتعداً ويوم الدينونة يقترب. حبل الحياة يلتف. وما هي إلا بضع سنوات قصيرة وكلُّ نفس منا ستكون قد ذهبت إلى مستقر لها. وكلٌّ منا سيكون إما في السماء أو في جهنم.

لا شك أنَّ هناك بينكم مسيحيين حقيقيين أتوق أنْ أراهم أكثر قداسة وابتهاجاً، إنهم الذين اكتشفوا إثمهم وخسروا ممتلكاتهم وآمنوا حقيقة بالمسيح من أجل خلاص نفوسهم. لقد فُتِحت أعين تفهمكم بالروح القدس، وهو الذي قادكم إلى المسيح، فأنتم الآن أشخاص جدد. لكم سلام مع الله. وما عادت الخطية مسرة لكم. لم يعد للعالم المكانة الأولى في قلوبكم. وكلُّ شيء قد صار جديداً. وتوقفتم عن الوثوق بأعمالكم الخاصة. أنتم راغبون بالوقوف أمام محكمة الله موكلين أنفسكم على العمل الكامل للذي مات عن الأثمة. هذه كلها ثقتكم بأنكم غسلتم ثيابكم وبيضتموها في دم الخروف. وأنا أشكر الله من كلِّ قلبي على ما عمل بنفوسكم ولكني أطلب منكم أيضاً أنْ تجعلوا قلبكم على طرقكم.

تأملوا جيداً بما قلته. قد يكون للموت عمل يقوم به بيننا قريباً جداً. فدعونا كلنا نلتقي في المسيح ونستعد. وإبليس سيشغل نفسه بيننا دونما ريب فدعونا نسهر ونصلي. دعونا نحذر من روح الكسل والشكلانية، وخاصة في القراءات الخاصة والصلوات. وليكن سبيل حياتنا إلى منهل الحياة يقضى بالسير فيه كلّ يوم، وليكن مفتاحنا إلى خزينة النعمة ملمعاً بدوام استخدامه.

من عظة بعنوان: «**اجْعَلُوا قَلْبَكُمْ عَلَى طُرُقِكُمْ**»

الثبات في المسيح

«كُلُّ مَنْ تَعَدَّى وَلَمْ يَثْبُتْ فِي تَعْلِيمِ الْمَسِيحِ فَلَيْسَ لَهُ اللهُ.
وَمَنْ يَثْبُتْ فِي تَعْلِيمِ الْمَسِيحِ فَهذَا لَهُ الآبُ وَالابْنُ جَمِيعًا»

(٢يوحنا ١:٩)

فلنبتغي كلنا أنْ نثبت في المسيح باجتهاد أكثر مما نحن عليه اليوم. المسيح هو نبع الحياة في نفس كلِّ مؤمن، والرأس الذي يعتمد عليه كلُّ عضو، وحجر الزاوية لكلِّ برٍّ وطهارةٍ حقيقية. فعندما أرى أحد أبناء الله وقد صار أقل قداسة مما كان عليه، أعرف السر في ذلك: فهو لا يتمسك بالمسيح كما كان يفعل. فعلى جذورنا أن تثبت أكثر إنْ كان لثمرنا أنْ يكثر. فدعونا نسعى جاهدين أيها الأخوات والأخوة إلى اتحاد أقوى وشركة أعمق مع المسيح. فلنتردد إليه أكثر ونتحدث معه أطول ونعتمد عليه بكلية أشمل. وهذه هي الطريقة لعبور البرّية من غير ضعف وتردد وأنْ نحاضر بصبر في الجهاد الموضوع أمامنا. ودعونا نحيا حياة الإيمان بابن الله. فهو الكرمة ونحن الأغصان ولنستجر كلَّ قوتنا منه. لأننا بدونه لا نستطيع أن نعمل شيئاً. إنه هو شمس البر. فلننشد عزاءنا فيه وليس بأطرنا الخاصة ومشاعرنا.

إنه هو خبز الحياة، فلنتغذى به كل يوم كما كان الشعب القديم يتغذى بالمن النازل من السماء، وليس باختباراتنا الخاصة. وليكن المسيح كلَّ شيء لنا أكثر وأكثر. دمه سلامنا، وشفاعته عزاؤنا وراحتنا، وكلمته ضماننا، ونعمته قوتنا، وحنانه عوننا وسندنا، وسرعة عودته رجاؤنا. فلنتعلق بالمسيح أكثر أيها الأخوات والأخوة. ولنقترب من الصليب، ونجلس عند قدمي يسوع المسيح. ولنتحد بروح الرسول إذ هو يقول: «**لأَنَّ لِـيَ الْحَيَاةَ هِيَ الْمَسِيحُ**» (فيلبي ١:٢١). دعونا نقوم بهذه الأمور وسننمو بكلِّ تأكيد.

من عظة بعنوان: «**تأملوا بطرقكم**»

لماذا الولادة الجديدة ضرورية

«أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ:
إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنْ فَوْقُ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَرَى مَلَكُوتَ اللهِ»

(يوحنا ٣:٣)

الجواب قصير وبسيط بسبب النزعة الطبيعية الآثمة لكل إنسان. نحن لم نولد في العالم بعقول طاهرة بريئة بل فاسدة وشريرة وبإرادة لعمل ما هو شر حالما يكون بمقدورنا. والنصوص الكتابية المقدسة صحيحة في قولها إننا بالإثم صُوِّرْنا وبالخطية حُبِل بنا. فلا أحتاج الآن إلى أنْ أتوقف هنا لأقول كيف يجوز هذا الأمر بل أحتاج فقط إلى أنْ أذكركم أنه في البدء لم يكن الأمر هكذا. لقد خلق أبوانا الأولان آدم وحواء بالقداسة والطهارة من غير إثم أو أي ملام عليهما. وعندما استراح الله من عمله في اليوم السابع اعتبرهم مما خلقه حسناً ككل ما خلق. لكن واحسرتاه علينا... فقد وقع آدم بالتعدي بالخطية وخسر منزلته الأولى. لقد فقد شبهه بالله الذي خلق به. ولهذا كلنا ونحن ذريته جئنا إلى الوجود بطبيعة آثمة خاطئة. فنحن ساقطون نحتاج إلى أنْ نقام. إن فينا سمات آدم القديم الأرضي الجسدي ونحتاج إلى أنْ نوسم بعلامات آدم الثاني الرب يسوع التي هي سماوية وروحية. فهل يرتاب أحد منكم بذلك. فلنتأمل ما نحن بالطبيعة.

نحن لا نرى بالطبيعة ملكوت المسيح الروحي على الأرض. كل ذلك مخفي عن أعيننا. فالناس يرون بدقة ويعرفون الأمور الأرضية وقد يكونوا حكماء بأمور هذا الدهر. لكن عندما يأتون إلى الدين الروحي تبدو أعينهم كفيفة عنه إذ هنالك حجاب كثيف على قلوبهم فلا يرون شيئاً مما يجب أن يروا. فيسوع يقول لنا بجلال ووقار إنه لن يدخل أحد إلى الراحة السماوية ما لم يولد من جديد.

من عظة بعنوان: «**التجدد**»

مَاذَا تَظُنُّونَ فِي الْمَسِيحِ؟

«مَاذَا تَظُنُّونَ فِي الْمَسِيحِ؟»

(متى ٢٢:٤٢)

قلت لكم غير مرة أيها الأحباء، وأقول لكم اليوم مرة أخرى أنني منذ أنْ توليت ذمام الأمور في هذه المنطقة، كان سؤل قلبي وصلاتي أنْ أشجع وأعزز خلاصكم.

في كلِّ صباح ومساء أرفع طلبتي إلى أبي الذي في السماوات أنْ يسمح بأنْ يسكب الروح القدس عليكم ويأتي بكم إلى المسيح. أليس هو من قال «**اطلبوا تجدوا**»، وأنا بالتالي ألا أرفع قضيتكم إليه؟

وأقول لنفسي متسائلاً ما الذي يمكن أن يوقظ هؤلاء الناس؟ وما الذي يروِّعهم أكثر؟ ما الذي يوقظهم ويستحثهم على التفكير؟ ما الذي ترى يدفعهم إلى أنْ يروا إثم الخطية وخطورة العبث مع خالقهم وديّانهم، والقيمة الحقيقية لأرواحهم ونعمة الله المتفاضلة في المسيح يسوع؟ هذه كانت بعض المنعكسات التي مرت بذهني عندما اخترت لكم عنوان ماذا تظنون في المسيح؟

أيها الأحباء، إنَّ الحال الحاضرة لروحكم تتوقف على طبيعة الجواب الذي يعطيه ضميركم. ماذا تظنون في المسيح؟ لا تستطيعون أنْ تجيبوا على هذا السؤال على نحو مرضٍ ما لم تكونوا أعضاء حقيقيين في جسده، متَّحِدين به حقيقة بالإيمان الحي، ومُجَدَّدين حقيقة بواسطة الروح القدس. وليس ثمَّة أنصاف حلول هنا. لا تستطيعون أنْ تجعلوا الأمر سيان ما إذا كنتم تفكرون على نحو صحيح أم لا بشأن المسيح. فالسؤال مختصر وبسيط وواضح لكن الجواب عليه يشمل الحياة والموت. وأنا أسألكم سؤالاً صغيراً واضحاً لكن إن لم يكن بإمكانكم الإجابة عليه كما يطلب الله فأنا أنبهكم بمحبة وحنان إلى أنكم سائرون في الطريق الرحب الواسع الذي يؤدي بكم إلى الهلاك.

من عظة بعنوان: «**ماذا تظنون في المسيح**»

مرض روحي، ينبغي أنْ نخافه

«وَلكِنَّنِي أَخَافُ أَنَّهُ كَمَا خَدَعَتِ الْحَيَّةُ حَوَّاءَ بِمَكْرِهَا، هكَذَا تُفْسَدُ أَذْهَانُكُمْ عَنِ الْبَسَاطَةِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ»

(٢ كورنثوس ١١:٣)

هنالك مرض روحي ينبغي أنْ نخاف منه: هو أنْ «تفسد الأذهان» وأقتبس هذا لأقصد تضرر أذهاننا بتقبل العقائد المزيفة وغير الكتابية في الدين. وأعتقد أنَّ الرسول يقصد القول: «أخاف أنْ تتشارك أذهانكم بأفكار مغلوطة وغير سليمة عن المسيحية، وأخاف أنْ تقبلوا الحقائق والمبادئ غير الصحيحة وأخاف أنْ تتحولوا عن الإيمان المسلَّم للقديسين وتقبلوا آراء غير حقيقية وهدامة للإنجيل.

فالخشية التي يعبر عنها الرسول تبدو تعليمية واخذة وباعثة للعجب. فمن يمكن أنْ يفكّر بذلك وهم تحت نظر التلاميذ الذين اختارهم يسوع ودمه المسفوك في الجلجثة لم يكن قد جفَّ بعد، وهم ما زالوا بزمن المعجزات التي تجرى أمامهم، فمن يمكن أنْ يفكر بخطر انفصال المسيحيين عن الإيمان؟ ومع ذلك لم يكن شيء أكثر تأكيداً من أنَّ «**سِرَّ الإِثْمِ الآنَ يَعْمَلُ**» (٢تسالونيكي ٢:٧) بدأ يعمل قبل موت الرسل. ويقول يوحنا: «**قَدْ صَارَ الآنَ أَضْدَادٌ لِلْمَسِيحِ كَثِيرُونَ**» (١يوحنا ٢:١٨). وما من حقيقة في تاريخ المسيحية منذ نشأتها إلى الآن أكثر وضوحاً من انتشار العقائد الزائفة.

فيحق لبولس بعين نبوية إلى المستقبل أنْ يقول: «**إنني أخاف**». ليس من فساد أخلاقياتكم وحسب بل وأذهانكم. والحقيقة الصريحة هي أنَّ التعليم الزائف هو مكيدة يستخدمها إبليس في كلِّ زمن ليوقف تقدم إنجيل المسيح. وإذ هو يشعر بعجزه عن منع نبع الحياة من أنْ يتدفق، تراه يعمل باستمرار ودون هوادة على تسميم جداول الماء الحي التي تنساب منه. فإنْ لم يستطع تدميره يعمل غالباً على تحييد وإبطال نفعه سواء كان ذلك بالإضافة، أو الحذف أو الاستبدال. وبكلمة صريحة نقول إنه استطاع أنْ يضلل عقول الناس. فعليكم بالحذر...

من عظة بعنوان: «**مخاوف رسولية**»

ليس كتاب آخر كالكتاب المقدّس

«يَبِسَ الْعُشْبُ، ذَبُلَ الزَّهْرُ. وَأَمَّا كَلِمَةُ إِلهِنَا فَتَثْبُتُ إِلَى الأَبدِ»

(إشعياء ٤٠:٨)

الكتاب المقدس معطى بوحي من الله. وأعني بقولي هذا أنني أجزم بأنَّ الكتاب المقدس مختلف بكلِّ معنى الكلمة عن سائر الكتب التي كتبت لأنَّ كتّابه قد أُلهموا بشكل خاص وخُوِّلوا من قبل الله للقيام بما عملوا. وأقول إنَّ هذا الكتاب يأتينا بادّعاء لم يتضمنه أي كتاب آخر. إنه ممهور بسلطة إلهية. فبهذا الاعتبار يقف وحيداً بالمطلق. عظات وكراسات وكتابات لاهوتية من شتى الأنواع يمكن أنْ تكون سليمة ومثقِّفة ولكنها مجرد عمل لإنسان غير موحى له.

الكتاب المقدّس وحده هو كتاب الله. الملء الفائق والغنى في محتويات الكتاب المقدس حقيقة لا جدال فيها. إنه يلقي ضوءاً أوضح على عدد ضخم من المواضيع المهمة أكثر من الكتب الأخرى في العالم كلها مجتمعة. وهي تتناول بجرأة وصراحة مواضيع أبعد من أنْ يصل إليها إنسان إذا ما ترك لنفسه. كما تعالج أموراً مكتنفة بالأسرار وغير منظورة: الروح، العالم الآتي، والأبدية، وأعماق ليس للإنسان أن يسبر غورها. وكلُّ من حاولوا الكتابة عن هذه الأمور من غير أو بدون نور الكتاب المقدس قد عملوا قليلاً ولكنهم أظهروا جهلهم. إنهم يتلمسون الأمور كما يتلمس الأعمى طريقه، يتحزرون ويحسبون وبالإجمال يحاولون أنْ يجعلوا الظلام أكثر إراءة ويرسون بنا على شاطئ المجهول والشك.

كم كانت آراء سقراط وأفلاطون وشيشرون وسينيكا غامضة! معلم مدرسة أحد متدرب في أيامنا يعلم من الحقائق الروحية أكثر من كلِّ تلك الحكم مجتمعة. الكتاب المقدس وحده هو الذي يقدِّم وصفاً معقولاً لبداية ونهاية الكرة الأرضية التي نعيش عليها. تبدأ من ولادة الشمس والقمر والنجوم والأرض على وضعها الحالي ويظهر الخليقة في مهدها. وهو يتنبأ بانحلال كلِّ الأشياء عندما تحترق الأرض وكلَّ أعمالها ويظهر لنا الخليقة في قبرها. يخبرنا ببدء العالم ويخبرنا قصص عصورها الغابرة. يعطينا صورة عن أيامها الأولى وصورة أيامها الأخيرة. فيا لعظمة كلِّ هذه المعرفة.

من عظة بعنوان: «**الوحي والإلهام**»

تأكيد الموت

«فَإِنِّي أَنَا الآنَ أُسْكَبُ سَكِيبًا، وَوَقْتُ انْحِلاَلِي قَدْ حَضَرَ. قَدْ جَاهَدْتُ الْجِهَادَ الْحَسَنَ، أَكْمَلْتُ السَّعْيَ، حَفِظْتُ الإِيمَانَ، وَأَخِيرًا قَدْ وُضِعَ لِي إِكْلِيلُ الْبِرِّ، الَّذِي يَهَبُهُ لِي فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، الرَّبُّ الدَّيَّانُ الْعَادِلُ، وَلَيْسَ لِي فَقَطْ، بَلْ لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُحِبُّونَ ظُهُورَهُ أَيْضًا»

(٢تيموثاوس ٤: ٦-٨)

التأكيد كما عبّر عنه بولس هنا ليس مجرد تصور أو شعور. وليس نتيجة حيوية الشباب النشطة أو مزاج جسد مفعم بالحركة. إنه عطية إيجابية من الروح القدس توهب بصرف النظر عن الأطر الجسدية أو بنيتها، وهبة يجب على كلِّ مؤمن بالمسيح أنْ يهدف إليها ويلاحقها. وتبدو لي كلمة الله أنها تعلّم أنَّ المؤمن يمكن أنْ يصل إلى ثقة مؤكدة بخصوص خلاصه الشخصي. وأنا أقولها بكلِّ تأكيد إنَّ المسيحي الحقيقي أو الإنسان المتجدد يمكن أن يصل إلى درجة معزِّية من الإيمان بأنه سيشعر بكامل الثقة بالنسبة للسلامة والغفران لنفسه، ونادراً ما سيؤرَّق بالشكوك، أو يتحير بالتردد، أو يمتحن بالمساءلات أو ينذر بخصوص وضعه. وقد ينتابه صراع نفسي مع الخطية ولكنه سيتطلع إلى الموت كما فعل بولس بدون ارتعاش وإلى الدينونة بدون رعب.

هكذا هو احتساب تأكدي. فليُعلمْ هذا إذ إنني لا أقول أقل ولا أكثر. الغالبية العظمى من العالميين بيننا يعارضون هذا التعليم لاعتبار أنَّ عقيدة التأكيد تضايقهم وتغيظهم. لا يحبون أنْ يروا الآخرين يشعرون بالراحة والتأكد لأنهم لا يشعرون على هذا النحو. وليس من عجب في أنهم لا يشعرون بالتأكيد، لكن هنالك أيضاً بعض المؤمنين الحقيقيين الذين يرفضون التأكيد. ينفرون من ذلك كما لو كانت فكرة غامضة مشحونة بالخطر. يعتبرونها فكرة متاخمة للحدس ليس إلا. ويبدو أنهم يفكرون أنَّ من التواضع العيش بدرجة معينة من الشك. إنَّ هذا لمما يُندم عليه ويتسبب بأذى جسيم.

من عظة بعنوان: «**أنا الآن أسكب سكيباً**»

آراء رايل في الوعظ والتعليم

«لأَنَّنَا لَسْنَا كَالْكَثِيرِينَ غَاشِّينَ كَلِمَةَ اللهِ، لكِنْ كَمَا مِنْ إِخْلاَصٍ، بَلْ كَمَا مِنَ اللهِ نَتَكَلَّمُ أَمَامَ اللهِ فِي الْمَسِيحِ»

(٢كورنثوس ١٧:٢)

بضع كلمات يجب أنْ تفي بالغرض. إنها ثلاث نقاط:

١. يجب أنْ نهدف إلى أنْ نتكلم بصدق وإخلاص. صدق الهدف، والقلب، والحافز. أنْ نتكلم كأولئك المقتنعين المصدِّقين لحقيقة ما يتكلمون عنه. كذوي المشاعر العميقة والمحبة الرقيقة اللطيفة لمن نتوجه إليهم بالكلام.

٢. يجب علينا أنْ نهدف إلى التحدث «في المسيح». يجب أنْ نعمل ما بوسعنا لنشعر أننا أناس مفوَّضون للتحدث عن الله ولمصلحته. أنْ ننسى عظمة مسؤولية خادم العهد الجديد وشناعة خطية أولئك الذين يرفضون قبول الرسالة عندما يقدمها لهم رسل المسيح الحقيقيون ويقسون قلوبهم إزاءها.

٣. يجب علينا أنْ نهدف إلى التحدث «بمحضر الله». ولا نسأل أنفسنا ماذا يظنني الناس؟ وإنما ماذا كنت وأنا بمحضر الله؟ كنت أتحدث وكأنني أقف أمام الله.

وفي الختام، علينا أنْ نسأل هل نحن نتناول كلمة الله على نحو مخاتل؟ هل ندرك ما يعني أننا نتكلم كما عن الله ونحن بمحضره، وبالمسيح؟ أنا غالباً ما فكرت أنَّ أحد الأسرار العظيمة للشرف الرفيع الذي أضفاه الله على رجل من غير طائفتنا (وأنا ألمح إلى شارلس سبيرجن) هو الجرأة الاستثنائية والثقة التي يعتلي بها المنبر ليتكلم للناس عن خطاياهم وأرواحهم. ولا يمكن أنْ يقال إنه إنما يفعل ذلك خشية أحد أو إرضاء لأحد. بل يبدو أنه يعطي كلَّ شريحة من المستمعين نصيبها، للفقير وللغني، لعالي الرتبة أو للإنسان العادي، للملك وللفلاح، للمتعلم وللأمّي. يعطي كلَّ واحد رسالة واضحة بحسب كلمة الله. فأنا أعتقد أنَّ هذه الجرأة بالذات لها شأن كبير بالنجاح الذي يسر الله أنْ يضفيه على خدمته. فلا نخجل من أنْ نتعلّم درساً مفيداً منه بهذا الخصوص. فلنذهب نحن أيضاً ونفعل هكذا...

من عظة بعنوان: «**غير غاشين الكلمة**»

الصلاة تقود إلى الاطمئنان والسعادة

«وَاظِبُوا عَلَى الصَّلاَةِ سَاهِرِينَ فِيهَا بِالشُّكْرِ»

(كولوسي ٢:٤)

نحن نعيش في عالم تكتنفه الأحزان. هكذا كان الأمر منذ أنْ دخلت الخطية. وليست هنالك خطيَّة من غير حزن. وإلى أن تستأصل الخطية من العالم يستحيل على أيٍّ كان أنْ يحسب أنه يمكن أنْ يهرب من الحزن. ولا ريب في أنَّ البعض يتجرعون كأس حزن أكبر من كؤوس الآخرين. إنما قليلون نجدهم يعيشون طويلاً من غير أحزان أو نوع من أنواع الاهتمامات. فأجسادنا، وأملاكنا، وعائلاتنا، وأولادنا، وعلاقاتنا، وخدامنا، وأصدقاؤنا، وأقرباؤنا، ومسؤولياتنا العالمية، كل واحد من هذه وكلّها ينابيع همّ وقلق. المرض، والموت، والخسارة، وخيبة الأمل، والفراق، والانفصال، والجحود، والافتراء، كلُّ هذه أمور عامة. لا يمكن أنْ نجوز الحياة من دون وجودها، وفي يوم ما لن يجدوننا. فبقدر ازدياد تعلقنا بها تتعمق أحزاننا وعلى قدر زيادة حبنا لها يزداد بكاؤنا.

فما هي أفضل الوسائل للابتهاج في مثل هذا العالم؟ كيف سنعبر وادي البكاء هذا بأقل ما يمكن من الآلام؟ أنا لا أعرف وسيلة أفضل من عادة أنْ نأتي على الدوام بكلِّ شيء إلى الله بالصلاة. فالطريقة الوحيدة لتكون بالحقيقة سعيداً في عالم كهذا هي أنْ تلقي كلَّ همومك على الله. إنها الأثقال المسببة لحزن المؤمنين. ويسوع يستطيع أنْ يجعل السعادة من نصيب الذين يأتون إليه مؤمنين مهما تكن أحوالهم. يستطيع أن يهبهم سلام القلب في السجن، والقناعة في وسط الفقر، والعزاء في وسط الحرمان، والفرح على حافة القبر. إنَّ فيه الملء العظيم لكلِّ أتباعه المؤمنين، ملء جاهز لينسكب على كلِّ من يطلب بالصلاة. فليت الناس يتفهمون أنَّ السعادة لا تعتمد على الظروف الخارجية بل على حال القلب.

من عظة بعنوان: «**دعوة إلى الصلاة**»

لا أهملك، لا أتركك

«لِتَكُنْ سِيرَتُكُمْ خَالِيَةً مِنْ مَحَبَّةِ الْمَالِ. كُونُوا مُكْتَفِينَ بِمَا عِنْدَكُمْ، لأَنَّهُ قَالَ: «لاَ أُهْمِلُكَ وَلاَ أَتْرُكُكَ»

(عبرانيين ١٣:٥)

فليدرك كلَّ مؤمن هذه الكلمات ويخبئها في قلبه. ولتبقَ جاهزة غب الطلب في ذاكرتك لأنك ستحتاجها في يوم ما. سيهاجمك الأعداء، سينتابك المرض، ملك الإرهاب سيقترب، ووادي ظل الموت سينفتح أمام عينيك. وبعد هذا تأتي ساعة لا تجد فيها ما يعزي أكثر من نص كتابي كهذا لأن لا شيء يبهج أكثر من إدراك الشعور بمعية الله.

توقف وتأمل كلمة «لا». هي كلمة ثمينة هنا تساوي وزنها ذهباً. تعلق بها كما يتعلق الغريق بحبل النجاة. أدركها على نحو راسخ كما يتمسك جندي بسيفه في حين مهاجمته من كلِّ الجهات. إنَّ الله يتكلم والله حافظ لكلمته وهو يقول: «**لاَ أُهْمِلُكَ وَلاَ أَتْرُكُكَ**».

«**لاَ أُهْمِلُكَ وَلاَ أَتْرُكُكَ!**» ... فمع ما قد ينتاب قلبك غالباً من وهن وضعف وأنت مريض النفس وبرغم إخفاقاتك ونقائصك فإنَّ هذا الوعد لن يَقْصُر.

«**لاَ أُهْمِلُكَ وَلاَ أَتْرُكُكَ!**» ... مع أنَّ الشيطان يهمس في أذنك قائلاً: «سأنالك في النهاية، أو بعد قليل، وأنَّ إيمانك سيخفق، وأنت ستكون لي» حتى في ذلك الحين يحفظ الله كلمته.

«**لاَ أُهْمِلُكَ وَلاَ أَتْرُكُكَ!**» ... برغم موج المشكلات فوق رأسك وحتى لو بدا أنَّ كلَّ رجاء قد خاب، فإنَّ كلمة الله ستصمد حتى في ذلك الحين.

«**لاَ أُهْمِلُكَ وَلاَ أَتْرُكُكَ!**» ... حتى عندما تزحف قشعريرة الموت الباردة عليك ولا يستطيع أصدقاؤك أنْ يقدموا لك العون وأنت تبدأ تلك الرحلة التي لا عودة منها، فإنَّ يسوع المسيح لا يهملك.

«**لاَ أُهْمِلُكَ وَلاَ أَتْرُكُكَ!**» حتى عندما يحلُّ يوم الدينونة وتفتح الأسفار والموتى يقومون من قبورهم لتبدأ الأبدية. حتى في ذلك الحين سيحمل الوعدُ ثقلك. ولن يتخلى المسيح عن التمسك بروحك.

من عظة بعنوان: «**كن مكتفياً**»

تمسكوا بغيرتكم وحماسكم المسيحي

«فَلاَ نَفْشَلْ فِي عَمَلِ الْخَيْرِ لأَنَّنَا سَنَحْصُدُ فِي وَقْتِهِ إِنْ كُنَّا لاَ نَكِلُّ»

(غلاطية ٦:٩)

ليس لي إلا طلب واحد وهو أنْ تواظبوا. أتوسل إليكم أنْ تتمسكوا بغيرتكم وحماستكم فلا تدعوها تغادركم. أتوسل إليكم أنْ لا تعودوا أبداً من أعمالكم الأولى وأنْ لا تتركوا محبتكم الأولى ولا يقال عنكم أنَّ أموركم الأولى كانت أفضل من الأخيرة. احذروا من الفتور. فما عليكم إلا أنْ تبقوا كسالى وتجلسوا ساكنين فتخسروا حرارتكم على نحو عاجل. سريعاً ما ستتحول إلى إنسان آخر مما أنت عليه الآن. فلا تظن أنَّ هذه نصيحة لا لزوم لها! وقد يكون صحيحاً أنَّ المؤمنين الجدد الحكماء نادرون جداً. ولكن صحيح على حد سواء أنَّ المؤمنين القدماء الغيارى المتحمسين نادرون أيضاً. لا تسمح لنفسك أبداً بالتفكير أنك تستطيع أن تعمل أكثر من اللازم، أنك تستطيع أنْ تضحي وتُنهَك أكثر مما يلزم بسبب المسيح. فمقابل واحد ممن يعملون أكثر مما ينبغي أريكم ألفاً ممن لا يعملون ما يكفي. إنما بالأحرى فكر أنّه «يَنْبَغِي أَنْ أَعْمَلَ أَعْمَالَ الَّذِي أَرْسَلَنِي مَا دَامَ نَهَارٌ. يَأْتِي لَيْلٌ حِينَ لاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَعْمَلَ» (يوحنا ٤:٩)، وأعطِ، واجمع، وعلّم، وقم بزيارات، واعمل، وصلِّ، كما لو كنت تعمل ذلك للمرة الأخيرة. واحفظ عن ظهر القلب ما قاله ذلك الرجل ذو العقل النير عندما قيل له أنه يجب أنْ يأخذ قسطاً من الراحة «**عما ترانا يجب أنْ نرتاح؟ أليس لدينا الأبدية على امتدادها لنرتاح فيها؟**».

لا تخشى لوم وتوبيخ الناس. لا تجبن إذا أسيء إليك في بعض الأحيان. لا تبالي إذا دعيت في بعض الأحيان منحازاً، مفعماً بالحماسة، متعصباً، مجنوناً، أو مُغفَّلاً. فلا شيء مخزٍ أو شائنٍ بهذه الألقاب، فقد قيلت لكثير ممن كانوا أفضل وأحكم الناس. فإن كنت تصبح متحمساً فقط عندما تمدح على ذلك، وإن كان لعجلات غيرتك وحماستك أنْ ترشى بزيت مديح وإطراء الناس فإن غيرتك لن تكون إلا قصيرة الأمد. فلا تأبه بإطراء ومديح الناس ولا بتجهمهم وعبوسهم.

من عظة بعنوان: «**الغيرة المسيحية**»

إنها يد أبيهم التي تؤدبهم

«لأَنَّ الَّذِي يُحِبُّهُ الرَّبُّ يُؤَدِّبُهُ، وَيَجْلِدُ كُلَّ ابْنٍ يَقْبَلُهُ»

(عبرانيين ١٢:٦)

نحن نعيش في عالم جميل ومسر، محاطون بكثير مما هو باسم ومرح، ولولا أننا في أحوال كثيرة مضطرون لأنْ نعاني المرض والمحن والمزعجات لكنا ننسى سريعاً منزلنا السماوي وننصب خيمنا على نحو دائم في سدوم. ولهذا كان على شعب الله أنْ يجوز في البلايا. ولهذا تراهم مدعوين إلى أنْ يعانوا من لسعات الأسى والألم والقلق أو يبكون على قبور من أحبوهم كأنفسهم.

إنها يد أبيهم التي تؤدبهم! وهو بهذا يفطم شعورهم مما هو دون ويثبتها عليه هو. إنه يدربهم تهيئة للأبدية ويقطع الحبال التي تقيّد قلوبهم المتغيبة عن القيام بالواجب الملقى على عاتقهم، الحبل تلو الآخر. ولا ريب في أنّ هذا التأديب قد يكون شديد الوطأة لبعض الوقت ولكنه يأتي بكثير من النعم المحتجبة إلى النور، وبذلك يقطع دابر كثير من بذور الشر المتكتمة. وسنرى أولئك الذين كابدوا كالأكثر إشعاعاً من بين أكثر منظومة نجوم السماء بريقاً. «**لأَنَّ خِفَّةَ ضِيقَتِنَا الْوَقْتِيَّةَ تُنْشِئُ لَنَا أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ ثِقَلَ مَجْدٍ أَبَدِيًّا**» (٢ كورنثوس ٤:١٧)!

إن أنقى الذهب هو ذلك الذي بقي الفترة الأطول في فرن التنقية. وأشد الألماس لمعاناً هو في الغالب ما كان تطلب أكثر من الجلو والصقل. والقديسون هم من خرجوا من الضيقات الكبرى إذ لم يُترَكوا البتة ليهلكوا فيها. ليلة البكاء الأخيرة ستمضي سريعاً حيث تكون موجة الضيق قد انقضت ومن ثم سيكون لنا سلام يفوق كل عقل! وسنكون حينئذ في الوطن مع الرب كل حين! «**لِذلِكَ عَزُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِهذَا الْكَلاَمِ**» (١ تسالونيكي ٤:١٨).

من عظة بعنوان: **«إنها يد أبيهم التي تؤدبهم»**.

يمسح كلَّ الدموع

«وَسَيَمْسَحُ اللهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ، وَالْمَوْتُ لاَ يَكُونُ فِي مَا بَعْدُ، وَلاَ يَكُونُ حُزْنٌ وَلاَ صُرَاخٌ وَلاَ وَجَعٌ فِي مَا بَعْدُ، لأَنَّ الأُمُورَ الأُولَى قَدْ مَضَتْ»

(رؤيا ٢١:٤)

الرب يسوع المسيح نفسه سيتمنطق ويتكئهم ويتقدم ويخدمهم. نفس اليد الحانية التي أقامتهم من موت الخطية إلى حياة البر، التي شفت أمراضهم الروحية وأتتهم بالصحة والسلام وجعلتهم خليقة جديدة على الأرض – نفس اليد سترحب بهم في السماء وتواكبهم كضيوف مرحب بهم فوق العادة إلى مأدبة من السعادة فيما لم تره عين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على بال إنسان.

بعد ذلك لن يكون بكاء، لأن الله سيمسح كل دمعة من عيونهم. مسكن لن يكون فيه بكاء! فلا أعرف أي مكان من السماء يصعب تصوره أكثر من هذا. نحن نعيش في عالم الأحزان، في وادي الدموع، دموع على أنفسنا ودموع على الآخرين. دموع على مواطن ضعفنا الخاصة ودموع على عدم إيمان مكن نحبهم، دموع على الآمال التي خابت، ودموع على قبور أولئك الذين عقدنا عليهم عواطفنا، وكلّ ذلك بسبب الخطية. لم تكن لتوجد الأحزان لو لم يسقط آدم، ولكن بكاءنا بالذات هو دليل وجود الخطية.

إلا أنَّ هذا لن يكون دوماً هكذا. بل سيأتي يوم يتلاشى فيه الحزن، والله نفسه سيقول «توقفوا عن البكاء، لأن الأمور الأولى قد مضت». ولن يكون حزن في السماء لأنه لن يكون هناك خطية. أيام بلاوينا ستنسى! وسنتمكن أخيراً من أنْ نحب إلهنا بدفء ونقر بقداسته من غير قلق، وأن نثق به من غير قنوط، ونعبده من غير معوق أو التهاء. أيام الضعف والفساد ستكون ماضياً ونحن سنكون كرَبّنا في القداسة والسعادة، وبالطهارة كما بالخلود أيضاً.

من عظة بعنوان: «دم الحمل».

نعمة الله باطلاً

«فَإِذْ نَحْنُ عَامِلُونَ مَعَهُ نَطْلُبُ أَنْ لاَ تَقْبَلُوا نِعْمَةَ اللهِ بَاطِلاً»

(٢ كورنثوس ١:٦)

مع أنّ كنيسة كورنثوس التي كتبت لها هذه الكلمات لم تكن بالتأكيد جسداً من غير وصمة أو شائبة – ومع أننا نعلم من رسالة بولس الأولى إليهم أنَّ هنالك أموراً كثيرة يلام عليها أعضاء الكنيسة، فما زالت هذه الكنيسة، ومع كلِّ أخطائها، مختلفة جداً عن كنائس عصرنا الحاضر. فكانت هنالك احترافية أقل بدون خبرة، وأكثر إثماراً بالنسبة للأغصان، ونمواً أقوى للإيمان والقداسة والمحبة، وغزارة أكثر من الحنطة بالمقارنة مع العشب والزوان. ومع ذلك ترى في النص إلى أي مدى يحذرهم الرسول من الخطر وكم يتوسل إليهم أنْ لا يستمعوا إلى الإنجيل لمجرد إدانة أنفسهم. فلا يريد أنْ يسكنوا ويطمئنوا إلى مميزاتهم الخارجية وفرصهم المتاحة. ولم يُرِد منهم أنْ يتملقوا ضمائرهم بفكرة أنَّ كلَّ الأمور كانت على ما يرام لأنهم تعمَّدوا باسم المسيح. ولكن كعامل ناشط في كرم الرب طلب منهم وحثهم على أنْ يفحصوا أنفسهم ويحذروا لئلا يقبلوا نعمة الله باطلاً.

فهل نحن أفضل منهم؟ وهل يمكننا أنْ نظهر قائمة أكبر من الأدلة على أنَّ الله فينا حقيقة؟ أنا أوجه الحديث كما للحكماء: وليحكموا على ما أقول. الحق أقول أيها الأعزاء إننا مذنبون في هذا الأمر. فدعونا نعترف أنه لا شيء لدينا لنمجده ونفخر به، وكجيل ضعيف دعونا نتدارس باتضاع ما يحتويه هذا النص من أجل بنائنا الشخصي.

تأملوا أيها الرجال والنساء الذين يصعب إرضاءهم؛ تأملوا أيها المقصِّرين بأنْ تفتشوا الكتب لأنفسكم، إنَّ عليكم الكثير لتعملوه، وإنّ الوقت مقصر، وزي هذا العالم زائل. ارتعدوا لئلا تستمروا بالريب والعبث واقتفاء الأخطاء إلى النهاية، وهكذا تتواجدون في عداد أولئك الرفاق البائسين الذين قبلوا نعمة الله باطلاً.

من عظة بعنوان: «**نعمة الله باطلًا**»

هل قلبك سليم؟

«وَأَمَّا أَنْتُمْ فَجِنْسٌ مُخْتَارٌ، وَكَهَنُوتٌ مُلُوكِيٌّ، أُمَّةٌ مُقَدَّسَةٌ، شَعْبُ اقْتِنَاءٍ، لِكَيْ تُخْبِرُوا بِفَضَائِلِ الَّذِي دَعَاكُمْ مِنَ الظُّلْمَةِ إِلَى نُورِهِ الْعَجِيبِ»

(١ بطرس ٩:٢)

هل قلبك سليم؟ إذاً كن شاكراً. مجّد الرب من أجل رحمته المتميزة التي بموجبها ***«دَعَاكُمْ مِنَ الظُّلْمَةِ إِلَى نُورِهِ الْعَجِيبِ»*** **(١بطرس ٩:٢)**. فكِّر ماذا كنت بالطبيعة. فكِّر بما أُعطى لك بالنعمة المجانية غير المستَحَقَّة. قد لا يكون قلبك كل ما رجوت أنْ يكونَه. لكن على كلِّ حال إنَّ قلبك ليس القلب العتيق القاسي الذي خلقت به. فبالتأكيد إنَّ الإنسان الذي تغير قلبه ينبغي أن يكون ممتلئاً بالتمجيد.

هل قلبك سليم؟ إذاً كن متواضعاً ويقظاً. أنت لست بعد في السماء بل في العالم. أنت ما زلات بالجسد. الشيطان قريب منك ولا ينام البتة. فاحفظ قلبك بكل الاجتهاد. اسهر وصلِّ لئلا تدخل في تجربة. التمس من يسوع نفسه أنْ يحفظ لك قلبك. التمس منه أنْ يحلَّ فيه ويملك فيه ويجعل من قلبك حصناً منيعاً وأنْ يضع كلَّ عدو تحت قدميه. سلِّم مفاتيح الحصن إلى يد الملك بالذات واتركها معه هناك. ويا له من قول عظيم الشأن لسليمان: **«اَلْمُتَّكِلُ عَلَى قَلْبِهِ هُوَ جَاهِلٌ، وَالسَّالِكُ بِحِكْمَةٍ هُوَ يَنْجُو»**.

هل قلبك سليم؟ إذاً كن مفعماً بالأمل فيما يختص بقلوب الآخرين. من الذي جعلك متميزاً؟ لماذا لا ينبغي على أيِّ إنسان في العالم أنْ يتميز أيضاً عندما يصير ذلك الإنسان كمثلك إنساناً جديداً؟ اعمل وصلِّ وتحدث واكتب. اعمل على أنْ تقدم كلَّ أمرٍ صالح تستطيع تقديمه لربح النفوس. لا تيأس من خلاص أي إنسان ما زال يحيا على وجه الأرض. وبالتأكيد ينبغي على الإنسان الذي يتغير بالنعمة بأنه ليس هنالك حالات ميؤوس منها. وليس هنالك قلب لا يستطيع المسيح أنْ يشفيه.

من عظة بعنوان: «**القلب**»

يسوع والأولاد

«فَقَدَّمُوا إِلَيْهِ الأَطْفَالَ أَيْضًا لِيَلْمِسَهُمْ، فَلَمَّا رَآهُمُ التَّلاَمِيذُ انْتَهَرُوهُمْ. ١٦ أَمَّا يَسُوعُ فَدَعَاهُمْ وَقَالَ: «دَعُوا الأَوْلاَدَ يَأْتُونَ إِلَيَّ وَلاَ تَمْنَعُوهُمْ، لأَنَّ لِمِثْلِ هؤُلاَءِ مَلَكُوتَ اللهِ. ١٧ اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ لاَ يَقْبَلُ مَلَكُوتَ اللهِ مِثْلَ وَلَدٍ فَلَنْ يَدْخُلَهُ».

(لوقا ١٨: ١٥-١٧)

دعونا نعلّق على شيء واحد في هذا المقطع وهو كيف أنّ الناس يميلون بجهل منهم إلى أنْ يعاملوا الأولاد في أمر أرواحهم. فنقرأ أنَّ البعض **«قَدَّمُوا إِلَيْهِ الأَطْفَالَ أَيْضًا لِيَلْمِسَهُمْ، فَلَمَّا رَآهُمُ التَّلاَمِيذُ انْتَهَرُوهُمْ»**. فربما اعتقدوا على الأغلب أنَّ في هذا مجرد مضيعة لوقت سيدهم، وأنَّ احضار الأولاد لا يأتي بنفع للمسيح. فنالوا على هذا من ربنا توبيخاً مهيباً، فقد دعا يسوع الأولاد إليه وقال: **«دَعُوا الأَوْلاَدَ يَأْتُونَ إِلَيَّ وَلاَ تَمْنَعُوهُمْ، لأَنَّ لِمِثْلِ هؤُلاَءِ مَلَكُوتَ اللهِ»**.

من الواضح إنَّ أرواح الأولاد الصغار ثمينة في نظر الله. فهنا وفي أماكن أخرى يوجد برهان واضح أنَّ المسيح يهتم بهم على نفس مستوى اهتمامه بالبالغين. فأرواح الأولاد الصغار كفؤة ومؤهلة لاستقبال النعمة. إنهم مولودون بالخطية وبدون النعمة لا يخلصون. فلا شيء سواء في الكتاب المقدس أو بالخبرة يجعلنا نظن أنّه لا يمكن لهم أنْ يستقبلوا الروح القدس ويتبرروا حتى منذ طفولتهم المبكرة.

فدعونا ننتهي من كامل هذا المقطع بإحساس عميق بقيمة أرواح الأولاد، وبقرارٍ مؤكدٍ بأنْ نتبنى فكر المسيح في كلِّ تعاملاتنا معهم. ودعونا نعتبر الأولاد جزءاً كبير الأهمية في كنيسة المسيح الشاهدة، وجزءاً لا يريد رأس الكنيسة العظيم إهماله. دعونا ندربهم من طفولتهم المبكرة بطرق صالحة ونزرع في عقولهم بذار الكلمة المقدسة بثقة قوية بأنّ هذا البذار سيعطي في يوم من الأيام ثمراً.

من كتاب: **«أفكار توضيحية على الأناجيل؛ لوقا»**

بنوَّة روحية

«إِذْ لَمْ تَأْخُذُوا رُوحَ الْعُبُودِيَّةِ أَيْضًا لِلْخَوْفِ، بَلْ أَخَذْتُمْ رُوحَ التَّبَنِّي الَّذِي بِهِ نَصْرُخُ: «يَا أَبَا الآبُ»

(رومية ٨:١٥)

علاوة على ذلك، إنَّ كلَّ أولاد الله لديهم شعور الأولاد المتبنين نحو أبيهم السماوي. فماذا تقول الأسفار المقدسة؟ **«إِذْ لَمْ تَأْخُذُوا رُوحَ الْعُبُودِيَّةِ أَيْضًا لِلْخَوْفِ، بَلْ أَخَذْتُمْ رُوحَ التَّبَنِّي الَّذِي بِهِ نَصْرُخُ: «يَا أَبَا الآبُ»** (رومية ٨:١٥)! إنَّ أولاد الله محررون من ذلك الشعور تجاه الله بالخوف والخنوع الذي تولده الخطية في القلب. فأولاد الله معتقون من شعور الذنب ذاك الذي جعل آدم يواري نفسه بين أشجار الجنة، وقايين يهرب من وجه الله. ولا يعود أولاد الله يخافون قداسته وقضائه وجلاله. ولا يعودون يشعرون بأن هنالك هاوية أو حاجز يفصل بينهم وبين الله كأن الله غاضب عليهم بسبب خطاياهم. فأولاد الله معتقون من قيود وأغلال الروح هذه.

مشاعرهم تجاه الله هي الآن مشاعر سلام وطمأنينة. يرونه كأب صالحهم بيسوع المسيح. ينظرون إليه كإله تتمثل كلُّ صفاته بوسيطهم وصانع سلامهم الرب يسوع المسيح. هو عادل كإله ومع ذلك هو المبرر لكلِّ من يؤمن بيسوع المسيح. ولكونه أب يقتربون منه بشجاعة أدبية، ولكونه أب يمكنهم التحدث معه بحرية. لقد استبدلوا منه روح الحرية بروح العبودية، وروح المحبة بروح الخوف. إنهم يعلمون أنَّ الله قدوس ولكنهم ليسوا خائفين. ومع أنه قدوس فإنهم يؤمنون بأنه مصالح على نحو كامل. ومع أنهم خطاة فهم يؤمنون بأنهم مكتسون كلياً بيسوع المسيح. وهكذا هي مشاعر أولاد الله.

من عظة بعنوان: **«هل أنت وريث»**.

ما يتعلق بقداستكم

«لأَنَّ هذِهِ هِيَ إِرَادَةُ اللهِ: قَدَاسَتُكُمْ»

(١ تسالونيكي ٤:٣)

أكتب لكم أيها الأخوة عن قداستكم. هنالك من يظن أنكم أحد صفوف رعيتنا الذي يتطلب أنْ يُكتب له قليلاً، أنكم في نطاق حظيرة الخلاص، وربما أنكم متروكون لشأنكم. وأنا لا يمكنني أنْ أرى هذا. أنا أعتقد أنكم تحتاجون لعناية وتشجيع راعيكم كالجميع إنْ لم يكن أكثر. أعتقد أنّه في نموكم بالنعمة والقداسة، ليس مجرد عزاؤكم الشخصي بل وخلاص نفوس كثيرة تعتمد على الله. وأعتقد أنَّ الأعضاء المتجددين في الكنيسة ينبغي تبشيرهم والتحدث إليهم وتحذيرهم ونصحهم أكثر مما هم عليه. تحتاجون إلى كلمات توجيه كثيرة. أنتم بعد في البريّة. لم تعبروا الأردن بعد. فلستم بعد في الوطن. أنا أرى بولس الرسول يلتمس من أهل تسالونيكي وقد استقبلوه أنْ يسيروا مع الله ويسروه من أجل أنْ يتعززوا ويتقووا أكثر فأكثر. وأراه يحذرهم ألاّ يخلدوا إلى النوم كما يفعل الآخرون بل أنْ يسهروا ويثبتوا. وأرى بطرس الرسول يطلب من المؤمنين أنْ يجتهدوا في أنْ يجعلوا دعوتهم واختيارهم ثابتين، وأنْ يثابروا على أنْ يضيفوا نعمة إلى نعمة من أجل أنْ ينموا في النعمة في معرفة المسيح.

وأرغب في أنْ أتبع خطاهم فأذكركم أنَّ **«هذِهِ هِيَ إِرَادَةُ اللهِ: قَدَاسَتُكُمْ»** وأطلب منكم أنْ توضحوا أنّ هذه هي إرادتكم أيضاً. فأنتم لم يجري اختياركم من العالم من أجل أنْ تخلدوا إلى النوم بل لتكونوا قديسين. لم يختركم الله لتجلسوا حيث أنتم بلا حراك بل أنْ تسيروا وتكونوا جديرين بدعوتكم. ولماذا أقول هذه الأمور؟ هل لأني أعتقد أنكم لا تعرفونها؟ كلا وإنما من أجل أنْ أحثكم بتذكيركم بهذه الأمور. وهل لأني أرغب في أنْ أثبِّطَ الفقراء بالروح لأحزن قلب الأبرار؟ كلا طبعاً، فأنا لا أفعل هذا بإرادتي. أو هل لأني أظن أنَّ المسيحيين الحقيقيين لا يسقطون البتة؟ لا سمح الله أنْ تفترضوا أنني أقصد هذا الأمر. لكنني أقول ما أقول لأنني غيور على مجد ربي.

من عظة بعنوان: «**فكروا ملياً بطرقكم**»

قلقون جراء الشكوك والمخاوف

«سَلاَمًا أَتْرُكُ لَكُمْ. سَلاَمِي أُعْطِيكُمْ. لَيْسَ كَمَا يُعْطِي الْعَالَمُ أُعْطِيكُمْ أَنَا. لاَ تَضْطَرِبْ قُلُوبُكُمْ وَلاَ تَرْهَبْ»

(يوحنا ١٤:٢٧)

إنّ لديك شكوك ومخاوف. لكن ماذا تتوقع؟ روحك مرتبطة بجسد ملؤه الضعف والآلام والنقائص. تعيش في عالم غارق بالإثم، عالم غالبيته لا يحبون المسيح. وأنت معرَّض لتجارب الشيطان على الدوام، ذلك العدو اللدود الذي إن لم يستطع أنْ يغلق دونك باب السماء فإنه يجعل رحلتك إليها بغاية الإزعاج. ولا ريب في أنه ينبغي أنْ تؤخذ هذه الأمور كلها بالاعتبار.

لهذا أقول لكلِّ مؤمن إنه بغض النظر عن دهشتك بأنَّ لديك شكوك ومخاوف فأنا أرتاب بحقيقة سلامك إذا لم يكن لديك شيء من هذا. وأفكر قليلاً بتلك النعمة التي لا يشوبها نزاع داخلي. ونادراً ما يكون سلام في القلب عندما يكون كلُّ شيء ساكناً هادئاً وبطريقة تفكير وحيدة. وصدقني إذ أقول إنه يمكن التعرف على المسيحي الحقيقي مما يعانيه من أمور نضاله كما من سلامه. هذه الشكوك والمخاوف التي تضايقك هي أمارات الخير. وهذه تقنعني بأنَّ لديك شيئاً تخشى أنْ تفقده.

واحذر من أنْ تساعد إبليس بأن تكون مشتكياً ظالماً لنفسك وغير مؤمن بحقيقة عمل نعمة الله. وأنصحك بالصلاة ملتمساً أنْ يكون لك معرفة أعمق بدواخل قلبك بالذات، وبملء المسيح، وأدوات الشر التي للشيطان. ودع الشكوك والمخاوف تقودك إلى عرش النعمة، وتحفزك إلى المزيد من الصلاة وأنْ تؤدي بك إلى تكرار أكثر للقاء بالمسيح. لكن لا تدع الشكوك والمخاوف تخطف سلامك. وصدقني أنه ينبغي عليك أنْ تطمئن إلى الذهاب إلى السماء كخاطئ مخلص بالنعمة. ولا ينبغي أنْ تفاجأ وتعجب بأنْ تجد لنفسك دليلاً يومياً بأنك بالحقيقة خاطئ طالما أنت على قيد الحياة.

من عظة بعنوان: «**التبرير**»

كهنوت المسيح الدائم

«وَأَمَّا هذَا فَمِنْ أَجْلِ أَنَّهُ يَبْقَى إِلَى الأَبدِ، لَهُ كَهَنُوتٌ لاَ يَزُولُ»

(عبرانيين ٧:٢٤)

إنَّ ديمومة كهنوت المسيح هو السر الأعظم للعزاء كلَّ يوم في المسيحية. من الصعب القيام بالواجب في مكان الحياة ذاك الذي عينه الله لنا من غير أن نستغرق فيه. ونحن مخلوقات أضعف من أن نتمكن القيام بعملين في وقت واحد. فاهتمامات وعمل وانشغالات الحياة مهما كان سموها غالباً ما يبدو أنها تستهلك كل فكرنا وتبتلع كلّ اهتمامنا. لكن يا له من عزاء أنْ نتذكر أنَّ لنا رئيس كهنة عظيم في السماء لا ينسانا إطلاقاً وهو يتشفع بنا على الدوام مؤمِّنا سلامتنا! فيا لسعد ذلك الإنسان الذي يعرف كيف يبدأ وينهي يومه مع مثل هذا الكاهن العظيم. وهذا بالفعل هو عيش حياة الإيمان.

إنَّ كهنوت المسيح الدائم هو السر العام لمواظبة القديسين إلى المنتهى.

ويبقى لنا أرجحية قليلة لوصولنا سالمين إلى منزلنا في السماء. وربما نبدأ على نحو حسن وننتهي بفشل. ضعيفة قلوبنا ونشط الشيطان وكثيرة تجارب العالم حتى أن لا شيء يمكن أن يمنع غرق السفينة بنا.

لكن شكراً لله أنَّ كهنوت المسيح الدائم يعمل على سلامتنا. فالذي لا يخلد إلى هجوع ولا ينام يحرس مصالحنا باستمرار ويؤمن لنا حاجاتنا. وبينما يصب إبليس الماء على نار النعمة ويبذل الجهد على إخمادها يصب المسيح عليها زيتاً ليؤججها. يبدأ معنا بطريق الحياة الضيق مع الغفران، والنعمة، والقلب الجديد، ومن ثم يتركنا لشأننا فلا يطول بنا الزمن حتى نخطئ. لكنه يهبنا التشفع المستمر وهو رئيس الكهنة القدير العظيم في السماء – هو الله كما هو إنسان وإنسان كما أنه هو الله ونحن لن نضل أبداً.

«**إِنِّي أَنَا حَيٌّ**» يقول ربنا «**فَأَنْتُمْ سَتَحْيَوْنَ**» (يوحنا ١٤:١٩).

من عظة بعنوان: «**هل لك كاهن**»

المعركة العظمى

«فَاشْتَرِكْ أَنْتَ فِي احْتِمَالِ الْمَشَقَّاتِ كَجُنْدِيٍّ صَالِحٍ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ»

(٢ تيموثاوس ٢:٣)

على كلِّ الناس أنْ يحبوا السلام. الحرب شر مستطير، مع أنه شر لازم في بعض الأحيان. والمعارك أحداث دموية وموجعة مع أنَّ الشعوب لا تتمكن بدونها من الحفاظ على حقوقها. لكن على كلِّ الناس أنْ يحبوا السلام. وعلى الكلِّ أنْ يصلّوا من أجل حياة الهدوء والطمأنينة. كلُّ هذا صحيح تماماً، إلا أنه هنالك حرب واحدة من الواجب الإيجابي القيام بها؛ معركة ينبغي أنْ نكون مشتركين بها على الدوام. والمعركة التي أتكلم عنها هي المعركة ضد العالم والجسد والشيطان، إذ لا ينبغي أنْ نكون في سلام مع هؤلاء الأعداء الألداء، بل لا ينبغي لإنسان أنْ يتنصل من هذا الواجب طالما هو على قيد الحياة.

وكلُّ مسيحي معلنٌ إيمانه هو جندي ليسوع المسيح. إنه مرتبط بموجب عهد معموديته بأن يشارك بمعركة المسيح ضد الخطية، والعالم، والشرير. ومن لا يفعل ذلك ينكث عهده. إنه مختلس روحي، لا يتمم الالتزام المحسوب عليه. والإنسان الذي يفعل هذا يكون مرتداً ومتخلياً عن مسيحيته. فحقيقة أنه ينتمي إلى كنيسة ويلازم الحضور إلى مكان محدد للعبادة المسيحية، ويدعو نفسه مسيحياً هي إعلان عام من قبله بأنه يرغب في أنْ يُعْتَبَر جندياً ليسوع المسيح.

والسلاح متوفر لمن يعلن نفسه مسيحياً إذا هو استخدمه: «**احْمِلُوا**» يقول بولس الرسول إلى أهل أفسس «**سِلاَحَ اللهِ الْكَامِلَ ... وَبَعْدَ أَنْ تُتَمِّمُوا كُلَّ شَيْءٍ أَنْ تَثْبُتُوا... فَاثْبُتُوا مُمَنْطِقِينَ أَحْقَاءَكُمْ بِالْحَقِّ، وَلاَبِسِينَ دِرْعَ الْبِرِّ، حَامِلِينَ فَوْقَ الْكُلِّ تُرْسَ الإِيمَانِ... وَخُذُوا خُوذَةَ الْخَلاَصِ، وَسَيْفَ الرُّوحِ الَّذِي هُوَ كَلِمَةُ اللهِ**» (أفسس٦: ١٣-١٧). بعد هذا وليس هو الأقل إنَّ للمسيحي المعترف بإيمانه أفضل وأمهر القادة وهو يسوع المسيح رئيس الخلاص الذي به نكون أفضل من منتصرين. ولدينا أفضل الاستعدادات، خبز وماء الحياة، وأفضل الوعد بالثواب بالحياة الأبدية في المجد.

من عظة بعنوان: **المعركة العظمى**».

اختبار كنيسة المسيح

«وَأَنَا أَقُولُ لَكَ أَيْضًا: أَنْتَ بُطْرُسُ، وَعَلَى هذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي، وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا»

(متى ١٨:١٦)

هذا ذكر لأبواب الجحيم. ومن هذه العبارة نفهم مدى قوة الشيطان. ودائماً ما كان لكنيسة المسيح الحقيقية تاريخ حافل بالنزاع والحرب، وعدوها اللدود إبليس يهاجمها باستمرار وذلك لأنه يبغض كنيسة المسيح الحقيقية بغضاً شديداً. يذكي المعارضة والخلاف بين كلِّ أعضائها ويحث أبناء هذا العالم على عمل مشيئته بإيذاء ومضايقة شعب الله، فإن لم يستطع أن يكدم الرأس يقوم بكدم العقب، وإن لم يستطع أن يخطف مؤمني السماء يقوم بإزعاجهم في طريقهم إلى السماء.

هكذا استمر هذا العداء السافر طيلة الستة آلاف سنة التي انقضت. ملايين من الآثمين كانوا عملاء الشيطان ويقومون بعمله وهم لا يعلمون. الفراعنة والهرودسيون وجماعة نيرون ودقليانوس، وماري الدموية كلهم كانوا أدوات الشيطان عندما اضطهدوا تلاميذ يسوع المسيح. ولكم عانى جسد المسيح بكامله من ويلات الحرب مع قوات الجحيم. ولقد كانت دائماً عليقة تتوقد بالنار من غير أن تحترق.

من عظة بعنوان: «**الكنيسة الحقيقية**»

أُذْكُرُوا امْرَأَةَ لُوطٍ!

«أُذْكُرُوا امْرَأَةَ لُوطٍ!»

(لوقا ٣٢:١٧)

هنالك بعض التحذيرات في الأسفار المقدسة أكثر مهابة من ذلك الذي يظهر في عنوان هذه الصفحة. ويقول لنا الرب يسوع المسيح هنا: «**أُذْكُرُوا امْرَأَةَ لُوطٍ!**». وامرأة لوط تقر بالدين. فزوجها كان رجلاً باراً كما نقرأ في (٢بطرس ٢: ٧-٨). وقد غادرت سدوم معه يوم دمرت مدينة سدوم. وقد نظرت باتجاه المدينة من خلف زوجها خلافاً لتعليمات الرب له المجد. فماتت فوراً إذ تحولت إلى عمود ملح. ويعتبرها الرب يسوع المسيح مثال هداية لكنيسته بقوله: «**أُذْكُرُوا امْرَأَةَ لُوطٍ!**».

يا له من تحذير مهيب عندما نفكر بالأسماء التي يذكرها الرب يسوع. فلم يقل لنا تذكروا إبراهيم أو اسحق أو يعقوب أو سارة أو حنة أو راعوث. كلا بل يختار اسماً هلكت روحه إلى الأبد. ويقول لنا «**أُذْكُرُوا امْرَأَةَ لُوطٍ!**». أنه تحذير مهيب عندما نتأمل بالموضوع الذي كان يسوع يتحدث به. كان يتحدث عن عودته ثانية ليدين العالم. وهو يصف حال عدم الاستعداد المرعبة التي سيجد الكثيرين فيها. كان يفكر بالأيام الأخيرة عندما قال: «**أُذْكُرُوا امْرَأَةَ لُوطٍ!**».

وهو تحذير مهيب عندما نفكر بالشخص الذي أطلقه وهو الرب يسوع نبع المحبة والرحمة والشفقة. فهو الذي لن يقصف القصبة المرضوضة ولن يطفئ الفتيلة المدخنة. لقد بكى على أورشليم غير المؤمنة وصلى من أجل الذين صلبوه. ومع هذا يرى أن من الحسن أن يذكرنا بأرواحنا الهالكة. وحتى عند قوله «**أُذْكُرُوا امْرَأَةَ لُوطٍ!**» فإنه لتحذير مهيب رهيب عندما نفكر بمن قيل لهم التحذير أولاً. كان الرب يسوع المسيح يتحدث إلى تلاميذه. لم يكن يوجه كلاماً إلى الكتبة والفريسيين الذين أبغضوه إنما لبطرس ويعقوب ويوحنا والآخرين الذين أحبوه. ومع ذلك رأى أن عليه توجيه الإنذار لهم. فحتى لهم نسمعه يقول: «**أُذْكُرُوا امْرَأَةَ لُوطٍ!**».

من عظة بعنوان: «**امرأة للذكرى**»

الخطية التي اقترفتها زوجة لوط

«وَنَظَرَتِ امْرَأَتُهُ مِنْ وَرَائِهِ فَصَارَتْ عَمُودَ مِلْحٍ».

(تكوين ١٩:٢٦)

يخبرنا الروح القدس بتفصيل الخطية التي اقترفتها زوجة لوط ببضع كلمات بسيطة. نظرت إلى الخلف من وراء زوجها فصارت عمود ملح. ولا يخبرنا النص أكثر من هذا. فهنالك حادث جلل واضح في التاريخ. فمبلغ وجوهر إثمها يكمن في هذه الكلمات الثلاث: «نظرت من ورائه» فهل تبدو هذه الخطية صغيرة في عيني قارئ هذه الرسالة؟ وهل كانت خطيئة زوجة لوط على ما يبدو من تفاهتها تستوجب مثل هذه العقوبة؟ أنا أتجاسر فأقول إن هذا هو الشعور الذي ينشأ في بعض القلوب. فأعرني انتباهك وأنا أناقش هذه المسألة معك. لقد كان بهذه النظرة أكثر مما يستوقفك من النظرة الأولى، فهي تشير إلى أكثر بكثير مما تبديه. فأصغ لتسمع.

تلك النظرة كانت أمراً صغيراً ولكنها أماطت اللثام عن الشخصية الحقيقية لزوجة لوط. فالأمور الصغيرة كثيراً ما تظهر حال ذهن الإنسان حتى أكثر الأمور الكبيرة. والأعراض الصغيرة غالباً ما تكون علامات أمراض مستعصية. التفاحة التي أكلتها حواء كانت أمراً صغيراً، ولكنها برهنت على أنها قد سقطت من حال البراءة وأصبحت خاطئة. وقد يبدو السعال الخفيف في الصباح أنه اعتلال غير مهم ولكنه غالباً ما يكون دليلاً على فشل في بنية الجسم يقود إلى الهبوط والهزال وربما الموت. إن القشة قد تبين اتجاه هبوب الريح والنظرة تظهر الحال العفنة لقلب الإنسان.

فتلك النظرة كانت شيئاً صغيراً ولكنها بينت تمرد زوجة لوط. لقد أبدت بأنها ترتاب ما إذا كان الله سيدمر سدوم حقيقة. وأظهرت أنها لا تصدق أن هنالك أي خطر أو حاجة لهذا الهروب المستعجل. **«وَلكِنْ بِدُونِ إِيمَانٍ لاَ يُمْكِنُ إِرْضَاؤُهُ»** (عبرانيين ١١:٦). ففي الوقت الذي يظن الإنسان أنه يعرف الأمور أكثر من الله وأنَّ الله غير جاد أو لا يقصد شيئاً عندما يتوعد، تصبح نفسه في خطر داهم. وعندما لا يمكننا أن نتفهم أسباب تعاملات الله فإن واجبنا يكون أن نمسك سلامنا ونؤمن.

من عظة بعنوان: **«امرأة للذكرى»**

رجاء مستقى من الأسفار المقدسة

«تَاقَتْ نَفْسِي إِلَى خَلاَصِكَ. كَلاَمَكَ انْتَظَرْتُ».

(مزمور ١١٩:٨١)

ماذا يقول داود؟ **«أُذْكُرْ لِعَبْدِكَ الْقَوْلَ الَّذِي جَعَلْتَنِي أَنْتَظِرُهُ»** (مزمور ١١٩:٤٩). وماذا يقول بولس؟ **«لأَنَّ كُلَّ مَا سَبَقَ فَكُتِبَ كُتِبَ لأَجْلِ تَعْلِيمِنَا، حَتَّى بِالصَّبْرِ وَالتَّعْزِيَةِ بِمَا فِي الْكُتُبِ يَكُونُ لَنَا رَجَاءٌ»** (رومية ١٥:٤). فإن كان رجاؤنا سليماً فإن علينا العودة إلى بعض نصوص أو حقائق أو عقائد كلمة الله كمصدر له. وعلى ثقتنا أن تنشأ من أمور تسبب الله بتدوينها في الكتاب المقدس لتعليمنا والتي تلقتها وآمنت بها قلوبنا.

ليس كافياً أن نتعلم الرأي الصالح من آخرين حيال وضع نفوسنا. فقد يخبرنا آخرون ونحن على فراش الموت أن نحافظ على أرواحنا ولا نخاف. وقد يذكرونا أننا عشنا حياة صالحة وأن لدينا قلباً نقياً، وأننا لم نفعل ما يؤذي الآخرين وأننا لم نكن سيئين كالكثير من الناس. وفي كل هذه الأثناء قد لا يأتي أصدقاؤنا أية كلمة من الأسفار المقدسة وربما يجرعونا السم بهذا الأمر. فهؤلاء الأصدقاء لا يعدو كونهم معزون بؤساء يثيرون الشفقة والرثاء. فمع نياتهم الحسنة لا يعدو كونهم أعداء صرف لأرواحنا. إن رأي الآخرين الجيد بنا من غير إنذار كلمة الله لن تصنع رجاء صالحاً على الإطلاق.

لذا فإنني أنبه كل إنسان إلى أنْ يحذر الرجاء غير المستقى من الأسفار المقدسة. إنه رجاء كاذب، وكثيرون سيجدون ذلك على حسابهم. ذلك الكتاب المجيد الكامل، الكتاب المقدس، ولو كان يحتقره بعض الناس إنما هو المنهل الوحيد الذي تستقي منه نفس الإنسان سلامها وطمأنينتها. كثيرون يهزؤون بالكتاب القديم هذا في حياتهم ويجدون حاجتهم إليه عندما يكونون في النزع الأخير. فكرّم كتابك المقدس، وأقرأ كتابك المقدس، وتمسك بما يعلمك إياه. ليس هنالك على وجه البسيطة نبذة من الرجاء الصامد إلى الجهة الأخرى من القبر ما لم تكن مستلة من الكلمة المقدسة في الكتاب.

من عظة بعنوان: **«رجاؤنا»**

احذروا محبة المال

«لأَنَّ مَحَبَّةَ الْمَالِ أَصْلٌ لِكُلِّ الشُّرُورِ، الَّذِي إِذِ ابْتَغَاهُ قَوْمٌ ضَلُّوا عَنِ الإِيمَانِ، وَطَعَنُوا أَنْفُسَهُمْ بِأَوْجَاعٍ كَثِيرَةٍ.»

(١ تيموثاوس ٦:١٠)

المال في الحقيقة، هو الأمر الأكثر عدم كفاية من كل الممتلكات. وهو يقوم ببعض الأود لا شك ولكنه يأتي بالهموم على قدر ما يأخذ منها! هنالك تجشم عناء في تحصيله، وقلق بالمحافظة عليه؛ وهنالك تجارب في استخدامه وإثم ومعصية في إساءة ذلك الاستخدام كما إنَّ هنالك أسف على خسارته؛ أضف إلى أن هنالك ارتباك وحيرة في ترتيب أموره. ثلثا الجهد في النزاعات والدعاوى القضائية في العالم هي من سبب بسيط واحد هو المال أو النقود. فالمال هو الأمر الأكثر استحواذاً للقلب من كل الممتلكات الأخرى. يبدو عن بعد أنه مرغوباً به لكنه سرعان ما يتحول إلى سم زعاف عندما يمتلك. ولا أحد يمكنه أن يخبر بأثر المال على نفسه إن هو امتلكه بالهبوط عليه فجأة من العلاء. وكثيرون كانوا وما زالوا يجولون كالفقراء وينسون الله عندما يصبحون أغنياء.

أعزائي القراء، أنا أعلم أنَّ هذا موضوع مؤلم ودقيق مرهف. إنما لا يجب لخدام المسيح أن يتجنبوه لهذا السبب. إنه موضوع لكلِّ الأزمان، ويحتاج إلى الطرح دوماً على بساط البحث. لذا أرغب أن أتكلم به لنفسي ولكل من يعمل بخدمة الدين. وبالطبع لا أتوقع أن يقوم العالميون وغير المتدينين بالإطلاق أن يتبنوا الموضوع على ضوء الكتاب المقدس. فالكتاب المقدس بالنسبة لهم ليس قاعدة إيمان وعمل، لذا فإن طرح نصوص الكتاب عليهم سيكون ذو أثر أو نفع ضعيف. لكنني أطلب من كل المسيحيين العاملين أن يتأملوا جيداً بما تقوله الأسفار المقدسة حيال الحسد والأنانية وفيما يتعلق باللبرالية في إعطاء المال. فهل لأحد ممن يقرؤون هذه الصفحات أموال؟ إذاً تنبهوا واحذروا اشتهاء ما للغير! وتذكروا أنكم تحملون أثقالاً في سيركم باتجاه السماء.

من عظة بعنوان: «**الغنى والفقر**»

تأمل ملياً بموت المسيح يومياً

«كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا . مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ، وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا»

(إشعياء ٦:٥٣)

إن كنا ننظر إلى الرب يسوع على نحو سليم فينبغي علينا أن ننظر يومياً إلى موته كمصدر وحيد لسلامنا الداخلي، ونحن في احتياج إلى السلام الداخلي. فطالما أنَّ ضميرنا في سبات، ممات بالخطية الكامنة فينا، أو متبلِّدٌ ومخبّل بالملاحقة المستمرة لأشياء هذا العالم، فإنه سيصعب على إنسان كهذا أن يتقدم على نحو مقبول من غير السلام مع الله. لكن عندما يفسح المجال للضمير ليفتح عينيه وينهض ويتحرك فإنه سيجعل أقسى بني آدم شاعراً بالنقص. والفكر المتعذر كبته بأنَّ هذا العالم ليس الكل في الوجود وأنَّ هنالك إله ودينونة وشيء بعد الموت – مصير أو قدر غير مكتشف لم يعد منه أي راحل لينبئ عنه فإنَّ هذا الفكر سيطرق بال كلِّ إنسان في وقت ما ويجعله يتوق إلى السلام الداخلي.

نحن نحتاج السلام. وهنالك الآن مصدر سلام واحد فقط تميط الأسفار المقدسة اللثام عنه وهو موت المسيح والكفارة التي قام بها عن خطايانا بموته البديلي على الصليب. فللحصول على نصيب من ذلك السلام العظيم علينا أن نتطلع إلى المسيح بإيمان في أنه بديلنا وفادينا، يحمل خطايانا في جسده على الخشبة لترمى كل أحمال خطايانا عليه. ولكي ننعم بذلك السلام يجب علينا أن نتطلع كل يوم إلى ذات النقطة الرائعة التي بدأنا منها ونأتيه بأوزارنا يومياً ونتذكر أن: «**الرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا**» (إشعياء ٦:٥٣). وأقول بالفم الملآن إنَّ هذه هي طريقة الكتاب المقدس إلى السلام. وهذا هو المنهل القديم الذي شربت منه خراف المسيح لألف وثمانمئة سنة من غير أنْ ينضب ماؤه. ولقد اتفق القديسون من كلِّ الأجيال في هذه النقطة على الأقل من إقرارات إيمانهم. وهذه النقطة هي: إنَّ الوصفة الوحيدة لسلام الضمير هي التطلع بالإيمان إلى يسوع المسيح متألماً بدلاً عنا، البار من أجل الأثمة، مسدداً عنا الدين بالآلام وبالموت على الصليب.

من عظة بعنوان: «**ناظرين إلى يسوع**».

الاهتداء أمر سعيد

«الَّذِي وَإِنْ لَمْ تَرَوْهُ تُحِبُّونَهُ. ذلِكَ وَإِنْ كُنْتُمْ لاَ تَرَوْنَهُ الآنَ لكِنْ تُؤْمِنُونَ بِهِ، فَتَبْتَهِجُونَ بِفَرَحٍ لاَ يُنْطَقُ بِهِ وَمَجِيدٍ، نَائِلِينَ غَايَةَ إِيمَانِكُمْ خَلاَصَ النُّفُوسِ».

(١بطرس ١: ٨-٩)

سعيد هو الإنسان المهتدي لأن له سلام مع الله. خطاياه قد غفرت؛ ضميره مرتاح من الشعور بالذنب؛ ويمكنه أن يتطلع إلى الموت والدينونة، والأبدية من غير أن يشعر بالخوف. فيا للبركة العظمى أن يشعر الإنسان بالغفران والحرية. إنه سعيد لأنه يجد السلام في قلبه. عواطفه تحت السيطرة ومشاعره حسنة التوجه.

كل ما في داخل شخصه مهما يكن الضعف والوهن إنما هو في مكانه الصحيح وليس في الفوضى والتشوش. فيا له من تنظيم ممتاز. إنه سعيد لأنه يشعر بالتحرر من الظرفية وهو مستعد لحصول ما يحصل؛ فالمرض والخسائر والموت لا تمس كنزه الذي في السماء أو أن تخطفه من يد المسيح. فيا لحسن الشعور بالاستقلال! إنه سعيد لأنه يشعر بالجاهزية. فهو مستعد لكل ما يمكن أن يحصل. العمل الأكبر مستقر والاهتمام الأعظم بالحياة حاضر مرتب. فيا لبركة الشعور بالجاهزية. هنالك بالفعل ينابيع سعادة حقيقية. وهنالك ينابيع مغلقة بكل ما في الكلمة من معنى للإنسان غير المهتدي.

فبدون غفران الخطايا، ومن غير رجاء بالعالم الآتي، والاعتماد على هذا العالم للتعزية، ومن غير الجاهزية للقاء الله، لا يمكن للإنسان أن يكون سعيداً. إن الاهتداء هو جزء جوهري وأساسي للسعادة الصحيحة. فرسخ في ذهنك اليوم أنَّ الصديق الذي يعمل على اهتدائك اليوم إلى الله هو الصديق الأفضل الذي يمكنك الحصول عليه. وهو ليس صديق لمجرد الحياة الآتية بل ولهذه الحياة الحاضرة على حد سواء. إنه صديق لعزائك الحاضر كما لخلاصك من الجحيم في المستقبل. إنه الصديق للزمن الحاضر كما هو الصديق للأبدية. إنَّ الاهتداء لأمر سعيد.

من عظته بعنوان: «**الاهتداء**»

الجهد الشخصي

«اجْتَهِدُوا أَنْ تَدْخُلُوا مِنَ الْبَابِ الضَّيِّقِ، فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كَثِيرِينَ سَيَطْلُبُونَ أَنْ يَدْخُلُوا وَلاَ يَقْدِرُونَ».

(لوقا ١٣: ٢٤)

أتى رجل إلى ربنا يسوع المسيح وسأله سؤالاً في العمق قائلاً: «**يَا سَيِّدُ، أَقَلِيلٌ هُمُ الَّذِينَ يَخْلُصُونَ؟**». ونحن لا نعرف من كان ذلك الرجل ولا نعلم الحافز الذي دفعه لكي يسأل هذا السؤال. فربما كان يرغب في أن يشبع فضوله أو يتطلع إلى أن يجد عذراً لعدم طلبه خلاص نفسه. لقد حجب الروح القدس عنا كل هذه الأمور في النص، فاسم الرجل وحافزه إلى السؤال محجوبان.

لكنْ هنالك أمر في غاية الوضوح وهو الأهمية الوسيعة لجواب ربنا على السؤال المطروح. فقد اغتنم يسوع الفرصة ليلفت أنظار كلِّ من كان حوله إلى واجبهم الواضح. لقد علم تسلسل الأفكار التي طرحها السؤال في قلوبهم. لقد رأى بنفاذ بصيرته ما كان يدور في خلدهم. فصاح به قائلاً: ***«اجْتَهِدُوا أَنْ تَدْخُلُوا مِنَ الْبَابِ الضَّيِّقِ»*** فسواء كان عدد الذين يخلصون قليلاً أو كثيراً اجتهدوا أنتم أنْ تدخلوا.

هوذا الآن وقت مقبول، هوذا الآن يوم خلاص. سيأتي يوم يروم فيه الكثيرون أن يدخلوا ولا يتمكنون. فلذا ***«اجْتَهِدُوا أَنْ تَدْخُلُوا»*** الآن.

وأرغب في أن أدعو كل من يقرأ هذا التأمل إلى الاهتمام جدّياً بهذه الدروس الجليلة التي يقصد ربنا له المجد أن يعلِّمها لأنها إحدى ما يستحق التذكر في العصر الحاضر. فهي تعلم هذه الحقيقة الرائعة دونما خطأ مسؤوليتنا الشخصية الخاصة عن خلاص نفوسنا. وهي تظهر الخطر الهائل للتخلي عن المشاغل الدينية كما يفعل الكثيرون ذلك على نحو كريه. والنص الذي يتفضل به ربنا يسوع المسيح واضح كالشمس على كلتي هذين النقطتين. وهو الإله الأزلي الذي تكلم بكلمات الحكمة الكاملة يقول لأبناء البشر «**اجْتَهِدُوا أَنْ تَدْخُلُوا مِنَ الْبَابِ الضَّيِّقِ، فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كَثِيرِينَ سَيَطْلُبُونَ أَنْ يَدْخُلُوا وَلاَ يَقْدِرُونَ**».

من عظة بعنوان: «**الجهد الشخصي**»

صنع الخير كالمسيح

«يَسُوعَ الَّذِي مِنَ النَّاصِرَةِ كَيْفَ مَسَحَهُ اللهُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ وَالْقُوَّةِ، الَّذِي جَالَ يَصْنَعُ خَيْرًا وَيَشْفِي جَمِيعَ الْمُتَسَلَّطِ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ، لأَنَّ اللهَ كَانَ مَعَهُ».

(أعمال ١٠:٣٨)

كان ربنا يسوع المسيح يصنع خيراً على الدوام عندما كان على الأرض (أعمال ١٠:٣٨) وكان الرسل وكل التلاميذ في زمن الكتاب المقدس يجاهدون بالسلوك في اتباع خطواته. فالمسيحي الذي كان مكتفياً بالذهاب على السماء بمفرده من غير أن يهتم بما يحصل للآخرين سواء كانوا يعيشون بسعادة أو ماتوا بسلام أم لا، كان يعتبر كنوع من الوحش في الزمن الغابر وقد خلا من روح المسيح. فلماذا ينبغي أن نفترض ولو لوقت ما أنّ مستوى أدنى من ذلك يفي بالغرض في العصر الحاضر؟ إن هذه تساؤلات لتحقيقات جدية تتطلب أجوبة جدية.

هنالك جيل من الذين يدّعون المسيحية في العصر الحاضر إنما يبدو أنهم لا يعرفون شيئاً عن العناية بجيرانهم وهم منشغلون كلياً بما يعتبرونه الرقم واحد وهو شؤون أنفسهم وعائلتهم. انهم يأكلون ويشربون وينامون ويلبسون ويعملون ويكسبون المال ويصرفونه سنة بعد الأخرى. وسواء كان الآخرون سعداء أو بؤساء، في صحة أو في مرض، مؤمنون أو غير مؤمنين، مسافرون باتجاه السماء أو في طريق الجحيم، كل هذه أسئلة لا يبدو أنهم مهتمين بها على الإطلاق. فهل يمكن أن يكون هذا أمراً صائباً؟ هل يمكن ان يكون بهذا مصالحة في دين من تحدث بمثل السامري الصالح والذي أمرنا فيه قائلاً: **«اذْهَبْ أَنْتَ أَيْضًا وَاصْنَعْ هكَذَا»** كما نقرأ في (لوقا ١٠:٣٧)؟ أنا لا أعتقد هذا على الإطلاق.

إنما هنالك الكثير مما يمكن عمله في كل مكان. ليس من مكان في إنكلترا أو أي مكان آخر في العالم لا يوجد فيه حقل للعمل وباب مفتوح لأن نكون نافعين إن كان للمرء رغبة للدخول إليه. وليس هنالك مسيحي في مكان من العالم لا يمكن أنْ يجد فيه بعض العمل الصالح ليقوم به ويخدم الآخرين إن كان له مجرد قلب ليعمل ذلك.

من عظة بعنوان « **تحقيق شخصي**».

كونوا مرسلين

«اذْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعَ وَاكْرِزُوا بِالإِنْجِيلِ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا».

(مرقس ١٦:١٥)

أريد أنْ يكون كلُّ المهتدين مرسلين. لا أريد أن كلَّهم يذهبون إلى البلدان الأجنبية ويكرزوا للوثنيين، لكن أريد أنّ الكلَّ يكونون أرواحاً مرسلة ويجاهدوا في عمل الخير في الوطن. اريدهم أن يشهدوا لكل من حولهم أن الباب الضيق هو الطريق إلى السعادة الحقيقية وأن يقنعوهم بالدخول من ذلك الباب.

عندما اهتدى أندراوس، وجد أخاه بطرس وقال له: **«قَدْ وَجَدْنَا مَسِيَّا .... وجَاءَ بِهِ إِلَى يَسُوعَ»** (يوحنا ١: ٤١-٤٢). وعندما اهتدى فيلبس وجد نثنائيل وقال له: **«وَجَدْنَا الَّذِي كَتَبَ عَنْهُ مُوسَى فِي النَّامُوسِ وَالأَنْبِيَاءُ يَسُوعَ ابْنَ يُوسُفَ الَّذِي مِنَ النَّاصِرَةِ»**. [٤٦]**فَقَالَ لَهُ نَثَنَائِيلُ: «أَمِنَ النَّاصِرَةِ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ صَالِحٌ؟» قَالَ لَهُ فِيلُبُّسُ: «تَعَالَ وَانْظُرْ»** (يوحنا ١: ٤٥-٤٦). وهندما اهتدت المرأة السامرية **«تَرَكَتِ الْمَرْأَةُ جَرَّتَهَا وَمَضَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ وَقَالَتْ لِلنَّاسِ:** [٢٩]**«هَلُمُّوا انْظُرُوا إِنْسَانًا قَالَ لِي كُلَّ مَا فَعَلْتُ. أَلَعَلَّ هذَا هُوَ الْمَسِيحُ؟»** (يوحنا ٤: ٢٨-٢٩). وعندما اهتدى شاول الطرسوسي الفريسي **«لِلْوَقْتِ جَعَلَ يَكْرِزُ فِي الْمَجَامِعِ بِالْمَسِيحِ «أَنْ هذَا هُوَ ابْنُ اللهِ»** (أعمال ٩:٢٠).

أنا أتوق إلى أنت أرى هذا النوع من روح الكرازة لدى المسيحيين في العصر الحاضر. وأتوق على أن نوصي بالباب الضيق بحماسة أعم لكل الذين ما زالوا خارجه وأن نرغبهم في الدخول منه ليخلصوا. وسعيدة فعلاً تلك الكنيسة التي لا يرغب أعضاؤها بالوصول إلى السماء بأنفسهم وحسب بل وأنْ يرغبوا بأن يصطحبوا الآخرين معهم أيضاً. فباب السماء العظيم ما يزال مفتوحاً على مصراعيه ولكن الزمن يقترب له ليغلق إلى الأبد. فلنعمل ما دام نهار إذ **«يَأْتِي لَيْلٌ حِينَ لاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَعْمَلَ»** (يوحنا ٩:٤). دعونا نخبر أقرباءنا وأصدقاءنا أننا قد اختبرنا طريق الحياة ووجدناه مبهجاً وأننا قد ذقنا خبز الحياة ووجدناه صالحاً.

من عظة بعنوان: **«الجهد الشخصي»**.

الرب يبتهج بخرافه

«لأَنَّ مَحَبَّةَ الْمَسِيحِ تَحْصُرُنَا».

(٢ كورنثوس ١٤:٥)

الرب يبتهج بشعبه المؤمن. فمع أنهم قذرون في أعين أنفسهم فإنهم محبوبون ومحترمون وجميلون بالإجمال في عينيه ولا يرى فيهم أية وصمة. ثم إن وهنهم ومواطن ضعفهم لا تفصم الاتحاد بينه وبينهم. ولقد اختارهم وهو عالم بقلوبهم. وقد اتخذهم لنفسه بتفهم تام لآثامهم وعوائقهم وعجزهم، ولن يفصم عهده معهم ويطردهم. فعندما يسقطون يقيمهم وعندما يتيهون يعيدهم إلى جادة الصواب.

صلواتهم مسرة له. وكما يحب الأب أول مساعي أولاده للتكلم، هكذا يحب الرب التماسات وتوسلات شعبه الواهنة. يؤيدهم بشفاعته الجبارة ويلبسهم قوة من الأعالي. عباداتهم مسرته. وكما يبتهج الوالد بأول زهرة ربيع يقطفها ابنه ويأتيه بها هكذا يسر الرب بعبادة شعبه له. ولا يضيع لهم حتى أجر كأس ماء بارد أو ينسى أية كلمة محبة تقال.

ثم إنَّ التجارب والامتحانات كلها التي تعتريهم مروّى فيها كما من يد طبيب حاذق ولا تشوب كؤوسهم أية حبيبة من المرارة التي لا تناسب صحة أنفسهم. تجاربهم كما كانت لأيوب في القديم تحت سيطرة الله وتحكمه فلا يستطيع إبليس أنْ يلمس شعرة من رؤوسهم من غير إذن الرب ولا حتى يمكن له أن يجربهم ولو بقيد أنملة فوق ما يستطيعون أنْ يحتملوا. وكما يترأف الأب على البنين يترأف الرب على خائفيه يقودهم في الطريق الصحيح ولا يبلوهم عن طيب خاطر. لا يمسك عنهم شيئاً هو بالفعل في مصلحتهم. وليأتي ما يكون فهنالك حاجة دوماً إليه فعندما يوضعون في الأتون يكون الأمر لتنقيتهم وتطهيرهم وعندما يؤدبون فلكي يصيروا أكثر قداسة. وعندما يقلّمون فلكي ينقون ويصيروا أكثر إثماراً. وعندما يزدرعون من مكان إلى آخر فلكي تتفتح زهورهم على نحو أكثر تألقاً وإشراقاً. وكل الأمور تعمل معاً لخيرهم لأنهم يحبون الله.

من عظة بعنوان: «**الانفصال العظيم**»

تأمّل بمثل الفريسي والعشار

«وَقَالَ لِقَوْمٍ وَاثِقِينَ بِأَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ أَبْرَارٌ، وَيَحْتَقِرُونَ الآخَرِينَ هذَا الْمَثَلَ: إِنْسَانَانِ صَعِدَا إِلَى الْهَيْكَلِ لِيُصَلِّيَا، وَاحِدٌ فَرِيسِيٌّ وَالآخَرُ عَشَّارٌ».

(لوقا ١٨: ٩-١٠)

والآن أيها الأحباء، دعوني أعرّج على كل ما يقدمه هذا المثل من دروس. إنه صورة لعدد كبير من المسيحيين المتظاهرين. البعض يدعون بذلك الاسم لكنهم لا يفكرون على الإطلاق بالمسيح أو بنفوسهم. ولا فرق لديهم حتى لو احترقت اليوم كل الكتب المقدسة في العالم، وهم يتوجهون مباشرة إلى الدمار على كل حال. لكنَّ كل الباقين، سواء كانوا أغنياء أو فقراء، إما أن يكونوا فريسيين أو عشارين. ليس هنالك منتصف طريق، فهم إما يثقون بأنفسهم كلياً أو جزئياً والأمر في ذلك سيان. وإلا فهم يدينون أنفسهم ويشجبون ذواتهم على الدوام ولا ثقة لهم بأي شيء يستطيعون عمله للتبرير.

ولا يمكنك أن تسبر غور قلبك بأكثر مما ينبغي من الإتقان لأن هذا البر الذاتي هو أخبث وأمكر الأعداء. فاحذر من التفكير كما يروم الشيطان أن يبث في فكرك بأن هذا المثل جيد للجميع لكنه لا يلمس حالتك أنت. فتأكد تماماً أنك ستخسر نفسك. فلا أحد ينسى المقصود من المثل: فالفريسي لم يرفض لأنه كان رجلاً أخلاقياً بل لأنه كان فخوراً ببره الذاتي. والعشار لم يقبل لأنه كان خاطئاً بل لأنه كان واضحاً في ندمه. فالتوبة الحقيقية لا بد منها للجميع كائن ما تكون حياتهم وسلوكهم الظاهر. فلم تكن أخلاقياتك وفضائلك أيها الفريسي هي التي أعاقت خلاصك إنما مشاعر الكبرياء بشيء قيّم في شخصك هي التي منعتك من التعلق كلياً وبكل بساطة بالصليب وبدم يسوع المسيح. فأتوسل إليكم جميعاً أن تتزودوا بأنه كما أنَّ لا طريق آخر البتة للخلاص إلا بيسوع المسيح، فإن لا خُلُق آخر لدخول ذلك السبيل إلا بما كان لذلك العشار، وأن لا صلاة ستكون مقبولة في نظر فاديكم وقاضيكم إلا قولكم: «**اللّهُمَّ ارْحَمْنِي، أَنَا الْخَاطِئُ**» كما نقرأ في (لوقا ١٨:١٣).

من عظة بعنوان: «**البر الذاتي**».

اجتماع العائلة في عيد الميلاد

«أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمُ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ».

(لوقا ٢:١١)

كلنا نعرف أن اجتماعات العائلة في عيد الميلاد عامّة ومألوفة جداً. الآلاف من الناس يحتشدون في المنازل يصطلون كما لا يكون في أي يوم آخر من أيام السنة. فالشاب في المدينة ينتهز الفرصة ليتوقف عن العمل بضعة أيام ويهرع إلى البيت ليلتقي بكبار السن من أهله. والشابة تحصل على إجازة قصيرة الأمد وتأتي لزيارة والديها. والأخوة والأخوات يجتمعون لبضع ساعات. ويلتقي الآباء والأولاد وجهاً لوجه. وما أجمل أن يكون هنالك الكثير للتحدث عنه، فتطرح الكثير من التساؤلات عن كثير مما يود الكل أن يتحدث به. والعائلة بأسرها تسعد وتسر في تحلقها حول الموقد في عيد الميلاد.

أن الاجتماعات العائلية في عيد الميلاد أمر طبيعي وحق وصالح. وأنا أؤيدها من كل قلبي. ويطيب لي أن أرى العائلات تحافظ على هذه العادة المباركة. إنها إحدى بعض الأمور المبهجة الناجية من إهمال الإنسان للعادات الحميدة. وأنا لا أرى من بعد نعمة الله عادة توحد الناس وتجمعهم أكثر من المشاعر العائلية بهذا المقدار البهيج في هذا العالم الساقط. فوحدة الدم هو الرابط الأقوى. وغالباً ما لاحظت أنّ الناسَ يتمسكون بعلاقاتهم لمجرد أنها علاقاتهم ويأبون الإصغاء إلى كلمة تناوئها حتى في حال عدم توافقها مع أذواقهم وطرق معيشتهم. لذا ينبغي إطراء كلّ ما يساعد الحفاظ على المشاعر العائلية. وبذا يصبح من الحكمة اجتماع العائلة بأسرها في عيد الميلاد.

إلا أنَّ التجمعات العائلية غالباً ما تكون أموراً مؤسفة. إذ يكون بالفعل غريباً، في عالم كهذا، إن لم تكن كذلك. فقليلة هي الحلقات العائلية التي لا تظهر شغوراً وفراغاً مع انقضاء السنين. فالتغيرات والميتات تسبب شيئاً من الأسى مع تقدم الزمن. ولعلّه لا بد من أن تتوقف تجمعاتنا الميلادية على الأرض في يوم من الأيام. ولا بد لعيد الميلاد الأخير من أنْ يأتي. فيا لسعادة العيد الميلادي الذي سيجدنا مستعدين للقاء الرب له المجد!

من عظة بعنوان: **«عائلة الله»**.

ماذا تقولون عن المسيح في هذا الميلاد

«مَاذَا تَظُنُّونَ فِي الْمَسِيحِ؟ ابْنُ مَنْ هُوَ؟» قَالُوا لَهُ: «ابْنُ دَاوُدَ».

(متى ٢٢: ٤٢)

عيد الميلاد هو مناسبة يحتفل بها كل المسيحيين بطريقة أو بأخرى. البعض يعتبرها عيداً دينياً والبعض يعتبرها عطلة. إنما في كل أنحاء العالم وحيثما يتواجد المسيحيون يجري الاحتفال بالمناسبة بطريقة أو بأخرى. وربما ليس هنالك بلد يحتفل بالميلاد كإنكلترا. عطلة الميلاد، احتفالات الميلاد، اجتماعات الميلاد العائلية، خدمات الميلاد الكنسية، وترانيم الميلاد، فمن لم يسمع بكل هذه الأمور؟ إنها الأكثر إلفة في حياة الشعب الإنكليزي من أي شيء آخر. وهذه الأمور كلها هي أكثر ما نتذكر من طفولتنا، فقد كان أجدادنا وجداتنا معتادين عليها من قبل أن نولد. إنها عادات من مئات السنين ولا ريب في أنها ستبقى ما بقي العالم قائماً.

وأتجاسر أنْ أقول يا قارئي إنَّ طلباتك وربما واجباتك في هذا الميلاد كثيرة، وعطلتك قصيرة الأمد، فعليك أنْ تلتقي بالأصدقاء ولديك الكثير من الأحاديث لتتكلم بها. ومع ذلك، ليتك في خضم هرولتك هذه تعطي وقتاً ولو قصيراً لروحك. سيكون هنالك عيد ميلاد يكون مكانك فيه فارغاً. فقبل أن يأتي ذلك الزمن أرجو أن تعذرني كصديق في سؤال أوجهه إليك وهو ماذا تظن في المسيح؟ يجب على كل الناس أن يفكروا بالمسيح بسبب الدور الذي يقوم به والمكانة التي له بين الله والأنسان. إنه ابن الله الأزلي الذي من خلاله وحده يمكن معرفة الله الآب ويدنى منه ويُعبد، وهو الوسيط الوحيد المعين بين الله والإنسان والذي من خلاله يمكن للإنسان أن يتصالح مع الله ليغفر له ويتبرر ويخلص. إنه الأقنوم الإلهي المعين من الله الآب ليكون معطياً لكل ما يحتاجه الإنسان لخلاص نفسه.

لذا أقول لك يا قارئي في عيد الميلاد هذا إنه ينبغي لكل الناس أن يمعنوا التفكير فيمن يكون الرب يسوع المسيح بالنسبة لهم إذ ليس هنالك من يدين كل العالم له إلى هذا القدر الكبير. فالكبير والصغير، والغني والفقير، الاكل ينبغي أن أن يفكروا فيمن يكون المسيح.

من عظة بعنوان: **«ماذا تظنون في المسيح»**.

لا تستخف بالمجيء الثاني وتهمله

«وَهَا أَنَا آتِي سَرِيعًا وَأُجْرَتِي مَعِي لأُجَازِيَ كُلَّ وَاحِدٍ كَمَا يَكُونُ عَمَلُهُ»

(رؤيا ٢٢: ١٢)

أقول إنه من بين عقائد الإنجيل كلها، تأتي عقيدة المجيء الثاني للمسيح لتكون لنا على عكس المسيحيين الأوائل هي الأكثر في إحساسنا لقيمتها الصحيحة. في رأينا بفساد الإنسان، وبالتبرير بالإيمان، وحاجتنا إلى روح مقدس أو مطهر، فأعتقد أنه بالنسبة لهذه الأمور نجد المسيحيين الإنكليز يتفقون بالتفكير مع المؤمنين في كورنثوس وأفسس وفيلبي أو رومية في العصور القديمة، لكن في نظرتنا للمجيء الثاني، أعتقد أننا نجد أنه كان هنالك فارق كبير إن كان لا بد من أن نقارن تجربتنا.

سنجد أننا قصرنا عنهم على نحو مثير للشفقة بتقديرنا لأهميتها ولتفهم طبيعتها. وسنكتشف باختصار القول أننا نتناساها بالخلود إلى النوم عنها.

فالحقيقة الجلية في الكتاب، باعتقادي، هي كما يلي. عندما يتحقق عدد المختارين، سيعود المسيح إلى هذا العالم بعزم وبمجد عظيم. فكما أتى في المرة الأولى بشخصه الكريم سيعود في الثانية بشخصه. وكما غادر الأرض بوضوح منظور هكذا سيعود بوضوح منظور. وحينئذ سيتم المكتوب في (أعمال ١: ١١) **«إِنَّ يَسُوعَ هذَا الَّذِي ارْتَفَعَ عَنْكُمْ إِلَى السَّمَاءِ سَيَأْتِي هكَذَا كَمَا رَأَيْتُمُوهُ مُنْطَلِقًا إِلَى السَّمَاءِ»** وتتحقق الكلمات الواردة في (زكريا ١٤: ٥) **«وَيَأْتِي الرَّبُّ إِلهِي وَجَمِيعُ الْقِدِّيسِينَ مَعَكَ»**. وكذلك أيضاً الكلمات التي قالها أخنوخ كما نقرأ في (يهوذا ١٤) **«هُوَذَا قَدْ جَاءَ الرَّبُّ فِي رَبَوَاتِ قِدِّيسِيهِ»**. وموطن ضعف الكنيسة في هذه الأيام كان وهو الآن ما يلي: أن الخدام والرعاة لا يعظون بما يكفي عن المجيء الثاني، والمؤمنون العوام لا يفكرون بالموضوع على نحو كافٍ. إنما هنالك البعض، لكن من هم؟ الكثيرون لا يفكرون بالموضوع. ونحن ليس أحد منا يحيا على هذا الأمر ويتغذى به ويعمل له ويتعزى فيه كما قصد الله أن يكون الأمر لنا لنقوم به. وباختصار، إنَّ العريس قادم ونحن جميعاً نائمون.

من عظة بعنوان **«العذارى العشر»**

فكر الله بخصوص العالم

«لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ»

(يوحنا ٣: ١٦)

فلنتأمل بفكر الله بخصوص العالم: لقد «أحب» الله العالم. على أن مدى محبة الله للعالم موضوع يختلف الرأي فيه. هو موضوع لطالما فكرت فيه ولن أتردد بأن أقول رأيي. أنا أعتقد أنَّ الكتاب المقدس يعلمنا أن محبة الله تمتد إلى كل الجنس البشري. **«الرَّبُّ صَالِحٌ لِلْكُلِّ، وَمَرَاحِمُهُ عَلَى كُلِّ أَعْمَالِهِ»** (مزمور ١٤٥: ٩). لم تقتصر محبته على اليهود بل امتدت إلى الأمم كافة. ولا تقتصر محبته على مختاريه بل هو يحب كل العالم.

لكن ما نوع المحبة هذه التي يخص الآب بها كل العالم؟ لا يمكن أن تكون محبة بهجة وإلا يتوقف عن أن يكون إلهاً بالغ الكمال. إنه الإله الذي: **«عَيْنَاه أَطْهَرُ مِنْ أَنْ تَنْظُرَا الشَّرَّ»** (حبقوق ١: ١٣). آه، كلا! إن محبة العالم بأسره التي يتكلم يسوع عنها هي محبة الحنان، والرحمة والإشفاق. فقلب الله عامر بالحنان على الإنسان الساقط وطرقه المثيرة للغضب. وبينما هو كقاضٍ عادل يكره الخطية، يمكنه بطريقته الخاصة أن يحب الخطاة. فلا يمكن لمقاييسنا الواهنة وغير الفعَّالة أن تقيس طول وعرض حنانه. وليس لنا أن نفترض أنه على مثالنا. فمع برٍ وقداسةٍ وطهرٍ كما لله يمكنه أنْ يحب كلَّ البشر. **«لأَنَّ مَرَاحِمَهُ لاَ تَزُولُ»** (مراثي ٣: ٢٢).

فليكن لك العزاء بفكر أنَّ الله الآب هو إله محبة لا متناهية وحنان مطلق. فلا تتوانى ولا تتردد بدافع فكر أنَّ الله إله غضوب لا يريد استقبال الخطاة وأنه يبطئ الغفران. وتذكر اليوم أن المحبة هي سمة الآب الأثيرة لديه. وفيه تعالى عدل مطلق وطهر مطلق وحكمة مطلقة وعلم مطلق وقدرة لا متناهية. ولكن فوق كل هذا لا تنسى على الإطلاق أنَّ في الآب محبة مطلقة وحنان. فاقترب منه بالشجاعة الأدبية لأن يسوع قد مهّد لك الطريق إليه.

من عظة بعنوان **«الإيمان»**

الفارق بين الإيمان واليقين

«لِهذَا السَّبَبِ أَحْتَمِلُ هذِهِ الأُمُورَ أَيضًا. لكِنَّنِي لَسْتُ أَخْجَلُ، لأَنَّنِي عَالِمٌ بِمَنْ آمَنْتُ، وَمُوقِنٌ أَنَّهُ قَادِرٌ أَنْ يَحْفَظَ وَدِيعَتِي إِلَى ذلِكَ الْيَوْمِ.»

(٢ تيموثاوس ١: ١٢)

قارئي، أنا أعتقد أن هنالك أهمية كبيرة في المحافظة على هذا المفهوم للفارق بين الإيمان واليقين. إنه يفسر أشياء يجدها الباحث المحقق في الدين صعبة الفهم. فلنتذكر أن الإيمان هو الجذر واليقين هو الزهرة. ولا ريب في أنك لن تستطيع الحصول على الزهر بدون الجذر، لكن من المؤكد على حد سواء أنه يمكن أن يكون لك الجذر وليس الزهرة. الإيمان هو تلك المرأة المرتعشة التي أتت خلف يسوع من بين الجموع ومَسَّت ثوبه (مرقس ٥: ٢٧). واليقين هو استفانوس الواقف بهدوء في مغتاليه وهو يقول: «**هَا أَنَا أَنْظُرُ السَّمَاوَاتِ مَفْتُوحَةً، وَابْنَ الإِنْسَانِ قَائِمًا عَنْ يَمِينِ اللهِ**» (أعمال ٧: ٥٦). الإيمان هو اللص التائب يصيح: «**اذْكُرْنِي يَارَبُّ**» (لوقا ٢٣: ٤٢). اليقين هو أيوب جالساً على الرماد تملأ القروح جسده وهو يقول: «**أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ وَلِيِّي حَيٌّ**» (أيوب ١٩: ٢٥). «**هُوَذَا يَقْتُلُنِي. لاَ أَنْتَظِرُ شَيْئًا. فَقَطْ أُزَكِّي طَرِيقِي قُدَّامَهُ**» (أيوب ١٣: ١٥). الإيمان هو ذلك الصوت المتلهف المرتعش يقول: «**أُومِنُ يَا سَيِّدُ، فَأَعِنْ عَدَمَ إِيمَانِي**» (مرقس ٩: ٢٤). اليقين هو ذلك التحدي الواثق: «**مَنْ سَيَشْتَكِي عَلَى مُخْتَارِي اللهِ؟ ... مَنْ هُوَ الَّذِي يَدِينُ؟**» (رومية ٨: ٣٣-٣٤). الأيمان هو شاول يصلي في بيت يهوذا بدمشق حزيناً، معمياً ووحيداً (أعمال ٩: ١١). اليقين هو بولس السجين المسن يرنو إلى القبر بهدوء ويقول: «**لأَنَّنِي عَالِمٌ بِمَنْ آمَنْتُ**» (٢ تيموثاوس ١: ١٢). «**وَأَخِيرًا قَدْ وُضِعَ لِي إِكْلِيلُ الْبِرِّ**» **(٢ تيموثاوس ٤: ٨)**.

قارئي، كائن من تكون، أنا أشجعك على ألا ترضى بأي شيء أقل من اليقين الكامل بخلاصك. وصدقني، صدقني إذ أقول إنَّ اليقين يستأهل البحث عنه، فأنت تتخلى عن نصيبك من رحمات الله إن كنت ترضى البقاء من دونه. وما أقوله هنا ليس إلا لسلامك وأمانك وخلاصك. إن من الجيد أن تتأكد من الأشياء الأرضية إنما كم بالحري أفضل أن تتأكد من الأمور السماوية.

من عظة بعنوان «**الإيمان واليقين**».

وعد الله بالثبات

«وَالرَّبُّ سَائِرٌ أَمَامَكَ. هُوَ يَكُونُ مَعَكَ. لاَ يُهْمِلُكَ وَلاَ يَتْرُكُكَ. لاَ تَخَفْ وَلاَ تَرْتَعِبْ»

(تثنية ٣١: ٨)

الآن، إن كنت أعلم شيئاً عن العالم، فهو عالم الوداع، والهجر، والفراق، والرحيل، والانفصال، والفشل، والخيبة. تصور عظمة الراحة والرفاهية في أن تجد شيئاً لا يغيب أو يتضاءل ويضعف. الأشياء الجيدة التي في العالم تتركنا. الصحة والمال والممتلكات والصداقة، كلها تتخذ لنفسها أجنحة وتطير بعيداً عنا. هي هنا اليوم ولكن غداً كلا. ولكن الله يقول: «**إني لا أتركك**». نحن نترك بعضنا بعضاً. ننمو في عائلات مفعمة بالعاطفة ومشاعر الحنان وبعد ذلك كلنا نتفرق كلياً. فأحدهم يتبع دعواته أو عمله في طريق، والآخر في طريق آخر. نذهب شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً وربما لا نعود إلى لقاء أبداً. ونحن نادراً ما نلتقي بأقرب الأصدقاء والمعارف إلينا ونعود للافتراق ثانية. ولكن الله يقول: «**إني لا أتركك**».

يغادرنا من نحبهم. يموتون ويتناقص عددهم أكثر وأكثر في كل عام. والمحببون أكثر إلى النفس، كالزهور، هم الأكثر ضعفاً والأكثر رقة والأقصر عمراً كما يبدون. ولكن الله يقول: «**إني لا أتركك**». الانفصال هو نظام ناموس الكون في كل مكان ما عدا ما بين المسيح وشعبه. الموت والفشل يدمغ كلَّ شيء آخر لكن ليس هنالك انفصال في محبة الله للمؤمنين. أقرب علاقة على كوكب الأرض وهي الرباط الزوجي لها نهاية فعهد الزواج هو «**إلى أن يفصل الموت بيننا**». لكن العلاقة بين المسيح والإنسان الخاطئ الذي يثق به لا تنفصم على الإطلاق. فهي تحيا حتى بعد موت الجسد. تحيا عندما يفشل الجسد والقلب معاً.

فما أن تبدأ لا تذوي بل إنَّ القبر يزيدها إبراقاً وقوة.

من عظة بعنوان «**كن قانعاً مطمئناً**».

الإطار الذهني الذي يجب أن نجري فيه

«وَلْنُحَاضِرْ بِالصَّبْرِ فِي الْجِهَادِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَنَا»

(عبرانيين ١٢: ١)

إنه الإطار الذهني الذي يجب أن نجري فيه: «وَلْنُحَاضِرْ بِالصَّبْرِ». وأنا آخذ هذا الصبر مقتبساً لأعني ذلك الروح الحليم القانع المطمئن الذي هو ثمرة الإيمان الحي الحقيقي، الذي يتدفق من القناعة بأن كلَّ الأمور تعمل معاً لخيرنا. فيا لها من نعمةٍ هي الأكثر ضرورة وفائدة. فهنالك الكثير من المحن التي يجب تحملها عندما ندخل المضمار، الكثير من خيبات الأمل والتجارب والإرهاقات التي ما لم نتمالك أنفسنا بصبر حيالها فإننا لن نصمد إلى المنتهى. إنما يجب ألا نعود إلى مصر لأن البعض يأتينا بتقارير بغيضة عن أرض الميعاد. ولا يجب أن نضعف ونجبن لأن الرحلة طويلة والطريق يمتد في البريّة. بل يجب أن نتقدم إلى الأمام بعزم لا يفتر، غير متذمرين عندما نؤدَّب، بل لنردد القول مع عالي الكاهن «**هُوَ الرَّبُّ. مَا يَحْسُنُ فِي عَيْنَيْهِ يَعْمَلُ**» (١صم ٣:١٨).

حسناً إذاً أيها الأحبة، يجب أن نحاضر بالصبر، أي أن نركض باجتهاد وإلا فإننا لن نصل أبداً إلى ما نبتغيه. وقد يكون هنالك الكثير مما لا نفهمه والأكثر ربما أنّ الجسد يشتهي ما يعاكس، ولكن علينا أن نتحمل ونثبت إلى المنتهى حيث سيتضح الكل وسيتبرهن أن ترتيب الله هو الأفضل. ولا نفكر أن يكون ثوابنا على الأرض ولا نتراجع بسبب أنَّ مصالحنا مؤجلة. بل ليكن اليوم للصليب وغداً للإكليل. اليوم للعمل لكن الغد للثواب. اليوم للزرع والبذار لكن الغد للحصاد. اليوم للمعركة ولكن غداً للنصر والراحة. اليوم للبكاء ولكن غداً للفرح. وما اليوم بالمقارنة مع الغد؟ اليوم ليس إلا سبعون عاماً ولكنَّ الغد هو الأبدية. فلنصبر وليكن لنا رجاء الآخرة.

من عظة بعنوان: «**السباق المسيحي**».

تعالوا إلي

«تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ»

(متى ١١: ٢٨)

سنينا تنقضي بسرعة. ومع توالي مراحل السنة نسمع عن تجمعات ودعوات. فالفصح والميلاد مناسبات لدعوة الأصدقاء. لكن هنالك دعوة تستدعي الانتباه في كلّ يوم. وهذه هي الدعوة التي أوجهها إليكم اليوم. وقد تختلف عن كل ما وصلكم ولكنها ذات أهمية تفوق الوصف إذ تختص بالسعادة الأبدية لنفوسكم.

قارئي، لا تجفل وأنت تقرأ هذه الكلمات، فأنا لا أود أن أفسد عليك مسراتك، شريطة أنْ لا تكون مباهجك ممتزجة بالخطية. وأنا أعلم أنَّ للبكاء وقت وللضحك وقت، إنما أريدك أن تعمِّق الفكر مع السعادة، وأن تأخذ بالاعتبار أن تكون مرحاً. في كل فصح يغيب بعض من كانوا أحياء وأصحاء في العام السابق، وبعض من يجتمعون ليدفؤوا في كل عام حول الموقد في الميلاد سيكونون في أجواف قبورهم في العام التالي. فكم تعتقد أنك ستعيش؟ هل سيجدك الفصح القادم أو الميلاد القادم حياً ترزق؟ فمرة أخرى أرجوك أن تصغي إلى الدعوات التي أوجهها لك اليوم. فلدي رسالة لك من سيدي الذي يقول: ***«تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ»***.

هنالك وقت كاف لكل الذين يأتون إلى المسيح ويسلمون أنفسهم لعنايته. وسيذكرون كلَّ الطرق التي قادتهم إليه ويرون الحكمة في كلِّ خطوة بمسيرتهم. وسيستغربون من أنهم قد سبق وارتابوا بحنان ومحبة راعيهم الصالح. وفوق كلِّ هذا، سيتعجبون كيف استطاعوا أن يعيشوا كلَّ هذا الزمن بدونه، وكيف استطاعوا أن يترددوا بالقدوم إليه عندما سمعوا به!

من كراسة بعنوان «**تعالوا**».

OUR GREAT REDEEMER

(Daily Devotionals Around the Year)

By: Bishop of Liverpool

Rev. J. C. Ryle

(1816-1900)

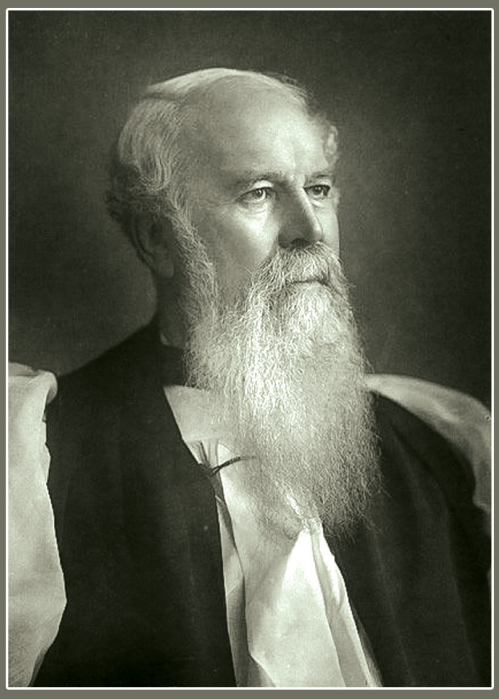

COMPILED BY

BRYAN SCHRANK

Arabic translation and printing under
the patronage of

AMEN Organization - the Netherlands

جميع اقتباسات النصوص الكتابية
ضمن هذا الكتاب مأخوذة من ترجمة
(فاندايك - البستاني) العربية الموحدة